الجزء الثاني		المجلد الحادي والثلاثون





جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ
نيسان ١٩٨٠ م

مجلة المجمع العلمي العراقي





جمادي الأولى ١٤٠٠ هـ
نيسان ١٩٨٠ م

التدوين وظهور الكتب المصنفة

في العهود الإسلامية الأولى

الدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي
استاذ بكلية الاداب — جامعة بغداد

(١)

ظهور التدوين وتطـــوره

إن ميزات نقل العلم بالسماع واعتماد التعليم على المحاضرات والاتصال الشخصي المباشر ، لا تعوض عن عيبيهما الأساس في اعتماد المعرفة على الأشخاص ومدى نشاطهم ، مما يجعل المعرفة محدودة بالزمان والمكان، ويعرضها للزوال في حالة ركود النشاط البشري. فالتدوين لا غنى عنه في ضبط المعلومات وتخليدها مجردة عن الانسان الفرد . والكتابة هي أول وأحسن وسيلة لتسجيل الإنتاج الفكري، وتيسير نقله الى المناطق المتباعدة في المكان، أو الى الأجيال الآتية، وهي تمكن المرء من الاطلاع على النتاج الفكري المدّون بصرف النظر عن جنس كاتبه أو أصله . فهي تساعد على جعل الأفكار والآراء أساس الصلة والارتباط بين الناس .

وللتدوين أثر كبير في التوجيه الفكري ، فهو ينقل الفكر من الأسلوب الخطابي الى الأسلوب الإنشائي ، وهذا يتطلب عناية خاصة في اتباع أساليب فنية خاصة في عرض الأفكار ، وكذلك في اختيار الكلمات ؛ فالمتحدث له حرية أوسع في الكلام ،

وقد تباح له الأغلاط النحوية أو استعمال الكلمات العامية السائدة في وسط محدود . أما في التدوين ، فان الكاتب يستعمل عادة الكلمات المقبولة عند المثقفين ، وهذا يتطلب تثبيت مستوى معين من الكلمات ، أي توحيد اللغة وما يتبعها من تسجيل الكلمات والتمهيد لظهور المعاجم .

والفكرة الأساسية التي يقوم عليها التدوين هي التسجيل الكتابي لما يعتبر جديراً بالحفظ والبقاء ، أي تثبيت الأمور التي يراها الكتّاب أو الآمرون بالكتابة جديرة بالاهتمام ، وحرية بأن تورث للأجيال ، فالتدوين إذن تسجيل لما يعتبر جديراً بالبقاء والخلود ، وهو الى حدٍ ما تعبير عن فكرة الخلود وتطبيق لها .

وتختلف العناصر الجديرة بالتدوين والخلود باختلاف الأفراد والأمم ، وهذه العناصر قد تتغير بتغير الأزمنة ، تبعاً للمثل العليا الثقافية والحضارية التي يتبناها المدوّن والتي كثيراً ما تتبدل بعضاً او كلاً ، فقد تهتم أمّة من الأمم في زمن ما بالشعر الغنائي او الحماسي ، أو بما يتعلق بالأخلاق والسياسة أو بالحياة المادية والمعاملات ، أو قد تركز اهتمامها على العلوم الانسانية او الطبيعية او الرياضيه ، وقد تهتم في زمن ما بجانب واحد أو بعدة جوانب من الحضارة والثقافة ، وقد يستمر هذا الاهتمام مدةً طويلة ، أو قد يقتصر على مّدة محدودة ثم يتحول الى الاهتمام بجانب آخر .

وتتوقف الاستفادة من الكتابة على مدى استعمالها ، ويعتمد دورها في الحفاظ على التراث الفكري على مدى الحفظ المتقن المنظّم للمدونات ، وهذا يتوقف على مواد الكتابة ، وعلى تنظيمها والعناية بصيانتها .

وللمادة التي تكتب عليها المدونات دور كبير في تخليد هذه المدونات ، ومن المعلوم أن مواد الكتابة منوّعة ، بعضها هش سريع الاندثار والفناء ، وبعضها صلب قوي يقاوم عوادي الزمن ؛ ولا ريب في أن أقواها وأثبتها هي الحجارة ثم الآجر المصنوع من الطين المفخور ، فاما الحجارة فقد كثر استعمالها في القديم ، وخاصة لتسجيل اعمال الملوك والحكّام ، وكذلك شواهد القبور ، والواقع أنها لا تزال مستعملة حتى اليوم ، وإن كان استعمالها الحالي بنطاق محدود : ويرجع استعمالها الى قدرتها على البقاء وتحدى

عوامل الاندثار ، غير أن ثقل وزنها وكبر حجمها أدى الى بقائها في مكانها ، لصعوبة نقلها ، كما أن صلة ما يكتب عليها بالتيارات السياسية المتبدلة كانت من أهم عوامل تعرضها للهدم والتشويه بعد التبدلات السياسية العنيفة .

وللآجر ميزة على الأحجار في الكتابة ، اذ أنها اخف وزناً واسهل نقلاً وحفظاً ، كما أن الكتابة عليها أيسر ، ومن الممكن كتابة نصوص طويلة نسبياً على الآجر ، وبذلك يمكن اعتبار المكتوب عليها نواة الكتاب وأصله بالمعنى المفهوم في الوقت الحاضر ، اي كتابة مقدار كبير نسبياً من المعلومات عن موضوع واحد ، بصرف النظر عن دقته وتفاصيله .

ومما يتصل بالآجر ألواح الطين ، وقد كثر استعمالها بصورة خاصة في الأماكن التي تقع عند الأنهار حيث يكوّن الغرين على ضفافه طبقات رقيقة تصلح عند جفافها للكتابة بالنقش او بالأحبار ، فتوفر بذلك مادة رخيصة تفيد المبتدئين بالتعلم ؛ وتحملنا ميزاته وسرعة تلفه على الاعتقاد بانه كان اوسع انتشاراً من البقايا القليلة المكتشفة منه حتى الآن .

وقد عم استعمال الآجر والطين في العهود البابلية والآشورية في العراق وبلاد الشام وآسيآ الصغرى ، وكثر استعماله في السجلات الرسمية وفي ضمن ذلك جبايات الضرائب ، وكذلك في تدوين المعارف والعلوم ، وآخر ما وصل إلينا من هذه الألواح يرجع الى القرن الأول الميلادي .

غير أنه توجد في المصادر العربية إشارات تدل على أن الطين ظل مستعملاً في العراق حتى أوائل العصر العباسي .

غير أن صغر حجم ألواح الآجر والطين يقضي بأن تكون النصوص المدونة فيها ، مهما كانت دقة خطها ، محدودة المقدار ، أي أنها تكون أقرب الى الصفحة منها الى الكتاب الذي يضم صفحات تيسر تدوين المعلومات الواسعة .

ومن مواد الكتابة التي كثر استعمالها منذ القرن الرابع قبل الميلاد هي القراطيس المصنوعة من أوراق نبات البردي الذي يكثر في مصر . وهي تتميز بخفة وزنها ومتانتها وسعتها حيث يمكن ان تلصق عدة اوراق بعضها ببعض فتبدو كأنها ورقة واحدة قد يبلغ

طولها زهاء المترين، وبذلك يمكن أن تكتب عليها مدونات طويلة وكتب بالمعنى المفهوم حالياً. والواقع أن كافة الكتب المطوّلة التي نعرفها ظهرت منذ أن عم استعمال البردي.

غير أن غلاء ثمن القراطيس، وقلة كمياتها، وانحصار إنتاجها بمصر أدى الى تحديد انتشارها. والواقع أنه مرت فترات في التاريخ لم يكن إنتاج مصر للقراطيس كافياً لسد حاجاتها؛ كما أن توتر العلاقات السياسية بين مصر والدول الأخرى كان يهدد هذه الدول بحرمانها من القراطيس، ولذلك عملت كثير من الدول الكبيرة في المشرق على الإقلال من استعمال القراطيس للكتابة، وبذلك تحدد استعمالها كثيراً.

وقد استعملت الجلود في الكتابة ايضاً، وأقدم أديم مكتوب اكتشف حتى الآن يرجع الى المئة الرابعة قبل الميلاد. وتتميز الأدُم بمتانتها وخفتها ومقاومتها عوادي الزمن، وكذلك بكبر حجمها وامكان ربط عدة اجزاء منها لتكون قطعة واحدة كبيرة يمكن أن تكتب عليها كتابات طويلة؛ أي كتب بالمعنى المفهوم عندنا.

يتبين مما سبق أن مواد الكتابة التي توافرت في أقطار الوطن العربي مكنت من تدوين مدونات طويلة ومن ظهور الكتب. إلا أن غلاء أثمان هذه المواد وقلة المتوافر منها جعل الكميات المتداولة منها محدودة؛ مما أدى الى قلة عدد الكتب والى اعتماد المعارف في نموها وازدهارها على المشافهة والسماع، والى انتقال العلوم بالروايات.

غير أن قلة الكتب وكثرة الاعتماد على السماع لا يعني انعدام الحاجة الى الكتابة؛ إذ أن التدوين مرتبط بالحضارة، وهو ضرورة لازمة للحكام والإداريين لتسجيل المراسلات والمكاتبات التي تصدر منهم الى أقرانهم أو إلى تابعيهم من الموظفين، ولتسجيل الضرائب والجبايات، فضلاً عن ضرورته للقضاة لتسجيل الأحكام والوثائق، وهو ضروري أيضاً في حياة الأفراد في الشؤون التجارية والمعاملات المدنية وماتتطلبه من عقود ومكاتبات.

لقد ورد في بعض المصادر ما يشير الى قلة عدد من يعرف الكتابة من العرب عند ظهور الإسلام، فذكر ابن عبد ربه ان الإسلام جاء «ولم يكن من العرب من يكتب الأبضعة عشر»[٢]. وروى الواقدي أنه «دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب[٣]» وروى ايضاً «كان الكتّاب بالعربية في الأوس

(٢) العقد الفريد ٤/٢٤٢.

(٣) فتوح البلدان ٤٧١ طبعة دي غويه.

والخزرج قليلاً . . فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون »[٤] ويقول أيضاً « وكانت الكتابة في العرب قليلاً [٥] » ، وهو يذكر ان من كان يعرف العوم والرمي والكتابة يسمى كاملاً [٦] . ولا ريب في أن اعتبار الكتابة إحدى مقومات الكمال الثلاثة أمر معقول ، ولكنه قد يناقض الادعاء بقلة من كان يعرف الكتابة ، إذ أن التقدير الرفيع للكتابة يقتضي أن يكون عدد من يعرف الكتابة أكثر مما ذكره الواقدي ، علماً بان نص الواقدي على ان العدد الذي ذكره لمن يعرف الكتابة مقتصر على مكة والمدينة ، وليس عاماً في كل العرب كما يدّعي نص ابن عبد ربه .

إن الادعاء أن من كانوا يعرفون الكتابة (والقراءة) بين العرب عند ظهور الإسلام قليلون، تناقضه المعلومات المتزايدة التي توضح مدى تقدم الحضارة ، وتعقد الحياة العامة التي تقتضي توسيع انتشار الكتابة . كما أن هذا القول تنقضه الصورة العامة التي يكونها المرء من دراسة الآيات القرآنية ؛ فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين (النحل ١٠٣ ، الشعراء ١٩٥) وانه قرآن عربي غير ذي عوج (الزمر ٢٨) . وهذا يظهر أن مفرداته وتعابيره مما هو مألوف الاستعمال عند العرب ؛ وان كثرة تردد كلمة « الكتابة » ومتطلباتها وما يتصل بها ، يمكن اعتبارها دليلاً على مدى انتشارها لا في مكة فقط ، وانما في جزيرة العرب ايضاً .

أوجب القرآن الكريم كتابة بعض الوثائق والعقود كالدين (البقرة ٢٨٢) وعقدة النكاح (البقرة ٢٣٥) ومكاتبة الرقيق في تحريرهم (النور ٣٣) ؛ وذكر من مواد الكتابة القلم (القلم ١ العلق ٤ لقمان ٢٧ آل عمران ٤٤) والقرطاس (الأنعام ٧ ، ٩١) والمداد (الكهف ١٠٩) والرق (الطور ٢) .

وذكر القرآن الكريم الكتاب المسطور (الكوثر ١٢ الاحزاب ٦ الاسراء ٥٨) والألواح (الاعراف ١٤٥) والسجل الذي يطوي الكتب (الانبياء ١٠٤) والصحف

---

(٤) كذلك ٤٧٣ .

(٥) الطبقات لابن سعد ٣ – ١٣٦/٢ ، ١٤٢ .

(٦) ابن سعد ٣ – ١٣٦/٢ ، ١٤٢ ، ١٤٨ وانظر ايضاً فتوح البلدان ٤٧٤ .

(المدثر ٥٢) ، كما ذكر الصحف الأولى (طه ١٣٣ ، الأعلى ٢) وصحف موسى (النجم ٣٩) ، وصحف ابراهيم وموسى (الاعلى ١٩) كما ذكر أن القرآن الكريم كان في صحف مكرّمة (عبس ١٣) ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم « يتلو صحفاً مطهّرة » (البينة ٢) .

في القرآن الكريم ذكر فعل الكتابة بمعنى الامر في ٢٦ آية ، وفي المعنى الشائع لدينا في سبع آيات .

أما كلمة « كتاب » فقد وردت في القرآن الكريم في ٢٩ آية ، وورد ذكر « الذين أوتوا الكتاب » في ٣٢ آية ، ووردت كلمة « الكتاب » أو « الكتب » بمعنى الكتب المقدسة في الأديان السماوية في ٣٨ آية ، غير أن بعض الكتب المقدسة ذكرت باسمائها الخاصة ، فقد ذكرت التوراة والانجيل في ثمان آيات (آل عمران ٣ ، ٤٨ ، ٦٥ المائدة ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠ الأعراف ١٥٧ التوبة ١١١) ، وذكر الإنجيل منفرداً في ثلاث آيات (المائدة ٢٦ ، الفتح ٤٩ ، الحديد ٢٧) والتوراة منفردة في آية واحدة (آل عمران ٤٨) . ووردت « البينات والزبر » في أربع آيات (آل عمران ١٨٤ النحل ٤٤ فاطر ٢٥ المؤمنون ٥٣) وذكر الزبور الذي نزل على داودَ في آيتين (النساء ١٦٣ ، الاسراء ٥٥). وذكرت « صحف إبراهيم وموسى » (الأعلى ١٩) ، وأن ابراهيم أوتي الكتاب والحكمة » (النساء ٥٤) . والمقصود من الكتب في كل هذه الآيات مدونات واسعة في مجموعة واحدة ، أي أنها كتب بمفهومنا الحاضر . وقد ذكر ابن النديم ان التوراة مكونة من عدة اسفار [7] . وقد وردت في القرآن الكريم كلمة « أسفار » (الجمعة ٥) دون الإشارة الى أن السفر من أجزاء التوراة .

ووردت في القرآن الكريم كلمة « الكتاب » بمعنى القرآن الكريم في آيات كثيرة ، غير أنه ذكر باسم القرآن » بأل التعريف في ٥٩ آية ، وبدونها في عشر آيات . وذكرت قراءة القرآن في اثنتي عشرة آية ، وتلاوة القرآن في ١١ آية ، وتلاوة آياته في ٢٩ آية . ولا ريب في أن القراءة تعني التلاوة ، وكلاهما لا يشترط معرفة الكتابة . فمن المعلوم أن كثيراً من المسلمين ، والرسول نفسه ، لم يكن يعرف الكتابة ، وقد ذكر ذلك

---

(٧) الفهرست لابن النديم ص ٢٥ طبعة محمد تجددي .

القرآن الكريم بقوله: « وما كنت تتلو من قبلـــه من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المشركون » (العنكبوت ٤٨) .

والقرآن الكريم مكون من آيات يبلغ عددها زهاء ٦٢٠٠ آية، ويراوح طولها من كلمة واحدة الى ٩٥ كلمـــة وهي اطولها . وهو يحتوي على ١١٤ ســـورة تختلف في طولها، وهي من حيث العموم متدرجة في الطول ، فأطول الآيات في أوله ثم تتدرج حتى إن السور الأخيرة مكون كل منها من نحو خمس آيات. ولكل سورة اسم متخذ من كلمة وردت في السورة .

وفي الكتب إشارات غير قليلة إلى استعمال الكتابة والتدوين عند ظهور الإسلام حتى عند القبائل وبين البدو[٨] ؛ ولا ريب في أن الكتابة كانت أعم استعمالاً وأكثر شيوعاً في المدن والمراكز التجارية الكثيرة المنبثة في شبه جزيرة العرب وخاصة في سواحلها ؛ وكذلك في مكة حيث ازدهرت التجارة والمعاملات المالية وكثرت المحالفات والمعاهدات مع الأفراد والقبائل . وان وصف القرآن الكريم أهل مكة بالأميين يقصد منه أنهم لم يكن لهـــم في دينهم الجاهلي كتاب يقدسونه ويعتمدون عليه في دينهم [٩] .

وقد ازدادت حاجة الرسول (ص) الى التدوين والكتابة بعد الهجرة الى المدينة حيث تأسست دولة الاسلام وأخذت تقارع خصومها وتعمل على التوسع بوسائل سلمية وعسكرية تطلبت القيام بمراسلات ومكاتبات وعقـــد اتفاقيات ومعاهدات ، إضافـــةً الى أن الآيات القرآنية تتابع نزولها ، فازداد المنزل من القرآن ، واقتضى الأمر تدوينه لحفظه مضبوطاً . وقد دفعت هذه الحاجة الرسول(ص) الى حث المسلمين على تعلم الكتابة[١٠]. ويروى أنه فادى المشركين من أسرى بدر ، واطلق ســـراح من يعلّم منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة[١١] . وقد استخدم الرسول (ص) عدداً من المسلمين لكتابة الوحي وآيات القرآن الكريم ، وللمكاتبات والمحالفات والاتفاقات .

(٨) انظر في ذلك : الدكتور ناصر الدين الاسد: مصادر الشعر الجاهلي ، الباب الاول ، ومحمد أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٧٣ فما بعد .

(٩) أنظر تفسير الطبري ، طبعة محمد احمد شاكر ٢٥٨/٢ .

(١٠) فتوح البلدان ٤٧٣ .

(١١) ابن سعد ٢ – ٤/١ .

ذكرت بعض المصادر اسماء عدد من هؤلاء الكتاب (١٢) ، واختلفت في عـــددهم ، فذكر بعضهم أنهم كانوا٢٣ ، وذكر آخرون أعداداً أكبر ، وأوصل بعضهم العدد الى ٤٣ (١٣)

وقد روت بعض المصادر ان كلاً من كتّاب الرسول اختص بكتابة جانب محدد (١٤) غير أن هـــذا إن صح لا يعني انهم كانوا موظفين ثابتين ، أو أنهم كونوا « جماعـــة » متميزة ، وإنما كان استخدام كل منهم تبعاً للحاجة ، وليس بصورة دائمة ، وربما لم يكتب بعضهم إلا رسائل قليلة (١٥)

ولما توسعت الدولة الاسلامية بعد الفتوح ، ازدادت حاجة الدولة الى الكتابة لضمان الاتصال بين الخلفاء وولاتهم على الأقاليم . ومن المعلوم أن إدارة الإقاليم كانت معقدة ، فقد كانت على الوالي واجبات واسعة في الإشراف على الشؤون الإدارية والمالية والقضائية . وكان الولاة مـــع صلاحياتهم الواسعة وصعوبة المواصلات خاضعين لأوامر الخليفـــة وتوجيهاته . ولم يكن للأفراد الذين يرسلهم الخليفة أحياناً لتبليغ أوامره الشفهية للولاة ، أثر كبير ، لأن إرسالهم كان موقتاً ، لذلك ازداد اعتماد الخليفة على المراسلات المكتوبة ، فكان لكل خليفة كاتب يدون الرسائل والكتب التي يرسلها . وقد أصبح للرسائل في العهد الأموي كاتب خاص في بلاط الخليفة (١٦) . ولعل كلاً من ولاة الأقاليم الرئيسة كان له كتّاب رسائل أيضاً .

ثم إن تنظيم صرف العطاء للمقاتلة اقتضى إنشاء ديوان العطاء منذ زمن عمر بن الخطاب ، وكانت تحفظ في هذا الديوان سجلات بأسماء المقاتلة ومقدار عطاء كل منهم وتجهيزاته . وترتب سجـــلاتهم بحَسَب عشائرهم ، وكذلك أسماء موالي كل عشيرة. وكان في مركز الخلافة وفي كل من الامصار التي يستوطنها المقاتلة ويقيم فيها الوالي ديوان للجند والعطاء (١٧) ولما كان عمل هذا الديوان متصلاً بالعرب ، كانت سجلاته بالعربية (١٨) .

---

(١٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ١٢ .

(١٣) أنظر في ذلك : حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية في الاسلام ٤٣ .

(١٤) الجهشياري ١٢ ، التراتيب الادارية للكتاني ١/١٢٣ .

(١٥) أنظر في مكاتبات الرسول (ص) : الوثائق السياسية في عهد الرسول والخلافة الراشدة لمحمد حميدالله .

(١٦) أنظر مقالنا عن موظفي بلاد الشام في العهد الاموي المنشور في مجلة الابحاث م ١٩ ج ١ ، ١٩٦٦

(١٧) أنظر كتابي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ١٤٦ ، وانظر مقالي : العطاء في الحجاز مجلة المجمع العلمي العراقي م ٢٠ ص٦

(١٨) الجهشياري ٣٨ .

وكان الخراج من أهم موارد الدولة، وكان تنظيم مقداره وطرق جبايته معقدة، ويتبع اساليب استقرت بعد تجارب امتـــدت قروناً ؛ وهو يقتضي حفظ سجلات مفصلة باسماء القرى ونوع الضرائب المفروضة على كل منها ومقدار جبايتها. ولما كانت معاملات الخراج متصلة بالفلاحين وتتطلب اتباع التقاليـــد القديمة، تركها العرب بعد الفتوح الى الكتاب القدماء الذين ظلوا يستعملون في سجلاتهم، في ديوان الخراج، اللغات المستعملة قبل الفتوح، وهي الفارسية في المشرق، والإغريقية في بلاد الشام ومصر. ثم ألزمتهم الدولة استعمال اللغة العربية، فعربت دواوين الخراج في الشام والعراق ومصر في نحو سنة ٧٥هـ، غير ان الكتاب ظلوا في وظائفهم، كما أن أساليب عملهم لم تتبدل.

يقوم عمل الديوان على التدوين، فكان ديوان الخراج يحفظ السجلات المفصّلة عن أنواع ألاراضي وجباياتها، لتكون المرجع في تقرير الملكيات وفي مقدار الضرائب، إذ أن إتلافها يؤدي الى اضطرابات مالية، ولهذا كانوا يحرصون على المحافظة عليها. والواقـــع أنه بالرغم من الاضطرابات والفتن الكثيرة التي حدثت في العراق، وخاصة في مراكزه الإدارية الكبرى، لم يرد ذكر حـــرق الديوان او تدميره الا في ثلاث حوادث متباعدة، أولها على أثر ثـــورة عبدالرحمن بن الأشعث في سنة ٨٠ هـ[١٩] والثانيـــة إبانَ حرب الأمين والمأمون في سنة ١٩٧ هـ [٢٠] والثالثة في سنة ٣٨٣ [٢١].

ذكر البلاذري وأبو يوسف ما يبين أهمية سجلات الدواوين في إقرار الملكيات: فقد ذكر أبو يوسف أن عمر بن الخطاب أصفى عشرة أصناف من الأراضي، وجعـــل لها حكماً خاصاً «فلما كانت الجماجم أحرق الناس الديوان، فذهب ذلك الأصل ودرس ولم يعرف»[٢٢]. وقال البلاذري في كلامه عن صوافي عمر: «ولم يزل ذلك ثابتاً حتى أحرق الديوان أيام الحجاج بن يوسف، فأخذ كل قوم ما يليهم»[٢٣].

وكانت حسابات الجباية تعرض مكتوبة على الملوك الساسانيين، واستمر عرضها

---

(١٩) الخراج لأبي يوسف، المطبعة السلفية ٥٧. فتوح البلدان ٢٧٢ .
(٢٠) كتاب الخراج لقدامة ٢٣٧ .
(٢١) تاريخ الصابي المنشور ذيلا على تجارب الامم ٣٣٥/٣ .
(٢٢) الخراج لأبي يوسف ٥٧ .
(٢٣) فتوح البلدان ٢٧٢ .

مكتوبة على الخلفاء والولاة بعد الإسلام ، فقد روى البلاذري عن ابن المقفع : «كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملوك ، وهي تكتب في صحف بيض ، وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبي من الخراج وما أنفق من وجوه النفقات وما حصل في بيت المال ، فيختمها ويجريها. فلما كان كسرى أبرويز تأذى بروائح تلك الصحف ، وأمر أن لا يرفع اليه صاحب ديوان خراجه ما يرفع الا في صحف مصفّرة بالزعفران وماء الورد ، وان لا تكتب الصحف التي تعرض عليه لحمل المال وغير ذلك الا مصفّرة ، ففعل ذلك . فلما ولي صالح بن عبدالرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكوردجلة ، ويقال بالبهقباذ. ثم حمل مالاً ، فكتب رسالته في جلد وصفّرها ، فضحك صالح وقال : أنكرت أن يأتي بها غيره ، يقول لعلمه بإمور العجم»(٢٤) .

وروى البلاذري أيضاً أن المدائني قال : « واخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت من قراطيس ، وكذلك الكتب الى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك . فلما ولي أمير المؤمنين المنصور ، أمر وزيره أبا أيوب المورياني أن يكتب الرسائل بحمل الاموال في صحف ، وأن تصفّرَ الصحف . فجرى الأمر على ذلك »(٢٥) .

ونظراً لما لوثائق الديوان من أهمية للدولة ولمعاملات الناس ، كان حفظها ضرورياً ، كما أن كثرة موضوعاتها وتشعبها تتطلب تنظيماً متقناً ييسر حفظها ومراجعتها عند اللزوم .

وقد كتب عدد من القدماء والمحدثين عن تنظيم سجلات الدواوين العراقية وخاصة في المئتين الثالثة والرابعة (أنظر مثلا « كتاب الخراج وصنعة الكتّاب » لقدامة بن جعفر ، وكتاب « البرهان في علوم البيان » لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان) ، كما توجد إشارات غير قليلة في بعض الكتب وخاصة في كتاب « الوزراء » للصابي ، و «تجارب الأمم » لمسكويه ، كما وصل إلينا عدد غير قليل من الكتب والرسائل والوثائق الصادرة من الخلفاء والولاة. (أنظر في ذلك « الوثائق السياسية في عهد الرسول والخلافة الراشدة » لمحمد حميد الله ، و « جمهرة رسائل العرب » لأحمد صفوت ، و « الوثائق السياسية والإدارية » للدكتور محمد ماهر حمادة ، وانظر عن تطوراتها وأسلوبها « نشأة الكتابة

(٢٤) فتوح البلدان ٤٦٣ .
(٢٥) فتوح البلدان ٤٦٤ .

الفنية » للدكتور حسين نصار) . ويلاحظ أن كل هذه الوثائق قصيرة نسبياً . ويبدو أنها كانت « أوراقاً » مجموعة ، ولم تكن كتباً بالمعنى المألوف لدينا .

ويتضح من كل ما تقدم أن الدولة كانت تعنى بالتدوين وحفظ الوثائق في دواوينها للاستعمالات « الرسمية» ، وأن هذه المدونات قد تسمى كتباً ، بمعنى مدونات مكتوبة ، وليس بالمعنى المفهوم عندنا .

يتضح مما سبق ان الكتابة كانت عند ظهور الاسلام مستعملة عند العرب عموماً ، وفي مكة والمدينة خصوصاً ، وأن الدولة الإسلامية عنيت منذ بدايتها بالكتابة والتدوين وحفظ المكتوب المتعلق بإدارة الدولة وماليتها خاصة . ويتضح أيضاً أن القرآن الكريم أشار الى عدد من أنواع وسائل الكتابة وأساليب التدوين ،ويتبين منه أيضاً أن الكتب بالمعنى المفهوم لدينا ، وخاصة الكتب المنزلة ، كانت معروفة عند العرب ، وأن الرسول الكريم شجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة ، واستعمل الكتّاب لكتابة الوحي والمراسلات والمواثيق والمعاهدات التي كان يعقدها .

غير أن الرسول الكريم اعتمد على المحادثات و المناقشات الشخصية والكلام الشفهي المباشر في توضيح مبادئ الإسلام ، ونشر الدعوة ، سواء قبل الهجرة في مكة ، أو في السنوات الاولى من الهجرة حين كان الإسلام لا يزال محدوداً في المدينة وأطرافها ، ومع أن كلام الرسول وسيرته هي عنصر أساس في توضيح مبادئ الدين ومعالمه ، وان سنته الرسول (ص) هي المصدر الثاني لمعرفة الإسلام ، فانه كان يعتمد على الرواية دون التدوين . وقد رويت عن تدوين أحاديث الرسول وسنته في حياته روايات منوعة جمع كثيراً منها ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » كما جمعها ونظمها وعلق على كثير منها الخطيب البغدادي في كتابه القيم « تقييد العلم » وعلق الأستاذ يوسف العش الذي نشر كتاب الخطيب على هذه الأحاديث بذكر مظانها ، مما يجعل هذا الكتاب جديراً بأن يكون اساساً للبحث . وقد نشر خلال نصف المئة الماضية عدد غير قليل من الكتب عالجت الموضوع وكررت كثيراً من الروايات القديمة مع تعليقات وتفسيرات متباينه تبعاً لدوافع كتابها .

ومما ذكره الخطيب يمكن الجزم بأن بعض أحاديث الرسول (ص) كتبت في

حياته وبمعرفته . وهذا يعني ضمناً موافقته على تدوين أحاديثه . ومن هذه التي كتبت في حياته الاحاديث التي كتبها عبدالله بن عمرو بن العاص، وكان يسميها الصادقة،[٢٦]. وكان حفيـــده عمروبن شعيب يحدث بها [٢٧] . ويذكر ابن الأثير أنها كانت تحوى ألفاً من الأحاديث النبوية » [٢٨] . وقد ضمن أحمد بن حنبل هذه الصحيفة مسنده [٢٩] .

ويذكر الخطيب أيضاً أن أبا بكر الصديق كتب فرائض الصدقة عن رسول الله (ص) [٣٠]، وأن الإمام علياً دَوّن في صحيفة كانت معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وشيْ من الجراحات [٣١] .

وقد جمع همام بن منبه مئة وثمانية وثلاثين حديثاً نبوياً رواها عن أبي هريـــرة، وسماها « الصحيفة الصحيحة » . وقد نقلها ابن حنبل في مسنده[٣٢]، ثم نشرها محمد حميدالله خان مستقلة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق [٣٣] .

وورد ذكر لصحف كتبها بعض الصحابة، ومنهم سعد بن عبادة الأنصاريّ، وعبدالله بن أبي أوفى ، وأبو هريرة ، وأبو موسى الأشعري ، وجابر بن عبدالله ، وأبـو سلمه الاشجعي[٣٤] .

وقد رويت عدة أقوال لعدد من التابعين كانوا لا يرون إباحة كتابة الحديث ، غير أنه روي بجانب ذلك أن عدداً من التابعين الذين كانوا يكتبون الحديث ثم يمحون ما كتبوه

---

(٢٦) تقييد العلم للخطيب البغدادي ٧٨، ٨٤–٨٦ وانظر ابن سعد ٧–٢/٨٩ ، ٢–٢ / ١٢٥ .
(٢٧) تهذيب التهذيب للنووي ٨/٤٨ – ٤٩ .
(٢٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣/٢٣٣ .
(٢٩) مسند ابن حنبل ٢/١٥٨ – ٢٢٦ .
(٣٠) تقييد العلم ٨٧ .
(٣١) تقييد العلم ٨٨، وأنظر ابن سعد ١/٤٨٦ ، صحيح البخاري ١/٣٨ .
(٣٢) مسند ابن حنبل ٢/٣١٢ – ٣١٩ .
(٣٣) م ٢٨ ج ٢ – ٣ سنة ١٩٥٣ .
(٣٤) أنظر عن مواضع الاشارة الى هذه الصحف : بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم ضياء العمري : الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

بعد حفظه ، ومن هؤلاء عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعاصم بن حمزة ، وهشام بن حسان ، وخالد الحذّاء، وحماد بن سلمة ، وسعيد بن أبي بردة [٣٥] وكذلك مسروق، وابن شهاب ، ومحمد بن سيرين ، وإبراهيم التيمي ، ومنصور [٣٦] . ويذكر الخطيب أن بعض هؤلاء احتفظ بما دوّنه،وأن غير واحد من المتقدمين كان إذا حضرته الوفاة أتلف كتبه، أو أوصى باتلافها خوفاً « من أن تصير الى من ليس من أهل العلم فلا يعرف أحكامها، ويحمل جميع ما فيها على ظاهره ، وربما زاد فيها ونقص ، فيكون ذلك منسوباً الى كاتبها في الأصل . وهذا كله وما أشبهه، قد نقل عن المتقدمين الإحتراس منه » [٣٧] . وممن ذكر الخطيب أنهم أوصوا باتلاف ما دوّنوا إذا حضرتهم الوفاة محمد بن سيرين ، وطاووس ، وعبيدة السلماني ، وشعبة بن الحجاج ، وابو قلابة الجرمي [٣٨] .

ومن مجموع الروايات التي تبيح كتابة الحديث وتحث عليه ، والتي تكره الكتابة ولا تقرها ، يمكن أن نستخلص أن كتابة الحديث النبوي أبيحت إبانَ المئة الاولى الهجرية بنطاق محدود جداً . وبصورة فردية ، ولأجل مساعدة المعنيين بحفظ الحديث على الحفظ، وليس لجعل رواية الحديث معتمدة على المدونات . . وقد نسبت الى الكارهين للتدوين مسوّغات للكره ، وهي تتصل بالحديث ومكانته المتميزة وصلته الوثيقة بالدين والعقيدة ؛ غير أن التردد في قبول التدوين لم يكن مقتصراً على الحديث ، وإنما امتد الى الميادين الأخرى للفكر ، فلا بد أن تكون دوافع أعم أثراً في اعتماد الحركة الفكرية على السماع والمشافهة دون التدوين والكتابة . وقد أشرنا الى هذه الدوافع في مقالتنا عن الرواية .

غير أن التطور الاجتماعي والفكري جعل النقائص والعيوب التي في نقل العلم والمعرفة بالسماع تطغى على المنافع المستفادة منه . ومن المعلوم أنه بالرغم من اهتمام العرب قبل الإسلام بالأمور الأدبية والفكرية، وبالرغم من استناد الإسلام على الفكر وحث

---

(٣٥) أنظر : المحدث الفاصل للرامهرمزي ٣٨٢ – ٣٨٤ .
(٣٦) تقييد العلم ٥٨ – ٦١ .
(٣٧) تقييد العلم ٦١ .
(٣٨) تقييد العلم ٦١ – ٦٣ .

القرآن على استعماله، وأثره في توجيهه وجهات جديدة واسعة ، شُغِلَ العرب في العهود الاولى من الإسلام بالحروب والفتوح ، ووجهوا أكثر اهتمامهم الى توسيع رقعة الدولة وضبط الأمن والنظام فيها ، وعنوا بتنظيم الإدارة وبمعالجة المشكلات العملية في الحياة . وكان القائمون على ادارة الدولة وتوجيهها قد توافر فيهم الحس الصادق والفطنة السليمة ، وتفهموا أصول الإسلام وتشربوا بروحه ، فوضعوا نظماً مطابقة للعدالة وروح الإسلام ، فكانت نظماً مرضية . كما أن أصول الاسلام وعقائده كانت محددة واضحة في القرآن الكريم ، وكان الأحياء من الصحابة الذين رافقوا الرسول وتفهموا الدين كثيرين نسبياً ، لذلك كان العلم محدوداً في مادته وموضوعاته ، حرّاً في أساليبه ، قائماً على القرآن ودراسته . غير أنه على ممر الايام تزايدت القضايا التي واجهت المسلمين والأفكار التي برزت لهم ؛ كما أن استقرار الدولة وتناقص الفتوح وفر للعرب وقتاً كافياً دعمه توزيع الدولة العطاء والرزق عليهم فكفل لهم مصدر عيشهم وضمن لهم مستقبل حياتهم ، فتوجهوا إلى الاهتمام بالأمور الفكرية والبحث فيها ، وتوسعت معارفهم ، وتعددت ميادين اعمالهم ، وتنوعت آراؤهم وأفكارهم ، فأصبح من الصعب على ذاكرة الفرد استيعاب كل العلم وقضاياه ، وكان لا بد من الاستعانة بالتسجيل .

إن هذا الازدهار الفكري الذي تجلى بازدياد عدد الأفكار وعمقها ، وبازدياد عدد المهتمين بالفكر والمشتغلين به ، رافقه تعدد مراكز العلم في أقاليم الدولة الاسلامية . ومن المعلوم أن الإسلام استقر في المدينة حيث اسس الرسول الكريم دولته ، واتخذها قاعدة لنشر الإسلام وتوسيع دولته ، وألزم المسلمين الأولين الإقامة فيها ، وظل هذا الإلزام حتى فتح مكة . وظلت المدينة قاعدة الخلافة الإسلامية في زمن الثلاثة الأولين من الخلفاء الراشدين ، والمكان الأول الذي يقيم فيه أكثر الصحابة الذين عاشوا مع الرسول وتشربوا بروح الاسلام ، كما كانت المكان الذي تعرف فيه سُنّة الرسول ؛ وقد حفظ الخلفاء الأمويون والعباسيون للمدينة مكانتها ، وأولوا أهلها الإحترام ، وأغدقوا عليهم الهبات والعطاء ، واعتمدوا كثيراً على علمائها في توجيه الفكر في دمشق وبغداد اللتين أمّ كلاً منهما واستوطنهما عدد من هؤلاء العلماء ، فساعد ذلك كله على نشر علم أهل المدينة .

غير أنه سرعان ما ازدهرت الحركة الفكرية في عدد من المراكز الأخرى ، وخاصة في الكوفة والبصرة ودمشق وبغداد والفسطاط، ثم في عدد من مدن خراسان. وقداتسع العلم في هذه المراكز فلم يقتصر على ما اهتم به أهل المدينة من الفقه والحديث والتفسير ، وانما امتد الى اللغة والنحو والأدب، فضلاً عن علم الكلام ، والواقع ان هذه المراكز الجديدة تابعت الخط الفكري العام لأهل المدينة ، فأتمته ووسعته بالبحث والابداع وفي التصرف في نقل النصوص .

وقد أدرك بعض العلماء هذه التطورات وأثرها في جعل التدوين ضرورة ، فقال الرامهرمزي بعد الفصل الذي كتبه عن كره كتابة الحديث « وإنما كره الكتاب من كره من الصدر الأول لقرب العهد وتقارب الإسناد ، ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله أو يرغب عن تحفظه . فأما والوقت متباعد ، وآفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون ، فان تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى » (٣٩) .

ولا ريب في أن الكتابة تحفظ العلم وتصونه، وتمنع اندراسه وانتهاءه بموت العلمـــاء وفنائهم ، كما أنها لا تحصر العلم بالحفّاظ وحدهم ، بل تمكن أي انسان كان من الرجوع اليه ما دام يعرف القراءة. وقد روي عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال : إن الكتابة تمنع دروس العلم وذهاب العلماء(٤٠) .

والتدوين ييسر نقل العلم والمعرفة الى اي مركز كان دون الحاجة الى الرحلة، وبذلك يستطيع المرء الحصول على المعرفة عن طريق الكتب من غير أن يتجشم مشقات السفر ، كما أن الكتب تمكن العلماء من نقل أفكارهم عن طريق إرسال كتبهم دون الحاجة الى السفر .

والكتابة تنقل العلم الى الحاضرين والآتين فهي مستودع الفكر وأداة خلوده، كما انها تساعد على حفظ التقاليد واستمرار المؤسسات بطابعها الخاص المميز . ومن المعلوم أن الكتاب مطواع للإنسان، يستعمله من شاء متى شاء وكيف شاء، ويتصرف فيه دون أن يلقى على ذلك حساباً . وقد عبر الجاحظ عن ذلك ، أروع تعبير ، فقال « إنه نعم الذخر والعقدة هو، ونعم الجليس والعدة ، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة ،

---

(٣٩) المحدث الفاصل ٣٨٦ .
(٤٠) تقييد العلم ١٠٥ .

ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل»[41]، وقال أيضاً: «ولولا الكتب المدونة، والاخبار المخلدة، والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب وغير الحساب، لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار، ولو تم ذلك لحرمنا أكثر النفع[42]»، وقال أيضاً: «والكتاب هو الذي يؤدي الى الناس كتب الدّيْن وحساب الدواوين مع خفة نقله وصغر حجمه، صامت ما أسكتّه، وبليغ ما استنطقته، ومن لك بمسامر لايبتديك في حال شغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك الى التجمل له، والتذمم منه، ومن لك بزائر إن شئت جعل زيارته غِبّاً وِ ورده خِمْساً، وإن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك مكان بعضك» [43].

لقد أورد علماء الحديث تفاصيل عن تدوين الحديث النبوي وما يتصل به، ونستطيع أن نرسم من هذه التفاصيل التطورات التي مر بها تدوين الحديث، وهي عموماً تنطبق على كثير من العلوم الأخرى، فهي دالّة على تطور ظهور الكتب مهمة. ويمكن تلخيص هذا التطور بالقول إن القرآن الكريم أولى العلم تقديراً كبيراً، وانه دعا الى إستعمال الحواس والفكر والعقل، وإنه لم يمنع الكتابة، وإنما أباحها وعدّها واجبة في بعض الأحوال. غير أن المسلمين عموماً تحاشوا التدوين وَحذِرُوه في أوائل العهد، ثم ازدادت الحاجة فتزايد عدد المدونين، وتغيرت بالتدريج نظرة الناس الى التدوين، فأخذ الرضا عنه يحل محل النفور منه، وقد روى هبيرة بن عبدالرحمن أن أنس بن مالك (ت١٠٨) كان يلقى عليهم مخلاة ويقول: هذه أحاديث كتبتها عن رسول الله (ص)، وروى ثمامة أن انساً كان يأمر بنيه أن يقيدوا العلم بالكتاب[44]، وكان الحسن البصري (ت ١١٠) لا يرى بكتاب العلماء بأساً[45]، وأنه قال: «إن لنا

---

(٤١) الحيوان ٣٨/١ .

(٤٢) الحيوان ٤٧/١ .

(٤٣) الحيوان ٥١/١ وأنظر ايضاً الفهرست لابن‌النديم ١٦٠، المحاسن والمساوى ١٢/٢-١٥ جامع بيان العلم وفضله ٢٠٤/٢ .

(٤٤) المحدث الفاصل ٣٢٥، ٣٢٦ تقييد العلم ٩٥ - ٩٧ .

(٤٥) جامع بيان العلم ٧٤/١ .

كتباً نتعاهدها»[٤٦]، وكان ابن شبرمة يحدث عن كتاب[٤٧]، وكان مجاهد يخرج كتبه للرواة فينسخون منها[٤٨] وكان عبد الأعلى بن عامر الثعلبي يحدث أحاديث يقول عنها سفيان الثوري: «كنا نرى أنها من كتاب»[٤٩]، ويقول يحيى بن سعيد القطان عن احاديث سمرة: «سمعنا أنها من كتاب»[٥٠].

وفي ازدياد تقدير العلماء للتدوين يروى عن ابن حنبل أنه قال: حدثونا، قوم من حفظهم وقوم من كتبهم، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن»[٥١]، ويروى عن معاوية بن قُرَّة أنه قال: «من لم يكتب العلم لم يعد علمه علماً»[٥٢]، وقال إبن أبي شيبة: «من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاءً لم يعد صاحب حديث»[٥٣].

وقد قال الشعبي «الكتابة قيد العلم»، وكان مالك بن انس يوصي خالد بن خداش بكتابة العلم عند أهله، كما كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: «كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط»[٥٤].

وذكر الرامهرمزي عدداً من المحدِّثين الذين اخطؤوا في التحديث، ثم اصلحوا خطأهم بعد الرجوع الى الكتب، ومما ذكره: أن يحيى بن سعيد ظل ست عشرة سنة يحدث أن ابن عمر كان يجمع بين المغرب والعشاء إذا جَدَّ به السير قبل ما يغيب الشفق، ثم «نظرت في كتابي فاذا هو: بعدما يغيب الشفق»[٥٥]. وكان محمد بن عمر يصر على مستمعيه أن يكتبوا ويقول: «لا والله لا أحدثكم حتى تكتبوه، أخاف أن تغلطوا عليّ»[٥٦]. ويذكر مروان بن محمد الدمشقي (ت ٢١٠) أنّ: «لا غنى لصاحب الحديث

---

(٤٦) المحدث الفاصل ٣٧، تقييد العلم ١٠١.
(٤٧) جامع بيان العلم ٧٦/١.
(٤٨) تقييد العلم ١٠٥.
(٤٩) طبقات ابن سعد ٢٣٣/٦.
(٥٠) طبقات ابن سعد ١١٥/٥
(٥١) تقييد العلم ١١٢.
(٥٢) المحدث الفاصل ٣٧٢ جامع بيان العلم ٧٤/١ تقييد العلم ١٠٩.
(٥٣) المحدث الفاصل ٣٧٧.
(٥٤) جامع بيان العلم ٧٥/١.
(٥٥) المحدث الفاصل ٣٨٨.
(٥٦) المحدث الفاصل ٣٨٩ وانظر ايضاً: الكفاية في علم الرواية للخطيب ١٤٦.

عن صدق وحفظ وصحة كتب ، فاذا اخطأته واحدة وكانت فيه واحدة لم تضره ، إن لم يكن حفظ رجع الى الصدق وكتبه صحيحة لم يضره أن يحفظ » (٥٧)

إن كثيراً من هذا التدوين كان ملاحظات شخصية غرضها تذكير المدوِّن بالعلم ومساعدته ، على الحفظ ، ثم تطور ذلك الى تدوين المعرفة لإفادة الآخرين منها .

وقد ذكرت المصادر أسماء عدد ممن عني بالكتابة والتدوين ، ووصفت كتاباتهم بأنها « كتب » ، وعدّ بعض المحدثين كل من أشارت المصادر الى انه دون كتابة ، وأوردت آراءه أنه « مؤلف كتب » . وبذلك تعددت اسماء العلماء من صدر الإسلام ممن عد مؤلفاً للكتب . من أبرز هؤلاء المحدثين في هذا المضمار هو الأستاذ فؤاد سزكين الذي اندفع بحماسته يرد على جولدزيهر لإظهار أن تأليف الكتب كان مبكراً ، فذكر عدداً من علماء التفسير والحديث وعدّهم « مؤلفين » واعتمد في ذلك على كتب متأخرة تنسب الى هؤلاء العلماء « كتباً » أو « مقتبسات » (٥٨) علماً بأن الكتب المتأخرة لم تسم الكتب التي ألفها الأولون ، وأنها في كثير من الأحيان لم تذكر أن لهم مؤلفات .

ومن الصعب التمييز بين الكتب والمدّونات الشخصية ، أي المعلومات والأفكار التي سجلها أصحابها للاستذكار وليس للإستعمال العام ، ومن المحتمل أن كثيراًمن الكتب الأولى كانت مدونات شخصية غير منظمة دّونها صاحبها ، أو أحد مستمعي محاضراته ، فاستفاد منها معاصروه ومن تلاهم وسموها كتباً ، ولا يبعد أن يكون بعضها مؤلفات متأخرة نسبها مؤلفوها الى المشهورين من المتقدمين ضماناً لرواج أفكارها .

ثم إنه لا يوجد حد مقرر لحجم الكتاب . فالكتاب هو في الأصل المكتوب بصرف النظر عن محتواه أو حجمه ؛ فرسائل الرسول (ص) والخلفاء كانت تسمى كتباً ، علماً بانها كانت مختلفة في حجمها ، إذ أن بعضها لم يزد على بضع كلمات أو أسطر ، وبعضها قد يتجاوز مئة سطر ، وفي بعض هذه الكتب أو الرسائل ما يدل

(٥٧) المحدث الفاصل ٤٠٥ — ٦ .

(٥٨) تاريخ التراث العربي ٢٢٥/١ فما بعدها .

على زمن تدوينها ، كأن تكون لكتابتها علاقة بحادثة معروف تأريخها ، أو أن يدّون عليها تاريخ الكتابة ، بعد ان أُقرّ استعمال التقويم الهجري ، ويذكر في بعض هذه الكتب اسم الخليفة أو الوالي أو المؤلف للكتاب ، غير أن كثيراً من هذه الكتب لا يمكن تحديد زمن كتابته بدقة وضبط ، ويلاحظ أنه لم يصل إلينا من هذه الكتب بشكله الذي دّوِن فيه أول مرة إلا آحاد . أما غالبيتها العظمى فقد وصلت عن طريق روايات المتأخرين لها .

سمّت المصادر ، وخاصة ابن النديم وفؤاد سزكين ، عدداً ذكرت لهم كتباً ألفوها وتوّفوا قبل التاريخ الذي نص عدد من العلماء أنه ظهر فيه التصنيف . وندرج فيما يلي من أشارت اليه المصادر ، علماً بأننا نعتقد أن كثيراً من هذه الاشارات غير دقيق ، وأن كثيراً مما سمي كتباً إن هو إلا روايات دونت للحفظ لا لتكون كتاباً مصنفاً ؛ غير اننا لا ندخل فيما ندرجه مجموعات الاحاديث النبوية الأولى التي ذكرنا من قبل انها وصلت إلينا منذ زمن الرسول وهي ما كتبه الخليفتان أبو بكر وعليّ في أسنان الإبل والجراحات ، وصحيفتا عبدالله بن عمرو بن العاص وهمام بن منبه . كذلك لا ندخل كتب الرسول والخلفاء والولاة ، ولا الكتب التي كتبها عروة بن الزبير ، والزهري ، وسعيد بن جبير لبعض الخلفاء في بعض القضايا العلمية أو التاريخية التي طلب هؤلاء الخلفاء الإجابة عنها . وكذلك لا نتطرق الى ما كتب ودون للخلفاء من الشعر . فان هذه الكتابات وإن كانت « كتباً » أو « نواة كتب » ، إنّما كتبت للحكام استجابة لطلبهم ، مما يجعل لتدوينها ظروفاً خاصة ، ويربطها بالحكام ، في حين أن بحثنا يركز على الحركة الفكرية عند الناس عامةً دون الحكام الذين لهم ظروف خاصة وقدرات كبيرة قد لا تتوافر للناس .

ذكر ابن النديم عن أبي الحسن الكوفي : أن « أول من ألف في المثالب كتاباً زياد بن أبيه ، فانه لما طعن عليه وعلى نسبه ، عمل ذلك ودفعه الى ولده ، وقال : استظهروا به على العرب فانهم يكفون عنكم »[٥٩] غير أنه لم ترد في الكتب الأخرى اشارة إلى هذا الكتاب ولا نقل عنه .

---

(٥٩) الفهرست ١٠١ .

وذكر حاجي خليفة أن وهب بن منبه جمع المغازي [٦٠]، وقد كشفت في هيدلبرج قطعة من السيرة منسوبة الى وهب ترجع الى سنة ٢٢٨ ، غير انه لا يمكن الجزم فيما إذا كانت هذه القطعة هي في الأصل مما كتبه وهب ، أم أنها من مروياته التي دونت بعده باكثر من مئة سنة ، إذ أن هذه القطعة تبدأ بهذا الإسناد: « اخبرنا محمد بن أبي بكر أبو طلحة ، ثنا عبدالمنعم ، عن ابيه ، عن أبي الياس، عن وهب» [٦١].

ويذكر ياقوت الحموي أن وهب بن منبه ألّف كتاب الملوك المتوّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم [٦٢]، غير ان كرنكو يشك في ذلك ، لأن كتاب التيجان من ملوك حمير المطبوع في حيدر آباد هو من رواية أبي محمد عبدالملك بن هشام [٦٣] .

وقد وصل إلينا كتاب عنوانه «أخبار عبيد بن شَرِيّة»، وكان عبيد مقرباً من معاوية، وكان يروي له الاخبار، ونسب ابن النديم اليه كتابي الأمثال، والملوك الماضين [٦٤] ، ويذكر ابن النديم أيضاً أن: « علاقة بن كرثم له كتاب الأمثال نحو خمسين ورقة رأيته » ، وأن « صحار العبدى له كتاب في الامثال » [٦٥] .

وورد ذكر لصحيفة سويد بن الصامت وفيها حكمة لقمان [٦٦] .

وذكر أبو عبيد أن "دغْفَلاً" كان يكتب الأنساب ويدونها في الصحف [٦٧] غير أن ابن النديم يقول أن دغفلاً « لا مصنف له » [٦٨] .

ذكر ابن النديم في كلامه على الكتب المصنفة في تفسير القرآن الكريم « كتاب ابن عباس رواه مجاهد ، ورواه عن مجاهد حميد بن قيس ، وورقاء عن أبي

---

(٦٠) كشف الظنون (رقم ١٢٤٦٤) .

(٦١) هوروفتز : المغازى الأولى ومؤلفوها ص ٣٤ — ٣٥ ترجمة حسين نصار .

(٦٢) ارشاد الاريب ٢٣٢/٦ .

(٦٣) انظر مقال كرنكو في مجلة الثقافة الاسلامية سنة ١٩٢٨ .

(٦٤) الفهرست ١٠٢ .

(٦٥) الفهرست ١٠٢ .

(٦٦) السيرة النبوية لابن هشام ٦٨/٢ الفائق ٢٠٦/١ .

(٦٧) النقائض ١٨٩/١ .

(٦٨) الفهرست ١٠١ .

نجيح عن مجاهد ، وعيسى بن ميمون عن ابي نجيح عن مجاهد » كما ذكر « كتاب تفسير عكرمة عن ابن عباس» [٦٩] و « كتاب عكرمة عن ابن عباس » في نزول القرآن[٧٠] و « كتاب احكام القرآن للكلبي رواه عن ابن عباس » [٧١] .

وذكر إبن حنبل « أنّ في مصر تفسيراً عن إبن عباس رواه علي بن أبي طلحة، وليس بكثير ان يرحل الى مصر من أجله » [٧٢]

ويروي ابن سعد بسند أن « موسى بن عقبة قال : وضع عندنا كريب حمل بعير، أو عدل بعير، من كتب ابن عباس ، قال فكان على بن عبدالله بن عباس أذا اراد الكتاب كتب اليه : ابعث إليّ بصحيفة كذا وكذا ، قال فينسخها فيبعث إليه باجدها » [٧٣] غير أن موسى بن عقبه لم يحدد فيما اذا كانت كتب ابن عباس هي مما ألفه او مما امتلكه كما انه لا يذكر مواضيعها ، اي فيما اذا كانت في التفسير أم في علوم اخرى .

ومن المعلوم أن لابن عباس مكانة متميزة في علم تفسير القرآن ، وقد نقل عنـــه كثير من المعتمدين المتأخرين كالبخاري والطبري [٧٤]

وقد طبعت عدة كتب بعنوان تفسير ابن عباس[٧٥] وذكرت بعض المصادر لابن عباس كتباً اخرى [٧٦] . غير أن إشارات أخرى تدل على أنه لم يخلف كتباً ، فيروى الخطيب أن ابن عباس قال « إنا لا نكتب في الصحف إلا الرسائل والقرآن [٧٧] ويروي السوطي عن ابن عبدالحكم أنه قال « سمعت الشافعي يقول : لم يثبت عن ابن عباس من تفسير الاشبيه بمائة حديث »[٧٨]

---

(٦٩) الفهرست ٣٦ .
(٧٠) الفهرست ٤٠ .
(٧١) الفهرست ٤١ .
(٧٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٢٣/٢ .
(٧٣) طبقات ابن سعد ٢١٦/٥ .
(٧٤) انظر المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن لجولدزيهر ص ٨٣ فما بعد ترجمة محمد يوسف موسى ؛ التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي ٦٥/١ فما بعد .
(٧٥) انظر عنها تاريخ الادب العربي لبروكلمان ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار
(٧٦) انظر عنها تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ١٨/١ – ٢٣ الترجمة العربية ، الطبعة الأولى
(٧٧) تقييد العلم ٤٣ .
(٧٨) الا تقان في علوم القرآن ١٨٩/٢

يروي ابن سعد أن سعيد بن جبير قال « ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى املأها ، وكتبت في نعلي حتى املأها ، وكتبت في كفي ، وربما أتيته فلم أكتب حديثاً حتى أرجع ، لا يسأله أحد عن شيْ » ، وأنه قال « كنت آتي ابن عباس فأكتب عنه » وقال ايضاً انه « كان يسائل ابن عباس قبل ان يعمى ، فلم يستطع ان يكتب معه ، فلما عمى ابن عباس كتب ، فبلغه ذلك ، فغضب » [٧٩] ويبدو أن هذه الكتابة في التفسير ، لان ابن سعد يروي « كان سعيد بن جبير يكره كتاب الحديث»[٨٠]

ويروي ابن سعد عن ورقاء بن اياس قوله « رأيت عزرة يختلف الى سعيد بن جبير معه التفسير من كتاب ، ومعه الدواة يغير » [٨١] .

ويفهم من النصين الاولين ان سعيد بن جبير كان يدون معلومات من أقوال ابن عباس في التفسير ، ولعل المقصود بالكتاب الذي فيه التفسير هو الملاحظات المدونة ، وانها ليست من تأليفسعيد بن جبير ؛ومما يؤيد ذلك ما رواه إبن خلكان أن رجلاً « سأل سعيد بن جبير ان يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال : لأن يسقط شقى أحب إليّ من ذلك » [٨٢] .

يذكر ابن النديم في الفصل الذي دوّنه عن كتب التفسير « تفسير الحسن بن ابي الحسن» [٨٣] ويذكر إبن خلكان أن عمرو بن عبيد له كتاب التفسير عن الحسن البصري [٨٤] ؛ ويروي إبن سعد عن حميد الطويل أنه أخذ كتب الحسن فنسخها وردها اليه [٨٥] ويروي ابن سعد أيضاً عن سهل بن حصين أنه قال « بعثت الى الحسن بن ابي الحسن : ابعث اليّ بكتب أبيك ، فبعث إليّ انه لما ثقل قال اجمعها لي ، فجمعتها له، وما ندري ما يصنع بها ، فأتيته بها ، فقال للخادم استجري التنور ،

(٧٩) الطبقات لابن سعد ١٧٩/٦
(٨٠) كذلك ١٧٩/٦ .
(٨١) كذلك ١٨٦/٦ .
(٨٢) وفيات الاعيان في ترجمة سعيد بن جبير
(٨٣) الفهرست ٣٦ .
(٨٤) وفيات الاعيان (في ترجمة عمرو بن عبيد) ، وانظر سزكين ١٨٧/١.
(٨٥) الطبقات لابن سعد ٧ — ١٧/١
(٨٦) كذلك ٧ — ١٢٧/١ .

ثم أمر بها فاحرقت غير صحيفة واحدة ، فبعثها إليَّ ، ثم لقيته بعد ذلك فاخبرنيه مشافهة بمثل الذي أخبر به الرسول [٨٦] ».

يتبين من النص الثاني أن الحسن البصري كتب كتاباً في التفسير ، ومن النص الثالث أن كتابه في التفسير أحرق بعد وفاته ، غير أن النص الأول يظهر إن عمرو بن عبيد نقل من كتاب التفسير للحسن ؛ ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بالقول إن الحسن ألف كتاباً في التفسير ، وإن الكتاب أحرق قبيل وفاته فلم يعد له وجود ، ولكن المعلومات التي احتواها تسربت الى الناس عن طريق الروايات او تدوين الملاحظات .

وقد وصلتنا للحسن البصري الرسالة التي وجهها الى الخليفة عبد الملك بن مروان [٨٧].

ولا ريب في أن دراسة القرآن الكريم وتفسيره وما يتصل به حظى باهتمام كبير منذ القرن الاول ، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست عدداً كبيراً ممن درس وألف في عدد من المواضيع المتصلة بالقرآن الكريم ، غير انه لم يذكر سنيّ وفاة كثير من هؤلاء العلماء أو أسماء كتبهم ؛ ولا ريب في أن عدداً منهم توفى بعد سنة ٢٠٠ هـ ، وهي السنة التي نتخذها اقصى حد زمني لدراستنا الحالية .

وقد ذكر الأستاذ فؤاد سزكين عدداً من المفسرين الأولين وذكر أسـماء كتبهم وهم [٨٨] :

١ مجاهد المكي (ت ١٠٤ هـ) وتوجد من تفسيره نسخة مخطوطة في القاهرة كتبت سنة ٥٤٤ هـ .
٢ الضحاك بن مزاحم الهلالي (ت ١٠٥ هـ) بقيت من تفسيره نقول .
٣ عطية بن سعد العوفى (تـ ١١١ هـ) نقل عنه الطبري ، وحصل الخطيب في دمشق على حق روايته .
٤ عطاء (تـ ١١٤ هـ) نقل الطبري من تفسيره
٥ قتاده بن دعامة السدوسي (تـ ١١٨ هـ) له عدة كتب منها : الناسخ والمنسوخ ، المناسك ، عواشر القرآن ، التفسير .

---

(٨٧) مجلة الاسلام (بالألمانية) م٢٢ سنة ١٩٣٣ وانظر ايضاً عنها : الحسن البصري للاستاذ احسان عباس ١٧٢ فما بعدها .

(٨٨) تاريخ التراث العربي : ١٨٥/١ فما بعدها .

ومن المواضيع التي حظيت بالاهتمام سيرة الرسول (ص). وقد ذكرت بعض المصادر أن عدداً من علماء صدر الاسلام ألفوا فيها كتباً ؛ ومن أول من ذكرت له بعض المصادر تأليفاً في السيرة هو عروة بن الزبير (تـ ٩٤ هـ) الذي يذكر حاجي خليفة انه « أول من صنف في المغازي » (٨٩) ، ويروي ابن سعد عن هشام ابن عروة بن الزبير ، أنه قال « أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له ، فكان يقول بعد ذلك : لأن تكون عندي أحب اليّ من ان يكون لي مثل أهلي ومالي » (٩٠) إن هذا النص يذكر كتب فقه عند عروة ، ولكنه لا يصرح باسم مؤلفها ، أو فيما اذا كانت مجرد ملاحظات مُدّونة أو أنها كانت كتباً بالمعنى المفهوم عندنا ، هذا فضلاً عن أنه ينص على أن هذه الكتب أُحرقت. وقد نقل الطبري أجوبة كتبها عروة عن أسئلة كان الخليفة عبدالملك بن مروان قد وجهها اليه (٩١) ؛ فهي من قبيل المدونات والرسائل ، وليست كتاباً ، والواقع أنه لم يذكر أحد من الأقدمين أن عروة ألّف كتاباً .

وممن ذكرت المصادر تأليفهم كتباً في السيرة هو محمد بن شهاب الزهري (تـ١٢٤) ، وهو عالم من قريش كانت له صلة وثيقة بالخلفاء الامويين ، فيروي ابن عبد البر « كان أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب (٩٢) ويقول أيضاً أن الزهري قال « أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً ، فبعث إلى كل أرض عليها سلطان دفتراً »(٩٣) ؛ ويروي عنه انه قال « كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء ، فرأينا الاّ نمنعه أحداً من الناس » (٩٤) ، ويروي أن زوجته كانت تقول أن كتبه كانت أشد عليها من ثلاث ضرائر » (٩٥) ، ويلاحظ أن النصين الأولين لا يذكران عدد ما ألّف من

---

(٨٩) كشف الظنون ٦٤٦/٥ ، وانظر : المغازي الاولى ومؤلفوها ليوسف هوروفتز ص ٢٠ فما بعد .

(٩٠) ابن سعد ١٣١/٥ ، جامع بيان العلم وفضله ٧٥/١.

(٩١) نقل منها الطبري في تاريخه واشار في بعض نقله الى انها مما كتبه عروة لعبدالملك . انظر تاريخ الطبري ١١٨٠/١، ١٢٢٤، ١٢٣٤، ١٢٨٤، ١٦٣٤، ١٦٩٥، ١٦٣٦، ١٦٧٠، ١٧٧٠

(٩٢) جامع بيان العلم ٧٣/١ ، ٧٦ .

(٩٣) جامع بيان العلم ٧٦/١ .

(٩٤) ابن سعد ٢ - ١٣٥/٢ ، جامع بيان العلم ٧٦/١ .

(٩٥) وفيات الاعيان لابن خلكان في ترجمة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري .

كتب ، اما النص الثالث فلا يحدد ما إذا كانت الكتب التي اغاضت زوجته هي من تأليفه أم مما يمتلكه .

ذكر إسحق بن راشد أنه مر ببيت المقدس فوجد كتاباً للزهري [٩٦] ونقل الطبري عن الزهري معلومات عن اسنان الخلفاء [٩٧] ؛ ويرى الدكتور عبدالعزيز الدوري ان المقتطفات التي وصلتنا عن الزهري تظهر أنه هو الذي صاغ سيرة الرسول (ص) بالشكل الذي نجده عند ابن اسحق [٩٨] ؛ غير أنه من الصعب الجزم بأن المعلومات التي نقلها الرواة عن الزهري في سيرة الرسول (ص) مقتبسة من كتبه ام من روايته ، علماً بان بعض الكتب تذكر انه لم يكن للزهري كتاب الاكتاب نسب قومه [٩٩] .

ومن المعنيين البارزين الاولين في كتابة السيرة هو موسى بن عقبة (تـ ١٤١ هـ) ، وكان من الموثقين في كتابة السيرة ، فقد ذكر ابن معين « كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من اصح الكتب [١٠٠] » ؛ وكان مالك بن انس يوثقه في السيرة [١٠١] . وقد اقتبس منه عدد من مؤلفي السيرة ، وقد كشفت قطعة من كتابه في السيرة وطبعت مع ترجمة المانية سنة ١٩٠٤ [١٠٢] .

اما الشعر والادب ، فهما من المواضيع التي حظيت باهتمام العرب منذ الأزمنة السابقة للاسلام ؛ وقد عنوا بتسجيلها منذ عهد المناذرة [١٠٣] ؛ ولابد ان عنايتهم بها استمرت بعد الاسلام ، وكان بعض الخلفاء الامويين يوليها عناية خاصة ، ويروي ابن النديم « قرأت بخط ابي عبدالله بن مقلة : قال ابو العباس ثعلب : جمع ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها ، الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، ورد الديوان

---

(٩٦) معرفة علوم الحديث للنيسابوري ١١٠ .

(٩٧) تاريخ الطبري ٤٢٨/٢ ، ١٢٦٩

(٩٨) « مؤرخوا الشرق الأوسط » أشرف على طبعه برناود لويس وهولت ص ٤٦ (بالانكليزية).

(٩٩) المحدث الفاصل ٣٨٦ الاغاني ٥٩/١٩

(٠٠) التهذيب لابن حجر ٣٦٤ .

(١٠١) كذلك ٣٦٢

(١٠٢) انظر : المغازي الاولى ومؤلفوها ٦٩ فما بعد

(١٠٣) انظر الخصائص لابن جني ٣٩٢/١ ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٣٣ وانظر التفاصيل القيمة في كتاب مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الاسد .

الى حماد وجناد » [١٠٤] ويبدو ان هذا الديوان مجموعة غير منسقة لان ابن النديم يذكر « ولم نر لحماد كتاباً ، وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده » ، علما بأن ابن النديم يذكر أن حماداً توفي سنة ١٥٦ [١٠٥]

(٢)

ظهور التصنيف

تنظيم الكتب ونموها

يتبين من مجمل ما ذكرنا أن الحركة الفكرية نشطت منذ العهود الاسلامية الاولى، غير أنها كانت تعتمد على الرواية والسماع والاتصال الشخصي ، ثم بدأ التدوين محدوداً وشخصياً لمساعدة الذاكرة في ضبط المعلومات ، وتدرّج التدوين فلم يعد شخصياً ، بل أصبح المدّون يستعمله اشخاص غير المدوّن نفسه ، وتطور ذلك الى كتابة الكتب، وكانت في عدة مواضع ، ولكن عددها محدود جداً ، ولم يصلنا منها واحد بالشكل الذي كتب فيه ، ولكن وصلتنا نقول ومقتبسات عن كثير منها ؛ ولذلك لا نستطيع الجزم بحجمها أو بتبويبها . ويلاحظ أن « الكتاب في اللغة اسم لما كتب مجموعاً » [١٠٦] بصرف النظر عن حجمه . والواقع أن كلمة الكتاب قد استعملت بهذا المعنى العام لوصف المدّونات بصرف النظر عن مقدار المكتوب فيها ؛ فاطلقت على ما كتبه الرسول (ص) والخلفاء بصرف النظر عن حجمها ، فهي اقرب الى ما نسميه اليوم « رسالة »

ثم اصبحت كلمة الكتاب تطلق حصراً على مجموعة المعلومات المدّونة مجتمعة ولها حجم معين ، غير أنه لم توجد قاعدة ثابتة لتحديد حجم ما يسمى « كتاباً » ، فهي قد تتكون من صفحات قليلة ، او من مئات الصفحات . وقد ذكر ابن النديم عدد اوراق بعض الكتب، فكان منها ما لا يزيد على عشرين صفحة، ومنها ما يتجاوز الالف صحيفة .

---

(١٠٤) الفهرست ١٠٣ وانظر عن عناية الوليد بن يزيد بالكتب: ابن سعد ٢ — ٣٦/٢ .

(١٠٥) الفهرست ١٠٤ ؛ وقد جهد الدكتور ناصر الدين الاسد في اثبات خطأ نص ابن النديم ؛ ولكن يجدر ان نلاحظ انه لم ينكر احد وجود التدوين في وقت مبكر ؛ اما ما ظهر متأخراً فهو « التصنيف » اي الكتب المنسقة .

(١٠٦) لسان العرب ١٩٢/٢ .

وكان تيسير استعمال الكتاب الكبير يتطلب تنظيم معلوماتها وتصنيفها وتقسيمها . وقد حددت عدة مصادر زمن ظهور التصنيف ، وهو يرجع الى اواسط القرن الثاني الهجري ، وقبل ان نورد ما ذكرته المصادر في هذا الأمر لابد ان نذكر ان التصنيف يجب ان يسبقه ظهور المدّونات الكبيرة الواسعة التفاصيل ، وكذلك استقرار الرضى عن التدوين واعتماد الناس على الكتب في النشاط الفكري والدراسة .

يقول أبو طالب المكي « كره كتب الحديث الطبقة الأولى من التابعين ، فكانوا يقولون : احفظوا كما نحفظ ، وأجاز ذلك من بعدهم ، وما حدث التصنيف الا بعد موت الحسن (ت ١١٠) وابن المسيب (ت ١٠٥) »[١٠٧] ويقول ابن النديم عن حماد الراوية (ت ١٥٦) « وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده[١٠٨] .

يروي الخطيب عن عبدالله بن احمد بن حنبل « قلت لأبي من أول من صنف الكتب ؟ قال ابن جريج (ت ١٥١) وأبن إبي عروبة (ت ١٥٨)[١٠٩] ، ويروي الذهبي عن ابن حنبل قوله أن إبن جريج « كان من أوعية العلم ، وهو وابن ابي عروبة اول من صنف الكتب »[١١٠] ، وهو يروي في مكان آخر من كتابه أن « حماد بن سلمة (تـ ١٦٨) هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة[١١١] ويذكر ايضاً ان « سعيد بن أبي عروبة هو أول من صنف الأبواب بالبصرة »[١١٢] ؛ غير أن الذهبي يذكر أن ابن داوود ذكر أنه « لم يكن لحماد بن سلمة كتاب الاكتاب قيس بن سعيد[١١٣] وأن أحمد بن حنبل قال إن سعيد بن أبي عروبة « لم يكن له كتاب ، إنما كان يحفظ »[١١٤] .

وقد ذكر كل من علي بن المديني والرامهرمزي معلومات اوسع : فقد ذكر علي بن

---

(١٠٧) قوت القلوب ١٥١/١ .
(١٠٨) الفهرست ١٠٤ .
(١٠٩) تاريخ بغداد للخطيب ٤٠١/١٠ .
(١١٠) تذكرة الحفاظ ١٦٩/١ .
(١١١) تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ .
(١١٢) تذكرة الحفاظ ١٧٧/١
(١١٣) تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١
(١١٤) تذكرة الحفاظ ١٧٧/١ .

المديني « نظرت فاذا الإسناد يدور على ستة ، يعني معظم الصحاح : فلأهل المدينـة ابن شهاب (ت ١٢٤) ، ولإهل مكة عمرو بن دينار (ت ١٢٦) ، ولأهل البصره قتادة (ت ١١٧) ويحيى بن أبي كثير (ت ١٣٢) ، ولاهل الكوفة أبو إسحق (ت ١٢٧) والأعشى (ت ١٤٨)

ثم صار علم هؤلاء الستة الى اصحاب الأصناف ممن صنّف .

فلأهل المدينة : مالك بن أنس (ت ١٧٩) وابن إسحق (ت ١٥١) ومن أهل مكة : عبدالله بن عبدالعزيز بن جريج (ت ١٥١) وسفيان بن عُيَيْنَة (ت ١٩٨) ومن اهل البصرة سعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٨) وحماد بن سلمة (ت ١٦٨) وأبو عوانة (ت ١٧٥) وشعبة ابن الحجاج (ت ١٦٠) ومعمر (ت ١٥٤) ومن أهل الكوفة سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١) ومن أهل الشام عبدالرحمن بن عمر الأوزاعي (ت ١٥١) ومن أهل واسط هشيم بن بشير (ت ١٨٣) [١١٥] .

وقال الرامهرمزي في أول الفصل الذي عنوانه « المصنِّفون من رواة الأمصار » :

« اول من صنّف وبوّب فيما أعلم :

الربيع بن صبيح (ت ١٦٠) بالبصرة ، ثم سعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٧) بها ، وخالد بن جميل الذي يقال له العبد (تـ ؟) ، ومعمر بن راشد (ت ١٥٣) باليمن ، وابن جريج (ت ١٥٠) بمكة .

ثم سفيان الثوري (١٦١) بالكوفة (وحماد بن سلمة (ت ١٦٨) بالبصرة ، وصنّف سفيان بن عُيَيْنة (تـ ١٩٨) بمكة .

والوليد بن مسلم (تـ ١٩٤) بالشام .

وجرير بن عبدالحميد (تـ ١٨٨) بالريّ .

وعبدالله بن المبارك (تـ ١٨١) بمرو وخراسان .

وهشيم بن بشير (ت ١٨٣ أو ١٨٨) بواسط .

(١١٥) كتاب العلل لعلي بن المديني ٣٩ — ٤٢ ؛ المحدث الفاصل للرامهرمزي فقرة ٦١٦ — ٦١٨ ؛ تقدمة الجرح والتعديل للرازي ١٧ ، ١٢٩ ؛ تاريخ بغداد للخطيب ٤٠١/١٠ ؛ تذكرة الحفاظ ٣٦٠/١

وصنف في هـذا العصر بالكوفـة ابن أبي زائدة (ت ١٤٩) وابن فضيـل ووكيع (ت ١٩٧) .

ثم صنف عبدالرزاق (ت ٢١١) باليمن ، وابو قُرّة بن طارق (ت ٢٠٣) وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥) بتكثير الابواب [١١٦] .

وقد ذكر كل من المديني والرامهرمزي سعيد بن ابي عروبة وحماد بن سلمة الذين ذكرهما ابن حنبل .

وقد انفرد ابن المديني بذكر مالك بن انس ، وابن اسحق (من المدينة) والأوزاعي (من الشام) وأبي عوانة ، وشعبة (من البصرة) .

اما الرامهرمزي فينفرد بذكر الربيع بن صبيح من البصرة، وخالد بن جميل من اليمن والوليد بن مسلم من الشام ، وعبدالرزاق وموسى بن طارق من اليمن .

ان كافة من ذكرهم علي بن المديني توفوا قبل انقضاء القرن الثاني الهجري ، وان نصفهم توفى في اوائل النصف الثاني من القرن الثاني ؛ ولابد انهم قاموا بالتصنيف قبل وفاتهم ، اي في اواخر النصف الاول من القرن الثاني على الاقل .

اما الرامهرمزي فقد رتب المصنّفين الأوائل الذين ذكرهم بثلاث مجموعات ، توفى أفراد الأولى في اوائل النصف الثاني من القرن الثاني ، وتوفى أفراد المجموعة الثانية في العقدين الاخيرين من القرن الثاني ، وتوفى افراد المجموعة الثالثة في أوائل القرن الثالث الهجري .

ويذكر الذهبي في كلامه عن الطبقة الخامسة عشرة ، وهي عنده بين سنتي ١٤٣ـ١٥٣ « وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، فصنّف ابن جريج التصانيف بمكة .

وصنّف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة

وصنّف الأوزاعي بالشام

وصنّف مالك الموطأ بالمدينة

---

(١١٦) المحدث الفاصل فقرة ٨٩٢

وصنّف ابن اسحق المغازي

وصنّف معمر باليمن

وصنّف ابو حنيفة بالكوفة

وصنّف سفيان الثوري كتاب الجامع

ثم بعد يسير صنّف هشيم كتبه .

وصنّف الليث بمصر ،

وابن لهيعة

ثم إبن المبارك

وابو يوسف

وابن وهب (١١٧)

ولما كان كل من ابن المديني والرامهرمزي معنيّيْنِ بعلم الحديث وأهله ، فان قائمتيهما قصرت على المحدّثين فحسب ، أما الذهبي فمع أن عنوان كتابه يدل على أن بحثه منحصر بالحفّاظ ، الإ أن إهتمامه كان مركزاً بالدرجة الاولى على أهل الحديث منهم ، ولذلك نعتبر معلوماته مكملة لهما . اما ابن النديم فكان اهتمامه واسعاً وشاملاً لمختلف ميادين المعرفة ، ويلاحظ أن ابن النديم اورد ذكر هؤلاء الرجال تحت فصل عنوانه « فقهاء المحدّثين » قاصداً في ذلك المهتمين بالحديث والفقه ، وهو بذلك يعبّر عن الصلة الوثيقة بين الحديث والفقه ، باعتبار أن الحديث من الدعامات الإساسية للفقه ، وأن الانفصال بين هذين العلمين لم يكن في هذه المرحلة تاماً ؛ وتتجلى هذه الصلة بالاهتمام بالسنن أي ما ينبغي تطبيقه من أحاديث الرسول ، فهي تشمل التطبيقات العملية دون سيرته وشمائله وحكمياته التي وان كانت قدوة للمسلمين الا ان بحثها أصبح أكثر اختصاصاً بأهل الحديث ، ولما كان اهتمام ابن النديم في هذا الفصل بالفقهاء والمحدّثين ، فان قائمته كانت اوسع حيث شملت رجـالاً آخرين لم يذكرهم ابن المديني والرامهرمزي والذهبي ، ثم إن إهتمام ابن النديم بالكتب دفعه الى أن يذكر أسماء مؤلفات هؤلاء العلماء ، يضاف الى ذلك أن كتاب الفهرست لابن النديم شامل لمختلف فروع المعرفة

---

(١١٧) تذكرة الحفاظ ١٦٠/١ .

وان المعلومات التي اوردها في مواضيع المعرفة لا تناقض الكتب الكثيرة التي اختصت بدراسة علماء فرع من الفروع ؛ ولذلك فقد اعتمدت عليه في تتبع التأليف والتصنيف في المواضيع الأخرى، ومع ان دراستي في هذه المواضيع الاخرى لا تصل حد الاستيعاب الكامل ، الا أنها تكفي لاعطاء صورة واضحة عن تطور اساليب نشر المعرفة ومجراها الذي لا يختلف كثيراً عن مجرى علمي الحديث والفقه .

قام بالتأليف والتصنيف في مراحله الأولى علماء من عدة أمصار وأقاليم وخاصة من أهل البصرة ، والكوفة ، والمدينة ، ومكة ، واليمن ، والشام ، ومصر ، وقد أمّ عدد منهم بغداد واستوطنوها بعد تأسيسها ، غير أن عدداً منهم لم يعرف عنه أنه استوطن بغداد أو قدمها أو كانت له صلة وثيقة بخلفائها العباسيين . ومع أن بعض العلوم لقيت عناية خاصة في بعض الأمصار دون غيرها ، كالنحو في البصرة والكوفة ثم في بغداد ، الا أن كثيراً من العلوم الاولى ، وخاصة الحديث والفقه والتفسير نشطت دراستها ثم التصنيف فيها في أكثر من مصر واحد ، بل ان بعضها عمّ كافة هذه الامصار التي سمتها البارزة أن سكانها المهيمنين فيها هم العرب المسلمون ، وليس ذوي الثقافة الاغريقية أو الفارسية . فظهور التصنيف في هذه المراكز المتعددة لا بد وانه يرجع الى عوامل اثرها شامل وغير مقصور على منطقة دون غيرها .

لقد ذكرنا من قبل أن أبا طالب المكي ذكر أن التصنيف حدث بعد موت الحسن وابن المسيب [118] اي بعد سنة ١١٠هـ وأن ابن احمد بن حنبل يذكر أن أول ثلاثة مصنفين توفوا بين سنة ١٥١–١٦٨هـ وان الرامهرمزي وابن النديم والمديني يذكرون المصنفين الأوائل ، واقدمهم توفي حوالي سنة ١٥٠ هـ ؛ وان ما ذكروه يوافق ما ذكره الذهبي في تاريخه ، اما ما ذكره في التذكرة فهو اشمل حيث قال في آخر كلامه عن الطبقة الرابعة وهي الثالثة من تابعي التابعين «وشرع الكبار في تدوين السنن وتأليف الفروع وتصنيف العربية ؛ ثم كثر ذلك في أيام الرشيد (١٧٠ – ١٩٢) وكثرت التصانيف ، والفوا في اللغات ، واخذ حفظ العلماء ينقص ، ودوّنت الكتب واتكلوا عليها ، وانما كان قبل ذلك علم

(١١٨) قوت القلوب ١/١٥١ .

الصحابة والتابعين في الصدور ، فهي كانت خزائن العلم لهم رضي الله عنهم [119]
وهو يذكر في تاريخه عن الطبقة الخامسة عشرة وهي التي توفي اهلهـا بين سنتي ١٤٣ – ١٥٣ أن في زمنها « كثر تدوين العلم وتبويبه ، ودوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وايام الناس ، وقبل هذا العصر كان سائر الائمة يتكلمون عن حفظهم او يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة » [120]

يتضح من كلام الذهبي ان التدوين شمل السنن ، والفروع (الفقه) والعربية (النحو والصرف)، واللغة، والتاريخ ، والأيام ، ولا ريب في ان التأليف إعتمد على التطور الفكري الواسع الذي حدث في العهود السابقة التي اعتمد فيها العلم على الرواية ، وان التأليف بدأ محدوداً في نطاقه ، ثم اتسع في أيام الرشيد . والواقع أن قائمة أسماء العلماء المتوفين في السنين الاولى من القرن الثالث ، وكلهم ممن نضج في هذه الفترة وكثير منهم ألّف كتباً متعددة ضخمة ، تظهر الازدهار العظيم الذي تجلى في عهد الرشيد ، وتشير الى أحد مبررات اعتبار عصره عصراً ذهبياً .

والواقع أن هذه الفترة لا تتميز بالافـذاذ فحسب ، بل تتسم أيضاً بالعناية بعلوم مترابطة تكون هيكلاً فكرياً عربياً اسلامياً في اصوله ورجاله ، ومنسجماً بمظاهره ؛ وقد عبّر عن ذلك الذهبي بقوله في وصف هذه الحقبة « وكان في زمان هؤلاء خلائق من اصحاب الحديث، ومن ائمة المقرئين كورش، واليزيدي ، والكسائي، واسماعيل ابن عبيدالله المكي القسط ، وخلق من الفقهاء كفقيه العراق محمد بن الحسن وفقيه مصر عبدالرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشقيق البلخي ، وصالح المرى الواعظ ، والفضيل المذكور ، والدولة لهرون الرشيد والبرامكة ..

ثم بعدهم اضطربت الامور ، وضعف أمر الدولة بخلافة الأمين رحمه الله ، فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين . . وبزغ فجر الكلام ، وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مُردٍ مهلك لا يلائم علم النبوة ، ولا يوافق توحيد المؤمنين ، وكانت الأمة منه في عافية » [121]

---

(١١٩) تذكرة الحفاظ ١٦٠/١
(١٢٠) تاريخ الاسلام للذهبي ٥/٦ .
(١٢١) تذكرة الحفاظ ٣٢٨/١ – ٩

(٨١١)

ان هذه السعة في الانتاج . والانسجام في البناء الفكري الذي اتسم به النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، تحملنا على اتخاذ مطلع القرن الثالث حداً زمنياً لدراستنا ، فلا ندخل فيها من توفى بعد سنة ٢٠٠ هـ علماً باننا ندرك مدى صعوبة وضع سنة معينة حداً للحقب الفكرية ، حيث ان كل المتوفين في السنوات الاولى من القرن الثالث هم من مظاهر او ثمرات الفترة التي سبقت هذا التاريخ

لا ريب في أن أبرز حدث في هذه الفترة هو تولي العباسيين الخلافة (١٣٢ هـ) ثم تاسيس بغداد واتخاذها دار ملك للعباسيين (١٤٥ — ١٤٧) ؛ وقد يكون لتولي العباسيين الخلافة وتسيير الدولة اثر في تسريع وتوجيه الحركة الفكرية ، ولكن لا يمكن أن نرجع اليهم وحدهم ظهور التأليف والتصنيف ، لأن اوائل من قاموا به توفوا في اوائل مجيء العباسيين وقبل ان يتضح اثرهم ، علماً بان الخليفتين العباسيين الأولين، وهما أبو العباس والمنصور (١٣٢ — ١٥٨ هـ) اشغلا معظم وقتهما في القضاء على المعارضين المهددين ، وفي تثبيت دعائم الحكم ، يضاف الى ذلك أن التأليف عمّ أمصاراً واقاليم لم تكن وثيقة الصلة بالخلفاء العباسيين ، كمصر واليمن . لذلك ينبغي ان نبحث في اسباب اخرى ذات اثر مفاجئ وعام في العالم الاسلامي ؛ واقتصر من هذه الاسباب على ذكر أهميـــة استعمال الورق في هذا الميـــدان فان أهميته واضحة ، وان هذه « الثورة الثقافية » قد تشير الى أنه بدأ يعم استعماله في هذه الفترة .

لقد ذكرنا من قبل أن الكتاب يتميز عن المدونات الاخرى بما يضم من معلومات كبيرة نسبياً ، وهـــذا يقتضي تنظيماً وتنسيقاً ييسر الافادة من قراءتها ؛ ولعل هـــذه السمة هي التي اتسمت بها المؤلفات التي ظهرت منذ اواسط القرن الثاني ووصفها كل من أحمد بن حنبل ، وابن المديني ، والرامهرمزي، والذهبي .

وقد وصف الرامهرمزي هذا التطور الفكري بأنه « تصنيف وتبويب » فوصف من ذكرهم بأنهم « أول من صنّف وبوّب » وذكر أنه « تفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الأبواب وجودة التأليف وحسن التصنيف » [١٢٢] وذكر الذهبي أن « سعيد ابن أبي عروبة هو أول من صنّف الابواب بالبصرة » [١٢٣] ، ويتبين من ذلك أن

(١٢٢) المحدث الفاصل ٨٩٢ .
(١٢٣) تذكرة الحفاظ ١٧٧/١ .

التبويب مرحلة متقدمة من مراحل التصنيف ، أي أن المعلومات لا تنسق فحسب (تُصنَّف) وانما تجعل كل مجموعة ذات سمة تربطها ، قائمة بذاتها ، اي باباً خاصاً ويفهم من كلام الرامهرمزي أن التبويب متميز عن التصنيف ، وانه بدأ مبكراً على يد سعيد بن أبي عروبة ، غير أنه كان محدوداً ، وأن أبا بكر بن أبي شيبة تفرد بتكثير الابواب .

لقد كان أمام مؤلفي القرن الثاني الهجري نماذج من التصنيف والتبويب أظهرها الكتب الدينية وهي القرآن الكريم والتوراة . فأما القرآن الكريم فان عدد الكلمات فيه حوالي اثنتين وثمانين الفاً ، وهو يتكون من مائة واربعة عشر سورة مختلفة الطول ، فبعضها طويلة جداً ، تبلغ عشرات الصفحات ؛ وبعضها قصير لا يتجاوز السطرين ، وكل سورة مكوّنة من عدد من الآيات بعضها مكون من كلمة واحدة ، وبعضها مكون من عدد كبير من الكلمات . وأطول الآيات هي الآية ٢٨١ من سورة البقرة وهي تتكون من اكثر من ٩٥ كلمة ؛ وهو بالاضافة الى ذلك مقسم الى ثلاثين جزءاً ، يتكون كل جزء من أربعة ارباع .

اما التوراة فكانت « خمسة اخماس ، ينقسم كل خمس الى سفرين ، وينقسم السفر الى عدة فراسات ، ومعناها السورة ، وتنقسم كل فراسة الى عدة ابسوقات ومعناها الآيات » (١٢٤) .

ومن المحتمل ان العرب عرفوا تنظيم بعض الكتب الاغريقية بنصوصها القديمة او بترجماتها السريانية او ترجماتها العربية التي كانت بواكيرها قد حدثت في هذا الوقت ايضاً . غير ان الكتب الاغريقيـة لاتتوفر لدينا بالشكل الذي كانت فيه عنـد بدء التصنيف عنـد العرب ، ومن المعلوم ان الترجمات العربية للكتب الاغريقية اتسعت في القرن الثالث الهجري ، وان كثيراً من هذه الكتب اعيدت او « أصلحت » ترجمتها حتى وصلت شكلها النهائي الذي وصفه ابن النديم في الفهرست والذي وصلنا لبعضها ، وهذا التطور يولد صعوبة في الحكم على ما اذا كانت التقسيمات التي نعرفها عن هذه المؤلفات هي اغريقية أصيلة ، أم من صنـع المترجمين الذين ابدعوها او قلدوا الكتب العربية فيها . ونقدم فيما يلي الصورة التي تبدو مما ذكره إبن النديم عنها ، وقد اعتمدنا

(١٢٤) الفهرست لابن النديم ٢٥

في هذا القسم على الطبعة المصرية من الفهرست ، علماً باننا ندرك ان معظم هذه الكتب ظهرت في العربية بعد الفترة التي حددناها لدراستنا الحالية .

سمى ابن النديم غالبية ما ترجم من الاغريقية الى العربية « كتباً » وذكر ان بعض هـــذه الكتب كانت مكونة من عـــدة أقسام يسمىّ كل منها « مقالة » . ويختلف عدد المقالات التي تحتويها هذه الكتب فبعضها مكون من مقالة واحدة ، وبعضها من عـــدة مقالات . وقد اتبع هذا في كتب منوعة المواضيع ككتب الطب لروفس ، وفيلفريوس [١٢٥] واوريباسيوس [١٢٦] وأبقراط [١٢٧] وجالينوس [١٢٨] وكتب الفلسفة والطبيعيات لأرسطو [١٢٩] ، وكتب الطبيعة والرياضيات لأقليدس ، وارخميدس ، وأبولونيوس ، ومنالاوس ، وبطليموس [١٣٠] . غير أن إبن النديم ذكر أن ذوريثوس « له كتاب كبير يحتوي على عدة كتب » [١٣١].

وقد قسّم عدد من الاطباء وعلماء الطبيعة والرياضيات العرب كتبهم الى مقالات ، فقد تكونت من عدة مقالات كتب كل من أبي معشر [١٣٢] وأبى محمد بن رافع [١٣٣] ويوحنا القس [١٣٤] والكوهي [١٣٥] وحنين بن إسحق [١٣٦] وقسطا بن لوقا [١٣٧] ويحيى بن سيرافيون [١٣٨] والرازي [١٣٩] ومعظم كتب البوزجاني [١٤٠] غير أن عدداً من كتب

---

(١٢٥) الفهرست ٤٠٦
(١٢٦) كذلك ٤٠٧ .
(١٢٧) كذلك ٤٠١
(١٢٨) كذلك ٤٠٢
(١٢٩) كذلك ٣٤٨ — ٣٥٠
(١٣٠) كذلك ٣٧١
(١٣١) كذلك ٣٧٥
(١٣٢) كذلك ٣٨٦
(١٣٣) كذلك ٣٨٩
(١٣٤) كذلك ٣٩٣
(١٣٥) كذلك ٣٩٥
(١٣٦) كذلك ٣٠٩
(١٣٧) كذلك ٤١١
(١٣٨) كذلك ٤١٢
(١٣٩) كذلك ٤١٦
(١٤٠) كذلك ٣٩٤

العلوم قسّمت الى فصول . وقسم البوزجاني كتابه في الحساب الى سبع منازل ، وكل منزلة الى ابواب ، وكل باب الى فصول (١٤١).

تحتوي قائمة ابن النديم في الفصل الذي عنوانه « فقهاء المحدثين » على أسماء خمسة وثلاثين ممن توفوا قبل سنة ٢٠٠ هـ ، منهم تسعة الّف كل منهم كتاباً واحداً ، وتسعة الّف كل منهم كتابين .

وقد الّف اثنا عشر منهم كتباً عنوان كل منها « السنن » ، ، وأربعة عنوانها «التفسير» وثلاثة عنوانها « المغازي » واثنان عنوانها « الموطأ » أما بقية الكتب فمعظمها في مواضيع متصلة بالفقه .

وقد فقدت معظم هذه الكتب الأولى ، ولم يبق منها الا مقتطفات او كتب في مواضيع محدودة ، كالكتب التي الّفها ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني. والكتاب الفقهي الشامل الوحيد الذي وصلنا كاملاً هو موطأ مالك بن انس، وهو مكون من مقدمة واربعة وعشرين كتاباً يتراوح طولها بين صفحة واحدة (كتاب العقيقة وكتاب كراء الارض) وثلاث وستين صفحة (كتاب الحج) وقد نُظم الموطأ على الترتيب التالي : الصلاة ، الوضوء ، الجنائز ، الزكاة ، الصيام ، الاعتكاف ، الحج ، الجهاد ، النذور الصيد ، العقيقة ، الفرائض ، النكاح ، الطلاق ، البيوع ، القراض ، كراء الارض ، الشفعة ، الاقضية ، العتاق والولاء ، المكاتب ، المدبّر ، الحدود ، الاشربة ، العقول ، الدعاء للمدينة واهلها . ويشتمل كل كتاب على عدد من الروايات عن الرسول او الصحابة والتابعين فيما عملوه في موضوع الكتاب ؛ فمادته اقرب الى كتب الحديث ، ولكن تنظيمه متصل بميدان المعرفة التي يختص بها الفقه ، ولعلها تعبر عن اهتمامات الناس في ذلك ، وهو تنظيم ظل من حيث المبدأ متبعاً في تنظيم كافة كتب الفقه التالية ، وان كانت أدخلت تعديلات في تفاصيله ، كأن اعيد تنسيق بعض الأبواب وتسلسل تتابعها ، واضيفت فصول اخرى ، واعيد النظر في حجم بعض الاقسام ومقدار ما تحويه من مادة .

---

(١٤١) « ما يحتاج اليه العامل من علم الحساب »؛ وقد طبعه الدكتور احمد سعيدان بعنوان « علم الحساب العربي »

ولا ادخل في بحثي هذا كتاب المدونة ، وهو كتاب فقهي ضخم وواسع ويضم معلومات واراء واسعة ، ولكن الأقدمين لم يذكروه له ، مما يجزم بان معلوماته من صنف الروايات التي ظلت تتناقل بالسماع حتى دونها بشكلها النهائي الفقيه التونسي اسـد بن الفرات (١٤٢)

كانت سيرة الرسول ومغازيه من أبرز المواضيع التي عني العرب بدراستها وتناقل أخبارها منذ أوائل العصر الأموي ؛ وتم تدوين بعض أخبارها منذ عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (١٤٣) . وقد وصلتنا قطع من المؤلفات الأولى . غير أن أول كتاب شامل وصلنا هو « سيرة النبي (ص) » لمحمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ . والنسخة الشائعة الاستعمال حتى اليوم هي التي وصلتنا برواية زياد بن عبدالله البكائي كما عدلها محمد بن عبدالملك بن هشام الذي اختصر بعض ما فيها ، وخاصة في اقسامها الأولى ، كما أضاف اليها بعض القصائد ، وأشار الى بعض الأشعار غير الموثقة فيها ؛ والواقع أنه توجد روايات اخرى لسيرة بن إسحق تبلغ قرابة الاربعين (١٤٤) .

وكتاب « سيرة النبي (ص) » كما وصلتنا عن طريق إبن هشام مقسمة الى ثلاثـة اقسام هي : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازي . ويبدو أن ابن هشام لم يبدل في اختصاره هيكل الكتاب الذي ظل المعتمد الأساسي لمن جاء بعد ه حيث ظل الكـتّاب في السيرة يتابعون تنظيمه ويعتمدون على معلوماته مع بعض الاضافات أو الاختصارات وتباين صياغة العبارات ، وبالرغم من ان ابن اسحق أغفل جوانب مهمة من سيرة الرسول (ص) واعماله كنشر الدين وتوضيح العقيـدة ، واعادة التوجيه الفكري والعقائدي ، وتثبيت وحدة الامـة .

وقد الّف في فترة التصنيف التي نبحثها في هذا المقال ، عدد من العلماء في المغازي وسيرة الرسول (١٤٥) ؛ ولكن ابن ابي عدي لم يكن مخطئاً عندما قال « والذي تقرر عليه

---

(١٤٢) انظر في ذلك كتاب « مالك » للاستاذ امين الخولي ، وخاصة ص ٧٦١ — ٧٦٤

(١٤٣) انظر البحث الشامل الذي كتبه هوروفتز « المغازي الاولى ومؤلفوها » ترجمة حسين نصار ، وفيه عرض شامل لمن ساهم في تأليفها حتى اوائل القرن الثالث الهجري . وانظر ايضاً الفصل الذي كتبه الدكتور عبدالعزيز الدوري عن تطور كتابة السيرة في كتاب « مؤرخو الشرق الأوسط »

(١٤٤) انظر المقدمه التي كتبها الفرد جيوم لترجمته التي نشرها للسيرة بالانكليزية .

(١٤٥) انظر عنهم الجدول رقم (٢) الملحق بهذا المقال

العمل ان ابن اسحق اليه المرجع في المغازي والايام النبوية »[١٤٦] .

ومن المواضيع التي ظلت تلقى العناية في هذه الفترة هو موضوع تفسير القرآن ، الذي بدأ الاهتمام به منذ اوائل العهد الاسلامي ، وتداولته الدراسات ورويت بعض المؤلفات فيه ؛ غير أن من أبرز الكتب المؤلفة فيه والتي وصلتنا هي تفسير مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، أي أنه من رجال هذه الحقبة . وقد ذكر الشافعي ان « الناس عيال على مقاتل في التفسير »[١٤٧]

والمفروض أن كتب التفسير تنظم على أساس واحد ، هو متابعة تنظيم السور والآيات القرآنية ؛ غير أنها تختلف في آرائها وفهمها ومعلوماتها الاضافية . والواقع ان التطور المهم الذي بدت مظاهره في هذه الفترة هو تأليف كتب في مواضيع خاصة من القرآن . فقد ألّف يونس بن حبيب (ت ١٨٣) كتاب «معاني القرآن»[١٤٨] كما ألّف الكسائي (ت ١٩٧) كتاباً بنفس العنوان[١٤٩] ، وكذلك كتب الرواسي شيخ الكسائي كتاباً بنفس العنوان[١٥٠] . والف مؤرج كتاباً في غريب القرآن[١٥١] .

اما في العربية والشعر والنحو فاننا نختم بحثنا بذكر الافذاذ الثلاثة : الخليل بن احمد (ت ١٧٠) مبدع العروض وواضع اساس المعاجم ، والكسائي الذي برز في عدة علوم عربية ، وسيبويه (ت ١٧٩) الذي كان كتابه في النحو الأساس الذي لم يتجرأ احد على عمل ما يفوقه . ان كثرة الابحاث عن هؤلاء الثلاثة تجعلنا نكتفي بالاشارة اليهم دون الدخول في تفاصيل عن دراستهم ، وهم شواهد على أن التصنيف منذ بدايته أظهر غزارة العلم وحسن التنظيم ، علماً بانه ازدهر في الامصار العربية ، وقام على رجال اغلبهم من العرب ، وفي فترة سبقت الترجمة من الثقافات الاجنبية أو على الأقل قبل أن تتثبت الترجمات ويظهر اثرها .

---

(١٤٦) تذكرة الحفاظ ١٧٢/١ ؛ وقد يكون من المهم مقارنة كتاب ابن اسحق بما كتبه البلاذري في الجزء الاول من انساب الاشراف (طبع محمد حميدالله) من حيث المصادر ونطاق البحث والهيكل .

(١٤٧) وفيات الاعيان ٥٦٧/٢

(١٤٨) الفهرست لابن النديم ٤٧

(١٤٩) الفهرست ٣٧ ، ٧٢

(١٥٠) نزهة الألباء ٥٠

(١٥١) الفهرست ٥٤

جدول بالمؤلفين والمصنفين الأولين

(١)

رجال نسبت اليهم بعض المصادر تأليف كتب وكانت وفاتهم قبل سنة ١٥٠ ﻫ

أولاً: في الامثال ، والتاريخ، والانساب، والسيرة، والتفسير

سنة الوفاة	إسم المؤلف	اسم الكتاب
٦٠ ؟	صحار العبدي	الأمثال (١)
٦٣ ؟	علاقة بن كرشم	الأمثال (نحو خمسين ورقة) (٢)
٦٥	عبيد بن شرية	الأمثال (وكذلك الملوك الماضين) (٣)
٥٣	زياد بن أبي سفيان	المثالب (٤)
٦٥	دغفل	الأنساب (٥)
١٠٣	صالح بن عمران	غزاة ذات الاباطيل (٦)
١١٤	وهب بن منبه	المغازي ، الملوك المتوجة (٧)
١٢٤	محمد بن شهاب الزهري	النسب (٨)
١٤١	موسى بن عقبة	السيرة (٩)
١٤٧	عوانة بن الحكم	التاريخ ، سيرة معاوية وبني أمية (١٠)
٨٢	سعيد بن جبير	التفسير (١١)
١١٠	الحسن بن ابي الحسن	التفسير (١٢)

(١) الفهرست لابن النديم طبعة محمد تجددي ١٠١
(٢) كذلك ١٠٢ ارشاد الاريب لياقوت ١٩٠/١٢
(٣) كذلك ١٠٥
(٤) كذلك ١٠١
(٥) كذلك ١٠١ النقائض ١٨٩/١
(٦) الفهرست ١٠٣
(٧) ارشاد الاريب ٢٣١/٧ وانظر هوروفتز: المغازي الاولى ومؤلفوها ٢٧ — ٣٦
(٨) جامع بيان العلم ٧٦/١ .
(٩) أنظر ما ذكرته عن كتبه في ص ٢٧ .
(١٠) الفهرست ١٠٣ ابن النديم « ويقال ان هذا الكتاب لمنجاب بن الحارث (تـ ٢٣٠ ﻫ) والصحيح انه لعوانة .
(١١) هذا الاسم ومن يليه من مؤلفي التفسير ذكرهم سزكين : تاريخ التراث العربي
(١٢) انظر ايضاً الفهرست ٣٦ طبقات ابن سعد ٧ — ١٧/١ ، ١٢٧ .

١٠٤	مجاهـــد	التفسير
١٠٥	الضحاك بن مزاحم	التفسير
١١١	عطية بن سعد	التفسير
١٢٨	السدّي	التفسير [١٣]
١٣٥	عطاء	التفسير
١٤٦	محمد بن السائب	التفسير [١٤]
١٤٨	شبل بن عبادة	التفسير
١١٦	مكحول	السنن ، المسائل في الفقه [١٥]
١٣٦	مغيرة بن مقسم	الفرائض [١٦]
١٤٨	إبن أبي ليلى	الفرائض [١٧]

(٢)

أسماء من ذكر علي بن المديني والرامهرمزي والذهبي أنهم اول المصنفين ومن ذكرهم ابن النديم في فصل الفقهاء المحدّثين ، والمالكيين ، وابي حنيفة وأصحابه العراقيين ، ممن ذكرت وفاتهم بين ١٥٠ ــ ٢٠٠ هـ وذكر أنهم ألّفوا كتباً

سنة الوفاة	الاسم	المدينة او الاقليم	المصدر[١٨]	الكتب المؤلفه
١٥٠	أبو حنيفة	الكوفة	٣، ٤، ٧	الفقه الأكبر ، العالم والمتعلم

(١٣) انظر ايضاً الفهرست لابن النديم ٥١

(١٤) انظر ايضاً الفهرست ٣٦ وانظر وفيات الاعيان ٥٦٧/٢

(١٥) الفهرست ٢٨٣

(١٦) كذلك ٢٨٢

(١٧) كذلك ٢٥٦

(١٨) تحاشياً للاطالة فان الارقام المذكورة في المصادر ترمز الى ما يلي

١" كتاب العلل لعلي بن المديني .

٢" المحدث الفاصل للرامهرمزي .

٣" تاريخ الاسلام للذهبي ج ٦ ص ٥

٤" الفهرست لابن النديم: فصل « الفقهاء المحدثون »

٥" الفهرست لابن النديم: فصل « اخبار المالكيين وما صنفوه من الكتب »

٦" الفهرست لابن النديم: فصل « ابي حنيفة واصحابه العراقيين »

٧" تذكرة الحفاظ للذهبي رجال الطبقة الرابعة

وقد اعتمدنا في قائمة كتب المصنفين على ما ذكره ابن النديم عند الكلام عنهم وأشرنا في الهامش الى ما ورد ذكره في المصادر الاخرى .

				الرد على القدرية ، رسالة الى البستي ،العلم برآوبحراً
١٥٠	ابن جريج	مكة	١، ٢، ٣، ٤، ٧	السنن ، الطهارة ، الصيام، الصلاة، الزكاة
١٥١	محمد بن اسحاق	المدينة	١، ٧	السيرة والمبتدأ والمغازي ، الخلفاء [١٩] المغازي ، السنن.[٢٠]
١٥٦	محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب	المدينة	٤، ٧	السنن [٢١]
١٥٧	سعيد بن أبي عروبة	الكوفة	١، ٢، ٣، ٤، ٧	السنن [٢٢]
١٥٨	زفر بن هذيل	الكوفة	٥	— [٢٣]
١٥٩	الاوزاعي	الشام	١، ٢، ٣، ٤، ٧	السنن في الفقه ، المسائل في الفقه [٢٤]
١٦٠	شعبه بن الحجاج	واسط	١، ٧	
١٦٠	الربيع بن صبيح	البصرة	٢	
١٦١	سفيان الثوري	الكوفة	١، ٢، ٣، ٤	الجامع الكبير ، الجامع الصغير ،الفرائض رسالة الى عباد بن عباد الأرسوفي

(١٩) يذكر الذهبي ان إبن إسحق « مصنف المغازي ، قال ابن ابي عدي : والذي تقرر عليه العمل ان ابن اسحق اليه المرجع في المغازي والايام النبوية » (تذكرة الحفاظ ١٧٣/١)

(٢٠) يقول الذهبي انه « كان اول من صنف باليمن » (تذكرة الحفاظ ١٩١/١) ويقول عنه ابن سمرة « له الجامع المشهور في السنن المنسوب اليه ، وهو اقدم من الموطأ » (طبقات فقهاء اليمن ٦٢، ٧٤)

(٢١) يقول عنه الذهبي « ليس له كتاب » (تذكرة الحفاظ ١٩٢/١)

(٢٢) يقول عنه الذهبي « وهو اول من صنف الابواب بالبصرة ، قال احمد بن حنبل لم يكن له كتاب ، انما كان يحفظ » (تذكرة الحفاظ ١٧٨/١)

(٢٣) اكتفى ابن النديم بالقول عن زفر بالقول « وله من الكتب » دون ان يذكر اسم الكتاب .

(٢٤) « قال ابو زرعة الدمشقي : كانت صنعته الكتابة والترسل ، فرسائله تؤثر (تذكرة الحفاظ ١٧٨/١)

سنة الوفاة	الاسم	المدينة او الاقليم	المصدر	الكتب المؤلفة
١٦١	زائدة بن قدامة	الكوفة	٤	السنن ، القراءات ، التفسير الزهد ، المناقب
١٦٥	حمّاد بن سلمة	البصرة	١، ٢، ٣، ٤، ٧	السنن [٢٥]
١٦٨	عبدالعزيز الماجشون	المدينة	٥، ٧	كتاب كبير [٢٦]
١٧٢	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم	المدينة	٤، ٧	التفسير ، الناسخ والمنسوخ
١٧٤	عبدالرحمن بن أبي الزناد	المدينة	٤، ٧	الفرائض ، رأي الفقهاء السبعة من اهل المدينة
١٧٥	أبو عوانة	واسط	١، ٧	_[٢٧]
١٧٥	الليث بن سعد	مصر	٣، ٥، ٧	التاريخ ، مسائل الفقه [٢٨]
١٧٦	عبدالملك بن محمد بن حزم	المدينة	٤	المغازي
١٧٩	مالك بن أنس	المدينة	١، ٣، ٥، ٧	الموطأ ، رسالته الى الرشيد
١٨١	عبدالله بن المبارك	خراسان	١، ٢، ٤، ٧	_[٢٩]
١٨٢	أبو يوسف	الكوفة	٣، ٦، ٧	الخراج
١٨٣	هشيم بن بشير	واسط	١، ٢، ٣، ٤، ٧	السنن في الفقه ، المغازي
١٨٣	يحيى بن زكريا بن أبي زائدة	الكوفة	١، ٢، ٤، ٧	السنن [٣٠]
١٨٤	ابراهيم بن محمد	المدينة	٧	_[٣١]
١٨٨	عبدالرحمن بن مهدي	البصرة	١، ٧	—

(٢٥) ينقل الذهبي عن ابي داود انه ليس لحماد كتاب الا كتاب قيس بن مسعود ، ولكنه يذكر « قلت هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة » (تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١).

(٢٦) يقول الذهبي « قال احمد بن كامل له كتب مصنفة رواها عنه ابن وهب » (تذكرة الحفاظ ٢٢٣/١)

(٢٧) يقول الذهبي « له كتب » ولم يسمها (تذكرة الحفاظ ٢٣٦/١ – ٧)

(٢٨) يقول الذهبي عنه « امام حجة كثير التصانيف » (تذكرة الحفاظ ٢٢٦/١)

(٢٩) يقول الذهبي عنه « دون العلم في الابواب والفقه وفي الغزو والزهد » (تذكرة الحفاظ ٢٢٦/١)

(٣٠) يقول الذهبي عنه « كان صاحب تصانيف » (تذكرة الحفاظ ٢٦٨/١).

(٣١) يقول عنه الذهبي « عمل موطأً كبيراً لكنه ضعيف عند الجماعة » (تذكرة الحفاظ ٢٤٧/١)

١٨٨	محمد بن الحسن الشيباني	الكوفة	٤، ٦، ٧	(عدة كتب فقهية)
١٨٩	جرير بن عبدالحميد	الري	٢، ٧	
١٩٣	إسماعيل بن علّية	الكوفة	٤، ٧	التفسير ، الطهارة ، الصلاة المناسك
١٩٤	الوليد بن مسلم	الشام	٢، ٤، ٧	السنن في الفقه ، المغازي[٣٢]
١٩٥	محمد بن فضيل الضبي	الكوفة	٢، ٤، ٧	السنن ، التفسير ، الصيام ، الدعاء
١٩٥	اسحق الأزرق	واسط	٤	المناسك ، الصلاة ، القراءات
١٩٧	عبدالله بن وهب	مصر	٣، ٥	[٣٣]
١٩٧	وكيع بن الجراح	الكوفة	١، ٢، ٤، ٧	السنن[٣٤]
١٩٨	سفيان بن عيينة	مكة	١، ٢، ٤، ٧	له تفسير معروف[٣٥]

(٣)

مؤلفون ذكرهم ابن النديم وذكر أسماء كتبهم وحدّد وفاتهم بين ١٤٩ — ٢٠٠ هـ

سنة الوفاة	اسم المؤلف	مكان ذكرها في الفهرست	اسم المؤلفات
١٤٩	عيسى بن عمر الثقفي	٤٧	الجامع ، المكمل
١٥٠	مقاتل بن سليمان	٣٦، ٣٩	التفسير ، المتشابه
١٥٦	حمزه الزّيات	٣٢	الفرائض ، قراءة حمزة
(زمن المنصور)	الفقعسي	٧٣	مآثر بني اسد
١٧٠	الخليل بن احمد	٤٨	العين ، النغم ، العروض ، الشواهد ، النقط والشكل ، فائت العين

---

(٣٢) يذكر الذهبي في تذكرته « صنف التصانيف والتواريخ ، له سبعون كتاباً » (٣٠٣/١)

(٣٣) يذكر الذهبي انه صنف موطأ كبيراً (تذكرة الحفاظ ٣٠٣/١، ٣٠٤)

(٣٤) يقول الذهبي « قال ابو داوود ما رئي لوكيع كتاب قط .. وقال احمد بن حنبل عليكم بمصنفات وكيع » (التذكرة ٣٠٨/١)

(٣٥) اشار الذهبي الى تصانيف سفيان (٣١٣/١) وذكر ابن سمرة « جامع سفيان بن عيينة » (طبقات فقهاء اليمن ٧٤)

١٧٠	أبو اليقظان	١٠٧	حلف تميم بعضها بعضاً ، اخبار تميم، نسب خندف واخبارها ،النسب الكبير ، النوادر .
١٧٩	سيبويه	٥٧	الكتاب
١٨٣	يونس بن حبيب	٤٧	معاني القرآن ، اللغات ، النوادرالكبير ، الامثال ، النوادر الصغير
؟	الرواسي	٥٧	أول من وضع من الكوفيين كتاباً : الفيصل ، التصغير ، معاني القرآن
١٨٩	المفضل الضبي	٧٥	الاختيارات ، الأمثال ، العروض ، معاني الشعر
١٩٠	لقيط المحاربي	١٠٦	السمر ، الحراب واللصوص ، أخبار الجن
١٩٥	مؤرج السدوسي	٥٤	الانواء، غريب القرآن، جماهير القبائل المعاني
١٩٧	الكسائي	٧٢	معاني القرآن ، مختصر النحو ، القراءات ، العدد ، النوادر الكبير النوادر الصغير ، مقطوع القرآن وموصوله
(وفد على الرشيد)	ابو شنبل العقيلي	٥١	النوادر حوالي (٣٠٠ ورقة)
(وفد على المهدي)	ابو زياد الكلابي	٥٠	النوادر ، الطرق ، الابل ، خلق الانسان

أصول الحكم عند العرب الجنوبيين

الدكتور جواد علي
عضو المجمـــع العلمي العراقي

يعود الفضل الى كتابات المسند في وقوفنا اليوم على بعض صفحات الحضارة عند العرب الجنوبيين قبل الاسلام . ولولا هذه الكتابات ، لما كان في إمكان المؤرخ التحدث عن أية ناحية من نواحي الحضارة عندهم ، لأن الموارد الإسلامية والروايات اليمانيـــة لا تعرف شيئـــاً يذكر عن تاريخ العرب الجنوبيين البعيد عن زمن ظهور الإسلام ، ولا سيما في جوانب أصول الحكم والإدارة والتشريع ، والمعاملات ، وما شاكل ذلك . أما ما نقرؤه فيها من أمر الملكة بلقيس والتبابعة ، فمزيج من واقع قليل ، ومن خيال واسع ، ومن وضع أبعدَ هذا القليلَ التأريخي عن الواقع .

وتنتهي كتابات المسند المؤرخة ، في المئة السادسة للميلاد ، بسنة (٥٥٤) ، المقابلة للسنة « ٦٦٩ » من تقويم حمير ، ولم نعثر على نصوص مؤرخة يرجع تأريخها الى ما بعد هذا التاريخ . وتاريخ المئة السادسة بعد ، مهم جداً بالنسبة الينا لأنه مقدمة لتأريخ الإسلام ، ومبدأ له ، وفهمه فهماً صحيحاً يساعدنا كثيراً على فهم عقلية العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في هذه الحقبة المتصلة بالإسلام .

وفي النصوص المكتشفة حديثاً نصوص ألقت بعض الضوء على الوضع السياسي الذي كان في عهد « ذي نُواس » ، وعلى تدخل الحَبَش في شؤون اليمن ، فصححت الروايات الواردة في الموارد الإسلامية عن هذا العهد ، وجاءت بأخبار لم تكن معروفة عن هذا العهد ، وسيتحفنا المستقبل بنصوص جديدة ولاشك ، قد تكشف عن أمور مجهولة من تأريخ العرب قبل الإسلام .

واكثر هذه الكتابات هي ، ويا للأسف ، في أمور شخصية ، ولذلك تحدد علمنا بأحوال الحضارة عندهم ، وتضطر المؤرخ أن يلتزم جانب الحذر في الحكم على جوانب هذه الحضارة ، لعدم تمكنه من الحصول على كتابات كاملة في موضوع معين من هذه الجوانب ، فنحن لا نملك اليوم كتابة في أصول حكم المكربين ، أو في أصول حكم الملوك ، ولا في كيفية إدارة الحكومات ، وفي تسلسل الوظائف في المناصب الإدارية أو المناصب العسكرية ، وإنما نملك نصوصاً جانبية ثانوية ، وردت فيها مصطلحات وعبارات لها صلة بهذه النواحي ، تمكنّا بفضلها من تكوين رأي في الحضارة في هذه البقعة المهمة من جزيرة العرب التي يتجمع فيها أغلب حضارة العرب قبل الإسلام .

هذا وأن من حسن حظنا أننا نملك اليوم نصوصاً تعود الى ما قبل الميلاد تفيد أن الذين حكموا حكومات العربية الجنوبية في أول أيامها كانوا يلقبون بلقب « مكرب » ، وأن « المكرب » ، أو المقرب الى الآلهة ، كان كاهنا وملكاً في آن واحد ، يجمع بيده السلطتين : السلطةَ الدينية والسلطةَ الزمنية ، فهو في منزلة الباتيسي « Patesi » عند الأكديين و « اشاكو » « Ischakku » في الآشورية [1] . فنظام الحكم إذن هو نظـــام « ثيوقراطي » في المصطلح الغربي المعبر عن السلطة التي تجمع في بنيتها بين الحكم الديني والحكم الدنيوي ، فكان المكرب هو المعبّر عن ارادة الآلهة والناطق باسمها ، والقائم بإدارة بيوتها ، أي معابدها ، يساعده في أداء عمله رجال دين أقل منه منزلة ، كما كان الحاكم الذي يحكم في أمور الرعية حكماً زمنياً .

وقد تلطفت هذه الكتابات علينا فأخبرتنا بأسماء عدد من المكربين في حكومات حضرموت وقتبان وسبأ كما تفضلت ببيان أن آخر مكرب حكم سبأ مثلاً ، كان المكرب « كرب ال وتر » « كرب ايل وتر » ، وذلك بورود اسمه متلقباً بلقب « مكرب » في نص ، وورود اسمه متلقباً بلقب « ملك » في نص آخر [2] ، ولكنها لم تمنّ علينـــا بالأسباب التي حملت هذا المكرب على ترك لقبه هذا ، واختيار لقب ملك . ولعله فعل ذلك تقليداً للحكام الذين كانوا يحكمون في بقية حكومات العالم الأخرى ، وكانوا يلقبون أنفسهم بلقب ملك [3] .

---

(١) المفصل (١٧٩/٢) .
H. Schmidt , Philosophisches Wôrterbuch, S., 658.
(٢) المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام (١٩٠/٥) ،
Ditlef Nielson, Handbuch., S., 119
(٣) Handbuch, S., 119. ,

والعادة أن الملكية وراثية ، تنتقل من الآباء الى الأبناء ، ويتولاها الابن الأكبر في الغالب ، فإذا حكم هذا وتُوُفِّيَ انتقلت الى ابنه الأكبر ، وهكذا ، وبذلك يُحرم إخوته الآخرون ، إلاّ اذا نص الأب الملك على خلاف ذلك . وقد انتهت الينا كتابات عديدة ، وفيها أب يحمل لقب ملك ، ومعه ابنه يحمل هذا اللقب كذلك ، كما انتهت الينا كتابات فيها اسم أب ملك ومعه أبناؤه يحملون هذا اللقب كذلك ، كما انتهت إلينا كتابات يحمل فيها أخ وإخوته لقب ملك ، وقد يدلّ ذلك على اشتراك المذكورين في الكتابة اشتراكاً فعلياً في الحكم ، وقد يعني أنه مجرد لقب يشير الى أن حامله من أعضاء الأسرة المالكة . وقد يكون ذلك للتخفيف عن الملك بسببٍ من كثرة عمله أو من عدم تمكنه من القيام بأعمال الملك كلّها، لضعف شخصيته واستعداده، أو لمرض ألمّ به ، أو لأن الملك أراد بذكرهم معه تدريبهم على أعمال الحكم ، حتى يكونوا قد خبروا أمور الملك إذا إنتقل الحكم إليهم ، مع بقاء الملك الأصل في عرشه ومكانه ، يمارس أعماله على نحو ما يريد [١] .

وقد ورد ذكر ملكين في بعض النصوص حكما حكماً مشتركاً مع أنهما من أسرتين مختلفتين ، وعثر على نص في جبل « خضرة » ، ورد فيه اسم ملكين من ملوك قتبان حكما معاً مع أنهما من أبوين مختلفين [٢] .

وقد اختفى ذكر هذه الظاهرة ، ظاهرة الحكم المزدوج أو المثلث ، في الأيام القريبة من الإسلام ، غير أن اللقب الملكي لم ينقرض ، إذْ نراه في نص أبرهة الذي دوّنه في المئة السادسة للميلاد ، وفي نص « يوسف اسار » ، « مراهمو ملكن يسف اسار » وفي نص « سميفع اشوع ملك حميرم » ، أي : « ملك حمير » [٣] .

ولم يصل إلينا نص من نصوص المسند فيه إسم ملكة حكمت في العربية الجنوبية. أما خارج العربية الجنوبية ، وخارج جزيرة العرب ، فقد وردت في الكتابات الآشورية وفي كتاباتٍ غيرها أسماء ملكات عربيات ، مثل الملكة « زبيبي » « زبيبة » ، التي دفعت الجزية الى الملك « تغلث فلاسر » (تغلاتبلاسر الثالث » ، « ٧٤٥ — ٧٢٧ ق.م. »

(١) Ryckmans, Le' Institution monarchique en Arabie méridionale avant l'Islam, Louvain, 1951, pp., 42 — 46, 151 — 153, 203, 223.

(٢) Qahtan, II, p., 261 .

(٣) لوندين (ص ٩٠ وما بعدها)

CIH541, Ry 506,
CIH621, 9, Ry 508, 2,567,3, Ja 546.

تقريباً ،[1] والملكــة « سمسي » ، « شمسي » ، شمس التي ثارت على هــذا الملك في السنة التاسعة من حكمــه[2] ، والملكة « يا تيعة » « يتيعة » « يطيعة » ، في عهــد « سنحريب » ،[3] والملكة « اسكلاتو » « Iskallatu » ملكــة « ادومو » « Adumu » أي « دُومة الجَنْدَل » في عهد « أسرحدون »[4] ، والملكة « تلخونو » ، وغيرهن . وكلنا قد سمعنا بخبر « الزَبّاء » ملكة « تَدْمُرَ » هذه الملكة الذكية ذات الحديث الطويل العريض عند أهل الأخبار .

كمــا سمعنا بخبر الملكــة « مــاوية » ، « Mauia » « Mavia » « Mawiya » الوارد ذكرها في الموارد اليونانية ولم يعرف أهل الأخبار من أمرها شيئاً ، وكانت تحكم عرب بادية الشام ، وتذكر هذه الموارد أن عربها كانوا من « السَرّسين » « Saracene »[5] وأنها هاجمت الروم مراراً ، وقاتلت الإنبراطُور « فالنس » « Valens » ، « ٣٦٤– ٣٧٨ م » ، وحاول الروم عبثاً التغلب عليها بالقوة ، فلم يفلحوا ، واضطروا إلى ترضيتها ومصالحتها ، فهدأت الأحوال الى حين[6] .

نعم أشار القرآن الكريم الى ملكة كانت تحكم سبأ في أيام سليمان ، وكانت تتعبد للشمس[7] ، وجاء في سفر الملوك الأول من التوراة حديث عن ملكة « شبا»[8] ، أي سبأ ،ولكن القرآن الكريم لم يذكر اسمها ،وإنما المفسرون هم الذين ذكروا أن اسمها « بلقيس » ، ثم عاونهم أهل الأخبار فصيروا لها أباً وجعلوا لها نسلاً ، أخذوا الاسم من أساطير العرب الجنوبيين الممزوجة بأساطير أهل الكتاب ، ، وقد جاء في أسطورة ان أسمها « Naukalis » ، وسميت « ماكدا » « Mâkedà » في الروايات الحبشية ، إذ ادعى ملوك الحبشة في أيّام تنصرهم أنهم من نسل سليمان من زوجته « ماكدا » ، التي هي ملكة سبأ[9] ، ورووا القصص عن هذا الزواج ، الذي أخذه أهل الأخبار ،

(١) Musil, Hegazamy, p., 287, Deserta, P., 477.
(٢) المفصل (٥٧٨/١) .
(٣) Reallexicon, 1,S., 125, smith, , first Campaign of sennacherib, P., 62
(٤) المفصل (٥٩١/١) .
(٥) Die Araber, II, S., 328.
(٦) المشرق ، السنة العاشرة ، العدد ١١ ، حزيران ، ١٩٠٧ ، (ص ٥٢٤) ، Die Araber, II, S., 328, Socratés, Histo. Eccl., 4,36.
(٧) النمل ، الرقم ٢٧ ، الآية ٢٠ – ٤٥ .
(٨) الملوك الأول ، الإصحاح العاشر ، الآية ٢ – ١٠ ، ١٣ .
(٩) Shorter Ency. of Islam. P., 63.

فأضافوا إليه من خيالهم ما شاؤوا ، وقصوه مع ما أخذ وه عن كعب الأخبار ووهب ابن منبه وغيرهما ممن أدخل الإسرائيليات بين المسلمين .

وهو قصص له جذور وأسس ، يعود الى أيام استيلاء العرب الجنوبيين على السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، وسكناهم هناك ، وتأسيسهم حضارة متقدمة بها ودولة هي دولة أكسوم .

وأنا لا أستطيع في الوقت الحاضر أن أبدي رأياً في النص ذي الرقم (١٣) الوارد في كتاب : « في تأريخ اليمن [١] » ، وفي الفقرة ٧ من عبارة « ولشرح مراتهمو ملك حلك ملكت حضرموت » ، ومعناها : « وحراسة سيدتهم ملك حلك ملكة حضرموت » وفي الفقرة : «١١» ، « ووكب اختهو ملك حلك بوسط بيتن شقر » ، ومعناها « وألفى أخته ملك حلك بداخل قصر شقر » ، ذلك لأن المؤلف لم يطبع مع صور الكتابة المستنسخة صورة منقولة بآلة التصوير عن الكتابة الأصل ، وليس من طبعي الكلام في أمر لا أقف على جميع جوانبه ، ولا يمكن في مثل هذه الحالات التثبت من صحة قراءة النصوص إلاّ بالرجوع الى الرؤية ، أي رؤية النص في أصله ، أو بالرجوع إلى الصور الواضحة له .

وقد ذهب « محمد عبدالقادر بافقيه » الى احتمال كون الملكة « ملك حلك » بنتا للملك « علهان نهفان » ، وأختاً لشاعر أوتر « شعرم اوتر » ، كما يتضح ذلك من الفقرة « ١١ » من النص [٢] .

ولم أجد في النصوص أن الملوك كانوا يدعون النبوة ، أو التنبؤ باسم الآلهة ، وقد ذكر « بيستن » « Beeston » أن الملك « يصدق ال فرعم شرحعت » ملك أوسان ، كان يتنبأ ، وقدمت له الذبائح ليتنبأ لاصحابها ، وقد عثر على تمثال له في رداء رومي أو شامي ، فلعلّه لبسه تقليداً لحكام روما فيما يلبسون [٣] .

وقد ورد في نص أوساني أن شخصاً اسمه ابشم ذعم يدع ، قدّم الى سيده يصدق ال فرعم بن شرح عث ملك أوسان بن ودم ، تمثالاً من ذهب لهيكله « نعمن » « نعمان » ، لأن أباه ود أمر بذلك ، مما يشير الى أن هذا الملك كان يتمتع بصفة دينية

(١) تأليف مطهر علي الارياني ، شرح وتعليق على نقوش لم تنشر ، ٣٤ نقشاً من مجموعة القاضي علي عبدالله الكهالي ، صدر عن مركز الدراسات اليمنية ، (ص ٨٠ ، ٨١)
(٢) النص كهالي (١٣) ، فقرة : (١١) ، تأريخ اليمن القديم (١١٣ وما بعدها) .
(٣) Qahtan, II, P., 267.

لا نعرفها من قبل [1] ، غير أني لا استطيع أن أفهم من هذا النص الغامض أنه يدل على وجود شيءٍ من الألوهية في هذا الملك .

ومملكة أوسان مملكة صغيرة ، وعلى شاكلتها في الصغر كانت مملكة « هرم » ، إذْ كانت مدينة عليها ملك ، لها بعض الخصائص اللغوية التي تظهر على كتاباتها ، وكذلك كانت « كنهو » ، في وادي مذاب ، مملكة صغيرة لا تزيد مساحتها على مئة كيلومتر [2] ، وكذلك شأن مملكة « اربعن » ، وقد ورد اسم أحد ملوكها وهو : « نبط ال » [3] .

وكان من عادة الملوك الإعلان عن تتويجهم ، والاحتفال بيوم التتويج والإفصاح عنه ، ويعبر عن ذلك بـ « هملقب » ، أي تلقب . لأن من عادة ملوك العرب الجنوبيين إتخاذ لقب لهم حين يعتلون العرش ، وقد انتهت الينا جملة كتابات تحدثت عن احتفال ملوك حضرموت بـ « محفد انودم » ، « محفد انود » ، أي بحصن « أنود » ، عند تتويجهم [4] ، في احتفال كبير بهيجيدعى إليه رجال الدين وكبار رجال الدولة والشعب، وبعض الأجانب ، ويعلن عندئذ لقبُ الملك ، اشارة الى توليه العرش . وتقدم الولائم الفنية الضخمة، ويذهب الملك عند انتهائها الى مواضع الصيد، وللصيد عندهم مكانة روحية ، إذ يدخل في شعائرهم الدينية ، مثل صيد عثتر الذي لا نعرف اليوم من حاله شيئاً يذكر ، وهو صيد خصص بالآله عثتر .

وللملوك ألقاب تذكرنا بالألقاب التي حملها العباسيون ، مثل المنصور ، والمهدي والرشيد والأمين والمأمون ، وهكذا ، وتلحق هذه الألقاب أسماء الملوك مثل « ينُف » ، ومعناه : « النائف » ، أو « السامي » [5] ، ومثل « يهنعم » ، و « ذرح » ، و « يهامن » ، و « يحز » و « يحضب » ، وغير ذلك .

وللملوك بيوت كبيرة يقيمون مع أسرهم بها ، ويحكمون منها مثل « بيتن غندن » أي قصر غمدان في لهجتنا ، و « بيتن سلحن » ، أي قصر سلحين ، وقد يكتبون الاسم وحده ، فيكتبون « سلحن » أو « غندن » ويراد بذلك دار الحكم ، ولقصر غمدان

---

(١) محمد عبدالقادر بافقيه ، تأريخ اليمن القديم (ص ٣١) .

(٢) Qahtan, II, P., 260 .

(٣) احمد حسين شرف الدين ، تأريخ اليمن الثقافي ، (٥٨/٣ وما بعدها) .

(٤) REP, VII, P., 418, Nr. : 4914, 4915, 4916 .

(٥) Qahtan, II, P.261.

كما نعلم مكانة كبيرة في كتب أهل الأخبار ، وهو قصر كبير من طبقات ، هدم في عهد الخليفة عثمان بن عفّان ، وقـد تذكر قصور الملوك في نصوص القوانين والأوامر التي يصدرونها ، فيشار الى صدور القوانين من « غنـدن » « غمدان » أو « سلحن » ، « سلحين أو « وعلن » « وعلان » ، أو « ريدن » أي ريدان ، ومعنى ذلك أن هـذه القوانين صـدرت من دار حكم الملوك ، كما يستعمل في الوقت الحاضر عبـارة : « صدر من قصرنا العامر » ، أو « صدر من قصر » .

ولم يكن ملوك العربية الجنوبية ملوكاً مطلقين لهم سلطان مطلق وحق إلهي في ادارة الدولة على نحو ما يريدون ، ولكنهم كانوا ملوكاً يستشيرون الأقيال والأذواء وسادات القبائل وكبار رجال الدين فيما يريدون عمله ، لاتخاذ قرار بشأنه . وهو نظام تقدمي فيه رأي ومشورة وحكم الشعب بالقياس إلى حكم الملوك المطلقين الذين حكموا آشور وبابل ومصر وايران [1] نظام نبع من واقع أرض العربية الجنوبية ، المتمثل في شكل أرضه وفي طبيعة إقليمه وجوّه .

وترينا الكتابات المعينية أن ملوك معين كانوا مقيدين في حالات معينة بأخذ رأي مجلس عرف بـ « مسود » ، وبأخذ رأي المعابد أيضاً في المسائل المتعلقة بها ، مثل الضرائب ، فقد كانت للمعابد أوقاف وأملاك ، ولها حق جباية الضرائب زكاة لأموال المتمكنين حتى صارت موازية للدولة في الوارد والدخل [2] ، وللدين أثر عميق في النفوس يجعلنا نتذكر الحديث : « الإيمان يمان والحكمة يمانية » .

ونجد في النصوص لفظة : « مرا » ، وتعنى : « رب » والرئيس الأعلى ، وذلك تعبيراً عن « الملك » ، ويستعمل هذا التعبيرَ كِبارُ القوم . أمّا من دونهم فيستعملون مصطلح « ادم » ، أي « أوادم » بلهجة أهل العراق في الوقت [3] الحاضر ، وتؤدي معنى « تبع » كما استعملوا مصطلح « عبد » ، التي تعني العبودية والخضوع .

وترد في النصوص المعينية لفظة « يثل » مع « معين » ، وكأن لها شخصيةً مستقلة ، تقابل شخصية « معين »، و« يثل » هي « براقش » في متعارف الناس [4] ، ففي بعض

---

(١) A. Grohmann, Arabien, S., 128.

(٢) REP 2458, 2774.

(٣) Kingship in ancient south Arabia,in Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol., 15,) 1972) , P., 265.

(٤) بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ، (ص٣٤) .

النصوص : « ملك معن ويثل » ، أي « ملك معين ويثل » ، وفي نصوص « وكل آلهة معين ويثل » ، مما يدل على أن « يثل » لم تكن مندمجة في دولة معين اندماجاً تاماً ، وأنها كانت مثل بقية المدن ، وإنما كانت تتمتع بشيْ من « الحكم الذاتي » .

ويظهر من الموارد العربية الاسلامية أن عدداً من الأقيال لقبوا أنفسهم بلقب «ملك» ، وقد زعموا أن « القيل : الملك من ملوك حمير ، يتقيّل من قَبْلَه من ملوكهم ، أي يتبع طريقه في الحكم ، وجمعه : أقيال وقيول ، ومنه الحديث : الى قيـــل ذي رعين ، أي ملكها ، وهي قبيلة من اليمن تنسب الى ذي رُعين ، وهو من أذواء اليمن وملوكها . وقال ثعلب : الأقيال الملوك من غير أن يخصّ بها ملوك حمير » ، [١] و « قال ابن سيدَه : المقول والقيل الملك من ملوك حمير يقول ما شاء » [٢] ، وقال « أبو عبيدة : الأقيال ملوك باليمن دون الملك الأعظم ، واحدهم قيل يكون ملكاً على قومه ومخلافه ومحجره ، وقال غيره : سُمّي الملك قيلاً لأنه إذا قال قولاً نفذ قوله » [٣] .

وجاء في بعض شعر امرئ القيس :

وماذا عليه إنْ ذكرتُ أوانِساً كغزلانِ رملٍ في محاريبِ أقوال [٤]

والأقوال هنا أقرب الى جمع أهل اليمن « اقول » ، جمع « قول » .

و « القول » هو « القيل » في النصوص المتأخرة ، ولا فرق بينهما ، والظاهر أن لفظة « القيل » دخلت المسند بتأثير العربية الشمالية على العربية الجنوبية .

أما أن « القيل » أو « القول » هو « الملك » في لغة حمير ، وأن الرسول كتب لـ«وائل ابن حجر ولقومه : من محمد رسول الله الى الأقوال العباهلة ، وفي رواية الى الأقيال العباهلة » ، وأن القيل الملك من ملوك حمير ، وأن الأقيال « ملوك باليمن دون الملك الاعظم » ، أو « الملك النافذ القول والأمر » [٥] ، فتفسير فيه تصرف ، لأن الملك ملك عند حمير وعند غيرهم من أهل العربية الجنوبية ، وأهل العربية الشمالية أيضاً . أما « القول » و « القيل » ، فدون الملك ، وأما تلقيب الأقوال أنفسهم ، أو تلقيب غيرهم لهم بلقب « ملك » ، فهو تلقيب متـــأخر ظهر قبيل الإسلام ، على سبيل التفخيم

---

(١) اللسان (١١/٥٨٠) ، (قيل) .
(٢) اللسان (١١/٥٧٥)، (قول) .
(٣) اللسان (١١/٥٧٦) ، (قول) .
(٤) شرح الأشعار الستة الجاهلية ، للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي ، (١٣٥) .
(٥) اللسان (١١/٥٧٦) ، (قول) .

والتعظيم ، وحين عمت الفوضى في اليمن وتَنَمّرَ الأقيال والأذواء ، فاتخذوا من الألقاب ما شاؤوا .

وقد وصل إلينا بعض التشريعات ، وفيها نص على « مسود » ، وتفيد الإشارة إليه أنها سنت بعد موافقة المسود عليها [١] ، كما أشير الى المعابد في بعض التشريعات كالذي جاء في النص : « Rep 2774 » ، الذي صدر عند فرض ضرائب خصصت للمعبد ، ولكننا نملك نصوص قوانين لم يرد فيها ذكر « المسود » ، مثل القانون الذي صدر في موضوع زواج المعينين بأهل « ددن » « ديدان » [٢] ، كما نجد بعض القوانين وقد أشارت الى « معن » ، أي شعب معين ، ولم تشر الى « المسود » [٣] ، وقوانين أخرى جاء فيها ذكر : « فقضت » و « بتل » ، و « طبنن » ، وهم جماعات من الملاكين ، دلالة على أن هذه القوانين قد صدرت بعد أخذ رأي هؤلاء الملاكين فيها ، وموافقتهم عليها ، وأنها اكتسبت موافقة الملك بعد موافقة هؤلاء عليها [٤] ، وأن الملوك كانوا يستشيرون في اصدار القوانين الجهات المختصة أيضاً التي سيمسها صدور القانون ، لكيلا يقع اعتراض منها أو تذمر بسبب صدور هذه القوانين .

وقد كانت هذه الهيئآت نقابات في الواقع تألفت من جماعة اتحدت مصلحتها ، فتآلفت على العمل الموحد ، وصار لها رأي مقبول مسموع ، يأخـــذ به الملك والأقيال ، فالحكم على هذا حكم يستند الى أخذ رأي الطوائف والجماعات ، وهو حكم شعبي لا نجد له مثيلا عند غير أهل العربية الجنوبية في ذلك الزمن .

والمسود هو مجلس استشاري من سادة القوم وذوي الرأي ، وهو يحاكي ما كان يقال له « دار الندوة » بمكة . وقد أشير اليه في عدد من الكتابات ، إلاّ أننا لا نملك نصاً فيه شيءٌ من الشروط التي يجب أن تتوافر في عضو « المسود » أو عن أعمال «المسود» وواجباته وغير ذلك مما يتعلق به ، وهو مشابه لمجلس « هجبل » « الجبل » في مملكة لحيان ، إذْ يتألف أعضاؤه من وجوه الناس وساداتهم [٥] . كما يشبه « سنات » تدمر ، أي مجلس « تدمر » المؤلف من وجوه المدينة ومن قادة الجيش ومن رؤساء قوافل التجارة.

---

(١) Grohmann, S., 128, REP 2771.
الحرف الثاني ليس بسين ولا بحرف زاي ، بل هو حرف مستقل بين الحرفين ، نرمز اليه بسين .

(٢) REP 2699.

(٣) REP 2952, Grohmann, S., 128.

(٤) REP 2952, Grohmann, S., 128 .

(٥) Caskel, Lihyanisch, S., 109, No. : 71, 77, 87, , 91, JS41.

وقد نظر الى هذا المجلس نظرة تقدير واحترام ، فنعت بـ « مسود منعن » ، أي « المسود المنيع » ، أو « المسود المعظم »[1] ، وتقابل هذه الجملة جملة : « علي شان » ، أي « العليّ الشأن » ، و « العالي الشأن » التي كان اللحيانيون يطلقونها على مجلسهم تقديراً له وتعظيماً لشأنه ، ويظن أن لفظة « أسود » ، أي سادة ، كانت تطلق على أعضاء المسود تمييزاً لهم عن غيرهم من الناس ، ودلالة على التقدير والاحترام[2] . ويظن أن للفظة « منوت » صلةً بهذا المراد كذلك[3] .

وفقد « المسود » مكانته بعد الميلاد ، بتغير الأوضاع السياسية في اليمن ، على أثر تزايد نفوذ الأقيال وتقليصهم سلطات الملوك واستيلائهم على الأرض ، فاستهانوا بأمر « المسود » وقدم أقيال « سمعى » مثلا أنفسهم على « المسود » ، فذكروه بعد أسمائهم[4] ، وقدّم غيرهم أسماءهم عليه . ولما ازداد تدخل الحبشة في اليمن ، وتوسع تحالفهم مع بعض الأقيال وتحريضهم بعضهم على بعض ، وأخذ قادة الجيش يتدخلون في السياسة ، وصار الأعراب يستغلون هذه الفرص ، فزحفوا الى اليمن ، وأخذوا يتدخلون في شؤونها حتى صاروا قوة ، فاضطرّ الملوك أن يشيروا إليهم في لقبهم الرسمي : « ملك سبأ وذو ريذان وحضرموت ويمنت وأعربهمو طــودم وتهمتم » ، أي : « ملك سبأ وذوريدان وحضرموت واليمن وأعرابهم في الهضاب وفي التهائم »[5] ، فتقلص بذلك نفوذ المسود كثيراً ، وقلّ ذكره في المساند ، ثم زال اسمه من الكتابات منذ المئة الثالثة للميلاد فما بعد ، فلم نعثر على اسمه في كتابات ما بعد هذا العهد .

وفي حديثٍ للهَمْداني أنه كان « بأسفل المعافر قصر ذي شمر ، ويدخلون في قيالة حمير ، وكانت أقوالها تكون في كل عصر ثمانين قيلاً من وجوه حمير وكهلان ، فإذا حدَثَ بالملك حدثٌ ، كانوا الذين يقيمون القائم من بعده ويعقدون له العهد . وكان قيام الملك من قدماء حمير عن اجماع رأي كَهْلانَ ، وفي الحديث عن رأي أقوال حِمْيَر فقط . وكانوا إذا لم يرتضوا بخلف الملك ، تراضوا لخيرهم ، وأدخلوا مكانه رجلاً ممن يلحق بدرجة الأقوال ، فيتم الثمانين قيلاً ، ولم يكن هذا في حمير إلاّ مرّات

---

(١) Glaser 1150, Halevy 192, 199.

(٢) Caskel, Lihyanisch, S., 109, Nr. : 71, 77, 87, 91, JS 41.

(٣) REP 3562, Grohmann, Arabien, S., 128

(٤) Glaser 1210.

(٥) المفصل (٥/٢٣٠) ،

Hartmann, Die Arab. Frage., S., 432.

يسيرة ؛ لأن الملك لم يكن يعدو آل الرائش ، إلا أن يُتَوَفّى الملكُ وأولاده صغارٌ ، أو يَكِلَّ ، فَيُفعَلُ ذلك حتى يتدبّر في سواه من آل الرائش » [١] .

فهذا مجلس من مجالس الأقيال ، على حد قول الهَمْداني ينظر في أمور الملك ، وهناك مجالس أخرى ، مثل مجلس المثامنة « ثمنيتن » المؤلف من ثمانية أشخاص كان يدير مدينة « هرمم » ، « هرم » ، مع « ابعل هجرن » أي سادة المدينة ، وقد أصدر قانوناً « تنخيت تنخيو » لمعاقبة المخالفين والمستخفين بالقوانين في هذه المدينة ، الذين لم يراعوا حرمة مدينتهم ، ولا أمر إلههم « حلفن » « حلفان » ، الذي سينزل بهم العقاب ويفرض عليهم الجزاء الذي يستحقونه [٢] . فنحن بإزاء مجالس بلدية تتولى إدارة المدينة ، في ذلك الزمن .

وأشير الى الملوك الثمانية ، أي المثامنة في القصيدة الحميرية ، ويظهر من جملة : « املك حمير » ، أي ملوك حمير [٣] ، أن حمير كانوا قد انقسموا على أنفسهم الى ملوك ، وهذا مما يؤيد رواية أهل الأخبار في تعدد ملوكهم .

وجاء في الكتابات القتبانية اسم مجلس هو « طبنن » ، يظن أنه مجلس كبار الملاكين ، وذهب بعض العلماء الى أنه في منزلة « المسود » عندهم ، ويقابله مجلس « مسخنن » عند السبئيين ، الذي ذكر في كتابات عهد « سبأ وذي ريدان » ، وأما مجلس « عهرو » المذكور في كتابات السبئيين منذ المئة الثانية قبل الميلاد فما بعدها ، فهو مجلس من طبقة « ذ اعذر » ، وهم طبقة من الأشراف ليسوا من السبئيين بالضرورة ، وانما هم حلفاء لهم ، ويعيشون [٤] بينهم وورد في كتابة أنه كان للفيشانيين الذين منهم جاء مكربو سبأ ، « عهرو » يجتمعون به لتداول الرأي [٥] .

واصطفى الملوك لهم حاشية من ذوي الرأي والعقل والتجربة ، جعلوها هيأة استشارية تقدم اليهم المشورة والرأي ، عرفت بـ « فقضت » ، و بـ « بتل » [٦] .

كما استشاروا كبار رجال الدين من درجة « رشو » و « شوع » ، وكان لرأي هؤلاء شأن كبير بالنسبة الى الملوك، لما كان لهم من نفوذ وكلمة في المجتمع.

---

(١) الإكليل (٢/١١٤) .
(٢) Rhodokanakis, I, Stud. Lexi., S., 57.
(٣) REP 33904, 7, MM, S., 38.
(٤) المفصل (٥/٢٢٨ وما بعدها) .
(٥) المفصل (٢/٣٩٠) Glaser 926.
(٦) Glaser 1606, Grohmann, Arabien, S., 128.

و « الطبن » هم أصحاب الأرض والملاك ، بدليل أن أهل اليمن ما برحوا يطلقون لفظة « الطبن » و « الطبين » على مالك الأرض ، مما يؤيد أن « الطبن » في المسند هم مُلاك الأرض .

والقبيلة التي ينتمي اليها الملوك، هي نواة الدولة، ف « معن » أي قبيلة معين، هي نواة دولة معين، وسبأ نواة دولة سبأ ، وتعني لفظة « شعب » ، والجمع « أشعب »، أي شعوب القبيلة المكونة للدولة وكلّ طبقاتها ومن انضمّ اليها ، ومن ارتبط بها بروابط سياسية واقتصادية وإن كانوا من قبائل أخرى ، أو غرباء عنها ، فالشعب لا يتكون عندهم من رابطة الدم والنسب حَسْبُ ، وإنما النسب عندهم هذه الروابط المذكورة التي تجتمع في الارتباط بالإله الرئيس ، مثل وُدّ أو المقه أو عثتر أو سن . وأقرب تعبير يمكن أن يعبر عن « شعب » ، هو تعبير « مِلّة » في الإسلام ، وعلى هذا فإن تعبير « شعب سبا » ، « سبا واشعبهمو »[١] ، أي: « سبأ وقبائلها » ، لا يعني رابطة دموية ، وقبيلة ينتمي أبناؤها الى نسب آباء وأجداد ، على نحو ما نفهم اليوم من معنى قبيلة ، وإنما المراد بذلك رابطة المصالح والانتماء الى الدولة ، أي رابطة مواطنة تجمع شمل جميع المواطنين بالدولة جمعاً روحياً ومادياً ، أي أن سبأ مثلاً تجمع السبئيين وغيرهم من الغرباء من أتباع حكومة سبأ ، الخاضعين لحكم هذه الحكومة ، والذين يدينون بالولاء لها ولأنظمتها ولقوانينها الروحية والمادية، ويرتبطون معها بروابط اقتصادية وبالمصالح المشتركة.[٢]

وتجد في العربية الجنوبية قرى وطبقات نسبت كلها الى « شعب » ، لا نسباً يقوم على النسب الى الآباء والاجداد بل الى الموضع ، أو الى « بت » ، أي بيت ، يتألف من أحرار وعبيد وأُجَراء ، جمعت بين أهل البيت مصالح مشتركة من دينية واقتصادية وسياسية وضرائبية وغيرها[٣] .

ويختلف هذا المفهوم للنسب اختلافاً تاماً عن مفهوم النسب عند العرب الشماليين حيث يقوم النسب في عرفهم على الانتساب الى شجرة الآباء فالأجداد فأجداد الأجداد وهكذا ، وذلك لاختلاف طبيعة الحياة بين العربين ، فالعرب الجنوبيون قُطّان أرض

---

(١) Grohmann, S., 122, REP, V, 2726.

(٢) Rhodokanakis, der Grundsatz der offentlichkeit in Sûdaralischen Urkunden, S., 42, ; 1945) , Bodevwirtochaft, S., 181. Handbuch, S., 119.

(٣) Handbuch,S,119,Kingship in ancient south Arabian, in Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol. 15, ; 1972)

ومزارع وقرى ، وأصحاب رعي مقيمون ، ومن هنا اختلفت طبيعة حياتهم عن حياة العرب الشماليين الذين تغلب عليهم حياة التنقل والانتجاع ، وقد أدرك ابن خلدون هذا الفرق ، حين تحدث عن النسب ، فذكر أن مضر إنما حافظوا على أنسابهم « لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب » ، فبقيت « أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شَوْب . وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لَخْم وجُذام وغسّان وطَيّئ وقُضاعة وإياد فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم ، ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما نعرف »[1] .

وقد وقع النسابون في الاسلام في أخطاء فظيعة ، في تدوينهم أنساب القحطانيين ، لعدم قدرتهم على قراءة المسند والمزبر ، فتصوروا مثلا لفظة « بن » التي هي حرف جرّ ، بمعنى « من » أنها في معنى « ابن » ، وبذلك صيّروا أسماء مواضع أو آلهة مثل « تالب » إله هَمْدان اسم رجل ، له آباء وأولاد ، ولهذا تجب إعادة النظر في الأنساب في هذا اليوم ، على وَفْق القراءات الحديثة لكتابات ما قبل الإسلام .

ثم إن كلمة « بن » ، أي « ابن » ، لا تعني في العربيات الجنوبيـــة بالضرورة معنى « ابن » من أب وأم ، وإنما تعني في كثير من الأحيان قولنا مثلا «هو ابن بغداد» ، أو « ابن البصرة » أو « ابن القرية » ، أو « ابن البادية » ، فهي تشير الى نوع من أنواع الحياة الاجتماعية ، لا الى نسب كما تصور ذلك « الهَمْداني » وأمثاله في الإسلام .

هذا ولم يصل الينا نص في العربيات الجنوبية فيه شجرات نسب على نمط ما نقرؤه في تشجير أهل الأخبار لأنساب العرب قبل الإسلام .

وقد تنقسم القبيلة أقساماً ، أرباعاً أو أثلاثاً أو أنصافاً ، ورد « ثلثن سمعى » ، أي « ثلث سمعى » ، ومعنى هذا أن ثلث هذه القبيلة قد كون وحدة له ، واستقل بعمل ما ، وهذا ما لا نجده في العربية الشمالية ، يحـــدث ذلك بسبب الأحوال السياسية والاقتصادية للقبيلة ، علماً بأن القبيلة في العربية الجنوبية ليست قبيلة نسب ، بل قبيلة تحالف وعقد ومحالفات لوجود مصالح مشتركة بين المتحالفين .

ويعبر عن المواطنة بلفظة « جوم » ، « كوم » أي قوم في مصطلحنا ، والرابط

---

(١) مقدمة ابن خلدون (الفصل الثاني ، الفصل التاسع) ، (ص ١٢٩ وما بعدها) ، (طبعة بالأوفست لمكتبة المثنى) .

الذي يربط شمل القوم هو الإله ، الذي يعبر عنه بجملة : « جوم عثتر » ، و « جوم ود » و « جوم المقه » ، أي قوم عثتر وقوم ود ، وقوم المقه ، والإله هو بمنزلة الأب الشفيق الرحيم بالنسبة إلى قومه الجامع لشملهم . وقد عبر عن هذه الأبوة الروحية بجملة «ودم ابم» ، و « ولد المقه » ، و « اولد عم » ، أي « ود أب » ، وود هو الإله ود ـ إلـه مـَعين الكبير ، و « أولاد المقه » ، « ولد المقه » وهم أهل سبأ ، و « أولاد عم » ، و « ولد عم » ، وهو تعبير يرد في نصوص قتبانية ، للدلالة على ارتباط الشعب بإلهه برابطة قوية عبر عنها بـ « حبلم » ، أي « حبل » [١] ، يذكرنا بالآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله »[٢] وبالآية : « أينما ثقفوا إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس ».[٣]

وقد تؤدي لفظة « كوم» عندنا معنى الأعداء والجماعة المعادية ، كما تؤدي معنى «قوم».

وتؤدي لفظة « خمس » معنى مواطنة في بعض الآراء ، وورد في نص معيني : « وكل الالت معنم ويثل وكل الالت ذ اخمسم واشعبم » ، ومعناها : « وكل آلهة معين ويثل وكل آلهة المواطنين والقبائل » ، ويظهر أن المراد من لفظة « خمسم » « خُمس » الحضر ومن « اشعبم » الأعراب ، أي القبائل ، كما يظهر ذلك من عبارة : « خمسيهو وحميرم » ، أي « مواطنوها وحمير » ، والضمير يعود الى سبأ ، كما أريد باللفظة نفسها جماعة من الفلاحين ، ينهضون للقتال حين تعلن الحرب . ويظهر أن المراد بلفظة « هوصت » الواردة في النص « هوصت كل جوم » [٤] المِلـّة ، كما نقول : مِلـّة الإسلام ، والملل والنِّحَل .

وتؤدي لفظة « حور » معنى « سكان » مدينة ، فجملة : « حور هجرن » تعنى « سكان مدينة » ،[٥] وأرى أنها بمعنى « حضرى » و « حضر » كذلك ، لورودها بهذا المعنى في بعض النصوص في مقابل « أعرابي » ، و « أعراب » « اعرب » ، سكـّان البادية ، وقد فسرت بمعنى « مهاجرون » ، فـ « حوز تمنع » بمعنى « المهاجرون بمدينة تمنع » ،[٦] وقريب من هذا المعنى قول علماء اللغة : « الحور : التردد » ، و « التحير ».[٧]

---

(١) Glaser 484, Skyyl, I, S., 68.

(٢) آل عمران ، الآية ١٠٣ .

(٣) آل عمران ، الآية ١١٢ .

(٤) Glaser 484

(٥) A.F.L. , Beeston, qahtan, II, P., 3.

(٦) المصدر نفسه (ص ٤) .

(٧) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني (ص ١٣٤) ، اللسان (٢١٧/٤) ، (حور)

والإله في مقابل تعبد الناس له ، وتقديم النذور اليه ، يحمي ملته ، ويدافع عنها ، فهو « شيمم » « شيم » لهم ، أي مدافع وذاب عن أهله ، « أهل ود » ، أو « أهل المقه » ، أو « أهل عثتر » أو « أهل عم » ، فالشعوب هي شعوب الآلهة ، كما نقول : «أهل الله» وأهل الإسلام ، إذا قاتل أهله قاتل معهم ، ودافع عنهم ، ما داموا طائعين له ، أما إذا عصوا أمره ، وتهاونوا في تقديم النذور والذبائح اليه ، فهو منصرف عنهم ، يتركهم وحدهم نهباً لأعدائهم ، ومن هنا فسّروا الهزائم بأنها عقوبة من الإله فرضها عليهم لإعراضهم عنه ، وهو تفسير ديني للتأريخ ، يرجع الهزائم والنكبات والحروب إلى انصراف الناس عن آلهتهم ، وعن تنفيذ أوامرها ، مما يدفع الإله عن الانصراف عن المنصرفين عنه ، وهو تفسير قديم جداً للتاريخ ما زال مألوفاً عند الآخذين بالتفسير الروحاني ، أي التفسير الديني للتأريخ ، وبه فسّر مؤرخو الكنيسة هزيمة الروم من بلاد الشأم ومصر وتغلب المسلمين عليهم ، بأنه انتقام من الله ، لأنهم تركوا كنيسته ، وابتعدوا عنها الى الدنيا ، فعاقبهم بأن سلط المسلمين عليهم ، وبمثل هذا التفسير فسّروا تسلط نابليون على فرنسة ، أما الإسلام ، فإنه يربط المسببات بأسبابها في جميع الاحوال .

والمجتمع العربي الجنوبي مجتمع متدين ، للمعبد الممثل للآلهة عليه نفوذ ، وحتى حكومته المدنية هي حكومة متدينة لا يعمل الملك فيها عملاً مهماً ما لم يكرسه للآلهة ، ويتبرك بذكرها في كتاباته . وينذر لها النذور كما يفعل ذلك سائر الناس ، كأن يرجو منها أن تهب له مولوداً ذكراً صالحاً صحيحاً في مقابل نذر يقدمه اليها .

وكان الملوك يخصصون للآلهة نصيباً مما يقع في أيديهم من فيء وأسرى ، ويكون هذا النصيب للمعابد التي يتعبد لها الملوك ، ويشرف عليها رجال الدين ، وبذلك كان للمعبد ارتباط متين بالسلطة التي تمجد آلهتها وتنسب اليها النصر .

وتشفي الآلهة من الأمراض ، وتشقي الأشقياء بانزال الأمراض بهم ، والأمراض عقوبة من الآلهة توقعها بالمخالفين ، وابتلاء ينزل بالمؤمنين لاختبار صبرهم وتحملهم في قبول المشقات ، وتقع كل هذه العقوبات في الدنيا ، ولذلك كانوا يتخوفون من وقوعها . أما بالنسبة الى معاقبة المجرمين بعد الموت ، فلا أعلم بورود نص فيه شيء عن ذلك ، وقد يعثر على نصوص فيها حديث عن ما بعد الموت .

وكانوا يذبحون الذبائح تقرباً الى آلهتهم في شهر « ذ ابهي » [1] ، ويظهر أنه

(١) نص رقم 1. 226

كان لهذا الشهر صلة بالناحية الدينية ، فهو مثل شهر « رجب » الذي كانت تهل فيه الذبائح قبل الإسلام .

ولهم في معابدهم شعائر ، فلا يجوز للحائض دخول المعبد ، إن لم تكن قد اغتسلت من الحيض وطهرت نفسها بالغسل ، كما لا يجوز للرجل دخول المعبد وهو جُنُب ، فلا بُدّ له من الاغتسال من الجنابة ، ومن خالف أمر الآلهة ودخل المعبد نجساً ، فلا بد أن يدفع كفّارة هذا الإثم . وقد عثر في خرائب معبد مدينة قديمة ساحلية في سلطنة عمان ، ظهر فيما ظهر فيها على محل « لمزاولة آداب الوضوء والاغتسال [١] » ومذبحين للقرابين ، ولوجود موضع الوضوء والاغتسال أهمية كبيرة بالنسبة الى دراسة الشعائر الدينية عند العرب قبل الإسلام .

وقد استمر ورود أسماء الآلهة العربية الجنوبية التي هي عبادة نجوم في النصوص الى ما بعد الميلاد ، ثم أخذ ورودها يقل تدريجيـــاً ، كلّما ابتعدنا عن الميلاد واقتربنا من الاسلام ، وذلك بسبب المؤثرات الجديدة التي دخلت اليمن ، وهي دخول اليهودية اليها ثم دخول النصرانية بعدها ، ودخول بعض ملوك حمير في اليهودية ، وقيام الأحباش الذين توغلوا في اليمن بنشر النصرانية فيها ، مستخدمين كل وسائل الإعلام في ذلك الوقت لجذب أهل العربية الجنوبية اليها ، وفي جملة ذلك جلب المبشرين العارفين بالنفسية العربية ، وبناء الكنائس الفخمة المزوقة ، للتأثير في نفوس من يدخل إليها ، وقد قام ببنائها بناؤون من الروم ، واستعملوا في زخرفتها « الموزائيك » والرخام الملون ، إلاّ أنها صارت هدفاً لغضب الوطنيين عليها ، الذين أبوا الابتعاد عن ثقافتهم القديمة ، وعن استقلالهم ، والدخول في استعمار الحبَش .

وقد وردت نصوص ، فيها : « رحمنن مراسمين وأرضن » ، أي : « الرحمن ربّ السماء والأرض [٢] » . ولكنها لا يمكن أن تفسر بأنها إقرار بالتوحيد ، أو تعني تهوّدَ أو تنصر أصحابها ، وإنما تشير إلى نوع من التوحيد الغامض الذي لا نعرف كُنْهَه بعد ، وقد تأتي الأيّام بنصوص تكوّن لنا رأياً علمياً في ديانة أهل العربية الجنوبية بعد الميلاد . ولعلّ هذا من قبيل ما يسمى بـ « الحنيفية » في الإسلام .

---

(١) بافقيه ، تأريخ اليمن القديم (٥٥ وما بعدها) .

(٢) Ja 541, REP 4069, 4107, CIH540, 81 — 82, CIH 5 43,1, Ry, 508 10 — 11, 509, 10, Ja 544, 547,

والذي أراه أن اضطراباً كان قد عمّ العربية الجنوبية من حيث الناحية الدينية بعد الميلاد ، ولا سيما في المئة الخامسة والمئة السادسة للميلاد ، فالمتهودة كانوا يسعون لنشر اليهودية ولتثبيت مركزها في اليمن ، والنصرانية يدفعها البيزنطيون والحبش إلى الأمام ، ويؤيدونها تأييداً قوياً ، على حين يقاومها الوطنيون ، لأنها ديانة فاتحين معادين للشعب وكذلك كان شأنهم مع اليهودية .

وفي وسط هذه الحيرة ، نقرأ اسم « الشمس » في كتابة من أواسط المئة السادسة للميلاد ، وفيها اشارة الى مذبح كرس للشمس [١] ، على حين اختفى من النصوص ذكر الآلهة الشهيرة ، التي كان يقدم اليها الملوك والأقيال والكبراء والقادة الذبائح ويَقِفُونَ عليها الاوقاف لتساعدهم ولتحسن إليهم ، فلا نجد فيها اسم « المقه » ، ولا اسم عثتر ، ولا سين ولا ود ، ولا تالب ريام ، ولا الآلهة الأخرى التي يظهر أن الحظ قد خانها ، فنبذها عُبّادها بعد الميلاد ، ولم يبق مَنْ يذكرها وبذلك أصيبت القومية العربية الجنوبية وثقافتها بنكسة كبيرة ، وأخذت تموع وتختفي حتى ماتت هي ولغتها ونصوصها من نثر وشعر .

وللحكومة موظفون ، لا أستطيع ذكر ترتيبهم ودرجاتهم ، لعدم وجود كتابات تتحدث عن ذلك ، إنما استطيع أن أذكر بعضهم ، مثل الكبراء ، فقد ورد « كبر ددن » ، أي كبير ديدان في نص معيني ، وورد « كبر تمنع » ، و« كبر ميفعت »[٢] ، وورد « كبر حضرموت » في نص أبرهة ، في جملة من وَفَدوا على أبرهة بعد إتمامه سدّ مأرب [٣] ، وقد أُشيرَ إلى كبير من كبار رجال الدين ، كما أشير الى كبير تولّى إدارة مزارع الملك ، والى كبير كان عمله الإشراف على أعمال الصرف والإنفاق على الجيش ، وورد ذكر كبير كان يتولى رئاسة قبيلة ، فيتبين من ذلك أن الكبارة « كبرت » لم تكن وظيفة معينة ذات حدود مرسومة ، وانما كانت مجرد رئاسة عمل . وقد تبين من بعض الكتابات أنها كانت وراثية ، كما في حالة « كبر خلل » كبراء خليل ، وفي نحو بداية الميلاد ازداد نفوذ الكبراء حتى صاروا طبقة متنفذة ذات ممتلكات واسعة ، قلّصت شيئاً فشيئاً من نفوذ المجالس والملوك .

---

(١) Ry 527

لوندين (ص ١٠٠) .

(٢) REP 4054, REP3951, Arabien, 130.

(٣) واجع السطرين ٨٦ ، ٨٧ من نص أبرهة Glaser 618 MM136

وظهرت بعد الميلاد « كبارة » على الأعراب ، فنقرأ في النصوص : « كبر اعرب ».

ومن مراتب الحكم مرتبة « القين » ، « قينن » ، والجمع « اقين » وأقيان . ولم يكن عمل القين محدداً ، فقد تولى بعضهم رئاسة دينية ، وتولى بعض إدارة أعمال ادارية ، وتولى آخرون قيادة الجيش ، وكان على سحر « رشو » وقين ، اسمه « تبع كرب »[1].

وأما « القول » ، فهو « القيْل » في لهجتنا ، وقد كان له نفوذ كبير ، ولا سيما بعد الميلاد ، حتى لقب بعضهم نفسه بـ « ملك » عند ظهور الإسلام .

وأما الأذْواء ، فإنهم أصحاب أملاك ، وقد عرفوا بأملاكهم ، ومنهم « ذ ثت » « ذو ثات » ، الذي ذكره حسّان بن ثابت في شعره بقوله :

« وفي هكر قد كان عزٌّ ومنعةٌ وذو ثات قيل لا يكلّم قائله

أي أحداً من خدمه وخاصته ، وكان من الملوك الكُفاة »[2] .

وترد لفظة « عقب » ، بمعنى « عاقب »[3] ، و « العاقب » في عربيتنا ، « دون السيد ، وقيل : الذي يخلفه ، وفي الحديث : قدم على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، نصارى نجران : السيد والعاقب ، فالعاقب من يخلف السيد بعده ، . . . وقيل : السيد والعاقب هما من رؤسائهم ، وأصحاب مراتبهم ، والعاقب يتلو السيد »[4] .

ولدينا مصطلحات لا نعرف من أمرها شيئاً كثيراً في الوقت الحاضر ، مثل : « قبت » « قبات » ، يظن أنه بمعنى « نائب الملك » ، و « حفى هنفس » ، « حفنى نفس » ، قد يراد به المشرف على الأعمال العامة مثل الري والبناء ، أو النظر في القضاء ، فهو بمنزلة الحاكم ، وله مساعدون « ربقه » ، « ربقهى » معن ،[5] يساعدونه في التدوين وفي تنفيذ الأحكام .

وأما السمخض، فهو مدير ، مثل « سمخضت ارض » أي مدير أرض . وأما الـ « ملوطن ملكن » ، فمعناها الإشراف على إدارة الأملاك ، وقد وردت في نصوص سبئية متأخرة .

ووردت في النصوص الحضرمية جملة : « اذن قنى ملك حضرمت » ، والظاهر

---

(١) المفصل (٢٧٧/٥)

(٢) الاكليل (٣٣٨/٢) .

(٣) Mordtmann und Mittwoch, Sabaische Inschriften, Hamburg, 1931, S., 136. f.

(٤) اللسان (٦١٤/١) ، (عقب) .

(٥) REP 3310

أنها تعني إدارة أملاك ملك حضرموت ، بدليل أن معناها ؛ « آذن أملاك ملك حضرموت » ، أو « المشرف على أملاك ملك حضرموت » .

وترد لفظة « محرج » بمعنى : « سيد » و « متسلط » و« أمير » ، وفي تعبير عن مركز إداري لا نستطيع في الوقت الحاضر تحديده [١] ، ويذكر علماء اللغة أن « الحَرِج » الرجل الذي لا ينهزم [٢] ، فهل يكون لهذا المعنى صلة بـ « محرج » ؟

وفي الكتابات مصطلح « حشرو » أي الحَشْر ، واجبهم جمع الحشر للدولة ، وهم الذين يجمعون الناس للحروب والقتال ، ولإصلاح السدود ومكافحة الفيضان ، وما شابه ذلك ، والذين يُحْشرون هم من الطبقة الدنيا من الناس ، ممن لا يملكون شيئاً ، يأخذهم الحاشر بالقوة ،ولسوء الأحوال في هذا الحشر كانوا يلجؤون الى الهرب .

وهناك حشر آخر ، هو حشر الضرائب ، أي جمع ما يكون للحكومة من نصيب مفروض في الحاصل . وهو حشر مكروه أيضاً ، لما في ذلك من جهد دون ثمن ولا مقابل.

ويقال لجامع الضرائب « نحل » كذلك ، وأما وظيفته فهي « نحلت » .

وتؤخذ الضرائب ، التي هي بعض واردات الحكومة والملك من العشور ومن الصفقات التجارية التي كان يتاجر بها الملوك ومن غَـلّة مزارعهم والأرضين الخاضعة لهم ، ومن أموال إيجار أرض الدولة للمؤجرين ، ونحن لا نملك ويا للأسف قوائم بحدود الضرائب التي كانت تفرض على التجار ، أو على أصحاب الأرض ، لعدم ورود شيً من ذلك في الكتابات .

وما يؤخذ من الضرائب نقداً يعبر عنه بـ « ورقم » . وأما ما يؤخذ عينا ، فيقال له : « دعتم » . وأما المحصول المستولى عليه فيقال له : « رزم » .

ولم يكن من حق الفلاح حصاد زرعه دون إشراف من المسؤولين عليه ، وكانت الضرائب تقدر والمحصول لم يجمع بعد . وللحكومة مخازن تخزن فيها ما تأخذه من حاصل عيني ، تدخر منه للحاجة ، وتعرض الفائض في الاسواق المحلية والعالمية للبيع ، فالحكومة حكومة حكم وتاجرة سوق ، تبحث عن الربح مثل أي تاجر من التجار.

ومن الضرائب المعروفة عندهم : « ضريبة السوق » ، وتسمى : « شتقف » ، تؤخذ من معاملات البيع والشراء التي تتم في الأسواق [٣] ، يجمعها « صاحب السوق » .

(١) لوندين (٨٣) ، CIH621,6,

(٢) اللسان (٢٣٤/٢) ، (حرج) .

(٣) qahtan, I, P., 5.

وقد عثر على عدد من النقود ، من جملتها نقد ضربت عليه اسم ضاربه ، وهو الملك « اب يثع » من ملوك معين . وقد ضرب على نمط « دراخما » ، عليها صورة ملك جالس على عرشه ، وقد وضع رجليه على عتبة ، وهو حليق الذقن متدل شعره ضفائر ، وقد أمسك بيده اليمنى وردة أو طيراً ، وأمسك بيده اليسرى عصا طويلة ، ويعود تأريخ هذه القطعة الى المئة الثالثة أو المئة الثانية قبل الميلاد (١) .

والحرب هي « ضر » ، وضرر في اللهجات اليمانية . وأما لفظة « غزو » ، فتعني الخروج لمحاربة العدو ، و « غزت » هي غزاة وغزوات في لهجتنا ، والإغارة هي « هغرو » و « هغر » في العربية الجنوبية ، وتعني لفظة « حربت » معركة ومحاربة في لهجتنا ، ولكثرة ممارسة العرب الجنوبيين للقتال ، كثرت في لهجتهم مصطلحات الحرب .

والجيش العربي الجنوبي هو أحسن حالاً ، وأكبر عدداً وأحسن تنظيماً من جيوش الأعراب . ولكنه لم يكن على مستوى الجيوش النظامية مثل جيشي الروم والفرس ، فلم يتمكن من الوقوف أمام جيش « أوليوس غالوس » الذي زحف على العربية الجنوبية سنة « ٢٥ » قبل الميلاد ، وقد ذكر « سترابو » واصف الحملة وأحد رجالها وصديق القائد ما لاقاه الروم من مصاعب السفن ، ومن العطش والحر خاصة ، وذكر مع كل ذلك أن جيش سبأ كان شتاتاً ، ولم يكن يحسن الحرب النظامية المنظمة ، كما أشار الى ضعف أسلحته ، وعدم وجود سلاح جيد متطور عنده كسلاح الروم ، وعدم وجود خبرة وتدريب له على القتال .

وسبب ذلك في نظري أن العربية الجنوبية كانت مشتتة ، والحكام وسادات المدن والقبائل كانوا ينزعون الى الاستقلال ، وعدم الخضوع لسلطة واحدة حاكمة ، ومصالحهم الذاتية تشجعهم على ذلك ، ولم يكن للملوك جيوش كبيرة منظمة مدربة ذات أسلحة متطورة ، وهم كما يظهر من الكتابات في قتال مع الأقيال وسادات الناس الذين كانوا يتطاولون على الحكومة ، وكانوا إذا حاربوا حاربوا بعساكر لا تريد القتال ، وانما هي مدفوعة إليه دفعاً ، إذ لا مصلحة لها به ، فهم بين « ساولت » أي مقاتلين أجبرهم سادتهم الساولة على التوجه للجبهة وبين « اجرم » أي أجراء ، وبين « أدم » و « أدم

(١) George Francis Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia Mesopatamia and Persia, London, 1922, P., LXXXII.

ارضن » أي خدم ، حُشروا للحرب . وأية فائدة يرجوها الأدم من الحرب ، ولهذا كانوا لا يستبسلون في القتال ، ولا يقاتلون إلا مُكْرَهين .

والجيش هو « خمس » في العربيات الجنوبية ، والجمع « اخمس » واللفظة معروفة في عربيتنا [١] ، ويذكر علماء العربيــة أن الخميس : الجيش العظيم ، « والجيش الجزار ، وقيل : الخشن ، وفي المحكم سُمّي بذلك ، لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة ، والساقة ، وهذا القول الذي عليه أكثر الأئمة . وقيل : سُمّي بذلك لأنه يخمس فيه الغنائم ، ثم نقله ابن سيده ونظر فيه شيخنا قائلاً : بان التخميس للغنائم أمر شرعي، والخميس موضوع قديم[٢]» ، واللفظة عربية قديمة ، ومن هنا وقع علماء العربية في هذا الإختلاف .

وللملك جيشه ، كما أن للأقيال عسكرهم [٣] . واذا أعلن الملك حرباً ، فعلى أتباعه تقديم أنفسهم وعساكرهم إليه ، وعلى الـ « ساولت » « الساولة » تقديم ما اتفق عليه من المقاتلين والحبوب الى الملك ، وهم طبقة من أصحاب الجاه استأجرت ملكاً من أملاك الملك مقابلَ اتفاق بتجهيز الملك بعدد يتفق عليه من المقاتلين وبمقدار من الغلة .

ويشرف على القتال قائد يعرف بـ « مقتوي » ، « مقتوى ملكن » ، ووردت لفظة « مقتوت» ، أي مقتوية ، بمعنى ضابطة ، وقد فسرها بعض الباحثين بـ « كاهنة » . والظاهر أن المُقْتَوين كانوا طبقة ممتازة من القادة يعينهم الملك من بين خيرة رجاله ومن الأقيال وسادة القبائل الذين عرفوا بسداد الرأي في الحرب .

ويتبين من النص : « Ry 513 - 515 » ، أن « المقتوى » والجمع « مقتت » ، بمعنى محارب ، وفئة من الأعيان يحاربون مع الملوك ، فهم قادة الملك ، ويعبر عنهم بـ « مقتو ملكن » ، ولم يرد ؛ « مقتو شعبن » ، أي قائد الشعب [٤] .

وجاء في تأريخ الطبري أن أبا بكر كتب الى « عتاب بن أسيد » عامله على مكة : « أن اضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مُقْوٍ ، وابعث عليهم رجلاً تأمنه »[٥] ، ويظهر أن للفظة « مقو » هذه صلة بلفظة « مقتوى » ، وقد جاء في كتب اللغة : « ورجل

---

(١) البطليوسي ، شرح (٢٣١) .
(٢) تاج العروس (١٤٠/٤) ، (خمس) .
(٣) « أخمسهمو مايكم وقيلن » بمعنى « جيوشهم الملكية وجيوش الأقيال » . REP, 3904, 4.
(٤) لوندين (ص ٨٤) .
(٥) الطبري (٣٢٢/٣) ، (١٩٨٨/١ وما بعدها) .

مُقْوٍ : ذو دابة قوية ، وأقوى الرجلُ ، فهو مقوٍ إذا كانت دابته قوية . . . وفي الحديث أنه قال في غزوة تبوك : لا يخرجن معنا إلاّ رجل مُقْوٍ أي ذو دابة قوية »[1] ، فالمقتوي إذن محارب فارس ، و « مقتو ملكن » ، بمعنى : « فارس الملك » ، أي من فرسان الملك .

وورد في معلقة : « عمرو بن كلثوم » ، ما يفيد أن « المقتوين » الأتباع والخدم والمحاويج والأجراء ، والمقتوي : الخادم ، والمحتاج ، فهو يقول :

تَهدّدنا وأوعدنا رويداً   متى كنّا لأمك مقتوينا [2]

قال بعض علماء العربية : « قال شمر : ويروى بيت ابن كلثوم :

متى كنّا لأمك مقتوينا

أي متى اقتوتنا أمك فاشترتنا » ، والـ « مقتوى » في المسند من القوة ولا صلة لها بالتعامل والشراء ، وبالأتباع والخدم ، بل هي قيادة ورئاسة جيش ، « قال رؤبة :

وقوة الله بها اقتوينا » [3] .

ودون المقتوى درجة « قسدن » ، أي « القاسد » ، وقد وردت اللفظة في نص « أبرهة » ، وتعنى لفظة « اسود » معنى ضابط كذلك .

وذكر علماء العربية في تفسير « قسد » أن « القِسْوَد : الغليظ الرقبة القوي ، وأنشد :

ضخم الذّفاري قاسياً قسودا » [4] .

ويتناسب هذا المعنى مع معنى « قسد » في العربيات الجنوبية ، التي تعني درجة من درجات سادة الجيش ، أو الإدارة ، والظاهر من خلو كتب اللغة من ايراد غير ما ذكرت عن لفظة « قسد » ، أنهم لم يكونوا على علم بهذه اللفظة اليمانية .

وقيل إن « القسدن » طائفة كانت منزلتها بين الأشراف ورقيق الأرض ، أو أنهم ملاك ، وكانوا يكلّفون الخدمةَ العسكرية . ويدفعون خراج أرضهم ، عدا الخدمة العسكرية .

---

(١) لسان العرب (٢٠٧/١٥) ، (قوا) .

(٢) شرح القصائد السبع المشهورات ، شرح أبي جعفر احمد بن محمد النحاس (٨١١/٢) ، تحقيق : أحمد خطاب .

(٣) اللسان (٢٠٧/١٥ وما بعدها) ، (قوا) .

(٤) اللسان (٣٥٣/٣) ، (قسد) ، تاج العروس (٤٦٦/٢) ، « القسود » .

وأما لفظة « قدم » والجمع « اقدم » ، فتؤدي معنى قائد ، بمعنى قائد يقود قطعة جيش ، وذلك كما يفهم من النص « Ja 547 , 2 » ، والنص « Ry 506, 5 » ، كما تؤدي معنى : رؤساء ، وذلك كما في هذا النص : « عليهمو علهن ملك سبأ وخميس واعرب ملك سبا ذحيم وقتبن وأقول واقدم واشعب ملك حبشت » وتفسيرها : « من نصيبيهم لعلهان ملك سبأ ، ولقبائل ملك سبأ وأعرابه ذوجي ، وقتبان وأقيال ملك حبشة ورؤساؤه وقبائله »[1] ، فـ « أقدم » ، هم المقدمون على الناس ، والسادة في القوم .

وسند الحكومات في واردها ، الأرض والماء ، ولا سيما الأرض الخصبة ، وفي الأرضين الواسعة ذات الماء نشطت الملكيات التي توقف سلطانها ونفوذها على دخل أرضها ، وقد كان ملوك العربية الجنوبية من كبار أصحاب الأرض ، فمن الزراعة استمدوا غناهم بالدرجة الأولى كما كانوا يتاجرون في الأسواق المحلية وفي الاسواق العالمية ، وكانوا يؤجرون أرضهم مقابل أجر يقال له : « نحلت » في لهجتهم[2] ، والذي يؤجر هذه الأرض هو من كبار الناس بالطبع ، يقومون باستغلالها بأنفسهم ، أو بتأجيرها لمن هم دونهم ، ولهم فروق السعرين .

والنَّحْل في عربيتنا العطاء بلا عوض ، والنِّحلة : مهر المـرأة وفي التنزيل العزيز : « وآتوا النّساء صَدُقاتهنّ نِحْلَةً »[3] ، قيل : نحلة بمعنى فريضة ، وقيل : ديانة ، وقيل َديناً ، وقيل : هبة ، وأنحله ماء : أعطاه .[4] ولهذه المعاني صلة بالمعنى المذكور.

ويقال للأرض التي تسقى بماء المطر : « امطرن »[5] ، فهي تسقى بغير جهد ولا عناء ، ولهذا اختلف خراجها عن خراج الأرض التي تسقى بمياه الآبار ، أو من النهيرات والعيون .

والمطر هو المصدر الأول للري في اليمن ، وعليه حياتهم ، ولهذا عُنُوا كثيراً بأمور الاستفادة منه ومن الينابيع ، فأقاموا السدود ، ومنها سد مأرب الشهير ، الذي تهدم قسم منه فأصلح في عهد أبرهة ، وهو رمز اليمن ومن أشهر معالمها المذكورة حتى اليوم.

---

(١) دكتور خليل يحيى نامي ، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، القاهرة (١٩٤٣م)، (ص ٩٣ ، ٩٥) .

(٢) Osiander 35

(٣) النساء : الآية : ٤ .

(٤) تاج العروس (١٢٩/٨) ، (نحل) .

(٥) Saba., 212, 6.

وفي الكتابات مصطلحات كثيرة من مصطلحات الري ، وفي الكتابات المعينية مصطلح « اطبنو » و « اهل طبنتم » ، ويراد به جماعة مهمتها النظر في شؤون الـري بتوزيع الماء على وفق الحق والعدل (١) ، وقـد عهد ذالك إلى موظفين ، عهـد اليهم أمر مراقبة السدود ، والإشراف على الأبواب المتحكمة في تقسيم الماء .

ولأهمية الماء ولكونه أصل الحياة من الناحية الاقتصادية في العربية الجنوبية ، وضع الملوك والأقيال وأهل « طبنن » أناساً عهدت اليهم مهمة توزيع الماء في المزارعين بالعدل والقِسطاس المستقيم ، وفي « لحج » يكون شيخ الوادي هو المسؤول عن توزيع الماء في المزارعين حتى اليوم (٢) .

وعلى ضفاف الأودية ومواضع سقوط المطر ، قامت الحضارة في العربية الجنوبية ، إذ لا أنهار كبيرة فيها ، وإنما فيها عيون ونهيرات منابعها الأمطار النازلة على الجبال في موسمي المطر .

وما يفتح من أرض يسجل باسم الدولة الفاتحة ، وتكون رقبته بيد الملك ، فاذا فتحت جيوش سبأ أرضاً ما سجلت باسم سبأ ، وتكون في الواقع ملكاً للملك ، يستغلّه بنفسه ، أو يؤجر ما يشاء منها ببدل يقال له ؛ « ثوبت » ، أو يبيع منها ما يريد بيعه « شامت » .

ويضاف الى أرض الفتح ، اشتراء الملوك أرضين من أصحابها ، بمن عليها من ناس وحيوان وزرع ، وتعمل في استغلال الأرض طبقة من عبيد الأرض تكون ملتصقة بها ، تباع وتشترى معها ، وتنتقل هذه العبودية الى الأبناء .

وقد ملك الأقيال ألوفاً من الرقاب، هم وأبناؤهم ملك لرب الأرض . ولما جاء الاسلام ، حرر بعضهم آلافاً من العبيد كانوا رقيقاً لهم ، ليس لهم حق التصرف بأنفسهم ، لأن هذا الحق ، ومنه حق المحافظة على النفس ، هو من حق سيد العبد .

وقد وصلت الينا قوانين على جانب كبير من الأهمية في تنظيم التجارة أو الزراعة أو الري ، وفي العقوبات ، أصدرها الملوك أو السادة أو المجالس . وقد افتتح الملك « شهر هلل بن ذراكرب » ملك قتبان ، أحد قوانينه التي أصدرها في تنظيم الزراعة بعبارةِ : « حلكم سحر وحرج » ، ومعناها : « قانون أمر به وأصدره » ، ثم ذكر ما

(١) Halevy 174, 520, 521, Grohmann, S., 131.

(٢) Kingship in ancient South Arabia, in Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol., 15, (1972) P., 263.

أمر به ، ثم ختمه بعبارة : « ول يفتخ حجذن ذمحرن بخو خلفن ذسدو ورخس ذعم خرف ابعلى بن شحز قدمن وتعلماى يد شهر » ، ومعناها : « ولينقش هذا القانون كما هو على باب ذي سدو . صدر بشهر ذي عم في السنة الأولى من أبعلى من آل شحز ، ووقعته يد شهر » (١) .

ونجد في القانون جملاً تحدد أوقات تسديد الضرائب للحكومة تحديداً دقيقاً وتعين مقادير ما يدفع ، بمصطلحات قانونية دقيقة تدل على رقي التقنين وأصول التشريع عند العرب الجنوبيين (٢) .

وترد لفظة « حج » بمعنى قرار ، وأمر ، وقانون (٣) ، وبمعنى : على وَفْق أمر ، أو على وَفْق قرار ، كما في هذه الجملة : « وبحج سطر ذمر وقه » ، ومعناها : « وعلى وَفْق قرار ذمر وقه » (٤) .

وتذيل القوانين بألفاظ قانونية تشير الى اكتسابها الصفة الرسمية الآمرة بالتنفيد ، مثل لفظة « مثبت » التي تقوم مقام لفظة « صدر » في قوانيننا الحالية في العراق ، أو « نفذ » أو ثبت وذلك بعد موافقة المسود عليه ، وتقابل هذه اللفظة لفظة « براي » ، « برأي » المستعملة عند اللحيانيين ، حيث يكتب : « براى هجيل » ، أي برأي المجلس (٥) ، كما ترد لفظة « جزم » بمعنى الجزم والبت ، أي أن الملك قد بت فيه وجزمه .

وتكتب في آخر القانون أحياناً ومع اسم الملك لفظة « يدهو » أو « وتعلمى يدهو » ، أي « ووقعته يده » ، أو « تعلمه ذت يدن » ، أو « تعلمه يدن » ، تعبيراً عن معنى أن الملك قد أصدر هذا القانون وختمه بخاتمة وبيده ، فهو قانون شرعي .

وقد يذكر في القانون قصر الملوك ، إشارة الى أنه صدر من مقر عمله ، كأن يذكر اسم « بت سلحن » ، أي « قصر سلحين » ، أو « بت غندن » ، أي قصر غمدان ، أو « بت وعلن » ، أي « بيت وعلان » وهكذا . وفي ذكر القصر دلالة على أنه أمضي وتمت الموافقة عليه في دار الحكم .

---

(١) Glaser 1396, = 1610, SE 83, Rhodokanakis, Katab., II, S., 5. f.

(٢) A. F. L. Beeston, qahtan, studies in old South Arabian Epigraphy, Fascicule, I, the Mercantile code of qahtan , 1959,
M. Hôfner, Die Inschriften der Suedarabischen expedition,
II, in WZKM, 42, 1935, S., 47. f, Beeston, Sabean Inscriptions, P., 110
REP 4337, Helfritnz, Land ohne Schatten, Leipzig, 1937 ,

(٣) دراسات يمنية ، الجزء المذكور (ص ٧٩) .

(٤) دراسات يمنية ، الجزء المذكور (٧٩) REP 3948,2,

(٥) Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S., 85.

وللتشريع العربي الجنوبي طابع خاص وفلسفة طريفة، فالقانون فيه قانون مدني ، يحدد بالحدود التي ترسمها المجالس ، أو التي يأمر بها الملوك ، ولكنه قائم على ركيزة دينية ، ذلك أن القوانين وإن كانت بشرية من صنع الإنسان ، إلاّ أنها تمثل إرادة الآلهة ومشيئتها في التقنين وفي وجوب العمل بالقوانين ، لذلك يكرسونها باسم الآلهة في الغالب ، ويهدد المخالف بالعقوبات « سعذبم » أي العذاب ، لأنه ارتكب مخالفة أو جريمة « خطات » ، « خطيئة » ، فالمخالف يعاقب اذن بعقوبتين العقوبة المنصوص عليها في القوانين ، والعقوبة التي تفرضها الآلهة على البشر ، من إنزال المرض به ، أو الفاقة ، أو العقم ، أو الإفلاس ، وما شاكل ذلك من عقوبات ، فضلاً عن العقوبة التي يفرضها المعبد على المجرمين ، لمخالفتهم أوامر آلهتهم ، ومن هنا صار الرادع القانوني أقوى في قوانين العربية الجنوبية من الرادع القانوني عند غيرهم ، ومنهم العرب الشماليون .

وفي جملة قوانين العربية الجنوبية أن ابن الجارية الذي يعترف به أبوه ولداً لـــه ، يكون ولداً شرعياً ووريثاً له ، [1] وهم في ذلك على سُنة العرب الشماليين أيضاً في ابن الجارية . ويعبر عن الولد الذي يولد من أب حرّ ومن أم جارية بلفظة « مجن » [2] .

ومجتمع العربية الجنوبية مجتمع طبقي ، سواده طبقات ، وعاليه طبقات ، ووسطه طبقات كذلك ، وفي الكتابات ألفاظ كثيرة ، هي أسماء مجتمعات في داخل المجتمع ، يظهر منها أن الانسجام بينها كان ضعيفاً ، وأن الوحدة الاجتماعية لم تكن متينة بينها بسبب انتفاء التوازن في مصالح الطبقات ، وهذا مما سبب تفككَ المجتمع وتفتته ، وانقسامه طوائفَ « كبارات » وأذْواء ، نعتوا أنفسهم ملوكاً يسرت للحَبَش ثم للفرس احتلال اليمن .

فقد كان في اليمن فقراء معدمون مملوكون ، على حين كان فيها متخمون يملكون الآف العبيد ، وفي أخبار الإسلام أن بعض أصحاب الاقطاع حين أسلموا كانوا يملكون آلافاً من رقيق الأرض ، ساقوهم معهم ، فلمّا كلّمهم الصحابة في أمرهم أعتقوهم . هذا « حمرة بن أيفع » الهَمْداني ، هاجر في زمن عمر الى الشام ، ومعه أربعة آلاف عبد ، فأعتقهم كلّهم ، فانتسبوا في هَمْدان [3] ، ولدينا أمثلة كثيرة من هذا القبيل ،

---

(١) لوندين (ص ٨٤ وما بعدها) .

(٢) Ry 512, 1, 572, REP 3904, 15 .

(٣) الإصابة (٣٧٩/١) ، (١٩٩٩) .

تظهر أن أصحاب الأرض في العربية كانوا يملكون آلافاً من العبيد ، يقومون بالاعمال كافةّ ، ومنها حماية سيدهم والدفاع عنه .

وتدل جملة : « حرم . وأجرم ومشكم وضبر وفقضم » الواردة في نص معيني [1] ، تحدث عن تقديم ذبائح الى آلهة معين قدمت باسم هؤلاء المذكورين في الجملة ، على أنها تتحدث عن طبقات كونت مجتمعَ مَعِينٍ . فـ « حرم » بمعنى الأحرار ، وهم أعلى طبقات المجتمــع ، و« أجرم » هم الأجراء الذين يقومون بمختلف الأعمال مقابلَ أجر يدفع لهم . وأما « مشكم » ، فمن الصعب الحديث عن المراد من هذه اللفظة ، ولم تسعفنا كتب اللغة بشئٍ عنها . وقد ورد في نص « كبرهمو مشكم » ، أي « كبيرهم مشك » ، ويدل ذلك على أن « مشكم » هو اسم علم ، وقد ورد في عربيتنا « مشكان » . اسم علم لرجال [2] وأما « ضبر » ، فلا نعلم المراد منها ، وان كان ذكرها في هذه الجملة يدل على أن المراد بها طبقة من طبقات المجتمع المعيني ، وفي كتب اللغة : « الضبر : الجماعة يغزون على أرجلهم » و « الجماعة يغزون » ، ومنه قول « ساعدة بن جُؤَيّةَ الهُذَلِيّ :

بيناهُمُ يوماً كذلك راعهم ضَبْرٌ ، لباسهم القتيرُ مُؤَلَّبُ

القتير : مسامير الدروع ، وأراد به هاهنا الدروع ، كما ذكر أن « الضبور » الدبابات التي تقرب للحصون لتنقب من تحتها ، الواحدة ضبرة [3] ، واذا أخذنا بهذا المعنى ، أمكن القول إن « ضبرم » تعني جماعة من جماعات المقاتلين في مَعين .

وأما « فقضم » ، « فقض » ، فلم أجد في كتب اللغة تفسيرها ، وقد وردت اللفظة في نص قتباني يُفيد أنها تعني طبقة من طبقات المجتمع [4] .

ولأحرار المجتمع المكانة والسيادة في المجتمع ، وهم أرفع شأناً من الطبقات التالية لهم ، حتى إنهم كانوا لا يسمحون لمن ليس حرّاً من تبع الأُسْرَة بالدفن في مقابرهم. لأن مقابر الأحرار للأحرار ، فنجد في نص مقبرة أنها خصصت بأحرار وحرّات الأُسْرَة

---

(١) نقوش خربة معين ، خليل يحيى نامي ، القاهرة (١٩٥٢م) ، (ص ٥ وما بعدها) .

(٢) Halevy 195, 243,

خربة (٢٧) ، راجع تاج العروس مادة « مشك » .

(٣) اللسان (٤/٤٨٠) ، (ضبر) .

(٤) خربة معين (ص ٨) Glaser 1606, 16

« لقتبرم بهو كل احرر وحرتو بتهو »[1] ونجد مثل هذه العبارة في نصوص أخرى « لقتبر بس احرر وحرت »[2] .

وقد أشير في نص إلى « اقولن » و « مراس » و« شعبن » و « تسبانن » و« اعربن»[3] و « اقولن » ، هم الأقيال ، و « مراس » ، هم الرؤساء ، أصحاب السيادة ، و « شعبن » ، هم « الشعب » ، والجمع « اشعب » ، و « تسبانن » المحاربون ، و « اعربن » هم الأعراب ، ففي هذا النص إشارة الى طبقات المجتمع في ذلك الحين ، وفيه ذكر الدور البارز الذي حصل عليه الأعراب في العربية الجنوبية .

ولا يراد بـ « شعبن » هنا ما يفهم من لفظة القبيلة في عربيتنا ، وانما يقصد بها « قوم » جمعت بينهم الأرض والاسلوب العام للعمل ، والمصلحة العامة ، فيهم الاقيال والرؤساء والأحرار والأجراء ، والتجّار وأصحاب الحِرَف ، وكل هؤلاء يكونون « اولد شعبن » ، أي أبنـــاء القوم ، وأبناء الشعب ، بمعنى المواطنـــة ، التي تعني النسب ، ومفهوم القبيلة العربية الجنوبية ، يختلف كل الاختلاف عن مفهوم القبيلة في مفهوم العرب الشماليين .

وفي نصوص المسند مصطلحات سياسية ، تدل على دقة في التفكير السياسي ، وفي تعامل حكومات اليمن مع الدول الأجنبية ، أطلقت لفظة « محشكت » مثلاً على السفير فوق العادة الذي يرسل إلى دولة صديقـــة مقربة ، وهي من الأصل الذي منه « حشكت » بمعنى زوجة ، فهي تعبير عن رابطة سياسية قوية متينة ، على حين أطلقت لفظة « تنبلت » على سفراء الدول الكبرى التي ليست لها صلات ودية قوية معها ، واطلقت لفظة « رسل » ، بمعنى « رسول » و « رسل » على من يفد اليهم من حكومات غير كبيرة أوسادات القبائل ورؤساء الناس . وقد أطلق نص أبرهة الشهير لفظة «محشكت» على سفير الحبشة وعلى مبعوث الروم اليه ، ولفظة « تنبلت » على مبعوث « ملك فرس » أي : ملك فارس ، إليه ؛ ولفظة « رسل » على مبعوثي « مذرن » أي المنذر ملك الحيرة و « حرثم بن جبلت» ، أي الحارث بن جبلة ، ورسول أبي كرب بن جبلة ،[4] لأنهم دون الروم والفرس في المكانة وفي العرف السياسي .

(١) دراسات يمانية ، جزء ٢ مارس ١٩٧٩ ، مجلة (ص ٤٨) .
(٢) المصدر نفسه (ص ٥٢) .
(٣) لوندين (٧٣) . REP 4069, 4.
(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ١٩٥٦ م ، (ص ٢٠٦) . CIH 241, Glaser 618.

وللمعابد إدارة منسقة منظمة تشرف على خدمتها وعلى الانفاق على رجال الدين ، من الضرائب المفروضة على الناس ، ومن النذور والصدقات التي تقدم اليها ، وكان « المكرب » « المقرب » الرئيس الأعلى للمعابد في أيام المكربين . فلمّا تحول المكربون إلى ملوك ، اختفى هذا اللقب ، وظهرت ألقاب أخرى عبرت عن الرئاسة الدينية ، مثل « رشو » ، و « شوع » ، و « أفكــل » ، المرادفة للفظــة « ابكلو » « Apkallu » في الأكدية [١] .

وتشرف على إدارة المعابد ، وعلى جمع الضرائب والعشور والصدقات والنذور في قتبان ، جماعة عرفت بـ « اربى » [٢] ، فهم بمنزلة دوائر الأوقاف في الزمن الحاضر ويظن أن مصطلح « امنهت » ، « اهل امنهتن » ، يشير الى الاشراف على المعابد ، ويقابله « امنت ذ عثتر » في القتبانية ، وقد تولت هذا المنصب المرأة كذلك .

وفي مقابل الدخل الكبير الذي كان يصل الى المعابد ، قامت إلى جانب إنشاء المعابد وتجديدها بأعمال تعد من صميم أعمال الحكومة ، مثل إنشاء الطرق والأبنية العامة ، وتقديم الحبوب والغَلاّت أيامَ الحاجة والمجاعة .

وترد لفظة « أمنت » ، « أمنة » ، بمعنى « الأمناء » أو الوكلاء في عدد من النصوص ، فقد كان للملوك أو للمعابد « امنت » ، أي أمناء ، أو وكلاء ، أو مشرفون على عملٍ مّا [٣] .

وترد في المسند لفظــة « قهلت » ففي بعض النصوص : « قهلت عثتر » [٤] ، ويفهم من هذا التعبير أن المراد به « ملة عثتر » ، أو «نحلت عثتر» ، أي جماعة وتَبَعٌ منتمون إلى الإله « عثتر » أو أي إله آخر . أمّا « القهل » في عربيتنا فـ « كالقره في قشف الإنسان وقذرجلده ، ورجل مُتقهل : لا يتعهد جسده بالماء والنظافة » ، وورد في الشعر :

من راهب مُتَبَتّلٍ مُتَقَهلٍ   صادِي النهار لليله متهجّدِ

والتقهل أيضاً شكوى الحاجة ، ورثاثة الملبس والهيأة . [٥] فهل يفهم من هذا التفسير أن الـ « قهلت » جماعة من الزهاد و « المتصوفة » و « الدراويش » ، تركوا الدنيا ، وابتعدوا

---

(١) Grohmann, Arabien, S., 248.

(٢) Grohmann, S., 249 ,

(٣) qahtan, II, P., 12.

(٤) CIH 973, 6 — 7, REP 2967, 3003, REP 2975.

(٥) اللسان (٥٧١/١١) ، (قهل) .

عنها ، وتنسكوا لعبادة عثتر أو أي إله آخر؟ أو انهم مجرد « ملة » و « نحلة » ، ولا صلة لها بالتقشف ؟

ويعبر عن المعبد بلفظة « بت » أي « بيت » في العربيات الجنوبية ، وقد تخصصت بعض المعابد بالتنبؤ ، أي إنباء الناس عن أمور تهمهم ، وذلك مقابل حُلْوان يقدم الى الكَهَنَة . وقد اشارت الموارد الاسلامية الى هذا التنبؤ كذلك ، وسمت ما يقدم الى الكاهن في مقابل تكهنه : «حُلْوانَ الكاهن» ، فالآلهة لا تتكلم إن لم يقدم اليها الحُلْوان.

ويعبر عن الهبات والنذور التي تقدم الى الآلهة بلفظة « كبودت » وبـ « اكرب ». وفي هذه اللفظة الثانية معنى التقرب ، ويعبر عن هذا التقرب الى الآلهة بعبارات ملائمة ، مثل : « يوم وهب » ، أي يوم وهب للآلهة أو للمعبد ، وعلى الناذر الوفاء بنذره وإلاّ صار ديناً برقبته ، كما يظهر ذلك من جملة : « دينس عثتر » ، أي « دين عثتر[1] » ، إن لم يف به أنزل الإله عقوبته به .

ومنذ المئة الأولى قبل الميلاد ظهرت في العربية الجنوبية قوة لم يكن لها ذكر في نصوص المسند القديمة ، ثم ازداد ذكرها بعد الميلاد ، وقوي نفوذها الى ظهور الاسلام هي قوة « عربم » « عربن » أي الأعراب ، وفي ذكرهم دلالة على أنهم كوّنوا لأنفسهم طبقة خاصة في طبقات المجتمع ، لم تشتغل بالأرض وترتبط بها ، وإنما كانوا أهل بداوة على النحو المفهوم من لفظة « أعراب » [2] .

ومصدر هؤلاء الأعراب من العربية الوسطى من الحِجاز ونَجْد ، اندفعوا الى الجنوب ، منتهزين فرصة انشغال أهل العربية الجنوبية بالتقاتل فيما بينهم ، فتسللوا إليها ، وانشغلوا معهم في خصوماتهم ، حتى صاروا قوة كبيرة ، أقاموا عليهم زعماء عرفوا بـ « كبر اعرب » ، أي « كبير الاعراب » و « كبراء الأعراب » ، كان لبعضهم شأن كبير في سياسة العربية الجنوبية ، مثل « سعد تالب يتلف بن جدنم » ، « سعد تالب يتلف بن جدن » ، « من جدن » ، « كبر اعرب ملك سبا وكدت ومذحجم وحرمم وبهلم وزيدال وكل اعرب سبا وحميرم وحضرمت ويمنت [3] » ، أي « كبير

(١) Rhodokanakis, Studi. Lexi., II, S., 58.

(٢) Kingship in ancient south Arabia, in Journal of Economic and Social History of Orient , Vol., 15 ; 1972; , P., 257.

(٣) Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, P., 169, Jam 665.
مطهر علي الأرياني ، في تأريخ اليمن (١٦٤ وما بعدها) ، زيد بن علي عنان ، تأريخ حضارة اليمن القديم ، (ص ٣٨٥) .

اعراب ملك سَبَأ وكِنْدَة ومَذْحِج وحريم « حرم » « حرام » ، وباهل ، و «زيدايل» وكل أعراب سَبَأ وحِمْيَر ، وحَضْرَمَوْت ، وزيدايل »[1] ، وكان كبيراً على كل أعراب مملكة سبأ وحضرموت ويمنت ، فله في المملكة إذن نفوذ كبير ، ولا بد أن يكون ذا شخصية قوية ، إذ ليس من السهل تولي أمر الأعراب ، لتنافرهم ، ولانتهازهم الفرص للتوثب على الحكومة ، لعدم نزوعهم الى الطاعة لغير القبيلة ، والخضوع للانضباط ، ثم إنهم قد ينقلبون على من يحكمهم في الحرب ، إذا شاهدوا الغنائم ، إذ ينفرون اليها ، وقد يؤدي ذلك الى هزيمة بعد غلبة . وقد ينقلبون على الحكومة وينهبون ما يجدونه أمامهم إذا ما وجدوا الغلبة للطرف الآخر ، وقد ينضمون اليه . فلا بد لمن يحكم الأعراب ، ويريد ضبطهم ، من معرفة عقليتهم ، ومراجعتهم على وفق نفسيتهم هذه .

ويلاحظ أن النصوص ميزتهم عن الحميريين ، أو عن السبئيين ، وعن الشعوب العربية الجنوبية الأخرى ، مما يدل على أنهم كانوا يعدّون الأعراب أشبه بطبقة خاصة ليست لها صلة بالقبائل العربية الجنوبية ، وكوّن الأعراب أنفسهم مجتمعاً خاصاً يمثل حياتهم التي تعوّدوها من حيث الخروج على الطاعة ، والصراع فيما بينهم ، ومهاجمة الحضر[2] .

ولبروز هذه القوة أضيف إسمهم الى اللقب الرسمي للملوك ، فصار اللقب : « ملك سبأ وذريدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمتم » . والظاهر أن « أبا كرب اسعد » ، المعروف عند أهل الأخبار بـ « اسعد الكامل » هو أول من اتخذ هذا اللقب[3] ، وقد أشير الى اهميتهم في النص : « Ry 507 » ، حيث ورد : « وكل اقولن واعربن وتسباتن » ، أي « وكل الأقيال والأعراب والمحاربين » .

وقد أدخلت هذه الأعرابية الخلق الأعرابي المعروف عنهم ، من الغزو والغارات ، فكانوا يغزون بعضهم بعضاً ، ويتحالفون بعضهم على بعض ، فزادوا وبال اضطراب الأمن في العربية الجنوبية ، وصار أهل المحاجر والقرى والمصانع يهابونهم ،ويتقون غزوهم ، وسلبهم ما يجدونه عندهم غنيمة ً وفيئاً ، واضطر أهل العربية الجنوبية ،

(١) راجع عن « سعد تالب » . REP 4031, 2, Sabaean, P., 170.

(٢) لوندين (٨٩ ، ٩٦) .

(٣) أ . ج . لوندين ، بلاد العرب الجنوبية في المئة السادسة ، (الجمعية الروسية الفلسطينية ، المجموعة الفلسطينية) ، إصدار (٨) ، (٧١) ، دار نشر أكادمية الاتحاد السوفييتي ، موسكو – لينغراد ، (١٩٦١) ، (ص ١٣) .

الذين وصل زحف الأعراب اليهم ، أن يجاوروا الأعراب بعقد أحلاف معهم ، أو بمداهنتهم بالرشاوى والهدايا ، وبالتحالف فيما بينهم على طريقة الأعراب لمجابهتهم بسلاحهم الذي استعملوه في زحفهم من الشمال نحو الجنوب .

كذلك أثرت الأعرابية في ألسنة العرب الجنوبيين ، فظهرت الألفاظ العربية الشمالية في المساند ، كما أثرت في صرف اللهجات العربية الجنوبية ، ونحوها وربما أثرت في شعرهم كذلك ، وهو موضوع لا نستطيع التبسط فيه ، لعدم وجود أدلة محسوسة ملموسة عنه في أيدينا في الزمن الحاضر .

ومن القبائل الأعرابية : « كدت » ، وهي « كندة » ، و « مَذْحِج » ، و « ثعلبت » ، أي « ثعلبة » ، وقبائل أخرى [1] . ويلاحظ من الكتابات أن هذه القبائل وغيرها ، كانت في العربية الوسطى ، وقد قدمت منها الى الجنوب ، واستوطنت في العربية الجنوبية ، وهذا يناقض ما تعارفه أهل الأخبار من عد هذه القبائل في مجموعة القبائل القحطانية ، ومن إدخال نسبهم في سلسلة نسب العرب الجنوبيين .

ومن هنا ذهب بعض العلماء الى أن السبئيين مثلاً ، وكذلك المعينيين وغيرهم ، إنما هاجروا من العربية الشمالية الى اليمن ، فأصل أهل العربية الجنوبية اذن من العربية الشمالية وهو رأي يناقض ما يذهب اليه أهل الأخبار عن هجرة الغساسنة والمناذرة والقبائل القحطانية من اليمن الى الشمال [2] .

هذه صورة مصغرة عن أصول الحكم أو طريقته عند العرب الجنوبيين ، رسمتها اعتماداً على المصطلحات التي رجعت اليها في الكتابات ، يتبين منها أن الحكومة في العربية الجنوبية حكومة حضرية متطورة ، نبعت من طبيعة الأرض التي ظهرت فيها ، وهي صورة أرجو أن تكون موفقة في التصوير .

---

(١) أ . ج . . لوندين ، بلاد العرب الجنوبية في المئة السادسة الميلادية ، (موسكو ١٩٦١) ، (ص١٨)

(٢) بافقيه ، تأريخ (٥٩) .

عبدالله بن عبدالملك بن مروان

فاتح حِصْن ِسنان [1] وُطَرْنَدَة [2] والمصِّيصَة [3] من بلاد الروم

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

نسبه وأيامه الاولى

هو عبدالله بن عبدالمَلِك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيّة بن عَبْد شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ القُرَشِيّ الأمَوِيّ [4] .

أبوه : عبدالملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين .

وأمه : من أمهات الأولاد[5] ، ويريدون بتعبير أمهات الأولاد : الجواري والاماء اللّواتي ولدن لمواليهنّ ذكرانا .

نشأ عبدالله وترعرع في ظروف ملائمة كل الملاءمة لاستكمال مزاياه الشخصيّة، فأبوه خليفة من أبرز خلفاء بني أُمية إن لم يكن أبرزهم كفاية وعلماً وحزماً وإدارة وسياسة

---

(١) حصن سنان : حصن في بلاد الروم ، انظر معجم البلدان (٢٨٥/٣) و (١٤١/٥) ، ولم يرد ذكر لموقعه في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة لدينا، ومن دراسة اتجاه فتوح عبدالله بن عبدالملك، نجد أن الحصن في منطقة (ملطية) .

(٢) طرندة : مدينة تبعد عن (ملطية) ثلاث مراحل داخلة في بلاد الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٦/٦) .

(٣) المصيصة : مدينة على شاطئ نهر (جيحان) من ثغور الشام ، بين (انطاكية) وبلا د الروم وتقارب (طرسوس) ، وكانت ذات سور وخمسة أبواب ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٠/٨) والمسالك والممالك (٤٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٦٤) ، وكانت تسمى : (Mapsuestia) .

(٤) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢٢٣/٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٠٩/١) وجمهرة أنساب العرب (٨٩) وفوات الوفيات (٣١/٢) وقادة فتح المغرب العربي (٩٥/٢) .

(٥) الطبري (٤٢٠/٥) وابن الأثير (٥١٩/٤) والنجوم الزاهرة (٢١١/١)

وقيادة ، وظروفه الإدارية والعسكرية لا تخلو من مشاكل صعبة تُعيِّن على التعلّم النظري والتدريب العملي .

وكان التعليم النظري لاستيعاب العلوم المتيسِّرة السّائدة حينذاك ميسوراً لبني أُمية ولغيرهم من النّاس ، إذ كان العلماء والشيوخ وقتذاك يعتبرون التعليم والتعلّم من أجَلِّ العبادات ، والفرق الوحيد بين أبناء الخلفاء وغيرهم من الناس ، هو أنّ أبناء الخلفاء يتلقّون العلوم على جهابذة العلماء والشيوخ ، لذلك نشأ في عاصمة الخلافة (دمشق) ليتعلّم علوم القرآن الكريم ويروي الحديث النبوي الشّريف ، ويدرس التاريخ والسِّيَر وأيام العرب قبل الإسلام وبعده ، ويتقن علوم اللغة صرفاً ونَحْواً وبلاغة وعروضاً ، ويتلقى فنون الأدب الرفيع شعراً ونثراً ، ويتعلّم الحساب والهندسة وتقويم البلدان .

كما أنّ التدريب العملي بالممارسة كان ميسوراً له في الأمور الإداريّة والسياسيّة ، فهو إلى جانب الخليفة المرجع الأعلى لتصريف تلك الأمور ، كما أنه إلى جانب الحاكمين من بني أميّة ، يرى ويسمع كيف تعطى القرارات الخطيرة وكيف تُصرّف أمور الدولة .

كما تدرّب عملياً على الفنون العسكرية : ركوب الخيل ، والرمي بالسهام ، والضرب بالسيوف والطعن بالرِّماح ، والسباحة ، وتحمل المشاق سيراً على الأقدام إلى مسافات طويلة في أيام متعاقبة وفي ظروف جوية قاسية ، والحرمان من الطعام والشراب مدة مناسبة وتناول الطعام الخشن والماء العَسِر ، وهو ما نطلق عليه في التعابير العسكرية المحدثة : التدريب العنيف .

ولكن هذا التدريب العسكري العملي لا يكفي ، لأنه تدريب فردي ، فلابدّ من تلقي التدريب الإجمالي ، وهو ممارسة الجهاد جندياً وقائدا ، في ساحة القتال ، ليطبق ما تعلّمه من فنون عسكرية عملية فرداً ، على القتال تطبيقاً عملياً ، وهذا ما نطلق عليه اليوم : تطعيم المعركة ، إذ لا فائدة من التدريب الفردي إلاّ إذا طُبِّق عملياً في التدريب الإجمالي ، وأفضل أنواع التدريب الاجمالي هو القتال الفِعْلِيّ .

وكما تدرّب على الفنون العسكرية العملية ، تدرّب على الفنون العسكرية النظرية : أساليب القتال ، والقضايا التعبوية ، واختيار المعسكرات ، وطرق الدفاع والهجوم والانسحاب والمطاردة ، ومعالجة الأمور العسكرية في الميدان ، والقضايا الإدارية.

وقد طبق الفنون العسكريّة النظرية عملياً في ميدان الجهاد ، وبذلك جمع التدريب الفني النظري والعملي ، ووضع معلوماته العسكرية في حيِّز التنفيذ .

ولعلّ مما زاد في فرص تعليم وتدريب عبدالله ، أنه تلقى علومه وتدريباته في كنف والده أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان ، بعد استقرار ملكه في الدولة الاسلامية واستعادة (الوحدة) الشاملة لهذه الدولة سنة ثلاث وسبعين الهجرية [1] (٦٩٢م) ، إذ قضى على الخوارج في (البَحْرَيْن) ، وأعاد بناء (الكَعْبَة) المشرّفة بمكّة المكرّمة على ما كانت عليه قبل ثورة عبدالله بن الزبير العارمة ، فانطلقت الجيوش الإسلاميّة للفتح وإعادة المناطق المفتوحة إلى الدولة والتي انتفضت في بلاد الرّوم وإيران وفارس والسِّنْد وإفريقيّة ، وكان من ثمرات استعادة (الوحدة) الشاملة أن أعادت الدولة الاسلاميّة بقيـادة عبدالملك بن مروان – بعد ما عاناه من فتن داخليـة واضطرابات وحروب أهليّة ومشاكل واعتداءات خارجية – كامل سيطرتها على ما فتحه الخلفاء الأولون قبل عبدالملك ، وضم إلى الدولة فتوحاً جديدة ، بعدما كان عبدالملك يدفع الأتاوة لإمبراطور (القُسْطَنْطِينِيّة) منذ توليه الخلافة إلى استعادة (الوحدة) الشّاملة ، وكان يدفعها للرّوم أيام الفتن والحروب الداخلية والاضطرابات والمشاكل الأهلية [2]

وقد تربّى عبدالله في كنف أبيه بعد استعادة (الوحدة) الشّاملة للدولة الإسلاميّة في جوٍّ كلّه استقرار وأمن ودعة وبناء علميّ وإداريّ وسياسيّ وعسكريّ ، في بداية العصر الذهبيّ لحكم بني أُميّة في (الشّام) ، برعاية والده الحصيف العالم الأديب القائد الفاتح الداهية المتمرس ، فأفاد عبدالله من رعاية والده في وقت تفرّغ فيه عبدالملك لرعاية شئونه الخاصة أكثر من السّابق – يوم كان في دوّامة الاضطرابات والقلاقل والمشاكل والفتن والحروب ، وبقي يحظى بالرعاية الأبوية والعائلية الكاملة قائداً وإدارياً ، حتى توفي عبدالملك سنة ست وثمانين الهجرية [3] (٧٠٥م) ، فأرسى عبدالملك أسس شخصية ابنه عبدالله على أسس رصينة ، تلك الأسس التي كانت عبارة عن : الدين والتفقّه فيه ، والعربية وإتقان علومها ، والسياسة وممارسة قضاياها ، والإدارة وحلّ مشاكلها والعسكرية والتدريب على متطلباتها ، وبذلك أصبح عبدالله قائداً متميزاً وإدارياً محنّكاً.

لقد تهيّأ لعبدالله العلم المكتسب والتجربة العملية ، فآتت ثمراتها في مناصبه التي تولاّها قائداً وإدارياً .

---

(١) انظر تفاصيل استعادة الوحدة الشاملة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢/١٠٩ – ١١٧).

(٢) ابن خلدون (٣/١٥٢) ، وانظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢/١١٣ – ١١٤).

(٣) تاريخ بغداد (١٠/٢٩١) وتاريخ الخميس (٣/٣١١) والعبر (١/١٠٢) وشذرات الذهب (١/٩٧) والمعارف (٣٥٧)

في توطيد الامن الداخلي

كان من أهم واجبات الحجاج بن يوسف الثقفيّ بعد أن تولىّ (العِراقَيْن) : العراق والمَشرق سنة خمس وسبعين الهجرية [1] (٦٩٤م)، هو : القضاء على الفتن الداخلية في العراق وفي بلاد المشرق الإسلامي المفتوحة ، واستعادة البلاد المفتوحة التي انتفضت على الدولة الإسلامِيّة ، وفتح بلاد جديدة .

ومضى الحجّاج ينفِّذ هذه الواجبات بحزم وعزم وإقدام ، وكان (رُتبيل) مصالحاً ، يؤدي الخراج وربما امتنع منه [2] ، فأراد الحجّاج أن يصفي الحساب جذرياً بين الدولة وبين (رُتْبِيْل)، فأمر والي (سِجِسْتَان) [3] سنة تسع وسبعين الهجريّة [4] (٦٩٨م) أن يناجزه ، ولكنه اندحر أمام قواته متكبداً خسائر فادحة في الأرواح والأموال [5] .

ولم يكن الحجّاج ليسكت على اندحار قوة من قواته في إحدى الجبهات ، لذلك عزم على أن يلقِّن (رُتبيل) في عقر داره درساً قاسياً لا ينساه أبداً ، فاستأذن عبدالملك إبن مروان في تسيير الجيوش إلى (رُتبيل) ، فلمـا أذن له بذلك ، عكف الحجّاج على تجهيز الجيش ، فجعل على أهل (الكُوفَة) عشرين ألفاً ، وعلى أهل (البَصْرَة) عشرين ألفاً ، وجَدّ في ذلك جدّاً لا هوادة فيه ، واعطى الناس أعطياتهم كاملة ، وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أعطياتهم ، وأنجدهم بالخيل الرائقة والسِلاح الكامل ، وأعطى كل رجل يُوْصَف بشجاعة وغَناء ، وأمّر على الجيش بعد الفراغ من اعداده عبدالرحمن بن محمد بن الأشْعَث [6]

وسار عبدالرحمن على رأس جيشه ، وأحرز نصراً مؤزراً على (رُتبيل) ، فكتب إلى الحجّاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعمل [7] .

---

(١) العبر (٨٥/١) وشذرات الذهب (٨٣/١) .

(٢) ابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(٣) سجستان : اسم منطقة واسعة بينها وبين (هراة) عشرة أيام أو ثمانون فرسخاً ، وهي جنوبي (هراة) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧/٥) ، وانظر حدودها في المسالك والممالك للاصطخري (١٣٨) وفيه : أن (سجستان) بفتح السين ، وانظر : آثار البلاد وأخبار العباد (٢٠١) .

(٤) الطبري (٣٢٢/٦) وابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(٥) انظر التفاصيل في الطبري (٣٢٢/٦ - ٣٢٤) وابن الاثير (٤٥٠/٤ - ٤٥١) .

(٦) هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي ، انظر جمهرة أنساب العرب (٤٢٥) ، وهو من أبطال العرب وأشرافهم وقادتهم وولاتهم .

(٧) انظر التفاصيل في الطبري (٣٢٦/٦ - ٣٢٩) وابن الأثير (٤٥٤/٤ - ٤٥٦) .

وهناك روايات أخرى في ارسال عبدالرحمن لامكان لها لانها خارجة عن نطاق الحديث عن سيرة عبدالله بن عبدالملك .

وكان عبدالرحمن يرى أن يتركوا التوغّل في بلاد (رُتْبيل) حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها ، وكتب بمجمل خطّته هذه الى الحجّاج .

ولكن الحجّاج رفض خطة عبدالرحمن ، وأمر عبدالرحمن بالوغول في ارض(رتبيل) وهدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريّهم .

ودعا عبدالرحمن الناس وقال لهم : « أيها الناس ! إني لكم ناصح ولصلاحكم محبّ ولكم في كلٍّ ما يحيط بكم نفعه ناظر ؛ وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوّي بما رضيه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم . وكتبتُ بذلك إلى أميركم الحجّاج ، فأتاني كتابه يعجِّزني ويضعِّفني ويأمرني بتعجيل الولوغ بكم إلى أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم ، أمضي إذا مضيتم وآبى إذا أبيتم » .

وثار إليه الناس وقالوا : بل نأبَى على عدوِّ الله ولا نسمع له ولا نطيع !!

ووثب الناس الى عبدالرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق ، وعلى النُّصْرة له ، ولمْ يذْكَر عبدالملك .

وعاد عبدالرحمن إلى العراق بمن معه ، فلما بلغ (فارس) [1] اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : إذا خلعنا الحجّاج عامل عبدالملك ، فقد خلعنا عبدالملك .

واجتمعوا إلى عبدالرحمن وخلعوا عبدالملك إلا قليلاً منهم ، وبايعوا عبدالرحمن ، وكانت بيعته : « نبايع على كتاب الله وسُنّة نبيِّه صلىّ الله عليه وسلّم ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المُحِلِّيْن » .

ولما بلغ الحجّاج خلعهُ كتب إلى عبدالملك بخبر عبدالرحمن ويسأله أن يُعَجِّل بعثة الجنود إليه ، ثم سار الحجّاج حتى نزل (البَصْرَة) .

---

(١) فارس : ولاية واسعة وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق (أرجان) ، ومن جهة كرمان (السيرجان) ومن جهة ساحل بحر الهند (سيراف) ، ومن جهة السند (مكران) ، وقصبتها (شيراز) ، وفي هذه الولاية من امهات المدن المشهورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٤/٦) وتقويم البلدان (٣٢١ – ٣٣١) والمسالك والممالك للاصطخري (٦٧ – ٨٤) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٤١ و ٤٣) ومختصر كتاب البلدان (١٩٥ – ٢٠٥) والأعلاق النفيسة (١٠٦) وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٢٠ – ٤٥٩) . وكتاب صورة الأرض (٣٣٤ – ٢٧٣) .

وجهّز عبدالملك الجند إلى الحجاج ، فسار الحجّاج من (البصرة) إلى (تُستَر) [1] وقدم بين يديه مقدمة إلى (دُجَيل) [2] ، فلقي عنده خيلاً لعبدالرحمن ، فانهزم أصحاب الحجّاج بعد قتال شديد ، وكان ذلك يوم الاضحى سنة إحدى وثمانين الهجرية (٧٠٠ م) .

فلما أتى خبرُ الهزيمة الحجّاج، رجع إلى (البصرة)، ثم أقبل حتى نزل (الزّاويَة) [3] وترك (البصرة) لأهل العراق ، وفرّق في الناس مئة وخمسين ألف ألف درهم .

وأقبل عبدالرحمن حتى دخل (البصرة) ، فبايعه جميع أهلها : قرّاؤها وكهولها على قتال الحجّاج ومَنْ معه من أهل (الشام) [4]

وخسر عبدالرحمن معركة (الزّاوية) ، فقصد (الكوفة) ، واستقرّ بها ، فاجتمع إليه الناس ، وقصده أهل (البصرة) .

وسار الحجّاج من (البصرة) إلى (الكوفة) لقتال عبدالرحمن بن محمد بن الأشعَث ، فنزل (دَيْر قُرَّة) [5] ، وخرج عبدالرحمن من الكوفة ، فنزل (دَيْر الجَماجم) [6] .

وتفاقم أمر عبدالرحمن واستَشْرى خطره ، فقال عبدالملك بن مروان وأهل (الشام) « إن كان يُرْضى أهل العراق نزع الحجّاج عنهم نزعناه، فانّ عزله أيْسرُ من حربهم، ونحقن بذلك الدماء ، فبعث عبدالملك ابنه عبدالله وأخاه محمد بن مروان بن الحكم ، وكان محمد بأرض (المَوْصِل)» ، إلى الحجّاج في جند كثيف ، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجّاج وأن يَجْريا عليهم أعطياتهم كما تُجرى على أهل (الشام) ، وأن ينزل عبدالرحمن بن محمد أيّ بلد شاء من بلد العراق ، فاذا نزله كان والياً عليه ما دام حيّاً وعبدالملك خليفة ، فان أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجّاج

---

(١) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب شوشتر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) والمسالك والممالك للاصطخري (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (١٧٠) .

(٢) دجيل : نهر بالأهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١/٤ – ٤٢) .

(٣) الزاوية موضع قرب البصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧١/٤) .

(٤) انظر التفاصيل في الطبري (٣٣٤/٦ – ٣٤١) وابن الأثير (٤٦١/٤ – ٦٦ ٤) .

(٥) دير قرة : دير بازاء دير الجماجم ، وهو ملاصق لطرف البر ، ودير الجماجم مما يلي الكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٢/٤) .

(٦) دير الجماجم : دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ، على طرف البر للسالك إلى البصرة ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣١/٤ – ١٣٢) .

عنها وصار محمد بن مروان أمير العراق ، وإن أبَى أهل العراق قبول ذلك ، فالحجّاج أمير الجماعة ووالي القتال ، ومحمّد بن مروان وعبدالله بن عبدالملك في طاعته .

وحاول الحجّاج أن يعيد عبدالملك بن مروان النظر في عزله ، فأبى عبدالملك إلا عرض عزله على أهل العراق .

وخرج عبدالله بن عبدالملك الى جموع أهل العراق وعلى رأسهم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : « يا أهـــل العراق ! أنا ابن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا . . . » .

وخرج محمد بن مروان فقال : « أنا رسول أمير المؤمنين ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا . . . » .

فقال أهل العراق : نرجع العشيّة .

واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث ، فقال لهم : « قد أُعطيتم أمراً ، انتهازكم اليوم إيّاه فرصة ، وإنكم اليوم على النّصَف، فان كانوا اعتَدّوا عليكم يوم (الزاوية) ، فأنتم تَعتَدُّون عليهم بيوم (تُستَر) ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزّاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون ، فوالله لا زلتم عليهم جُرَآء وعندهم أعزّاء أبداً ما بقيتم إن قبلتم » .

ووثب النّاس من كل جانب ، فقالوا : إنّ الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير والسِّعر الرّخيص والمادّة القريبة ، لا والله لانقبل !

وأعاد أهل العراق خلع عبدالملك ثانية ، فقال عبدالله بن عبدالملك ومحمد بن مروان للحجّاج : « شأنك بعسكرك وجندك ، واعمل برأيك ، فانّا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع » ، فقال : « قد قلتُ إنه لا يُراد بهذا الأمر غيركم » ، فكانا يسلّمان عليه بالامرة ويسلِّم عليهما بالامرة أيضاً .

وجعل كل من الحجّاج وابن الأشعث قواته على تعبئته : ميمنة ، وميسرة ، والخيالة. والرجّالة ، والقلب ، وجعلا على كل تشكيل من تشكيلات القتال قائداً مسؤولا ، وجعل ابن الأشعث على القرّاء — وهم علماء المسلمين وفقهاؤهم ومحدِّثوهم — قائدا .

واخذ الطرفان يتزاحفان كل يوم ويقتتلان ، وأهل العراق تأتيهم موادّهم التموينيّة

من (الكوفة) وسوادها ، وهم في خصب ؛ وأهل الشام في ضنك شديد ، قد غلت عليهم الأسعار وفُقِدَ عندهم اللحم كأنهم في حصار .

وكان أشد الناس ثباتاً واستبسالاً القرّاء من أصحاب ابن الأشعث ، وكانوا قد ألّفوا كتيبة منهم هي كتيبة القُرّاء ، فعبأ الحجاج لكتيبة القرّاء ثلاث كتائب، فحملوا على القراء ثلاث حملات : كل كتيبة تحمل حملة ، فلم يبرحوا وصبروا [1] ، وحملوا على كتائب الحجّاج حتى أزالوها وفرقوها ، ثم تقدّموا حتى واقعوا صفّهم فأزالوه .

واستمر الاقتتال بين الإخوة مئة وثلاثة أيام ، فقد كان نزول عبدالرحمن بن محمد إبن الأشعث (دير الجماجم) لثلاث مضَيْن من ربيع الأول ، وكانت الهزيمة لاربع عشرة مضين من جمادى الآخرة ، حيث انتصر الحجاج على ابن الأشعث بعد قتال مدير مرير [1] .

وعاد محمد بن مروان إلى (الموصل) ، وعاد عبدالله بن عبدالملك إلى (الشام) ، ورجع الحجّاج إلى (الكوفة) .

وأتى عبدالرحمن (البصرة) فاجتمع إليه من المنهزمين جمع كثير ، وبايعه خلق كثير على الموت ، فاجتمعوا بـ (مَسْكِن) [2] ، ولكن قواته انهزمت أمام قوّات الحجّاج [3] .

وبدأت مطاردة قوات الحجّاج لفلول ابن الأشعث ، فقاتلت قوّات ابن الأشعث في انسحابها بمواضع كثيرة ، حتى وصل ابن الاشعث (رُتْبيل) [4] ، وأخيراً مات أو قتل في إختلاف كثير بالروايات ، فانتهت حروب داخلية طاحنة ، تكبد فيها الطرفان خسائر لا تُعدّ ولا تُحصى [5] .

وقضى ابن الأشعث نحبه سنة خمس وثمانين الهجرية [6] (٧٠٤ م) .

---

(١) انظر التفاصيل في الطبري (٣٤٢/٦ - ٣٥٠) وابن الاثير (٤٦٧/٤ - ٤٧٢) ، وانظر ابن خلدون (١١٠/٣) والبدء والتاريخ (٣٦/٦) والتنبيه والأشراف (٢٧٢) .

(٢) مسكن : موضع قريب من (أوانا) على نهر (دجيل) عند دير (الجاثليق) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٤/٨) ، وأوانا : بليدة من نواحي (دجيل) بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٦/١) ، اقول : وهي بالقرب من (سميكة) أو (الدجيل) الحالية ، والمكان معروف .

(٣) انظر التفاصيل في الطبري (٣٦٦/٦ - ٣٦٩) وابن الأثير (٤٨٢/٤ - ٤٨٣) .

(٤) انظر التفاصيل في الطبري (٣٦٧/٦ - ٣٨٣) وابن الأثير (٤٨٤/٤ - ٤٩٤) .

(٥) انظر التفاصيل في الطبري (٣٨٩/٦ - ٣٩٣) وابن الأثير (٥٠١/٤ - ٥٠٢)

(٦) الطبري (٣٨٩/٦) وابن الأثير (٥٠١/٤) .

وكانت عودة عبدالله بن عبدالملك إلى (الشام) بعد انتصار الحجّاج على ابن الأشعث في معركة (دير الجماجم) الحاسمة سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢ م)، وكان قد قدم إلى العراق سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) .

ولستُ بصدد البحث عن أسباب ثورة ابن الأشعث ، ولا بصـــدد الحديث في أسباب تهافت أهل العراق على الاقبال عليها والمشاركة فيها ، ولا بصدد تعداد نتائجها القريبة والبعيدة وأثرها في الدولة ، ولا بصدد إبراز أسباب انتصار الحجاج على بن الاشعث ، فمكان كل هذه الدراسات والبحوث في الحديث عن هذا الاقتتال بين الاخوة ، مما أدى الى تعميق العداوة بين القبائل العربية التي كانت مادة الفتح وأساسه ، وعجّل في نهاية بني أُميّة وتغلب العنصر الأعجمي على العنصر العربي .

ولكن ما أردته من إبراز أهم معالم هذه الثورة ، هو إظهار أثر عبدالله بن عبدالملك فيها وتأثيرها فيه .

وهدفي من تسليط الأضواء على أهم معالم الاقتتال بين الإخوة في هذه الثورة ، هو إظهار أهمية الواجب الذي حمله عبدالله في تلك الأيام العصيبة التي كادت تعصف بالدولة عصفاً .

إنّ عبدالله لم يكن قائداً في المعارك التي خاضها الحجّاج ، ولكن الحجّاج لا يغفل عبدالله في مجال الرأي ورسم الخطط ودعم قوّات الحجّاج مادياً ومعنوياً .

أما الدّعم المادي ، فمن الواضح أنّ عبدالملك حشد طاقاته المادية لإحراز النصر ، وقد كان للمال وهو عصب الحرب أثر حاسم في هذا النصر ، لأنّ اكثر المقتتلين من الطرفين كان يهتم بمتطلبات جيبه أكثر من اهتمامه بمتطلبات قلبه .

أما الدعم المعنوي ، فوجود ابن الخليفـــة بين المقتتلين يؤثر في المعنويات تأثيراً كبيراً : يرفع معنويات الحجّاج وقواته ، ويزعزع معنويات ابن الأشعث ورجاله .

وكما أثر عبدالله في المعارك ونتائجها ، فقد أثرت فيه شخصياً : أغنت تجاربه في القيادة وإدارة القتال وفي معرفة الطبيعة البشرية للمقاتلين ومعرفة طاقاتـهم وكفاياتهم كما وضعت معلوماته العسكرية في محك التطبيق العملي ، وجعلته يعيش المعارك بما فيها من صعوبات ومشاقٍ ومآسٍ ، وهو ما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة : تطعيم المعركة .

في ميدان الجهاد

١ – في سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١) م ، غزا عبدالله بلاد الرّوم ، ففتح حصن (سِنان) من ناحية (المَصِّيْصَة) [١] .

والظّاهر أن عبدالله شهد هذه الغزوة قبل أن يرحل إلى العراق لخوض معركة (دير الجَماجِم) ، ورحل بعد ذلك إلى الحجّاج بن يوسف الثّقَفِيّ في العراق للسفارة بين عبدالملك بن مروان وأهل العراق ، كما ذكرنا ذلك .

٢ – وفي سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢ م) غزا عبدالله بلاد الرُّوم ، ففتح (طُرَنْدَة) [٢] .

وقد قاتل عبدالله الرُّوم بـ (سُوْرِيّة) [٣] و (لؤلؤة) [٤] ، فهزمهم [٥] .

والظاهر أنّ عبدالله غزّا الرّوم بعد عودته من العراق .

وقد أمر عمر بن العزيز رضى الله عنه بالقفول من (طُرَنْدَة) سنة مئة الهجرية (٧١٨ م) لأنها واغلة في البلاد الروميّة من (مَلَطْيَة) [٦] بثلاث مراحل ، وكان عبدالله قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢م) ، و(ملطية) يومئذٍ خراب ، وكان أهل (طُرَنْدَة) يأتيهم جند من (الجزيرة) يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعــودون الى بلادهم ، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر ابن عبدالعزيز ، فأمرهم بالعود إلى (ملطية) وأخلى (طُرَنْدَة) خوفاً على المسلمين من العدو ، وأخرب (طرندة) [٧] .

وكان قرار عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه في انسحاب أهل (طُرَنْدَة) منها إلى (ملطية) صائباً ، لأنْ (طرندة) أصبحت معزولة عن القواعد المتقدّمة للمسلمين ، فليس من المستبعد أن يباغتها الرّوم بالهجوم عليها وإبادة سكانها ، خاصة وأن الرُّوم

---

(١) تاريخ ابن خياط (٢٨٩/١) وانظر معجم البلدان (٢٨٥/٣) و (١٤١/٥) .
(٢) ابن الأثير (٥٤/٥) وانظر معجم البلدان (٤٦/٦) .
(٣) سورية : موضع بالشام بين (خناصرة) و (سلمية) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥).
(٤) لؤلؤة : قلعة قرب (طرسوس) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٣/٧) .
(٥) تاريخ ابن خياط (٢٩٠/١) .
(٦) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة ، تتاخم بلاد الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٥/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٦٤) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٩٧) والبلدان لابن الفقيه (٢٥) وتقويم البلدان (٣٨٤) .
(٧) ابن الاثير (٥٤/٥) وانظر معجم البلدان (٤٦/٦).

ارتفعت معنوياتهم بعد انسحاب المسلمين عن (القُسْطَنطِينيَةْ) ، كما أصبحت للرُّوم قيادة قويّة حازمة بعد تولى (ليون) عرش الرُّوم [1] .

٣ – وفي سنة اربع وثمانين الهجريّة (٧٠٣م) غزا عبدالله بلاد الرُّوم ، ففتح (المَصِّيْصَة) [2] ، فبناها [3] وبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكّاناً من الجند ، فيهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن [4] . ثم سار في جيشه حتى غزا حصن (سِنان) ففتحه ، كما وجّه قسماً من قوّاته فأغارت ثم عادت إليه [5]

والذي يبدو أن حصن (سِنان) الذي فتحه عبدالله سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) انتقض ، فأعاد فتحه ثانية .

وهذا يدل على أن الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لبلاد الرُّوم لم تكن حدوداً آمنة ، وأنّ الرّوم كانوا يستعيدون الأماكن المفتوحة إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فَحَصَّنَ (المَصِّيْصَة) وحشد فيها الجنود واختار الشجعان منهم للدِّفاع عنها ، لكي تكون قاعدة متقدِّمة آمنة ، تصد هجمات الرُّوم وتقوى على مصاولتهم ، ولتكون منطلقاً قوياً وقاعدة رصينة للفاتحين .

وقد دخل عبدالله من درب (أنطاكِيَة) [6] حتى اتى (المَصِّيْصَة) [7] .

٤ – ومن المعلوم أنّ منطقة (المَصِّيْصَة) فتحت ايام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بقيادة أبي عُبَيْدَة بن الجراح [8] رضي الله عنه ، ولكن الفتن الداخلية التي استعرت بعد عمر بن الخطّاب ، جعل الرُّوم يستعيدونها . ولما استقرت الأمور في أيام معاوية بن أبي سُفيان أعاد تلك المنطقة إلى المسلمين ، ولكن الرّوم استعادوها ثانية بعد معاوية لانشغال المسلمين بالاقتتال فيما بينهم ، حتى تولى عبدالملك بن مروان ،

---

(١) انظر التفاصيل عن الانسحاب من (القسطنطينية) في سيرة مسلمة بن عبدالملك بن مروان .

(٢) الطبري (٣٨٥/٦) وابن الأثير (٥٠٠/٤) والنجوم الزاهرة (٢٠٧/١) والبلاذري (٢٢٥) .

(٣) ابن الأثير (٥٠٠/٤) وتاريخ ابن خياط (٢٩٢/١) .

(٤) البلاذري (٢٢٥ – ٢٢٦) وابن الأثير (٥٠٠/٤) .

(٥) البلاذري (٢٢٦) .

(٦) أنطاكية : مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، ولها قلعة عالية جداً تتبين من بعد بعيد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٣/١) وآثار البلاد وأخبار العباد (١٥٠) وتقويم البلدان (٢٥٦ – ٢٥٧) .

(٧) البلاذري (٢٢٥) . (٨) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٥٤ – ٨١) .

فأعادها إلى سيطرة المسلمين على يد ابنه عبدالله وبناها وحصّنها ، فكان أول من حصن (المَصيِّصَة) في الإسلام ، وذلك في سنة أربع وثمانين الهجرية (٧٠٣ م) ، وقد تم بناؤها وشحنها بالرجال وما يحتاجون إليه من قضايا إدارية : تموين ، إعاشة ، أسلحة ، خيل ، نقلية ، سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤ م) ، فكانت الطوالع تطلع عليها كل عام من (أنْطاكِيَة) فتشتو بها ثمّ تنصرف بعد خروج الصّوائف ، وعِدّة مَنْ كان يطلع إليها ألف وخمسمائة إلى الألفين . وشخص عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى (المصيِّصة) ، فأراد هدمها وسحب حاميتها منها ، كما أراد هدم الحصون بينها وبين (أنطاكية) قائلاً : « أكره أن يحاصر الرّوم أهلها » ، فأعلمه الناس أنها إنما عُمرت ليدفع من بها الرُّوم عن (أنطاكية) ، فأمسك عن هدمها وبنى لأهلها مسجداً واتّخذ فيه صهريجاً ، وكان اسمه مكتوباً عليه ، وهو يُدعى : مسجد الحصن [١] .

وهكذا أصبحت (المَصيِّصة) القاعدة المتقدمة للمسلمين في بلاد الرُّوم ، كما أصبحت الخط الدفاعي الأمامي عن (أنطاكية) ، وكان الفضل في جعل (المصيِّصة) ذات أهمية خاصة في الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية وقاعدة متقدمة للفتح يرجع لعبدالملك بن مروان وابنه عبدالله الذي أعاد فتحها بعد أن استعادها الرُّوم ، وكان فاتحها الاول أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، ولكنه لم يكن فتحاً مستداما ، فجعله عبدالله فتحاً مستداما .

وكما كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه قد مهّد للعصر الذهبي الأول للفتح الإسلامي الذي جرى في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان عبدالملك قد مهّد للعصر الذهبي الثاني للفتح الاسلامي في عهد الوليد بن عبدالملك .

وكان عبدالله من أعوان أبيه في التمهيد لانطلاقة العصر الذهبي الثاني للفتح الاسلامي .

الانسان

تولى عبدالله مدينة (حِمْص) لأبيه عبدالملك بن مروان [٢] ، وقد انفرد ابن خيّاط في تاريخه بذكر هذه التولية ، دون أن يذكر تاريخ تسنّمه هذا المنصب وتاريخ تخليه عنه ، والذي يبدو أنه تولىّ هـذا المنصب سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) وهي السنة التي تولى فيها قيادة جيش من جيوش المسلمين لحرب الرُّوم ، وكان الولاة يتولون

(١) البلاذري (٢٢٦) .
(٢) تاريخ ابن خياط (٣٠١/١) .

الغزو في مناطقهم أو في الحملات التي تحمي مناطقهم أو في غزوات فتح البلاد التي تجاورهم ، وقد كان جند (حمص) من أهم جنود الشام ، فمن المحتمل أنه تولى قيادة جيش (حمص) في غزواته التي بدأت سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) ، وانتهت سنة أربع وثمانين الهجرية (٧٠٣ م) ، باعتباره والياً على (حمص) .

وفي سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤م) ولاّه أبوه عبدالملك بن مروان (مِصْر) [١] عـلى صَلاتها وخراجها [٢] ، فدخلها يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤)م ، وقيل : من سنة ست وثمانين الهجرية[٣] (٧٠٥) . وأرجّح أنه دخل (مِصْرَ) في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجريّة ، لأنّ أمير (مصر) السّابق عبدالعزيز بن مروان توفّي في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين الهجرية ، وليس من المعقول أن يتأخر وصول عبدالله إلى (مصر) سنة وشهراً إذ لامسوّغ لهذا التأخير ، وبخاصة أنّ عبدالملك لم يكن مرتاحاً من حكم أخيه عبدالعزيز لمصر ، وكان يحاول خلعه من ولاية العهد ويبايع ابنه الوليد بن عبدالملك ، ولكنّ المنية عاجلت أخاه قبل أن يمضي قُدُماً في تنفيذ خطّة خلعه [٤] .

وكان عبدالملك قد أمر ابنه عبدالله أن يُعَفّيَ آثار سلفه عبدالعزيز بن مروان ، فاستبدل عبدالله عمالاً من الاصحاب بعمّال عبدالعزيز ، واستبدل قضاة جدداً بقضاة عبدالعزيز ، ومنع من لبْس البرانس [٥] ، وكانت فيه شدّة وبأس [٦] .

وتُوفي أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان يوم الخميس لاربع عشرة ليلة خلت من شـوّال سنة ست وثمانين الهجرية [٧] (٧٠٥م) ، وبُويـع ابنه الوليد بن عبدالملك ، فأقرّ أخاه عبدالله على صلاة مصروخراجها ، وأمر عبدَالله بالدواوين ، فنُسخت بالعربيّة ،

---

(١) الطبري (٤٣٠/٦) والنجوم الزاهرة (٢١٠/١) وابن خلدون (٢٩٢/٣) وانظر تاريخ ابن خياط (٣٠٠/١) وكتاب الولاة وكتاب القضاة (٥٨) .

(٢) الولاة والقضاة (٥٨) .

(٣) النجوم الزاهرة (٢١٠/١) ، اما في الولاة والقضاة ، فذكر أنه دخل (مصر) في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية ، انظر الولاة والقضاة (٥٨) .

(٤) الطبري (٤١٣/٦) وابن الأثير (٥١٣/٤) والبداية والنهاية (٥٧/٩) وابن خلدون (١٢٦/٣). والنجوم الزاهرة (١٧٣/١) .

(٥) البرانس : ج برنس : قلنسوة طويلة ، كان النساك يلبسونها في صدر الاسلام . والقلنسوة تلبس في الرأس ، انظر الافصاح (٣٧٦/١) وانظر معجم متن اللغة (٢٨٤/١) والوسيط (٥٢/١) .

(٦) النجوم الزاهرة (٢١٠/١) وانظر الولاة والقضاة (٥٨) .

(٧) الولاة والقضاة وانظر العبر (١٠٢/١ والبداية والنهاية (٦١/٩) وشذرات الذهب (٩٧/١) .

وكانت قبل ذلك تكتب بالقِبْطِيّة ، وصَرَف عن الديوان صاحبه القبطي وولاّه عربياً من أهل (حِمص) وذلك سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٦م) ، وابتنى عبدالله المسجد المعروف بمسجد عبدالله [١] . وكان موضع هذا المسجد يجلس فيه أهل المدينة يتحدّثون فيه ، فمرّ بهم يوماً عبدالله وهو أميرهم بمصر ، فسألوه أن يبني لهم فيه مسجداً ، وشكوا إليه ما يلقون من الشمس ، فبَناه لهم ، فكانوا يجتمعون فيه . وجعلت له حوانيت غَلّة له ، وكتب القاضي وثيقة بنائه وهي : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمر به القاضي عبدالرحمن بن عبدالله [٢] وهو يومئذٍ يلي القضاء لأهل (مصر) في صفر سنة ثمانٍ وثمانين ومئة بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له : (مسجد عبدالله) الذي بالظّاهِر : قِبْلِيّه الطريق الأعظم إلى المسجد الجامع ، وبحريّه الطريق الذي يسلك إلى سوق بَرْبَر ، وشرقيّه السُّويقة التي يقال لها سويقة : (مسجد عبدالله) على طريق (الموقِف) ، وغربيّه الطريق الذي يُسْلَك منه على الجُبّ الذي يقال له : (جُبّ عبدالله) ... » [٣] ، وذكرت تفاصيل وثيقة هذا المسجد للدلالة عن موقعه بدقة في مدينة (القاهرة) .

كما أمر عبدالله بسقف المسجد الجامع أن يُرْفع سمكه ، وكان سقفه مطأطئاً وذلك سنة تسع وثمانين الهجرية [٤] (٧٠٧ م) .

ووقعت سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) بمصر (الشّراقي) [٥] ، فغلت الاسعار بها إلى الغاية ، حتى قيل : إنّ أهل (مصر) لم يروا في عمرهم مثل تلك الايام ، وقاست أهل (مصر) شدائد بسبب الغلاء ، فاستشأم الناس بكعبه ، وزعموا أنه جائر وأنه ارتشى [٦] .

ولما شاع ذلك عنه ، طلبه أخوه الوليد بن عبدالملك من مصر ، فخرج عبدالله

(١) الولاة والقضاة (٥٨ — ٥٩) .

(٢) انظر سيرته في الولاة والقضاة (٤٠٦ — ٤١١) .

(٣) انظر التفاصيل في : الولاة والقضاة (٧٠٢ — ٧١٥) ، ويراجع كتاب : الانتصار لواسطة عقد الامصار حول المسجد الجامع (٥٩ — ٧١) ، وسوق بربر (٣٢) ، والموقف (٣٤) .

(٤) انظر التفاصيل في : الولاة والقضاة (٥٨ — ٦٠) ، وانظر ما جاء عن تعمير المسجد الجامع في : الانتصار لواسطة عقد الأمصار (٦٣) .

(٥) الشراقي : (في كلام أهل مصر) : الأرض التي لم يصلها ماء النيل ، فاذا رويت جادت ، وسميت رى الشراقي ، انظر معجم الوسيط (١/٤٨٠) .

(٦) النجوم الزاهرة (١/٢١٠ — ٢١١) والولاة والقضاة (٥٨ — ٥٩) .

واستخلف على عمله ، وكان أهل (مصر) في شدّة عظيمة من عِظَم الغلاء ، فأقام عند الوليد مدّة يسيرة ثم عاد إلى (مصر) [١] .

ومن الواضح أنّ الوليد حاسب أخاه عبدالله على ما أُشيع عنه : الظلم ، والرشوة ، ويبدو أنه خرج بريئاً ، ناصع الجبين من ذلك الحساب ، فأعاده الوليد إلى عمله ثانية .

والمعروف عن المصريين منذ القِدم حتى اليوم ، أنهم قد يصبرون على كل شيْ إلا الغلاء وهم يغضبون إذا اجتاحهم الغلاء ، ويتصدّون لمن يظنّون أنه سببه بكل قوة وشجاعة ، وهذا يفسّر لنا أسباب تذمرهم من عبدالله حين ارتفعت أسعار المواد الغذائية ، ولم يكن لعبدالله ذنب مباشر أو غير مباشر في الغلاء ، إذ لا حيلة له في قلّة مياه نهر النيل ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً في زيادة تدفق المياه أو نقصها ، ولا يستطيع غيره أن يفعل شيئاً .

كما أنّ المعروف عن المصريين قديماً وحديثاً ، أنهم يرمون كل حاكم من حكامهم بالظلم إذا اتّسم بالشدة والبأس في تصريف أمورهم ، وقد كان عبدالله : فيه شدّة وبأس [٢] .

أما اتهامه بالرشوة ، فيبدو أنها تهمة تبعية لاتهامه بالظلم ، إذ أنّ أبناء الخلفـاء وإخوتهم لا يَحاسَبون على الخراج من الخلفاء ، فلم يُحاسب عبدالعزيز بن مروان على خراج مصر ولم يحاسب مَسْلمة بن عبدالملك على الخراج ، فإذا كان خراج مصر كلّه بسيطرة عبدالله ، وهو خراج ضخم بدون شك ، فلماذا يلجأ عبدالله إلى تقاضي الرشوة ؟ ! .

إنّ اتهام عبدالله بالرشوة تشنيع من المصريين الذين اجتاحهم الغلاء وعوملوا بشدة وبأس ، فنفّسوا عن أنفسهم بالتشنيعات والهجاء [٣] والافتراء ، وبالنُّكَت القاسية قبل كل ذلك وبعده أيضاً .

ولا يمكن أن يرتشي مَن بيده خراج مصر ، يتصرّف به كيف يشاء .

ولكنّ الوليد بن عبدالملك عزَل أخـاه عبدالله سنة تسعين الهجريّة (٧٠٨ م) عن مصر [٤] لا عن ريبة ولكنه أراد أن يولي مَن يستطيع السّيطرة عليه بسهولة ويُسر .

---

(١) النجوم الزاهرة (٢١١/١) وانظر الولاة والقضاة (٥٩) .

(٢) النجوم الزاهرة (٢١٠/١) .

(٣) انظر هجاءه شعراً في : الولاة والقضاة (٥٩ — ٦٠) .

(٤) ابن الأثير (٥٤٧/٤) والنجوم الزاهرة (٢١١/١) والولاة والقضاة (٦٤) .

والظّاهر أنّ عبدالله سيطر على الخراج سيطرة كاملة ، وحجب تدفّقه إلى بيت المال في العاصمة (دمشق) ، لذلك عزله الوليد بعد أن نفد صبره ، وأوصى خلف عبدالله على (مصر) أن يختم على الدواوين وبيت المال [1] ، لجرد الحسابات ومقارنة الواردات بالنفقات ، لمعرفة ما يمكن أن يكون احتجزه عبدالله من المال بنفسه .

ويبدو أنّ تدقيق الحسابات ، أثبت أن عبدالله استأثر بقسم من المال لنفسه ، فلما عاد من (مصر) إلى أخيه الوليد في (دمشق) بعد أن استصحب جميع أمواله ، أُحيط به في (الأرْدُن) في طريق عودته وأُخذت جميع أمواله ، وحُمِل عبدالله إلى أخيه الوليد في (دمشق) [2] .

ولا ندري هل استعاد عبدالله أمواله ، أم ضُمّت إلى بيت المال في (دمشق) فقد سكت المؤرخون عن ذلك .

وقد كان خراج (مصر) الغنيّة هو المعين الوحيد لعمليات فتح شمالي (إفْرِيْقِيّة) كما كانت (مصر) هي القاعدة الأماميّة لفتح شمالي (إفريقيّة) وتوطيد أركان الفتح فيها واستكمال فتحها لتكون المنطلق لفتح الأندلس وأوروبا ، فلا بدّ من سيطرة الخليفة على خراج (مصر) أولاً وعلى (مصر) بالذات ثانياً ، ليتصرّف الخليفة بالخراج ليكون عَصب الفتح ، ولا يتمّ ذلك إلاّ بفرض سيطرته الكاملة على الخراج ، ولا بد له من السيطرة الكاملة على (مصر) ، لتسخر كل طاقاتها المالية والبشريّة للفتح ، وهذه السيطرة على الخراج وعلى البلاد لا تتمّ كما ينبغي بوجود أمير عليها يعتبر نفسه نداً للخليفة وصنواً له .

وقد كان على (إفريقيّة) موسى بن نُصَيْر اللّخْميّ [3] لعبدالملك بن مروان من سنة تسع وسبعين الهجرية [4] (٦٩٨ م) ، وكان على علاقة وثيقة بعبدالعزيز بن مروان سلف عبدالله بن عبدالملك ، ولكنه لم يكن كذلك مع عبدالله الذي خلف على (مصر) عمّه عبدالعزيز بن مروان ، فقد كان موسى بن نُصَيْر يكاتب عبدالعزيز بن مَرْوان ، فلما توفّاه الله ولّى عبدالملك ابنه عبدالله على (مصر) ، فلم يكاتبه موسى وكاتب عبدالملك

---

(١) الولاة والقضاة (٦٢) .
(٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (١/٢٢١ – ٣٠٩) .
(٣) تاريخ ابن خياط (١/٣٠٠) .
(٤) الولاة والقضاة (٢٠)

مباشرة، فكتب إليه عبدالله: « أما بعد. فإنك كنت من عبدالعزيز وبِشْر [١] مِهَادَيْن [٢] تعلو عن الحضيض مهودهما [٣] ويُدْفِئك دثارهمــا ، حتى عَفَـا [٤] مَخْبَرُك وسمتْ بك نفسك ، فلا تَحسبنّي كمن كنتَ تخلبه وأعداء بيته وتقول : أكفِياني أكفكما ، ولا كأضْبُع [٥] كنت يمنيه بكهانتك ! وأيم الله ! لأضعنَّ منك ما رفعا ، ولأقِلّنَّ منك ما كثّرا . رُوَيداً ، فكأن قد أصبحت سادماً [٦] تعضّ أناملَك نادما ، والسّلام » [٧] .

وكان جواب موسى لعبدالله : « أما بعد . فقــد قرأت كتابك وفهمتُ ما وصفتَ فيه من إرْكاني إلى أبويك وعمــك ، ولعمري إن كنت لذلك أهلا ! ولــو خبرت مني ما خَبَرا لما صغّرتَ مني ما عظّما ، ولما جهِلتَ من أمرنا ما علِمَا ، فكيف آتاه الله لك ! ! فأما انتقاصك لهما ، فهما لك وأنت منهما ، ولهما منك ناصر ، لو قال وجد عليك مقالاً ، وكفاك جزاء العاق [٨] . فأما تهدُّدك إيّايَ بأنك واضع مني ما رفعا ، فليس ذلك بيدك ولا إليك ، فارعُدْ وابْرُق لغيري . وأما ما ذكرت مما كنت آتي به عمّك عبدالعزيز ، فلَعمري إنّي ممّا نسبتني إليه من الكهانة لبعيد ، وأنّي من غيرها من العلم لقريب ؛ فعلى رِسْلِكَ ، فكأنّك قد أظلّك البدر الطّالع والسّيْف القاطع والشِهاب السّاطع ، فقد تَمّ لها وتَمّتْ له ، ثم بعث إليك الأعرابي الجِلف الجافي ، فلم تَشْعُر به حتى يَحُلّ بِعَقْوتِك [٩] فيسلبك سلطانك ، فلا يعود إليك ولا تعود إليه ، فيومئذٍ تعلمَ أكاهن أم عالمٌ ، وتوقِن أيُّنا النّادم السّادم ، والسّلام » .

وقرأ عبدالله كتاب موسى ، فكتب إلى أبيه عبدالملك كتاباً وأدرج كتاب موسى فيه ، فلم يصل الكتاب إلى عبدالملك حتى قُبِض ، ووقع الكتاب في يد الوليد بن عبدالملك بعد أن عزل عبدالله عن (مصر) ، فلما قرأه استضحَك ثم قال : « لله درّه — يقصد

---

(١) بشر بن مروان بن الحكم .
(٢) المهاد : الفراش . ومهاد الأرض : المستوية .
(٣) المهود : ج مهد : الارض المستوية السهلة .
(٤) عفا الارض : كثر نباتها فغطاها . وعفا الشيْ : خفى . وعفا الماء : لم يخالطه شيْ يكدره .
(٥) أضبع : ج ضبع ، وهو جنس من السباع من الفصيلة الضبعية ورتبة اللواحم ، أكبر من الكلب وأقوى وهي كبيرة الرأس قوية الفكين . وهذه تعرف بالسذاجة والغفلة .
(٦) السادم : المصاب بالهم أو الغيظ مع حزن .
(٧) الولاة والقضاة (٦٠ — ٦١) .
(٨) أضاف موسى بعد العاق : فأما ما نلت من عرضي ، فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لالك » .
(٩) العقوة : الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة أو حولهما .

موسى – إن كان عنده أثرَة [1] من علم ، ولقد كان عبدالله غنيّاً أن يتعرّضه [2] » .

فإذا صحّ صدور هذا الكتاب عن عبدالله ، فهو يدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية ، وبلاغته وبيانه الرفيع ، كما يدل على حبّه للسيطرة واهتمامه بالضبط والنّظام، فهو لا يرضى أن يتخطّاه موسى إلى الخليفة ، لأنه يعتبر نفسه المرجع المباشر لموسى .

والمهم أن عبدالله لم يكن على علاقة حسنة بموسى بن نُصَيْر ، مما يؤدى إلى عرقلة استكمال فتح (إفريقيّـــة) وتوطيد فتحها ، لتكون القاعدة الأماميّـــة لفتح الأندلس وأوروبا ، كما تشل هذه العلاقة السيئة بين عبدالله وموسى بن نُصير التّعاوَن الوثيق بين القائدين وتلحق بالفتح أفدح الأضرار .

ولا يمكن أن يبقى قائدان في منطقتين متجاورتين تؤثر إحداهما في الأخرى تأثيراً سَوْقيّاً إلاّ إذا كانامتعاونين أشدالتعاون، يتبادلان ثقة بثقة وحبّاً بحب وإخلاصاً بإخلاص.

ويبدو أنّ صغر سنّ عبدالله وعنجهيته ، هي التي جعلت موسى بن نَصير – وهو القائد الألمعي الحصيف ، لا يتعاون مع عبدالله تعاوناً وثيقاً كما كان يتعاون مع عبدالعزيز ابن مروان وغيره من أمراء (مصر) .

كما يبدو أنّ موسى استشف أخبار العلاقة غير الوطيدة بين الأخوين : الوليد وعبدالله، وأنّ مكانته عند الوليد أقوى من مكانة عبدالله ، وأنّ الوليد لا محالة سيعزل عبدالله عن (مصر) اليوم أو غداً ، لذلك لم يكترث بعبدالله ولم يُوْلِهِ العناية الكافية .

وقد كانت ولاية عبدالله على (مصر) ثلاث سنين وعشرة أشهر [3] .

وإخوة عبدالله بن عبدالملك : الوليد ، وسليمان ، ومَرْوان الأكبر مات صغيراً ، وعائشة ، أمهم ولاّدة بنت العبّاس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيْض .

ويزيد ، ومعاوية مات صغيراً ، وأم كلثوم ، وأمهم عاتكة بنت يزيد بن أبي سُفْيـــان .

---

(١) الأثرة : المنزلة . وأثرة العلم : بقية منه تؤثر .

(٢) الولاة والقضاة (٦١ – ٦٢) .

(٣) النجوم الزاهرة (٢١١/١) ، وفي الولاة والقضاة (٦٣) : أن ولايته كانت عشرة أشهر ، وهذا بدون شك خطأ مطبعي أو خطأ من ناسخ الكتاب ، وكان على مهذبه ومصححه (رفن كست) ألا يغفل عن مثل هذا الخطأ ، والكتاب بعد ذلك يعج بالاخطاء بشتى أنواعها ومختلف أشكالها مما يدعو الى الأسف الشديد .

وهشام ، وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، واسم أم هشام : عائشة بنت هشام المخزوميّة .

وأبو بكْر واسمه : بكّار ، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبَيْدالله .

والحَكَم مات صغيراً ، وأمه أم أيّوب بنت عمرو بن عثمان بن عفّان .

وفاطمة بنت عبدالملك ، أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام ابن المغيرة .

وعبدالله ومَسْلمة والمُنْذِر وعَنْبَسَة ومحمد وسعيد الخير ، لأمهات أولاد [1] .

ولا ذكر لأولاده ، وورد ذكر قسم من أولاد عبدالملك بن مروان ، ولم يذكر قسم آخر منهم ، إذ : ليس في أعقاب سائر ولد عبدالملك من أشتهر فيُذكر [2] » .

وقد تولى عبدالله (مصر) سنة خمس وثمانين (٧٠٤ م) كما ذكرنا ، وكان عمره حينذاك سبعاً وعشرين سنة [3] ، ومعنى ذلك أنه ولد سنة ثمان وخمسين الهجرية (٦٧٧م) ، وقتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية [4] (٧٤٩ م) ، أي أنه عاش أربعاً وسبعين سنة قمرية واثنتين وسبعين سنة شمسيّة .

القائد

كان في عبدالله شدّة وبأس كما وصفه المؤرخون ، وهذا يدل على قوّة شخصية والتحليّ بالضبط المتين .

والشخصيّة القويّة من سمات القائد المتميّز ، كما أنّ الضبط المتين من مزايا الجندي والقائد المتميّزين ، إذ لا جيش يُعتمد عليه وقوة يُعتدّ بها إذا لم تتّسم بالضبط المتين .

والفرق الرئيسي بين العسكريين والمدنيين ، هو تمتع الأولين بالضبط المتين ، وعدم تمتع الآخرين بهذا الضبط .

فاذا كان القائد منضبطاً ، سرت هذه السجيّة إلى رجاله ، وبذلك يحقّق القائد لجيشه أول أسباب النصر .

---

(١) الطبري (٤١٩/٦ - ٤٢٠) وانظر جمهرة أنساب العرب (٨٩) والنجوم الزاهرة (٢١١/١) .

(٢) جمهرة إنساب العرب (١٠٤) .

(٣) النجوم الزاهرة (٢١٠/١) .

(٤) تاريخ ابن خياط (٤٣٥/٢) .

ويبدو أنّ سفارة عبدالله إلى العراق لكبح جماح ثورة ابن الأشعث أو لإقرار الصلح بين رجاله ورجال الحجّاج، وتصرّفه في قيامه بواجبه في السفارة أولاً وتعاونه مع الحجّاج في معركة (دير الجماجم) مما أدى إلى إحراز النصر ثانياً ، وقيادته الواعية في غزواته المتعاقبة بأرض الرُّوم ثالثاً ، ومحاولته ترسيخ أقدام الفاتحين في المناطق التي فتحها ليصبح الفتح مستداماً ولا يبقى فتحاً مؤقتاً أخيراً ، هو الذي لفت إليه نظر أبيه عبدالملك بن مروان ، فولاّه (مصر) وأوكل إليه أمر إدارتها بأسلوب جديد غير الذي كان يتبعه في إدارتها عبدالعزيز بن مروان .

وأهمية (مصر) في فتح المغرب وإفريقيّة ، كأهمية (العراق) في فتح المشرق ، واعتماد فتح المغرب على خراج (مصر) ، كاعتماد فتح المشرق على خراج (العراق) ، لذلك كان اهتمام الخلفاء باختيار ولاة (مصر) و (العراق) فائقاً جداً ، لأن (مصر) القاعدة الأمامية الرئيسة في فتح المغرب ، وشأنها في ذلك شأن (العراق) ، ولا فتح بدون قاعدة رصينة ، وهذا يحتاج إلى ولاة قادرين من ذوي الكفايات العالية والإدارة الحازمة .

إن اختيار عبدالله من بين أخوته لولاية (مصر) ، دليل على نجاحه في المهام الإدارية والقيادية التي ألقيت على عاتقه قبل أن يتولى هذا المنصب الحيوي الرفيع ، وهي التي رشحته لتولي هذه المهمة الجديدة الصعبة ، ورشحته لاقتلاع آثار سياسة عبدالعزيز بن مروان في (مصر) من جذورها ، تلك الجذور التي تغلغلت إلى الأعماق ، لأنّ عبدالعزيز حكم (مصر) عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً [١] . امتدت من سنة خمس وستين الهجرية [٢] (٦٨٤ م) حتى سنة خمس وثمانين الهجرية [٣] (٧٠٤ م) ، فأمر عبدالملك ابنه عبدالله أن يُعَفِّيَ آثار عبدالعزيز في [٤] (مصر) ، وهذه مهمة صعبة جداً ، لا يستطيع تنفيذها غير الرجال القادرين .

وإذا علمنا أنّ عبدالله تولى (مصر) وعمره سبع وعشرون سنة [٥] ، وإنه بدأ

---

(١) النجوم الزاهرة (١٧٤/١) والولاة والقضاة (٥٥) .
(٢) العبر (٧١/١) وشذرات الذهب (٧٣/١)
(٣) العبر (٩٩/١) وشذرات الذهب (٩٥/١) .
(٤) النجوم الزاهرة (٢١٠/١) والولاة والقضاة (٥٨)
(٥) النجوم الزاهرة (٢١٠/١) .

حياته العمليّة قائداً وسفيراً سنة اثنتين وثمانين الهجرية [1] (٧٠١ م) ، وكان عمره يومئذ اربعاً وعشرين سنة ، فمعنى ذلك أنه أظهر كفاية متميزة في سن مبكّرة ، ثم قضى ثلاث سنوات لوضع كفايته في محك التجربة العملية ، فنجح في إحراز ثقة أبيه فولاّه أكبر منصب مرموق بعد منصب الخليفة ، وهو ولاية (مصر) ، مما يدل على تمتّعه بالطبع الموهوب الذي أثبت نجاحه في ميدان التطبيق العملي .

ولا شكّ في أن علمه المكتسب كان له نصيب كبير في صقل طبعه الموهوب وفي تجربته العمليّة قائداً وسفيراً وإدارياً ، وبذلك إجتمعت لعبدالله الصفات الثلاث للقائد والسياسي والاداري : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب والتجربة العملية .

ولا يستطيع متتبّع سيرته قائداً ، إلا أن يتوقف أمام ميزة بارزة لقيادة عبدالله ، وهي محاولته جعل الفتح مستداماً ، ورفضه الاكتفاء بالفتح المؤقت الذي هو أشبه بالمعارك السيّارة والغارات منه بالفتح المستدام .

لقد فتح المسلمون (المَصِّيْصَة) بقيادة أبي عبيدة بن الجرّاج في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما ، ولكنّ الرُّوم استعادوها مرات ، وأعاد المسلمون مرات فتحها ، لذلك قرّر عبدالملك بن مروان أن يحرم الرُّوم من استعادتها ، لاهمية موقعها السّوْقي حيث تعتبر الخط الدفاعي الأمامي عن (أنطاكية) أهم الثغور الشامية ، فإذا استعادها الرُّوم أصبحت (أنطاكيّة) مكشوفة تحت رحمة الرُّوم فيستعيدها الرُّوم بيسر وسهولة. وأمر عبدالملك ابنه عبدالله أن يعيد بناء (المصِّيصة) ويحصّنها ويعمر قلعتها ويحشد الجنود فيها ، فنهض عبدالله بهذا الواجب على أحسن وجه ، واختار من رجاله الشجعان المغاوير ، وجعلهم حامية ثابتة لهذا الثغر المتقدّم الذي يحمي (أنطاكية) بخاصة ، والحدود الشمالية الغربية للدولة بعامة [2] .

وذهب عبدالله إلى مدى أبعد من ذلك ، فتغلغل شمالاً إلى (طُرَنْدَة) لتكون خطّاً دفاعياً أمامياً للدفاع عن (المصِّيصة) ، وبذلك أصبح خطان دفاعيان أماميان للدفاع عن (أنطاكية) وعن حدود الدولة ، يصعب على الرُّوم اختراقهما للوصول إلى (أنطاكية) وحدود الدولة الشمالية الغربية ، وبهذا حمى البلاد الاسلامية حماية مثالية من الرُّوم ، كما أمّن قواعد متقدّمة للفتح في بلاد الرُّوم .

---

(١) تاريخ ابن خياط (٢٨٩/١) ومعجم البلدان (٢٨٥/٣) .

(٢) انظر التفاصيل في البلاذري (٢٢٥) .

وقد ارتكز مسلمة بن عبدالملك على (المصِّيصة) في انطلاقــه شمالاً لحصار (القُسْطَنْطِينِيّة) ، وكانت هذه المدينة من أهم قواعده المتقدمة التي ارتكز عليها لتحقيق أهدافه في الفتح .

وأخفقت حملة (القُسطنطينيّة) وبدأ المسلمون بالانسحاب منها ، فكانت (المصِّيصة) أرصن قواعد المسلمين المتقدِّمة في حماية الانسحاب .

ومات عبدالله ومات مَسْلَمَة بن عبدالملك ، وانتهت أيام الدولة الأموية في الشّام ، وبدأت أيام الدولة العباسيّة في (بَغْداد) ، وذكر (المصِّيصة) يتردّد في الصراع بين المسلمين والرُّوم ، وبقيت صخرة صلدة بوجــه الرُّوم ، فلم يستطيعوا استعادتها إلى حكمهم ، كما لم يستطيعوا إلى يُقلّلوا في أهميتها الحيويّة في الدفاع عن (أنطاكية) وحماية الحدود الشمالية الغربية من هجمات الرُّوم وغاراتهم [1] .

والفضل في ذلك يعود إلى عبدالملك بن مَرْوان صاحب فكرة تحصينها وحشد المقاتلين فيها ، وإلى ابنه عبدالله الذي وضع تلك الفكرة في حيّز التنفيذ .

كما أن الفضل في جعل فتح هذا الثغر فتحاً مستداماً ، يعود إلى عبدالله دون مراء .

إنّ عبدالله في فتحه ، يفكّر في الحاضر وفي المستقبل ، ولا يكتفي بالتفكير في الحاضر فقط ، وهذه صفة من صفات القائد الذي يتسم بِبُعْد النظر .

وقد كان عبدالله قائداً تعرضياً ، يطبِّق الحرب السيّارة ، ويدافع عن الحدود والثغور بالتعرّض لا بالدفاع المُسْتَكِينّ ، ويرى بحق أنّ الهجوم أفضل أساليب الدفاع .

وبالأسلوب التعرضي ، حمى عبدالله الحدود والثغور ، ونقل القتال من مواضع المسلمين إلى مواضع الرُّوم ، وجنّب بلاد المسلمين خسائر الحرب ، وأوقــع تلك الخسائر في بلاد الرُّوم ، وفتح مناطق من ارض الرُّوم ، جعلت أرض المسلمين بعيدة عن أسلحة الرُّوم ورجالهم .

وكان يطبِّق مبدأ (التَحشُّد) في غزواته ، فيحشد القوّة المناسبة للعمل المناسب ، كما يحشد القوات المناسبة في الثغور ، للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم معادٍ .

وكان يطبِّق مبدأ (الأمن) في مسير الاقتراب ، وفي صفحة الاشتباك بالعدو ، كما يضع الحاميات في الثغور ، لكي لا يباغتها العدو في هجوم غير متوقع ، وبهذه التدابير الأمنية صان رجاله من مباغتة العدو لهم في مختلف صفحات القتال التي خاضها.

---

(١) انظر التفاصيل في البلاذري (٢٢٣ - ٢٣٠) .

وكان يطبِّق مبدأ (القضايا الإدارية) تطبيقاً مثالياً في غزواته ابتداء من تقدمه لمجابهة العـــدو ، إلى عودته إلى قواعد المسلمين ، فلا نعلم أنّ قواته إحتاجت إلى أي نوع من أنواع القضايا الإدارية تموينا وسلاحاً ونقليّة وطبابة ومرتبات .

وكان يديم معنويات رجاله العالية ، بالنصر ، والأمن ، والحماية ، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات عن قواته ، وبالحاميات القوية القادرة ، وبالتعرض والقتال السيّار ، ونقل المعركة إلى ارض العدو ، وبالاستعدادات المتكاملة .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، ويحبهم ويحبونه ، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه .

والذي يبدو أنّ أهم مزاياه العسكريّة في القيادة هي : بُعْدُ نظره الذي جعله ينفِّذ الخطط الضرورية التي أدّت إلى ترسيخ ما فتحــه من بلاد الـــروم ، فأصبح فتحاً مستداماً ولم يبق فتحاً مؤقتاً .

كما أنه كان ذا شخصية نافذة مُسَيْطِرة ، تفرض نفسها بقوة وصرامة على رجاله وعلى أسلوب عملهم في القتال والادارة على حد سواء .

كما أنه كان يتحلّى بالضبط المتين ، فلا يغضّ الطرف عن مخالفات رجاله ولا يرضى منهم بغير الالتزام الصّارم بمتطلّبات الضبط المتين .

تلك مزايا ثلاث بارزة في عبدالله ، لفتت إليه نظر أبيه عبدالملك ، فولاّه مصر ليعيدها إلى سيطرة أبيه الكاملة ، فخسرته القيادة ولم تربحه الإدارة .

عبدالله في التاريخ

يذكر التاريخ لعبدالله أنه فتح منطقة حيوية من بلاد الروم بقيت ردحاً من الزمن تنتقل من أيدي الروم إلى أيدي المسلمين ، ومن أيدي المسلمين إلى أيدي الرُّوم ، حتى استقرت أخيراً بأيدي المسلمين بفضل عبدالله ، وأصبح فتحها فتحاً مستداما .

ويذكر له أنه حمى بفتحه المستدام منطقة (أنطاكية) ، وهي من أهم الثغور الشّاميّة التي تحرس الحدود الشمالية الغربيّة للدولة الإسلاميّة .

ويذكر له أنه تولى (مصر) ، فأعادها إلى سيطرة أبيه الكاملة ، بعد أن كانت شبه مستقلّة في أيام عبدالعزيز بن مروان .

ويذكر له أنه نجح نجاحاً باهراً في قيادته ، ونجح نجاحاً محدوداً في إدارته ، فكان قائداً متميزاً ، ولم يكن إدارياً متميِّزا .

يرحمه الله جزاء ما قدم من جهد في قيادته وإدارته .

لمحات من تراثنا الحضاري القديم في الطب

الأستاذ طه باقر

استاذ بكلية الآداب – جامعة بغداد

عضو المجمع العلمي العراقي

يأتي الطب والممارسات الطبية في حضارة وادي الرافدين من بين المقوّمات والعناصر الحضارية المهمة التي عني بها الباحثون في تطور العلوم والمعارف الانسانية ، ذلك لأنهم وجدوا في تلك الممارسات الأسس والاصول الأولى لاقدم اساليب استعملها الانسان في التطبيب والشفاء ، شأنها في ذلك شأن اوليات الحضارة الأخرى التي ظهرت في حضارة وادي الرافدين وخلفت تراثا كبيرا ومهما في الحضارات اللاحقة ، ومنها الطب في الحضارة اليونانية والحضارة العربية الاسلامية .

وقبل ان نوجز الملامح الاساسية لطب حضارة وادي الرافدين نمهد لذلك بتعريف موجز لما نقصده بحضارة وادي الرافدين لما لذلك من علاقة اساسية بموضوع هذا البحث، فنقول إنه يقصد بحضارة وادي الرافدين او ما بين النهرين بوجه عام حضارة العراق القديم التي اخذت بالازدهار في السهول الرسوبية ، (أي الاقسام الجنوبية والوسطى مما يعرف ببلاد « سومر » و « اكد ») في مطلع الألف الثالث ق.م. اي قبل نحو خمسة آلاف عام . ولكنها تمتد في اصولها وجذورها الى اطوار عصور ما قبل التأريخ الموغلة في القدم ، ومرت في مراحل تطورها بعدة اطوار حضارية وبقيت في الوجود الى اواخر العهد الما قبل الميلادي . ويدخل تحت مصطلح حضارة وادي الرافدين بالاضافة إلى الحدود الجغرافية الحالية للعراق ، عدة أقطار مجاورة ، انتقل اليها كثير من المقومات

والعناصر الحضارية مثل بلاد عيلام (الاجزاء الجنوبية الغربية من ايران اي ما يعرف الآن بالاحواز او عربستان) ، وشمالي ما بين النهرين (الجزيرة) وبلاد الشام والاناضول (موطن الحيثين القدماء) ، وقد بلغت التأثيرات الحضارية التي انتقلت الى هذه الاقطار من العراق درجة من السعة والشدة بحيث يصح ان نعد الحضارات او الثقافات التي نشأت فيها امتدادا لحضارة وادي الرافدين ، ومن بين ذلك حقل الطب والممارسات الطبية موضوع هذا البحث كما سيتضح ذلك فيما بعد .

وحضارة وادي الرافدين ، في عرف مؤرخي الحضارة ، احدى الحضارات القديمة القليلة وفي مقدمتها حضارة وادي النيل ، التي لم تتفرع او تشتق من حضارة سابقة لها بل انها نشأت ونمت وتطورت من ادوار عصور ما قبل التأريخ البدائية ، ولذلك اطلق عليها الباحثون مصطلح « الحضارة الاصلية » او الاصيلة » (ORIGINAL (IVILZATION او الحضارة الغير مشتقة ;UNRELATED CIVILIZATION) ويلحق الباحثون بهذا الصنف من الحضارات بالاضافة الى حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ، حضارة الشرق الاقصى (الصينية) وحضارة حوض نهر السند ;INDUS CIVILIZATION) وحضارة امريكة الوسطى (المايا والازتيك) .

اما الحضارات البشرية الاخرى فيدرجونها تحت صنف الحضارات المشتقة او الفرعية (AFFILIATED CIVILIZATIONS) [1] .

اكتشاف النصوص المسمارية الطبية :

يرجع الفضل في معرفتنا بالطب والممارسات الطبية في حضارة وادي الرافدين الى المدونات والنصوص المسمارية التي خلفتها تلك الحضارة . وقد بدأ تعرف الباحثين على تلك النصوص من بعد حل رموز الخط المسماري منذ منتصف القرن الماضي ، وهي قصة مثيرة لامجال لاسهاب القول فيها وتعد من أروع ما أسهمت به المعارف الحديثة في حقل الاكتشافات العلمية [2] .

بيد أن تفسير تلك النصوص ولا سيما النصوص الطبية وفهمها وتقييمها على الوجه الصحيح قد تأخر من بعد ذلك التأريخ بعدة عقود من السنين ، وعلى وجه التحديد الى

---

(١) انظر : A. Toynbee, A Study of History وترجمة كاتب المقال لموجز المجلدات السنة الأولى (١٩٥٥) .

(٢) راجع ايجاز ذلك في كتابي الموسوم : « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول (١٩٧٣)

ما بعد فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية . ومثل ذلك يقال بالنسبة الى فهم النصوص المسمارية الرياضية . ويرجع الفضل في ذلك بوجه خاص الى ما نشره بعض الباحثين المختصين من نصوص مسمارية طبية مهمة ، ولا سيما الواح الطين المحفوظة في المتحف البريطاني ، والتي اكتشفت في مكتبة الملك الاشوري الشهير « آشور — بانيبال » (٦٦٨ — ٦٢٧ ق. م.) ومعظمها نسخ عن نصوص طبية قديمة [٣] مما قبل العصر الآشوري الحديث . واقدم من هذه النصوص الالواح الطبية المسمارية التي اكتشفت في العاصمة الاشورية القديمة « آشور » (قلعة الشرقاط) في اثناء التنقيبات الاثرية الالمانية (١٩٠٤ — ١٩١٢) وتسبق في زمنها الواح مكتبة اشور بانيبال في نينوى التي نوهنا بها ، حيث يرجع تأريخها الى حدود مطلع الألف الأول ق . م [٤] . وتسبق هذه النصوص الطبية في الزمن بزهاء اربعة قرون الالواح الطبية المهمة التي اكتشفها المنقبون الالمان في العاصمة الحيثية « حاتوشا » (بوغازكوي الآن في تركية) وترجع في زمنها الى حدود القرن الرابع عشر ق.م [٥] وهي مدونة بالخط المسماري وباللغة البابلية مما يوضح ما نوهنا به من تأثر الحضارة الحثية بحضارة وادي الرافدين وامكان عدها ثقافة مشتقة من تلك الحضارة . واكتشفت نصوص طبية أخرى من بعد ذلك التأريخ ستأتي الاشارة اليها في مواضع آتية من هذا البحث .

ولكن على الرغم من اكتشاف هذه النصوص الطبية المهمة ظلت نظرة الباحثين الى الطب في حضارة وادي الرافدين حتى مطلع الخمسينات يشو بها كثير من الوهـــم الناشئ من عدم التمييز ما بين الطب والممارسات الطبية وبين السحر وممارساته أي ما بين الساحر المعوذ وبين الطبيب الصرف[٦] . على أن الرأي الصحيح الذي انتهت اليه بحوث

---

(٣) انظر : R.C. Thompson, Assyrian Medical Texts ;1923; وعن احدث بحث في موضوع الطب في حضارة وادي الرافدين ، راجع البحث الآتي وفيه الاشارات الى اهم الدراسات والمراجع :—
Robert Biggs, "Medicine in Ancient Mesopotamia" in History of Ssience 8,; 1969), 94 ff.

(٤) انظر نصرص هذه الالواح التي نشرها الباحث « إيبلنغ » : —
Ebelling, Keilschrifttexte aus Assur, Religiosen Inhalts ; Leipzig, 1915 — 1919;

(٥) حول نصوص هذه الا لواح انظر :
F. Koehler, Keilschrifttexte aus Boghazkoy
XXXVII ;1953;, Nos. 19, 30

(٦) من الامثلة عل الباحثين القدماء الذين فاتهم التمييز ما بين النصوص السحرية والنصوص الطبية الصرفة، الباحث الطبيب الفرنسي « كونتينو » وكتابه الموسوم :
G. Contenau, La médicine en Assyrie et en Babylonie (1938)

معظم الباحثين المعنيين بالموضوع منذ الخمسينات من هذا القرن ان هناك فروقا واضحة ما بين السحر والطب ، وانه على الرغم من ان الممارسات السحرية والطبية قد ظهرت جنبا الى جنب ومقترنة بعضها ببعض في بعض الحالات ، بيد أنه لا توجد أي دلالة أو قرينة تشير الى ان الطب قد نشأ او تطور عن السحر والتعويذ ؛ بل ان الممارسات الطبية الصرفة وجدت منذ اقدم عهود تأريخ العراق القديم وهي مستقلة ومتميزة عن الممارسات السحرية . وشبيه بهذا الوهم في جعل السحر اصلاً للطب في حضـــارة وادي الرافدين الـــرأي القديم الخاطئُ بأن الفلك البابلي (Astronomy) قـــد نشأ عن التنجيم (Astrology) .

وليس ادل على انفصال الطب عن السحر في حضارة وادي الرافدين من أن المصطلحين اللذين اطلقتها النصوص المسمارية على الطب والطبيب وعلى السحر والساحر كانا مصطلحين متميزين في جميع عهود تلك الحضارة . فان المصطلح الذي اطلق على الساحر والمعوِّذ في اللغة البابلية « آشيبو » ((ashipu) (ومنه فن التعويذ « آشيبوتو » (ashiputu) لم يختلط في دلالته ومفهومه مع المصطلح الذي اطلقوه عـــلى الطبيب وهو الكلمة البابلية « آسو » (Asû) ومنه مصطلح الطب « آسوتو » (asûtu) . وكان الرأي السائد بين الباحثين القدماء ان كلمة « آسو » البابلية مأخوذة من الكلمة السومرية (آ — زو » ((A — ZU) او « يازو » (IA — ZU) التي تعنـــي « العارف بالماء »او « العارف بالزيت» ، اشارة الى كثرة استعمال المـــاء والزيت في التطهير والممارسات الطبية ، او بالاشارة الى ان مصدر الطب من اله الحكمة والماء ، وهو « إيا » (آنكي) بيد ان الشك أخذ يساور الباحثين المحدثين في هذا التأصيل السطحي . على انه يمكن القول إن مصطلح « آسو » البابلي ليس سومري الأصل وانما كتب كتابة صوتية بالعلامتين المسماريتين وهما آ — زو » (A-ZU) او (IA-ZU) ، وان اشتقاق الكلمة البابلية « آسو » مثل المادة العربية « آسى ، يواسي » ومنها كلمة « آسي » العربية (وجمعها أساة [٧] . والجدير بالذكر عن مصطلح « آسو » البابلي انه ورد في النصوص المسمارية في عصر قديم من عصور حضارة وادي الرافدين ، وهو العصر الاكدي (منتصف الألف الثالث ق . م .) هـــذا ولم يقتصر التمييز بين الطبيب وبين الساحر من الناحية اللغوية بل انه تضمن الناحية الاجتماعية والمهنية والقانونية . فالساحر المعوذ الذي كان

(٧) انظر :
R. Biggs, in Revue d'Assyriologie (1966), 176ff.

عمله الرئيسي التعويذ والتعزيم (Exorcisim) لطـــرد الشياطين وما تسببه للبشر من امراض واضرار كان من صنف الكهنة ورجال الدين ، في حين ان الاطباء كانوا من ذوي المهن والحرف . وهكـــذا جاء ذكرهم في المواد التي خصصتها شريعـــة حمورابي لتنظيم شؤون الاطباء والجراحين والبياطرة وتحديد اجورهم والعقوبات التي كانت توقع بهم (المواد ٢١٥ – ٢٢٧) ولم يرد فيها ذكر المعوذ والراقي (آشيبو) في الشؤون الطبية في تلك الشريعة لان اختصاصه كان كما قلنا الممارسات السحرية الخاصة بطرد الشياطين والارواح الخبيثة بالرقي والتعزيم (في البابلية شبتو (Shiptn) . اي ما يطلق عليـــه كما قلنـــا التعزيم (Incantation) و (Exorcisim) والادعيـــة والصلوات وغيرهـــا ، وهكذا اتجهت البحوث الحديثة الى التمييز ما بين الممارسات السحرية والممارسات الطبية [٨] .

ويمكن ارجاع هذا الوهم في آراء قدماء الباحثين الى انهم وجدوا في واقع الامر حالات مرضية كثيرة كان القوم يعالجونها بالطرق السحرية حيث يرجعون اسبابها الى غضب الآلهة وتسليطهم الشياطين والارواح الخبيثة على الناس لذنوبهم وآثامهم فالتجأوا في درئها وشفاء الامراض المتسببة عنها الى التعزيم والتعويذ أي الى ما يدخل في الممارسات السحرية ، كما ان هناك حالات مرضية كانوا يجمعون في علاجها الطريقتين السحرية والطبية ، ومن قبيل ذلك ما سنذكره في حالات العنة والعجز الجنسي . كما ان المعوذين (ashipu) كانوا كثيرا ما يمارسون . اصدار الانذار والتنبؤ في (Prognosis) في الحالات المرضية التي يفحصونها ، فيقررون اذا كان المريض سيشفى او لايشفى . ولعله يمكن مضاهـــاة هذا الجمـــع ما بين الطرق السحرية والطبية في عـــلاج بعض الامـــراض في طب العراق القديم بممارسات الطب الحديث للطرق النفسية والعلاج النفسي في

(٨) يجد القارئ هذا الاتجاه الحديث في دراسة النصوص الطبية في أهم البحوث وفي مقدمتها :

1. Edith Ritter."Magical Expert (Ashipu) and physician (Asû). Notes on two Complementary proffessions in Babylonian Medicine" in Assyrialogical Studies XVI (1965) , 29 ff.

2. A.L. Oppenheim, "Mesopotamian Medicine" in Bulletin of the History of Medicine, XXXV ;1962), 97 ff.

3.— Ancient Mesopotamia ; 1965), 289 ff

4. E. Reines, "Medicine in Ancient Mesopotamia" in Journal of the International College of Surgeons ;1964), 54 ff.

5. M. Civil, " Prescriptions Medicales Sumeriens" in Revue d'Assyriologil ;1960), 57ff.

IBID. (1961), 91 ff

الامراض العصبية والنفسية بالاضافة الى الادوية والعلاج الطبي الصرف . والى هـذا فاننا اذا اخذنا في حسابنا تلك الازمان الموغلة في القدم فاننا لا نستغرب اذا عزى العراقيون القدماء اسباب الامراض والعلل الى الآلهة ، وانها نوع من العقاب الذي توقعه بالبشر جزاء شرورهم ومعاصبهم . كما ان فن التطبيب والشفاء نفسه كان مثل غيره من شؤون الكون والحياة والمجتمع يرجع الى تقدير الآلهة . وانهم نسبوا فن الطب والشفاء الى بعض الآلهة وفي مقدمتهم اله الحكمة والماء « إيا » (وفي السومرية آنكي) ويليه في المرتبة الاله المسمى « ننآزو » (Ninazu) (ومعنى اسمه في السومرية سيد الاطباء) ، وابنه الاله « ننكشزيدا » (Ningishzidda) . ومن الطريف ذكره عن هذا الاله بصدد الموضوع الذي بين أيدينا ان من شاراته او رموزه عصا ملتفة حولها حية او حيتان ، وهذا هو شعار الاطبـاء او الصولجان (Cadouces) كمـا نشير الى مـا ورد في ملحمـة جلجامش عن اسطورة الحية التي سرقت نبات الشباب او النبات الذي يجدد الشباب الذي عثر عليه جلجامش في اعماق البحار ، وبذلك صـار في مقدور الحية ان تجدد شبابها بنزع جلدها كل عام . ونذكر من آلهة الطب أيضا الالهة « كولا » (GULA) التي كان مركز عبادتها في مدينة « إيسن » (إيشان بحريان الآن القريبة من الوركاء والتي تنقب فيها الآن بعثة اثرية المانية من جامعة موينخ) . وتضاهي هذه الالهـة ايضا الهة ورد اسمها في النصوص المسمارية بهيئة « نن – كَرّاك » (Ninkarrak) .

ونسبت بعض الحضارات القديمة التي اعقبت حضارة وادي الرافدين مثل الحضارة اليونانية الطب والشفاء الى بعض الآلهـة ، فالاله « ابولو » (Apollo) (المضـاهي لهبل عند عرب الجاهلية) كان اله الطب وابنـه الاله « إيكلبيوس » (Asclepius) وابنته « هاكيا (Hygeia) (ومن اسمها اشتقت الكلمة التي تطلق على الصحة في اللغات الأوروبية وهي (hygiene) .

أزمان النصوص الطبية وأدوارها : –

مع ان المدونات الكتابية المختلفة قد بدأت بالظهور في حضارة وادي الرافدين منذ المنتصف الأول من الألف الثالث ق . م . ولكن ما جـاء الينا من نصوص مسمارية طبية لا تتعدى في ازمانها مطلع الألف الثاني ق . م . وقد دونت الالواح القديمة منها باللغة السومرية وهي قليلة العدد بحيث لا يستطيع الباحث ان يكوّن صورة واضحة عن الممارسات الطبية في الادوار القديمة من حضارة وادي الرافدين ، ولكن مما يقال عن

هذه النصوص القديمة انها تشبه في مصطلحاتها ومضامينها المآثر الطبية اللاحقة من الادوار اللاحقة . ولعله يمكن عزو قلة النصوص الطبية من العصور القديمة الى صدفة الاكتشاف ، ولكن بحسب معرفتنا الراهنة يمكن تحديد الالف الثاني ق . م . او ما يدعى في تأريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم (٢٠٠٠ – ١٥٠٠ ق.م.) بانه العصر الذي يرجع اليه اقدم النصوص الطبية القليلة . على ان الرأي السائد بين الباحثين ان النصوص الطبية الكثيرة من الادوار التي اعقبت العصر البابلي القديم كان معظمها مستنسخات من نصوص ذلك العصر . والمعروف عن تأريخ العلوم والمعارف المختلفة في حضارة وادي الرافدين ان ذلك العصر البابلي القديم شاهد حركة منقطعة النظير بالنسبة الى تلك العصور القديمـــة في التأليف والترجمة وتدوين النصوص الادبيـــة المشهورة والنصوص الرياضية والقوانين والشرائع والمعاجم اللغوية والمآثر الطبية .

وبالنسبة الى النصوص الطبيـــة كان اقدم ما عثر عليه منها لوح طين (قياسية ٥ ر ٩ × ١٦ سم) مدون بالخط المسماري وباللغة السومرية ويؤرخ في حدود ٢٠٠٠ – ١٩٠٠ ق . م . ويتضمن نصا صيدلانيا في الادوية وتهيئتها اي ما يسمى بالمفردات الطبيـــة (Materia Medicla) (او (pharmacaiopoe) (الاقـــرباذين) وقـــد عثر على هـــذا اللوح في اثناء التنقيبات الامريكية القديمة في مدينـــة نُفّر الشهيرة (قبل اكثر من ١٠٠ عام) ويرجح انه نسخة عن اصل اقدم يرجع في عهده الى زمن سلالة « اور » الثالثة (في حدود ٣١٠٠ ق.م.) [٩] .

وتكاثرت النصوص المتعلقة بالطب والشؤون الطبية من العهود التي اعقبت العصر البابلي القديم اي منذ الألف الثاني ق . م . وقد عثر على الكثير منها في أثناء التنقيبات التي اجريت في بعض المواضع الاثرية في العراق وفي مواطن الحضارات القديمة المجاورة للعراق والتي قلنا إنها كانت تقع ضمن فلك حضارة وادي الرافدين وتأثيراتها الثقافيـــة مثل بلاد الحيثيين (الاناضول) ، وقـــد سبق ان ذكرنا الالواح الطبية التي وجدت في العاصمة الحثية « حاتوشا » (بو غاز كوي) ، وترجع في عهدها الى حدود القرن الرابع عشرق . م .) [١٠] ، فقد اعتمد الحثيون في طبهم وممارساتهم الطبية على طب حضارة

---

(٩) عن هذا النص الطبي الصيدلاني المحفوظ في متحف جامعة فيلادلفيا أنظر :
S.N. Kramer and M. Levey, "Medical Handbook" in Journal of the American Medical Association
I, No. 7 (1954)

(١٠) انظر الهامش رقم ٥ .

وادي الرافدين ووادي النيل . وكذلك الالواح الطبية الكثيرة التي وجـدت في اثناء التنقيبات الالمانية في العاصمة القديمة آشور [١١] وترجع في عهدها الى مطلـع الألف الأول ق.م. ونذكر ايضا ما نوهنا به من العدد الغفير من النصوص المسمارية الطبية التي وجدت في مكتبة الملك الآشوري « آشور بانيبال » في نينوى (القرن السابع ق. م.) وهي كما نوهنا نسخ من نصوص أقدم عهداً يرجح ان تكون غالبيتها من العصر البابلي القديم (المنتصف الأول من الألف الثاني ق. م.) والمعروف عن هذا الملك الآشوري المتنور أنه تميز على غيره من الملوك الآشوريين وملوك حضـارة وادي الرافدين الآخرين بثقافته الواسعة وولعه في جمع النصوص المتعلقة بالعلوم والمعارف والآداب في مكتبة ضخمة اقامها في قصره الملكي في نينوى واليها يرجع الفضل في معرفتنا الراهنة بمختلف اوجه حضارة وادي الرافدين .

وبالاضافة الى النصوص الطبية الصرفة التي خلفتها حضارة وادي الرافدين امكن الافادة من النصوص المسمارية الأخرى التي رغم انها لم تكن نصوصاً طبية ولكنها حوت اشارات ومعلومات مهمة عن الممارسات الطبية في تلك الحضارة وفي الحضارات القديمة الأخرى المجاورة ، ونخص بالذكر من هذه النصوص الرسائل الرسمية التي وردت فيها اشياء مهمة عن الاطباء وتنقلهم وعلاقتهم بالقصر والدولة ، وقد ورد في بعضها اشارات مهمة الى بعض الامراض والأوبئة وانتشارها وقد اضطر بسببها سكان بعض الاقاليم الى الهجرة عنها . فمن الرسائل الرسمية المهمة ما اكتشف في مدينة « ماري » الشهيرة (تل الحريري الآن على الحدود العراقية السورية) وقد عثر فيها في اثناء التنقيبات الفرنسية على مئات الالوف من الواح الطين المسمارية المدونة بمختلف شؤون الحياة ، ومن بينها الرسائل الملكية الرسمية التي حوى بعضها كما قلنا معلومات مهمة عن الطب والاطباء واسماء بعض مشاهيرهم وخدماتهم في قصور حكام ذلك العهد [١٢] . ووجدت رسائل مهمة أخرى يرجع عهدها الى ما يسمى في تأريخ العراق القديم بالعصر الكيشيّ (ما بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر ق.م.) ، وتتضمن طائفة منها اموراً مهمة عن الشؤون الطبية ، ومنها تقارير طبية عن فتيان ملحقين في معهد للموسيقى وصفت امراض

---

(١١) انظر الهامش رقم ٤ .

(١٢) نشرت الرسائل الرسمية المكتشفة في مدينة ماري بعنوان :
ARCHIVES ROYALES de MARI , X, (1967)

بعضهم بشيء من التفصيل [١٣] . ومن العصر الاشوري الحديث (ما بين القرنين الثامن والسابع ق . م .) جاءت الينا رسائل مهمة كانت عبارة عن تقارير ارسلها الاطباء الى الملوك الآشوريين عن الامراض والعلاجات الخاصة بالعائلة المالكة [١٤] وسننوه باحدى هذه الرسائل في كلامنا على طب الاسنان حيث كانت عبارة عن تقرير من الطبيب الرسمي يعزو فيه الآلام والاعراض المرضية التي يشكو منها الملك الى أسنانه .

أصناف النصوص الطبية :

ونعاود الكلام الآن على النصوص الطبية الصرفة التي وصلت الينا الى حال التأريخ ، واول ما نذكر عنها انه يمكن تصنيفها الى صنفين رئيسين هما :

١ — النصوص الخاصة بالتشخيص (Diagnosis) والانذار او التنبؤ (prognosis)

٢ — النصوص الخاصة بالعلاج (Therapeutic)

ومن الملاحظات البارزة التي نذكرها عن الصنف الأول ان هذا النوع من النصوص الطبية يتداخل الكثير منه في باب السحر والتعويذ ، حيث كان يمارسه الساحر والمعوذ أي الـ « آشيبو » (Ashipu) . وقد جاءت منه مجاميع كبيرة تتألف اكبر مجموعة منها من زهاء اربعين فصلاً ، وتتصدر هذه المجموعة العبارة او العنوان المأخوذ من اول سطر منها وهو : « حينما يذهب المعوذ الى بيت المريض » وفي البابلية : « حينما أنا بيت مرضي آشيبو إللاّك » (èum ana bit marsi ashipu illak)

وتأتي الارشادات في وجوب ملاحظة اعضاء المريض وجوارحه وبفحص حالته بوجه عام ويصدر ما يتوقعه او يتنبأ به من شفاء المريض او عدم شفائه ، بدون ان يصف علاجاً او دواء معينا ، ونورد على سبيل المثال نماذج من هذه التنبؤآت :

« اذا بدت اذن المريض اليمنى سوداء فسيشتد مرضه ولكنه سيشفى في نهاية الامر » ومثل : « اذا كانت كلية المريض اليمنى تؤلمه فلا يستطيع الاضطجاع على جنبه فانه سيموت خلال سبعة أيام » ومثل : « اذا كانت يده اليمنى تؤلمه فان ذلك من عمل الاله شمش . انه سيشفى بعد أن يتلو الصلوة . . . [١٥] .

---

(١٣) انظر : H. Waschow, Babylonischer Briefe aus der Kassitenzeit (1951)

(١٤) انظر : L. Oppenhim, Letters from Mesopotamia (1967)

(١٥) نشر هذه المجموعة الباحث الشهير « رينيه لبات » بعنوان : — R. Labat, Traite akkadien de diagnostique et prognostique medicaux ; 1951

اما نصوص الصنف الثاني اي النصوص المتعلقة بالعلاج بالادوية فانها على قـــدر كبير من الاهمية في تاريخ تطور المعارف الطبية ، وهي تجمع ما بين تشخيص المرض وبين وصف الدواء اللازم لشفائه وسنرى في كلامنا على الادوية التي استعملها الاطباء في حضارة وادي الرافدين اوجه الشبه الكثيرة بين وسائل التطبيب فيها وبين الممارســات الطبية في الحضارة اليونانية وفي الحضارة العربية الاسلامية . بحيث ان غير واحد من الباحثين في طب العراق القديم قد استندوا في تعيين وتشخيص الكثير من النباتات والاعشاب الواردة في النصوص المسمارية الى مضاهاة استعمالاتها في الطب اليوناني والعربي[١٦].

لقد وجد من هذا الصنف من النصوص المسمارية مئات من الواح الطين ، وهي في حالات متفاوتة من جودة الحفظ . كما انها لم تترجم كلها بل ان ما ترجم منها عدد غير كبير بالنسبة الى مجموع الواح هذا الصنف ، واقتصر الامر في نشرها على الاستنساخات بخطها المسماري فوضعت في متناول ايدي الباحثين الآخرين[١٧] .

ويغلب على هذا الصنف من النصوص الطبية العلاجية انها بوبت في فقرات او مواد يختص كل منها بحالة مرضية خاصة ، والغالب انها نادرا ما تذكر اسم المرض بل تكتفي بوصف اعراضه ووصف الدواء ، اي انها كانت اشبه ما تكون بالمرجع او الدليل للاطباء (manual) . حيث تصف الاعراض المرضية الخاصة وارشادات الى الطبيب بما يفعله ونوع الدواء وتذكر كيفية تهيئته احيانا وطريقة استعماله والاوقات التي يستعمل فيها ، وتنتهي بعض الالواح بذكر الانذار والتنبؤ (Prognosis) اي اذا كـــان المريض سيشفى او لايشفى .

ونورد الحالة المرضية الآتية من هذه النصوص التي ذكر فيها اسم المرض وهـــو « اليرقان » بلفظ مضاه للعربية بهيئة «أمُرُقانو»، ولعله من المستحسن ان نورد هذه الحالة

« اليرقان » بلفظ مضاه للعربية بهيئة « أمُرقانو » ولعله ، من المفيد ان نورد هذه الحالة

بنصها البابلي بالحروف اللاتينية : —

Shumma awilu zunurshu arqû pânîshu arqu. shihhat sheri irtannashishi amurruqànu shumshu U patranu (GiR— A — NU) Shammu Sàku ina Shibari shaqû "

(١٦) انظر على سبيل المثال : — R.C. Thompson, A Dictionary of Assyrian Botany

(١٧) انظر : Koecher, Die Bablonischer Medizin Texten undUntersuchungen,3Vols.;1963—1964)

وعن هذا الصنف من النصوص الطبية انظر كذلك

R. Labat, in Journal of Cuneiform Texts, VI (1952) 137 ff.

وترجمتها : « اذا كان جسم رجل أصفر ووجهه أصفر وجسمه آخذا بالنحول والاضمحلال فان اسم الداء اليرقان ، ودواؤه عشب « البترانو » ، يسحق ويشرب مع الجعة [١٨] وتجدر ملاحظة ان اسم المرض مأخوذ من الجذر البابلي « اراقو » الذي يعنى ، « اصفر » ، كما يسمى في العربية الدارجة « ابو صفار » ويضاهي هذه التسمية الوصفية لمرض اليرقان اسم المرض في اللغات الاوربية وهو (Jaundice) المأخوذ ايضا من مادة تعني اصفر ، يصفر .

وقد رتبت بعض النصوص الطبية على هيئة جداول مقسمة في الغالب الى ثلاثة حقول او خانات يذكر في كل منها اسم الدواء واسم الداء الذي يستعمل له وارشادات في كيفية الاستعمال نذكر منها المثال الآتي :

عرق السوس	دواء للسعال	يسحق ويشرب مع الزيت
ورد عين الشمس	دواء لوجع الاسنان	يوضع على الاسنان

وكانت الادوية بوجه عام تؤخذ بطريقتين ، الاستعمال الخارجي والاستعمال الداخلي ، ويغلب على وصفات الأدوية أنها ترتب بحسب اعضاء الجسم الانساني ، أي بحسب الامراض التي تصيب كل عضو منه بدءاً من امراض الرأس ثم العيون والانف والحنجرة والصدر والرئة والمجاري البولية والامراض الجلدية . وخلاصة ما يقال بهذا الصدد أنهم عرفوا معظم الامراض الشائعة المنتشرة في العراق والاقطار الأخرى . على ان هناك طائفة من الامراض لم يستطع الباحثون ان يعنوها ويشخصوها بالامراض الحاضرة . وان منشأ الكثير من هذا الغموض الصعوبة التي يلاقيها الباحثون في قراءتهم الرموز والعلامات المسمارية الواردة في النصوص الطبية المسمارية التي دون بها الاطباء القدماء مصطلحاتهم الطبية ، وانهم في حالات غير قليلة تقصدوا اضفاء السرية على تعاليمهم ومؤلفاتهم الطبية .

ومما يؤسف عليه في موضوع تشخيص بعض الامراض القديمة التي كانت معروفة في العراق اهمال المنقبين الآثاريين القدماء فحص الهياكل العظمية والعظام بوجه عام مما كان يعثر عليه في اثناء التنقيبات وعدم درسها دراسة تشريحية من جانب الاختصاصيين

(١٨) راجع اقتباس النص في معجم شيكاغو الآشوري
(Chicago Assyrian Dictionary)
المجلد الاول تحت مادة « اراقو واموررقانو »
(arâqu, amurraqann

بل اقتصر اهتمامهم بالعظام القديمة على القياسات « الانثروبولوجية » . وبالمقابلة مع هذه الحالة عن العظام في بقايا حضارة وادي الرافدين كانت بقايا المومياء في حضارة وادي النيل على درجة كبيرة من الاهمية في موضوع تشخيص بعض الامراض في مصر القديمة.

ومع ان كثيرا من الامراض التي ورد ذكرها في النصوص الطبية المسمارية لم تسم باسمائها الخاصة بيد أن أوصافها واعراضها تساعد في تعيينها وتشخيصها بالامراض المعروفة . كالأوبئة والطاعون والسل والحميات ومنها المـــلاريا وغيرها وذكرت حالات واضحة تشير الى معرفتهم ببعض الامراض العصبية والنفسية ، وكان معظمها يعزى الى الشياطين والارواح الخبيثة ويعالج بالتعزيم والصلوات والنذور بالاضافة الى بعض الادوية المادية [١٩] .

ومن الامراض الطريفة التي ذكرت في النصوص المسمارية ودرست حديثا حالات العنة والضعف الجنسي (Impotence) وذكرت علاجاتها وهي من الامثلة على الجمع ما بين العلاج الطبي والعلاج النفسي والسحري في تلاوة نوع خاص من التعويذ (Incantation) ومن الادوية التي وضعت لعلاج بعضها استعمال بعض الاجزاء الخاصة من اجسام ذكور بعض الحيوانات المشهورة بقوتها الجنسية . كما ذكرت حالات يكون الرجـــل فيها عاجزا جنسيا مع زوجته ولكنه نشطا مع امرأة أخرى ، وحالات أخرى يكون الرجل فيها عاجزا مع جميع النساء ، وحالات عزيت الى اثر سحر العدو . ووصفت لحالات العنه بالاضافة الى الادوية والتعاويذ السحرية التي نوهنا بها تلاوة بعض العبارات المثيرة جنسيا وكانت المرأة هي التي تتلوها في الغالب [٢٠] . ولعله يمكن تفسير دمى الطين التي عثر عليها في بعض المواضع الاثرية ، ومنها تل حرمل (القريب من بغداد) والتي تمثل المشاهد الجنسية ، انها كانت تستعمل لتقوية اثر تلاوة العبارات الجنسية التي نوهنا بهـــا .

---

(١٩) انظر المعلمة الالمانية الخاصة بعلم الآشوريات والمعنونة : —

Reallexikon der Assyriologil

تحت مادة « الامراض النفسية » (Geistenkrankheit) وانظر كذلك :

K. Wilson, Mental Diseases in Ancient Mesopotamia.

(٢٠) انظر الدراسة الطريفة الآتية :

R. Biggs, SHA (G) — ZI — GA, Ancient Mesopotamian Potency Incantation (1967)

الجراحة والتشريح وطب الاسنان :

ويستدل من النصوص الطبية والمصادر المسمارية الأخرى وفي مقدمتها شريعة حمورابي على ان الاطباء القدماء مارسوا الجراحة. والواقع ان المواد القانونية التي خصصتها تلك الشريعة (وستأتي ترجمة بعضها) تتعلق ببعض العمليات الجراحية والجراحين ومنها جراحة العيون في استخراج الماء (Cataract) . واظهرت دراسة بعض الالواح المسمارية الطبية ان جراحيهم مارسوا ما يسمى بالعملية القيصرية (Caesarian section) في الألف الثاني ق.م. ولكن الغالب أنهم كانوا يجرونها في حالات تخليص الجنين من ام على وشك الموت، وتمارس على الاماء.[٢١] وبمناسبة ذكرنا للعملية القيصرية ننوه بان فن القبالة (Midwifery) كان يمارس في العراق القديم ، وكان يوجد قابلات محترفات ومتخصصات [٢٢] .

اما فن التشريح(Anatomy) فانه لم يمارس على الجسم الانساني ، ولذلك لايعلم بوجه التأكيد مدى معرفة اطباء حضارة وادي الرافدين بتشريح الجسم الانساني وفسلجته. ولكن مما لاشك فيه أنهم افادوا بعض الشيء عن حقائق التشريح من القرابين والممارسات السحرية المتعلقة بالفأل بفحص احشاء الحيوانات مثل كبد الكبش والاحشاء الداخلية(EXTISPICY). ومع أن الاطباء مارسوا طريقة جس النبض بيد أنه لا يعلم بوجه التأكيد هل عرفوا الحقائق المتعلقة بالدورة الدموية [٢٢] . ووردت بعض المصطلحات التشريحية مثل كلمة « شريانو » المطابقة لكلمة شريان العربية . ويرجح كثيرا ان الاطباء الجراحين هم الذين كانوا يمارسون عمليات الاخصاء[٢٣] التي اجريت على خدم قصور الملوك

---

(٢١) انظر البحث :

L. Oppenheim, " A Caesarian section in the second Millinnuinm B.C. in Journal of the History of Medicine, XV ; 1960) , 292 ff.
(2)——, Ancient Mesopotamia (1965)

(٢٢) حول موضوع القبالة انظر :

Von Soden, "Hebamme in Babylonien und Assyrien" in Archiv fur Orient Forschung, XVIII (1957), 119 ff.
L. Oppenheim. "On the Observation of the pulse in Mesopotamian Medicine" in Orientalia , XXXI (1962), 27 ffff

(٢٣) أنظر :

Weidner " Hof und Harmes Erbasse in Assyrischer Koenige aus den 2 Jhar tausend V. chr." in Archiv fuer Orient forschung, XVII (1956), 257 ff.

الآشوريين منذ العصر الآشوري الوسيط (منذ القرن الرابع عشر ق.م.) [٢٤] . اما الختان فلم يمارس في العراق في العصور التأريخية على الأقل .

ومما يجدر ذكره عن الآلات الجراحية ان المصطلحات الواردة في مواد شريعة شريعة حمورابي الخاصة بالجراحة ومنها كلمة السكين والمبضع ذكرت أيضا في النصوص الطبية ، ومعظم المباضع كانت من البرونز واستعملوا كذلك بعض الآلات المصنوعة من الرصاص والانابيب المعدنية وبعضها كان يستعمل لادخال الادوية الى الانف والأذن وادوات للحقن (Syringes) ومنها الآلة التي تسمى الزرافة (ولفظها مثل الكلمة العربية واستعملت للحقن الشرجية (enema) . ويستدل من المواد القانونية في شريعة حمورابي المخصصة للشؤون الطبية ان الطب البيطري كان معروفاً في حضارة وادي الرافدين وقد اطلقوا على البيطري مصطلح « طبيب الثور » او « طبيب الحمار ») وفي المصطلح السومري كما وردت في شريعة حمورابي A — ZU — GUD و A — ZU ANSHE

بدايات طب الاسنان :

وظهرت في طب حضارة وادي الرافدين بدايات طب الاسنان وقد عرف اطباؤهم بعض الحقائق المهمة عن امراض الاسنان ومداواتها مثل القلع واستعمال الأدوية المسكنة والمزيلة للاورام كما لجئوا في بعض الحالات الى التعويذ بالاضافة الى العلاج بالادوية والجراحة . وتجدر الاشارة بهذا الصدد الى رسالة رسمية على جانب كبير من الاهمية وجدت في نينوى (تل قوينجق) وتأريخها من نهاية القرن الثامن ق.م. أو القرن السابع ق.م. والرسالة [٢٥] عبارة عن تقرير من احد اطباء البلاط الرسميين الى الملك بخصوص ما كان يعانيه من اوجاع وآلام جسمية مثل التهاب الرأس والعيون ، وقد شخص التقرير سبب هذه الآلام الى مرض في اسنان الملك وان الشفاء منها لا يتم إلا بقلع الاسنان المريضة المسوسة [٢٥] . هذه حالة على قدر كبير من الاهمية في تأريخ طب

---

(٢٤)
J. Sasson, "Cirumcisslon in Ancient Near East" in Journal of Biblical Literature (1966), 473 ff.

(٢٥) راجع تحليل الرسالة في
B.R. Jowend. " An Assyrian Dental Diagnosis"in IRAQ, V (1938), 82 ff.
وقد نشرت الرسالة في مجموعة الرسائل الآشورية :
Harper, Assyrian and Babylonian Letters.
L.Waterman, the Royal Correspondences of the Assyrian Empire, No.586 K1102
وعن ممارسة طب الاسنان عند الفينيقيين راجع
Clawsen. " phoenician Dental Art" in Byrutus ;1934), 23 ff

الاسنان وتطوره ، فانها تشير بوجــه لا يقبل الشك الى ان الاطباء بوجــه عام واطباء الاسنان بوجــه خاص ادركو الحقيقــة الطبيــة المهمــة وهي العلاقــة مــا بين امــراض الاسنــان واثرهــا فــي الجســم (Oral Spesis and Systemic disease) وهي العلاقة التي لم تكتشف في الطب الحديث الا منذ منتصف القــرن التاسع عشر ، حيث كان الرأي الطبي السائد هو ان مرض الاسنان كان مرضا محصورا في الاسنان ولا اثر له في اعضاء الجسم الأخرى . وتذكرنا هذه الحالة الطبية الواردة في الرسالة الاشورية باحــدى الوصايا الطبيــة المأثورة من وصــايا « ابو قراط » (Hippocrates) وهــي « ان العلة يجب ان تستأصل من مصدرها : » : واذا علمنا ان الطب في حضارة وادي الرافدين قد ظل في الاستعمال في الحضارات القديمة اللاحقة ومنها الحضارة اليونانية ادركنا ان « ابو قراط » وغيره من مشاهير اطباء اليونان كانوا على معرفة بالتراث الطبي من حضارة وادي الرافدين .

مفردات الادوية ومصادرها :

يمكن حصر المواد الطبية التي استعملت للعلاج في طب العراق القديم في ثلاثة مصادر رئيسية هي بحسب كثرة الاستعمال : —

١ — المصادر النباتية والعشبية (Herbal)

٢ — المصادر الحيوانية

٣ — المصادر المعدنية (الكيماوية)(Minerals)

وتأتي الادوية المستخرجــة من النباتات والاعشاب في مقــدمة المفردات الطبيــة (Materia Medica) وقــد خلف الكتبة المختصون نصوصاً مسمارية مهمــة عن مجاميع هذه الادوية النباتية [٢٦] ووضع الاطباء القدماء شروطاً وارشادات في استعمال الادوية النباتية ، مثل اوقات قطعها والاجزاء التي تستعمل منها مثل البذور والصموغ والجذور والعذوق واللحاء والازهار والاثمار والزيوت ، بالاضافة الى كيفية تهيئتها ، فبعضها كان يؤخذ شراباً او مرهما (Salves) او مطهرا او مسهلا (Purgative)

(٢٦) احسن واوسع ما ألف في اسماء النباتات والادوية المستخرجة منها المرجع الآتي : —
C. Thompson, Dictionary of Assyrian Botany (1948)
وبحوثي المنشورة في مجلة سومر (١٩٥١ — ١٩٥٣)

وعينوا المواد التي تؤخذ معها او تمزج او تسحق معها مثل الزيوت والخمور والماء واللبن .

وينبغي تأكيد ما سبق ان نوهنا به في موضوع مصادر الادوية ان غالبية المفردات الطبية في طب حضارة وادي الرافدين بوجه عام والحضارات الأخرى اللاحقة كالطب اليوناني والطب العربي كانت تستخرج من النباتات ، وليس ادل على ذلك بالنسبة الى طب العراق القديم من ان الكلمة البابلية التي تطلق على العشب وهي « شَمُّو» (Shamnu) (وبالسومرية أو û) اطلقوها كذلك على الدواء بوجه عام . ومن الحقائق الأخرى التي ينبغي التنويه بها عن المفردات الطبية النباتية ان استعمالاتها والامراض التي استعملت فيها في طب العراق القديم تضاهي الى حد كبير استعمالاتها عند الشعوب القديمة الأخرى ولا سيما الطب اليوناني الذي كان له تراث كبير في طب الحضارات الأخرى وبوجه خاص طب الحضارة العربية الاسلامية بحيث يصح القول ان الحضارة اليونانية كانت الواسطة الرئيسية في انتقال الكثير من تراث حضارة وادي الرافدين الطبي الى حضارتنا العربية ، ويصدق ذلك على العلوم والمعارف الأخرى ومنها الرياضيات ، من بعد التطور والتنقيح اللذين ادخلتهما الحضارة اليونانية على العلوم والمعارف التي اقتبستها من حضارة وادي الرافدين وحضارات الوطن العربي القديمة الاخرى بوجه عام .

وقد بلغت صحة استعمالات المفردات الطبية النباتية وغيرها في طب العراق القديم ومضاهاتها الى استعمالاتها في طب الحضارات الأخرى اللاحقة بحيث ان الباحثين المحدثين الذين كتبوا في المفردات الطبية في حضارة وادي الرافدين قد استعانوا في تعيينهم وتشخيصهم لاسماء الكثير من النباتات الواردة في المصادر المسمارية بإستعمالاتها الطبية ومضاهاة هذه الاستعمالات لاستعمالاتها في الطب اليوناني والطب العربي . واثبتت الدراسات اللغوية الحديثة ان هناك طائفة كبيرة من اسماء النباتات والمواد الطبية الأخرى قد اقتبسها اليونان بالفاظها ومعانيها من حضارة وادي وادي الرافدين (+) وتأتي من بعد المفردات الطبية النباتية المواد الطبية المستخرجة من الحيوانات ، ومن بينها بعض الحيوانات اللبونة كالبقر (ولا سيما البقر الاصفر) والغنم والمعز والحمار والكاسب (ولا سيما الكلب الاسود) والخنزير والاسد والذئب والثعلب والابل والغزال ،

(+) راجع المصدر الرئيسي عن النباتات والاعشاب الواردة في النصوص الطبية وهو :

R.C. Thompson, Dictionary of Assyrian Botany (1948)

ومن الطيور النعامة والنسر والصقر والغراب والبومة والحمام والعصافير والدجاج والنحل ، ومن الزواحف الحية والسرطان وغيرها .

ويلي مفردات الطب الحيوانيـة الادوية التي كانوا يستخرجونها من المعـدنيات (Minerals) [٢٧] والاحجار والمـواد الكيماوية المركبـة منها . وقـد خلفوا لنـا عن ذلك اثباتا (جداول) باسماء المعادن والاحجار والادوية المستخرجة منها ، والجدير بالذكر في هذا الصدد أنهم استخدموا معارفهم الفنية العملية في الكيمياء في تهيئـة الادوية من تلك المواد بطرق كيماوية متعددة مثل السحق والخلط والتبخير والتصعيد والترشيح ، كما هيأوا المراهم والدهونات والاشربة المختلفة . وقد عثر على بعض النماذج من الاجهزة والادوات التي استخدموها في مثل تلك العمليات الكيماوية [٢٨] وقـد سبق ان نوهنا بالنص الطبي الصيدلاني الذي يعد اقدم نص من نوعه في تأريخ الصيدلة عليه في مدينة نفّر من حـدود ١٩٠٠ ق . م . ، ولكنـه نسخة عن اصـل أقدم يرجع تأريخه الى زمن سلالة« اور » الثالثة (في حدود ٢١٠٠ ق. م . (. ويرجح كثيرا ان جماعة تخصصوا في فن الصيدلة ، كما ان الاطباء انفسهم قد جمعوا بين الممارسات الطبية وبين فن تحضير الأدوية [٢٨] .

الاطباء :

سبق ان نوهت في مقدمة كلامي على الطب في العراق القديم أن الطبيب كان من ذوي المهن الخاصة ويختلف عن صنف الكهنة والمعوذين ، وانهم اطلقوا مصطلحين متميزين على الطبيب وعلى الساحر المعوذ ، فالاول دعوه « آسو» (آسي) والطب « آسوتو» (asûtu) وسـموا الثاني « آشـيبو » (ashipu) وعلى مهنتـه الكلمـة المشتقة منهـا وهي « آشيبتو » (ashiputu) [٢٩] . ونضيف الى ما سبق ان ذكرناه بعض المـلاحظات

---

(٢٧) احسن ما كتب عن المواد المعدنية والاحجار واستعمالاتها الطبية المراجع الآتي :

1. R.C. Thompson, Dictionary of Assyrian Chemistry and Geology .
2. M. Levey , Chemistry and Chemical Technology in Ancient Mésopotamia;1959

(٢٨) انظر البحث الآتي : —

D. Goltz. 'Mitteilungen ueber ein. Assyrisches Apothen Inv nter'' in Archives Internationales d'Histoire des suinces. (1968)

(٢٩) لعله من المفيد ان ننوه للقراء العرب ان اللاحقة « أُتو » (UTU) في اللغة الاكدية (البابلية والآشورية) تضاف الى اواخر الاسماء والصفات لاشتقاق ما يضاهي ما يسمى المصدر الصناعي في العربية مثل « الملوكية » والملكوت والناسوت والالوهية « وفي البابلية شرتو » (من كلمة شرو اي الملك) و « اسوتو» باضافة UTU الى آخر الاسم « آسو » ومعناه مهنة الطب

الأخرى عن الاطباء ؛ واول ما نذكر اننا لا نعرف اشياء مؤكدة ومفصلة عن تــدريب الاطباء ، ولكن المرجح ، بالقياس الى ما نعرفه عن الطب في العصور القديمة والى وقت قريب ان مهنة الطب كانت تنتقل من المعلم الى الطبيب او من الطبيب الاب الى ابنائه على طريق الممارسة وتستمر المهنة بين افراد الاسرة الواحدة . وان الطب وفن التداوي كان من بين المهن المهمة في المجتمع ، كما انه كان من المهن التي تحوطها السرية وهي كما قلنا منفصلة ومتميزة عن الكهنة وصنف رجال الدين . ويستدل من النصوص المسمارية بوجه عام والنصوص الطبية بوجه خاص ان عدد الاطباء الممتهين كان عددا كبيرا ، وقد ورد ذكرهم كثيرا في الرسائل الرسمية المتبادلة بين حكام الشرق الادنى القديم وحكامه ، وكثيرا ما كان المشهورون منهم يوخذون من بلاط الى بلاط خارج القصر ، او انهم كانوا يتجولون بين الاقطار للحاجة اليهم . ويحتمل ان نقابات او جمعيــات خاصة نشأت للاطباء والجراحين كما لا يستبعد ان معاهد ومؤسسات طبية كانت معروفة ومن قبيل ذلك نوع من المستشفيات البدائية . وهناك اشارات مهمة في النصوص المسمارية تشير بوضوح الى تنوع مراتب الاطباء وتدرجهم وتنوع اختصاصاتهم ، نذكر من ذلك المصطلح الاكدي « راب آسي » (râbâsî) او « آزوكلّو » (azugallû) مــن السومرية (a — zu — gal) وكلاهما يعني كبير الاطباء كما ذكرت مصطلحات تدل على تنوع الاختصاص مثل المصطلح الذي اطلق على طبيب العيون (وفي الســومــرية Lû — A — Zu sha IGI — MESH كما ان المواد القانونية التي خصصت للطب والاطباء في شريعة حمورابي (وستأتي ترجمتها) تدل بوضوح على تنوع ذلك الاختصاص ، فبالاضافة الى الجراحين ذكر البياطرة (في المصطلح البابلي الذي يعني طبيب الحمار او الثور) ومجبرو العظام . ويستدل من المصطلح الذي خصص لاطلاقه على الطبية وهو « أساتو » (مؤنث آسو) ان النساء كن يمارسن الطب الى جانب الرجــل [٣٠] بالاضافة الى القابلات وفن القبالة . ويستــدل من المصادر المسمارية ايضا ان الاطباء كانوا يتزيون بازياء خاصــة وانهم يحملون على الدوام حقيبة او كيسا من الجلود [٣١]

(٣٠) انظر معجم شيكاغو الآشوري
(Chicago Assyrian Dictionary)
تحت مادة آسو « آسوتو » .

(٣١) من المصطلحات التي أطلقت على حقيبة الطبيب المصطلح السومري « ركش - تن - أزو ومرادفه الاكدي «تكلتواسي (TAKALTUASI) أي حقيبة الطبيب الخشبية » ومصطلح آخر بالسومرية تتصدره العلامة الدالة على الجلود وهي «كش (KUSH) بهيئة kush TU — A — ZU ويرادفه في الاكدية الكلمة التي ذكرناها أي « تكلتواسي » .

يضعون فيه العقاقير وادواتهم والآتهم الطبية والجراحية وقدعثر على بعض الاختام الاسطوانية الطريفة خاصة بالاطباء القدماء ومنها الختم الذي وجد في لجش (من عهد سلالتها الثانية ، وهي سلالة جودية الشهيرة (في قبر احد ملوك تلك السلالة المسمى « اور — ننجرسو » (اواخر الألف الثالث ق.م.) وقد ذكر اسم الطبيب بهيئة « اور — لوكال — إدنا » (UR — LUGAL EDINA) ونقش الختم برسوم بعض الادوات والآلات الطبية والجراحية .

ولعل فيما اوجزناه يكفي القارئ لان يكون صورة عامة عن الطب في حضارة وادي الرافدين وكان من اهم فروع المعرفة فيها وترك كما نوهنا تراثا ضخما في طب الشعوب والاقوام اللاحقة وبوجه خاص الطب اليوناني وعن طريقه الى الطب العربي .

وننهي هذه الملاحظات في التنويه بما ورد في تأريخ هيرودوتس (القرن الخامس ق.م.) عن الطب في العراق القديم جاء في معرض كلامه على بلاد بابل ، وهو رأي خاطئ يفنده ما سبق ان اوجزناه عن الطب البابلي ونص عبارته : « لم يكن عندهم اطباء ، وحين يمرض أحدهم فانهم يأخذونه ويضعونه في احد الميادين العامة من المدينة فيمر عليه المارة ، فاذا اتفق ان أحدهم اصيب بالمرض نفسه او عرف شخصا آخر اصابه فيقدمون للمريض النصيحة ويشيرون عليه ان يستعمل ما استعملوه من دواء لشفاء علته . وكان ملزما على اي عابر سبيل ان يمر في موضع ذلك المريض ويتمهل عنده ليسأله عن علته » .

وقد يجوز تعليل رواية هيرودوتس على انها اما انها تصور الادوار المتأخرة في حضارة وادي الرافدين التي تضاءلت فيها المعارف الطبية القديمة أو ان ذلك يدخل في باب الطب الشعبي بين الجماهير في كل زمان ومكان ، مضافا الى ذلك ما اكده نقاد تأريخ هيرودوتس في عدم التزامه بالدقة وانسياقه وراء ما يُروى له بدون نقد وتمحيص .

المواد الخاصة بالطب والاطباء من شريعة حمورابي (٢١٥ — ٢٢٦)

المادة ٢١٥ : « اذا اجرى طبيب (جراح) عملية على رجل بمبضع من البرونز وانقذ حياة الرجل ، او انه اجرى عملية فتح موق العين لرجل بمبضع برونز ، وشفا عين الرجل فانه يتسلم اجرة قدرها عشرة شيقلات (+) من الفضة .

(+) الشيقل او الشاقل من اوزان العراق القديم ، ويعادل ١/٦٠ من المن (المنا) البابلية الذي يساوي نحو ٥٠٠ كيلوغراماً من اوزاننا الحاضرة .

المادة ٢١٦ : « واذا كان المريض من عامة الناس (الطبقة الوسطى أي المشكيتم) فانه يتسلم خمسة شيقلات من الفضة .

المادة ٢١٧ : « واذا كان المريض عبد سيد فيدفع مالك العبد الى الطبيب شيقلين من الفضـــة » .

المادة ٢١٨ : « اذا اجرى طبيب (جراح) عملية على رجل بمبضع من البرونز وسبب موته او انه اجرى عملية فتح موق العين واتلف عين الرجل ، فانهم يقطعون يده .
واذا اجريت العملية على عبد رجل فيدفع الطبيب نصف ثمن العبد بالفضة » .

المادة ٢١٩ : —

اذا اجرى طبيب جراح واحدث جرحاً عميقاً في جسم عبد رجل من الطبقة الوسطى (مشكيم) بمبضع برونز وسبب موته فسوف يعوض عبدا بعبد » .

المادة ٢٢٠ : « واذا فتح موق عينه بمبضع من البرونز واتلف عينه فسوف يدفع نصف ثمنه بالفضة » .

المادة ٢٢١ : « اذا جبر طبيب عظم رجل حر او انه شفا عضلامصابا فسوف يدفع المريض خمسة شيقلات من الفضة .

المادة ٢٢٢ : « واذا كان الرجل من الطبقة الوسطى (مشكيم) فسوف يدفع ثلاثة شيقلات من الفضة » .

المادة ٢٢٣ : « واذا كان عبد رجل حر فسوف يدفع للطبيب الجراح شيقلين من الفضة »

المادة ٢٢٤ : « اذا اجرى طبيب بيطري (+) عملية في جسم ثو ر او حمار ، وانقذ حياته فسوف يدفع صاحب الثور او الحمار سدس (شيقل) من الفضة الى البيطري .

٢٢٥ : « واذا اجرى عملية جراحية في جسم ثور او حمار وسبب موته فانه يدفع خمس قيمته الثور او الحمار الى صاحبه » .

٢٢٦ : « اذا ازال حلاق عـــلامة عبودية عبد بدون علم مالكه بحيث لا يمكن تشخيصه فانهم يقطعون كف الحلاق » .

(+) راجع الترجمة الانجليزية في :
Driver and Miles, The Babylonian Laws, II, (1956)

(+) حرفياً طبيب ثور او حمار

الحياة الفكرية في بغداد

١٧٤٩ – ١٨٣١

الدكتور يوسف عز الدين

عضو المجمع العلمي العراقي

الاستاذ في كلية الآداب – جامعة بغداد

مقدمة تأريخية :

كانت الفترة التي مرت بالعراق بعد تقويض الحكم العربي بسقوط بغداد من أحلك الفترات في حياته ، فقد اعتورته ضروب شتى من المحن دهورت حياته ، وأضاعت شخصيته وأفقدته أصالته ، ومسخت حضارته ، فقد تداولته عدة أنظمة مستبدة ومختلف الحكام الأجانب .

وعندما دخل السلطان سليمان القانوني بنفسه بغداد فاتحاً سنة ١٥٣٥ كانت اصلاحاته المحدودة داعية لغبطة السكان ، فقد ظنوا بأن عهد المعاناة الطويلة التي حلت في ربوعه من جراء التطاحن المرير بين القوى المتصارعة للسيطرة عليه قد انتهى . وأصبحت بغداد ولاية عثمانية تدار من الاستانة مباشرة وعين السلطان (سليمان باشا المجرى) والياً عليها وترك معه الجند لحمايتها وأسند اليه الايالات العراقية شهرزور والموصل والبصرة والاحساء ، واصبحت ايالة بغداد مركزا للايالة العراقية الكبيرة ، وقد أنعم عليه بلقب وزير لمكانة العراق وبغداد الكبيرة . ورغم صلة الوالي بالاستانة الا أنه (كان مطلق التصرف بشؤون ايالته ولا يراجع الاستانة الافي الأمور الخطيرة ذات الأهمية العظيمة)[1]

ولم تنته المنازعات والقلاقل وثورة الولاة واستقلالهم حتى سقطت بيد الصفويين

---

(١) المماليك في العراق : أحمد الصوفي الموصل ١٩٥٢ ص ٦ ، ١٠ ، ١٧ وتاريخ المماليك في بغداد ، سليمان فائق ، بغداد ١٩٦١ ص١١ – ١٤ ومختصر تاريخ بغداد ، علي ظريف الأعظمي ، بغداد ١٩٢٦ ص ١٧٣ ، ١٩٣ وتاريخ الشرق الأدنى الحديث ، خالد الهاشمي واحمد بديع المغربي ، بغداد ١٩٣٨ ص ٢٥٦ وما بعدها .

فأدى سقوطها الى حروب طاحنة كان العراقي يتلقى الغرم منها ، وقد جهزت عدة حملات لاسترداد بغداد آخرها الحملة التي قادها مراد الرابع بنفسه سنة ١٦٣٨م ولما استولى عليها أجرى اصلاحات في المساجد والجوامع وعين الموظفين ونظم الأمور وعاد الى الاستانة ولكن ضعف الدولة العام وقلق الحياة العامة والمنازعات الكثيرة والاستبداد والاضطهاد والعسف والثورات وتمرد القبائل العربية ادت الى تأخر العراق وانحطاطه ، ومع كل هذا بقي العراق تابعاً للدولة العثمانية [١] . ويحكم بوساطة ولاة ترسلهم الاستانة .

ولما جاء أحمد باشا ١٧٢٣م وضع نظام المماليك وأعطاهم حقوقاً خاصة وكانت لهم مدرسة يمنح المتخرج منها لقب (أغا) ويعد من أفراد أسرة الوالي وكان سليمان باشا أول حاكم من حكامهم ، مملوكاً لأحمد باشا ، اذ تولى الحكم بعد وفاة سيده سنة ١٧٤٩ [٢] وهو بحق مؤسس عهد المماليك في العراق ، فقد نشأ في العراق واحتك بأهلها وعرفها معرفة جيدة ، وكانت عنايته بالمماليك كبيرة ، فقد كانوا يعيشون معا (فاستحكمت قواعد المصافاة في قلوبهم واشتدت عرى عصبيتهم ولا غرو اذا كانوا اخواناً في السراء والضراء بعد أن جمعتهم أخوة السلاح الذي تقلدوه معا) [٣] ، ثم المصير المشترك الذي ينتظرهم . ودامت ولاية سليمان باشا ٢٤ سنة ، واستمر حكم المماليك ثلاثا وخمسين سنة .

والطريف ان جميع حكام المماليك بعد سليمان باستثناء داود باشا قتلوا أو عزلوا عن الوظائف [٤] .

أثر المماليك في العراق :

ان نشأة المماليك في العراق كون لهم رابطة خاصة بهم وأصبحت لهم امتيازاتهم الخاصة وانقطاعهم عن أوطانهم واسلامهم وتعلمهم العربية ربطهم بالعراق فكونوا طبقة حاكمة استغلوا كل الوسائل لابقاء السلطة العليا بينهم فاستحوذوا على الوظائف الكبيرة خوف تسرب العناصر العراقية الأصيلة .

---

(١) الصوفي ص ١٦ .
(٢) المماليك في العراق ٢٠ ، ٢١ ، وقد تزوج ابنة سيده .
(٣) المغربي ص ٢٥٦ وسليمان فائق تاريخ المماليك ٢٥ مختصر تاريخ بغداد ص ١٢ .
(٤) النصرة في اخبار البصرة للا نصاري ص ٨٦ وداود باشا ونهاية المماليك في العراق ، توجد قائمة باسماء الولاة ومدة حكمهم .

ووجود طبقة حاكمة مستمرة في ادارة دفة الحكم ساعد على وجود هدوء نسبي بالقياس الى حيـاة العراق المضطربة الثـائرة، وبالرغم من تأخر الحيـاة السياسـية والانحطاط في الحياة الاقتصادية وأثر الامراض الفتاكة التي كانت تفد على العراق ، فقد بدأت تظهر العناية باللغة العربية وعلوم الشريعة والاهتمام بتدريسها ، لأن أهل العراق يأسوا من المساهمة في ادرة دفة البلد ، فانصرفوا الى العلوم والآداب وساعد على مسيرة الحياة الفكرية في العراق أمران مهمان :

الأول : عدم تدخل السلطة في شؤون التعليم في جميع مراحله وأشكاله .

والآخر : وجود أموال تصرف من الأوقاف على المدارس الدينية والمساجد والجوامع وأماكن العبادة ، ورجال العلم وطلابه . لأن السلطة كانت مسلمة ولاثبات اسلامها وتمسكها به خدمت الفكر الديني ورجاله ، لأن التعليم كان يتم في المساجد والجوامع ويشرف عليه رجال الدين ووجود المدارس في الأماكن المقدسة أدى الى احترامها والعناية بأمرها .

وقد نمت الأموال المحبوسة على الأوقاف وكثرت لأنها السبيل الوحيد الذي يخلـد مُوقِفها في الدنيا وينال الأجر في الآخرة وزاد من تنافس الحكام والولاة على وقف الأموال على المؤسسات الدينية الخوف من المصادرة بعد موت الوالي لأن الدولة كانت تنظر الى الولاة وكأنهم لصوص يسرقون أموال الشعب (فاذا مات أحـدهم وهو في الحكم فانها تعتبر جميع ما يملك من نقود وأموال محجوز عليها ، على زعم ان ما حصل عليه كـان أثناء حكمه فهي تعود الى بيت المال (خزينة السلطان) فتوفـد حكومة الاستانة الموظف الخاص (المباشر) ليقوم بجرد المخلفات ثم تصنف وتباع ويتسلم المباشر ثمنها ويسافر ، وللتخلص من هذه المصادرة (غير المشروعة) عمد الباشوات الى حيلة شرعية لحفظ مخلفاتهم ليستفيد منها الأبناء والأحفاد فشرع كل باشا أثناء حكمه بتشييد مسجد يسمى بأسمه ويوقف عليه [1] الأوقاف الكثيرة ولم تكن الدولة قادرة على التدخل ومصادرة أموال وقف وقفت على أعمال خيرية اسلامية لأن المساجد والمدارس مقدسة ومصانة من الهدم والتخريب والاعتداء، ولأن (شرط الواقف كنص الشارع) .

---

(١) المماليك في العراق ص ٢١٧ .

المدارس والدروس :

وكانت المدارس تهتم بالدرجة الأولى بقضايا الشريعة الاسلامية ، لأنها طريق التعيين في الوظائف ، بعد أن حرمت الوظائف الكبيرة وبخاصة الادارية على أهل العراق، اذ لم تبق الا الوظائف الدينية وبعض الوظائف الأخرى. وفيها اثبات الذات في المجتمع بين الناس .

ان الاهتمام باللغة العربية من بعض اللامعين من أبناء العراق والاهتمام بعلومها ضرورة لتعليم الشريعة الاسلامية وتكاد تكون الكتب المدرسية واحدة في جميع المدارس التي تسير على مذهب واحد وكانت الكتب القديمة في اللغة والنحو والبلاغة هي المعول عليها تدرس دون ابتكار أو تجديد في الاساليب أو خروج على القديم الذي كان محترما ومهابا ، وتظهر قدرة المدرسين بشرح الكتاب أو وضع حاشية له أو نظم متن من المتون . ولذلك قلما نجد مفكرا ليست له مشاركة في علم من علوم العربية والشريعة ، بشرح أو تعليق ، وكثرت الشروح على قطر الندى لابن هشام وألفية ابن مالك وزادت الحواشي عليها ، وعلى مغني اللبيب ، فقد وجدنا لعبدالله البيتوشي حاشية (مجيب النـدا) الى شرح (قطر الندى) ولمحمد أمين المدرس شرحاً على ألفية الامام السيوطي وضمّن أحمد النحوي الفية ابن مالك في قصيدة له ولصادق الفحام شرح شواهد القطر وفرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد الذي أصله معاهد التنصيص ولعبدالله السويدي (اتحاف الحبيب في شرح مغنى اللبيب) ولعبدالرحيم السويدي حاشية على شرح القطر مع شرح شواهدها ولابراهيم الموصلي البهجة الرضية للسيوطي في شرح ألفية ابن مالك والبهجة الرضية في شرح الألفية للبيتوشي وهناك حواش على شرح السيوطي لألفية بن مالك وغير ذلك كثير يمكن للدارس أن يتتبع ما يريد في هذا المجال .

ولا تختلف دراسة اللغة والعروض والبلاغة عن دراسة النحو والصرف ، فقد كثرت الشروح وشرح الشروح والتعليق على الشرح ، فقد وجـدنا في البلاغة الحجة على من زاد على ابن الحجة في علم البديـع لعثمان الجليلي الحيائي وحاشية عصام على الاستعارة لصالح السعدي وتعليقات على عصام في الاستعارة لصبغة الله الحيدري .

وكان على طالب العلم أن يتعلم الفلك والحساب ليعرف موضع القبلة والشهور القمرية

وأيام الاعياد وغيرها من المناسبات الدينيـــة ، فقـــد أهتم الفكر بهما كاهتمامـــه بالعلوم الاخرى . وقد اعتمد دارس الفلك على علماء الفلك الذين سبقوه ، فقد ألف محمد أمين السويدي الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت ، وكان تشريح الافلاك للبهاء العاملي المرجع المعول عليه ، فقد ألف صبغة الله الحيدري شرح تشريح الافلاك وألف عبدالله الفخري تشريح الادراك في شرح تشريح الافلاك ، ثم جاء عبدالرحمن السويدي فوضع حاشية عليه سماها زينة الاملاك في شرح تشريح الافلاك [1] .

أثر الأسر في الحياة الفكرية :

وقد كان الحاكم هو مدار حياة المجتمع وكانت الأسر مركزا من مراكز الثقل الاجتماعي والاقتصادي والفكري ، وقد برزت في هذا العصر عدة أسر تقلدت قيادة الفكر والمجتمـــع والدين من أشهرها : الآلوسي والسويدي والعمري والشاوي والفخري والحيدري والشواف والجليلي والفلاحي والقزويني والرحبي والطباطبائي والحلي وبحر العلوم والطريحي والبحراني والجزائري [2] .

وقد ظهرت كتب التاريخ تعنى بالولاة وتاريخهم وبالعلماء وأسرهم، فقـــد ألفت كتباً عديدة في هذا المضمار ، فقـــد ألف عثمان العمري الروض النضر في ترجمة أدباء العصر ، فيه تراجم الشعراء والكتاب والعلماء مع تراجم لبعض المفكرين ، بيد ان الكتاب عني بالأسر بالدرجة الأولى [3] ، وألف محمد الغلامي شمامة العنبر والزهر المعنبر ، وألف عثمان بن سند سبائك العسجد في أخبار أحمد، والغرر في وجـــوه القرن الثالث عشر ، وألف كتاباً عن الوالي داود باشا سماه مطالع السعود في طيب أخبار الوزير داود ، كما ألف عبدالرحمن السويدي حديقة الزوراء في سيرة الوزراء أرخ فيه حياة حسن باشا والي بغداد وحياة ولده أحمد باشا .

المدرسون :

والملاحظ ان المفكرين الذين تصدروا قيادة المجتمع وبرزوا في تاريخه هم الذين تولوا الأعمال الدينية كالتدريس والافتاء والقضاء والوعظ ، وهم الذين حافظوا على بقاء

(١) تاريخ علم الفلك في العراق ، عباس العزاوي ، ص ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧٣ .
(٢) لغة العرب ، العدد ١٩١٩/٣/٤ .
(٣) طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ سليم النعيمي مع شمامة العنبر في مطبعة المجمع العلمي العراقي .

اللغة العربية حية . وبالرغم من انتشار التركية والفارسية حلية لدى المفكرين أو تقربا للحاكمين الا ان قداسة اللغة العربية والشعور الديني العميق بأن استعمال العربية يضفي الاحترام والقداسة على المتكلم ساعد على حياتها ومواصلة تدريسها .

أما العناية بالأدب العربي لخلق رجال أدب فلم تكن من هم المفكر الأول لهذا لا نجد حركة فكرية متميزة أو تجديد شعر واضح أو تطور نثر مبين حتى جاء عصر المماليك فبدأت حركة الفكر والادب تسرى فيها روح جديدة بعناية داود بالعربيةوبروزه في فنونها ، فقد كان له طلاب يدرسون عليه ، ولما جاء الى الحكم شجع القراء والكتاب والعلماء في وقت واحد .

ودراسة العلوم معناها تعليم علوم الشريعة . والأدب وسيلة من وسائل فهم هذه العلوم والتفقه بها فقد وجدنا شروحا لقصيدة بانت سعاد وقصيدة البوصيري وشرح لامية العرب لتساعد دارسها على فهم الألفاظ العربية والاستفادة من مرادفاتها.

وأدت الاضطرابات المتوالية في سبيل الحكم الى عدم استتباب الأمن في العراق ، وحالت دون تركيز دراسة اللغة والفكر والتفرغ الكامل . الا ان فترة المماليك - تميزت بهدوء نسبي وساعدت رعاية داود باشا على الدراسة ومواصلتها والعناية بالكتب والمؤلفين ، وقد أتت ثمار هذه الفترة نتائجها بعد زوال حكم المماليك .

وداود باشا ظاهرة من ظواهر هذه الفترة . فقد تعلم على علماء بغداد ودرس عليهم في المدارس والمساجد واحتك بالشعب احتكاكا مباشرا وتقدم في مضامير العلم شأن أي دارس مجد حتى أصبح من قادة الرأي والفكر ، ولو لم ينل الحكم لأصبح أحد علماء عصره ومدرسيه البارزين ، فقد أجاز بعض الطلاب في العلوم وأجازه العلماء في العلوم المختلفة .

ولما تبوأ الحكم كثرت المدارس والمعاهد الدينية في عهده حتى بلغت ثمانية وعشرين معهدا للتدريس واستجلب المدرسين وجعل لهم جرايات لينصرفوا للعلم وخدمته ، كما أنشأ عدة معاهد ، فنشر العلم وأصبحت هذه المعاهد الدينية ورجالها من أعوانه ومؤازريه . وظهر في عهده عدد من الأساتذة البارزين والشعراء اللامعين كما عمر بعض الربط والمساجد والجوامع ، وقد كان يريد استقلال العراق عن الدولة العثمانية ، فأسس جيشا وأنشأ

المعامل والمصانع لألبسة الجنود والمعدات العسكرية واستفاد من بعض الخبرات الغربية ، فقد جلب ضابطا من ضباط الحملة الفرنسية وطالب ببعض الأسلحة من الهند .

الأدب :

كان الأدب امتدادا للفترة المتدهورة يعني بالشكل أكثر من المضمون ، فقد كان النثر محشوا بالسجع والتعمل اللفظي والصناعة المملة التي يسودهـا التكلف ، وأكثره ضعيف الأساليب يعتمد على اصطياد الكلمة واختيار اللفظة ، فكرهته النفس وعافته الأذن الموسيقية كان هم الكاتب أن يظهر مقدار معرفته بالمفردات اللفظية وسعة علومه اللغوية ، وبقيت اللغة العربية أداة المدرسين وعلماء الدين في المساجد والمدارس تدرس أمورا محدودة دون تجديد أو تطور ، ولولا التعليم الديني بمساحته المحدودة لما حفظت اللغة العربية من الاندثار والزوال .

وبالرغم من القداسة التي أضفاها العثمانيون على العربية لأنها لغة القرآن الكريم فانها لم تتغلغل بينهم الا بقدر محدود ، لأن الحاكمين المسلمين تمكنوا من فهم أمور دينهم واقامة الصلاة بجزء محدود من حفظ آيات القرآن الكريم التي لا يفهمها المصلي اذا ما رتلها في الصلاة ، وقد بقيت اللغة التركية لغة الحكم التي تعلمها أبناء العرب تقربا للسلطة وحلا لقضاياهم المختلفة ، واذا صدق هذا الأمر على المدن فان القرى والأرياف والقبائل بقيت بعيدة عن تسرب التركية اليهم .

ان النشاط الفكري المحدود لم يكن قادرا على اخراج الحياة الفكرية من التخلف العام في الثقافة والمجتمع لقلة المتعلمين وقلة العلماء والمفكرين وتأخر الحياة العامة ، لهذا كانت المؤلفات متحجرة الأساليب تركض وراء السجعة والمبالغة والتكرار لأنها أسلوب العصر ، فالكاتب الذي لا يحسن السجع ما كان معدودا من كبار الكتاب ، ويتألم الكاتب اذا لم يفهم غير العرب السجع ،قال أبو الثناء الآلوسي :

وإني مللت السجع من أجل أنه ... بمعظم أرض الروم قد كسد السجع

وكم فقرة قد أحكمتها قريحتي ... تلوت بأرجاها فما ساغها سمع [١]

وبالرغم من تدهور النثر ، فقد برز فيه اعلام حملوا راية العلوم والتدريس والافتاء

(١) ابراهيم صالح شكر وبواكير النثر في العراق الفصل الأول .

والقضاء والتأليف ، من هؤلاء : محمود شهاب الدين الآلوسي [١] وعبدالله البيتوشي [٢] ومحمد أمين السويدي[٣] وعبدالله السويدي[٤] وعثمان بن سند [٥] وصبغة الله الحيدري[٦] وسليمان الشاوي [٧] وصالح السعدي [٨] وياسين العمري [٩] .

أسباب تأخر التطور :

وقد أخر النهضة الفكرية وحال دون تطورها وتجديد الفكر وافدات المرض والفيضانات التي كانت تفتك بالعراق ، فقد حدثنا أحد المؤرخين الذين عاصروا وباءا من هذه الأوبئة بقوله : (بلغ من مات في كل يوم من أيام الطاعون عشرة آلاف أو أكثر ظنا وتخميناً ، والا فقد مات المحصون ودفن الناس الجنائز في المساجد والبيوت حتى ملأوها ، فلما كثر الموت جدا تركوا دفنها ، فبقى الناس مطروحين في الاسواق والطرقات ومن بقي من الناس اذ ذاك لقي من معاناة الشدائد والمصائب ومقاساة المحن والنوائب ما يزيل الرواسي[١٠] ، ومهما بالغ المؤرخ في العدد فان الطاعون كان فاتكا حتى بالغ المؤرخ في عدد الموتى .

وهو دليل على شدة وقعه على النفوس وأثره في الحياة الفكرية ، ولولا قداسة الدين الاسلامي ورسوخ العقيدة لما استمر الناس على الدراسة في المساجد والمدارس فقد كان طالب العلم آمنا من العوز المالي ، لان الوقف كان يمده بالمال الموقوف على المدرسة

---

(١) له روح المعاني ونشوة الشمول وغرائب الاغتراب وكشف الطرة عن الغرة وعدة حواش على كتب النحو والمعاني . توفي بالطاعون ترجمته في لغة العرب ج ٢ سنة ١٩١٣ مقال بقلم ابراهيم حلمي ويراجع المسك الاذفر لمحمود شكري الآلوسي ص ٥ واعلام العراق للأثري وذكره العزاوي عدة مرات في تاريخ الادب العربي في العراق وألف عنه (ذكرى ابي الثناء)

(٢) له حاشية على (البهجة الرضية في شرح الألفية) وكفاية المعاني منظومة في بيان حروف المعاني راجع البيتوشي لمحمد الخال وسبائك العسجد ص ٣٤ وتاريخ الادب العربي في العراق في عدة أماكن .

(٣) ترجمته في المسك الاذفر ص ٨٢ ومجلة لغة العرب .

(٤) ترجمته في مجلة لغة العرب ج ٢١٧/٢ مقال لكاظم الدجيلي والمسك الاذفر ص ٦٠ .

(٥) لغة العرب ١٩١٣/٤ واعيان البصرة ص ١٥ لعبدالله باش اعيان نشر الحنفي والمسك الاذفر ص ١٤١ .

(٦) لغة العرب ١٤/١٢ وعنوان المجد لابراهيم فصيح صبغة الله الحيدري .

(٧) تاريخ الادب العربي في العراق للعزاوي ذكره في عدة مواضع .

(٨) نزهة الدنيا للعمري وشعراء بغداد وكتابها تحقيق الكرملي وكتب العزاوي .

(٩) زبدة الآثار الجلية تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف ومنية الادباء تحقيق الديوهجي .

(١٠) مخطوطة حديقة الورود .

والجامع الذي يدرس فيه والذي كان مصانا من العبث والاستيلاء عليه لقداسة المكان والحرص على الوصية وتطبيقها من تعاليم الدين .

مصادر الفكر :

ويمكن حصر مصادر دراسة الفكر العربي في هذه الفترة بما يأتي :

١ — الرسائل الخاصة التي كان يكتبها الأدباء والمفكرون ويصبون فيها أساليبهم ويظهرون فيها براعتهم اللغوية . فمن تلك الرسائل رسالة بعث بها أحد الكتاب الى محمد أمين الجليلي نكتفي منها بالمقدمة :

(أطال الله بالدولة والسعادة والاجلال ، والوزارة والامارة والاقبال ، بقاء حضرة الدستور الكبير والمشير المجير ، والوزير المنير ، والخفير الخطير ، والعزيز الجسير ، واهب النعم وواليها ، صاحب الهمم وعاليها ، بحر العطايا والعرفان ، نهر المكارم والاحسان ، آصفي التدبير ، اياسي التقرير ، مجير الفقير ، نصير المستجير ، معين الضعيف ، ضمين اللهيف ناموس الاسلام ، فانوس الأنام ، قاموس الانعام ، ناسوت العدل ، لاهوت الفضل ، طالوت النصل الرشيد الافخم ، والصنديد الأعظم ، عزة جبهة الوزراء العظام ، درة حلية الامراء الفخام ، ممهد قواعد الدولة العثمانية ، مشيد اركان الصولة الخاقانية ، حضرة الوزير المفخم ، والمشير المعظم ، لازالت الوية اقباله على عاتق الزمان خافقة ، ولامات أخبية سعده بين المنازل بارقة ، ما سما سعد السعود على السماك ، وما غنت البلابل على الاراك . . . آمين مجيب الداعين [١] .

٢ — تقاريض الكتب ودواوين الشعر ، وقد كانت سمة هذا العصر ، فلا يخلو كتاب من الكتب من جملة من التقاريض التي لا يخرج منها الباحث بأي نقد منهجي أو رأي واضح عن الكتاب ، انما هو حشو ألفاظ وحشد كلمات تصدق على أكثر الكتب وأكثر الفنون ، ومن تلك التقاريض ما كتبه صالح يحيى الموصلي ، قال بعد الديباجـــة :

(فقد وقفت على هذا الديوان ، العظيم الشان الساطع البرهان ، الفائق بنظامه عقود الجمان فوجدته كتابا بديع المثال ، منيع المنال ، قد فاق منثوره على المنثور ، ومنظومه على قلائد

(١) مخطوطة ديوان محمد امين المفتي .

العقيان ودرر النحور ، فلو رآه سحبان لما سحب ذيل التيه والصلف ، وأقر لمنشئه باليد الطولى والفصاحة التي هي مدار الفضل والشرف ، أو عاينه زهير وقد برز زهر كمامه وفاح ، وطلع بـــدر تمامه ولاح ، يعد مدائحه من القول هجرا ، وقال ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا أو جاراه ابن نباته لما حلا معه سكر نباته ، أو الصلاح الصفدي عد ذلك من سيئاته ، أو عارضه ابن حجة لم يدع له حجة ، ولم يسعه إلا الإعتراف بانه المورد العذب والسحر الحلال ، والعز الموصلي عاد بعد العز ذليلا ، وقال له الأدب ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، فلله در منشئه ، كم اسكن بيوته العامرة من نسيب لو بلغ كعبا لاشتغل به عن ذكر سعاد . وغزل لو وصل الى قيس ليلى لهام بذكره في البلاد وتشبيه لو سمعه ابن المعتز والقدر النبيه لما شك انه فرد بلا شبيه ، ومديح أعجز المتنبي عن الاتيان بمثله وأحجمت عند ارادة الاقدام على ذلك رايات فضله . . . [١] .

٣ ــ الخطب والمواعظ التي كانت تلقى ايام الجمع والأعياد الدينية والمناسبات المختلفة مثل ايام رمضان والحج وغيرها من المناسبات المعروفة . ومن تلك الخطب :

(الحمد لله الذي خلق الفلك الدوار وكور الشمس وجعلها سراجاً وهاجا ، . . . وأحيا الأرض بعد الموت والبوار ، وأبدع فيها النباتات المختلفات والأزهار ، واخترع الفصول الأربعة ، وجعل فيها الربيع موسما للنباتات والأنوار ، وزين الرياض بالزهر والنقل والبهار والورد والنرجس والسوسن والزنبق والياسمين والنسرين والجلنار ، وانطق خطباء البلابل والهزار ، على منابر اغصان الورد والأشجار باصناف التسبيح والتحميد والاذكار في الظهيرة والعشية والاسحار ، أحمده مدى الدهور والاعصار ، واشهد ان لا اله الا هو الملك الستار ، والمولى الواحـــد القهار ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله النبي المختار [٢]

٤ ــ الاجازات العلمية التي كان يجيزها الاستاذ لطالب من طلابه في علم من العلـــوم أو فن من الفنـــون التي يعرفهـــا نجد فيها السجـــع المتعب الممل ، فعندما كان يجيز بكتاب أو فن يذكر العلوم او الفنون التي درست عليه ، ومن ذلك اجازة محمود ابي الثناء الآلوسي : لمحمد الرافعي :

---

(١) مخطوطة ديوان شعر محمد امين المفتي .

(٢) المصدر نفسه .

(الحمد لله الذي روت احاديث وجوده القديم اثبات ، وارتوت قلوب اوليائه في بحار جوده العميم حتى رشح منها زلال الايقان في نفي واثبات . . . فاني على قصر باعي وطول همي في تغربي عن رباعي ، قد أجزت طالب الاجازة مني ، والراغب في الرواية عني ، الاخ في الله ، الفاضل الاداة ، نخبة احبتي واخواني السيد محمد افندي الرافعي الحجمزي الداغستاني ، كان الله تعالى له ولي ، بحرمة كل مؤمن صالح ولي ، بجميع ما حوته هذه الكرامة من الاثبات ، المنسوبة للمشايخ الاجلة الاثبات ، حسبما اجازني الامام الهمام مولانا محدث دمشق الشام ، العلامة السرى ، الشيخ عبدالرحمن افندي الكزبري ، تغمده الله تعالى برحمته ، واسكنه الغرف العالية من جنته [١] بأسانيدها المسطور فيها ، المعلومة ظاهرها وخافيها) .

٥ — كتب الرحلات والتاريخ والأدب التي كتبت في هذه الفترة نجدها طافحة في مدح المترجم واظهار شمائله وسجاياه الحسنة والركض وراء السجعة واقتسار اللفظة : ومن نماذج الرحلات ما كتبه ابو الثناء الآلوسي :

(فأقول سائلا من الله تعالى الوصول ، الى احبة هم بمدينة السلام نزول ، ركبت سفينة النار ، وما هي الا مثال قلبي المشحون بحب الديار . . .)

وقد سافر معه في السفينة بعض موظفي الدولة المرموقين ، فقال عنهم :

(. . . وقد أحسست منه بلين الجانب ومراعاة حقوق الصاحب ، وأكثر رجال الدولة العلية بعد التنظيمات الخيرية متواضعون وان شبانهم وشيبهم من لبن اللين متراضعون ، ولعمري ان ذلك الحال ، هو الحرى بالرجال فتبوّآ من السفينة القمارة ، واتخذاها عن سائر الراكبين ستاره ، واستأجرت انا جوارهما حجرة نفيسة ، وبمالها من كوة مطلة على البحر غدت أنيسة ، وكان شريكي فيها ذو الخلق المزري بالرحيق المختوم . . . الوالي سابقاً في اوزن الروم وشاهدت منه مزيد عفة وصلاح واختبرته فلاح لي عظيم فــلاح [٢] .

وفي هذا الوقت كانت حركات الفكر والادب في مصر والشام نشيطة الحركة

(١) غرائب الاغتراب لابي الثناء الآلوسي م . الشابندر ١٣٢٧ هـ ص ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(٢) نشرة المدام في العود الى دار السلام المطبوع في مطبعة الولاية في بغداد سنة ١٢٩٤ .

تتطور وتتبدل بعد أن احتكت بالحضارة الغربية فسرت في اساليب الكتاب روح جديدة ونسق حديث وساعد على التطور احياء المخطوطات العربية وتقليد بيانها .

اما في العراق الذي كان بعيدا عن تيارات الحضارة فقد حبس نفسه في اللفظة المختارة والجملة المنتقاة متمسكا بالتشكيلات اللفظية التي اخترع لها الوانا . وقد كنت أظن وجود جاليات أجنبية في الموصل وقربها من الشام سوف يؤثر في الفكر ويخرجه من سباته ويطور عبارته الجامدة الا ان العلماء والمفكرين ابتعدوا عن هذه الحركة لانها لم تتفق مع آرائهم الدينية ، ولعلهم عدوها خروجا على العادات الادبية والتقاليد الفكرية . فبقي الفكر في العراق يركض وراء الكناية والاستعارة والمجاز ، اظهارا لبراعة الفكر في اصطياد اللفظة . والقدرة الكبيرة على اللغة لان مهارة الكاتب وبراعة الفكر كانت منصبة على الاطار اللفظي أكثر من العناية بالمضمون الفكري للمعنى .

الشعر في الدور العثماني الأول :

لم يختلف الشعر العربي اختلافا كبيرا عن النثر في هذه الفترة ، فقد عني بالمحسنات اللغوية والتزويق اللفظي واللعب بالالفاظ والنظم في طرق عقيمة كالتشطير وتشطير التشطير والتخميس والتشجير وتغير الروى واطالة البحر والمعارضة والتضمين ويؤكد ذلك قول الشاعر محمد أمين المفتي ويظهر عنايته بالبديع في مقدمة ديوانه المخطوط « ولما وقفت على شرح بديعية ابي بكر بن حجة الحموى واطلعت على ما قد زكى نفسه فيها واتى بحق نفسه من التعريف والتوصيف وذكر مساوئ بديعيات من تقدمه من الفضلاء كالشيخ صفي الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلي والشيخ عزالدين الموصلي والعميان واتى في حقهم من التسخيف والتزييف وافتخر على صفي الدين بذكر اسم النوع والتعريف ، وعلى الباقي بسلاسته ورقته وانسجامه ولطافة المعنى من غير تكليف ، فلاشك بانهم لو سمعوا مقاله ، او بلغهم ما قاله ، لوطأوه تحت سنابك خيل بلاغتهم او انتعلوه تحت نعال جواد سلاهب فصاحتهم » حتى قال : « فجرتني الغيرة الجارية الموصلية عليهم ، وجذبتني الاقليمية العراقية اليهم ، لاخذ الثار في هذا المضمار ، خصوصا فيما قد بالغ في تفوقه عليهم اسم النوع البديعي وما قد نزل وحط من قدر عزالدين الموصلي ».

وقد نظم في ضروب غريبة عجيبة تدل على الايغال في حب الالفاظ اكثر من

المعاني مثل براعة الاستهلال والجناس المركب والمطلق والجناس الملفق المذيل واللاحق التام والمطرف والمصحف والمحــرف والجناس اللــفظي والمقلوب والاستطراد والجناس المعنوي والاستعارة والاستخدام والهزل الذي يراد به الجد والمقابلة والالتفات والاستدراك والتفنن والتنزيه والتخيير وارسال المثل والتهكم والمراجعة والتوشيح وتشابه الاطراف والتنزيل والتفويض والمواربة والمناقضة ورد العجز على الصدر والهجو في معرض المدح والاستثناء والتشريع وتجاهل العارف والاكتفاء ومراعاة النظير والتمثيل والتوجيه والتقسيم وحسن التخلص ، ومن هذا نختار بعض الامثلة :

براعة الاستهلال :

براعتي برعت بالحل والحــرم ‏ ‏ ‏ لما استهلت دموع العين كالديم

الجناس الملفق :

تلفقت مهجتي في الحب في نعم ‏ ‏ ‏ وقلب عاذلنا في الهجر فينا عمي

الاستطراد :

مستطرد أشهب الامال نحوهـــم ‏ ‏ ‏ كما تمر سحاب الجود بالديم

الاستعارة :

قد استعرت حبال الشمس لي سببا ‏ ‏ ‏ لكي انال وصولا نحو حيبهـــم

الطباق :

فظلمة الحظ مني في ضيائهم ‏ ‏ ‏ مطابقاً مثل خفضي في علـــوهم

تجاهل العارف :

لقد تجاهل قولا في تعرفـــهم ‏ ‏ ‏ ابارق لاح ام انـــوار بـــدرهم

التكرار :

كررت مدحي بهذا الراسخ القدم ‏ ‏ ‏ ابن الراسخ القدم ابن الراسخ القدم

التورية :

سمحت بالعين في مدحي بتورية ‏ ‏ ‏ من كل معنى جزيل اللفظ منتظم

الكناية :

عالي القباب وريّ الزند كنيتـــه ‏ ‏ ‏ ابو البتول ابو الزهراء كالعلم

ومن المحسنات التي تنافس فيها الشعراء : المشجر ، فقد نظم حسين العشاري تشجيرا باسم صديقه صالح فوضع حروف اسمه في اول كل بيت ، فقال :

صاح ما بين رامة والمصلى ... قمر كل ساعة يتجلى

أهو الغصن كلما الريح هبت ... عبقت ريح ورده فتدلى

لا تقس ريقه بشهد وخمر ... انما ريق ثغره الحلو أحلى

حال بيني وبينه سيف لحظ ... كلما رمت وصله قال : كلا[1]

ونتيجة للفراغ الكبير الذي كان يسيطر على الناس لم يكن هناك ما يملأ فراغ الأديب ، فاذا لم يكن قاضيا أو مفتيا أو مدرسا فان الشاعر يزجي وقته باظهار براعته اللفظية ، وقدرته البيانية ، فقد اضاع الشاعر محمد امين وقته في النظم على بحور الشعر المختلفة كالطويل والمديد والبسيط والوافر والرجز والسريع والمنسرح ليبرهن على قدرته وقابليته ، قال في البسيط :

إن الصلاة عليه طعمها عسل ... كذا السلام عليه في الورى نفل

بسيط مدحي به قد جاء يتصل ... مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل

وقال في الوافر :

مديح المصطفى ابدا جميل ... ووصف سناه خير لا يزول

فوافره حقيقا لا يحول ... مفاعلتن مفاعلتن فعول

وقال في الهزج :

حبيب الله مسؤول ... وبالدارين مأمول

وهزج المدح مقبول ... مفاعيلن مفاعيل

وقال في المجتث :

جاءت اليك العصاة ... اميرهم والرعاة

اجتثت السيئات ... مستفعلن فاعلات

الاغراض الشعرية :

أما الاغراض الشعرية فلا تتعدى المديح والرثاء والهجاء واغراض الشعر العربي المعروفة ، فمن المديح مدح الولاة والموظفين والاصدقاء والاقارب ، وقد يتخذ الغزل

---

(١) ديوان العشاري ، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ووليد الاعظمي بغداد ١٩٧٧ ص ٥٢٠ ويلاحظ ص ٥١٤ و ٥٤٣ .

سبيلا الى الغرض مثل ولادة ولد او سفر الممدوح او العودة من الحج او بناء مسجد او مدرسة او مكتبة او الحصول على الافتاء والقضاء ومنصب التدريس ، فقد كان الشعر يسجل الاحداث الاجتماعية وتكاد تكون اغراضه وفنونه واحدة عند اكثر الشعراء وغالبا ما يختم الغرض الشعري بالتاريخ فمن ذلك تاريخ وفاة عبدالله الفخري قول الشاعر :

فمن فرط حزني فيه ارخت حبه   ففي موت عبدالله قد فني العلم [1]

وقد أرخ تأسيس مكتبة سليمان الجليلي بقوله :

بشراكم جملة الطلاب بالكتب   وكل من قد سما بالعلم والأدب

في كتبخانة مولانا الوزير ابا (!)   نعمان ذو السؤددالعالي وذوالنسب (كذا)

انعم بها فبه بالكتب قد ملئت   كانهـــا غادة محمـــودة النشب

قـــد خصها بجرايات مرتبـــة   واربع ماية من أفخر الكتـــب

اعني الوزير الذي باهت مدينتنا   به المدائن بين العجم والعـــرب

والتأريخ هو :

وقلت للطبع قل شعرا وارخـــه   بنى سليمان بيت المجد والكتب [2]

وتاريخ آخر من نظم محمد امين نفسه :

لما دعاني بلطف ان يبجلنـــي   بنظم شطر اجبت الامر ملتزمـــا

نادى لسان يراعي حين ارخ قل   بنى سليمان دار الكتب للعلما [3]

ومن طريف التاريخ ما قاله كاظم الازري عندما تجددت الولاية لعمر باشـــا احد ولاة بغـــداد في زمن السلطان مصطفى الثالث قوله : (بنصر المصطفى عمر تهنى ١١٥٧) [4] وكان يسير التشطير والمعارضة من بلد الى آخر تكريماً للشاعر واعجابا بالقصيدة، ويخرج احيانا من العراق الى بلد آخر ، فقـــد ارسل بطرس كرامة الى داود باشا قصيدته الخالية التي من ابياتها :

أمن خدك الوردي افتنك الخال   فسح من الاجفان مدمعك الخال [5]

---

(١) مخطوطة محمد امين بك ورقة ٨١ .

(٢) المصدر نفسه الورقة ٨٠ التأريخ هو ١١٩٣

(٣) مخطوطة ديوان محمد امين الورقة ٨٠ التأريخ نفسه

(٤) مخطوطة في القرن التاسع عشر ص ٣٠

(٥) الخال في الشطر الاول : شامة الخد وفي الثاني السحابة الممطرة

واومض برق من محيا جمالهـــا لعينيك ام من ثغرها اومض الخال[1]

رعى الله ذياك القوام وان يكـــن تلاعب في اعطافه التيه والخال[2]

ولله هاتيك الجفون فانهـــــا على الفتك يهواها اخو العشق والخال[3]

وقد طلب داود باشا من شعراء العراق النسج على منوالها وقد عورضت من قبلهم[4] وبالرغم من تقرب بعض المماليك الى الاهليين وتكريمهم ، ووجود بعض الاجاويد من العرب ، كان عاملا في اسناد الشعر الا انه كان مفكك العرى واهن القوى ، لان اكثره كان شعر العلماء والنظامين ، اذ لم يدخل التطور في ثناياه ولم يتأثر بأي مؤثر خارجي يخرجه من القوقعة التي عاشها ، فقد سار الشعراء على اسلوبهم القديم ، لكن العناية باللغة والتأليف وكتابة التأريخ ايقظت الادب والفكر ، فقـــد تزود الشاعر الزاد الثقافي والادبي والاصالة العربية وكانت بداية جيدة انتفع بها الشعر فيما بعد .

وعلى الرغم من ورود اسماء شعراء كبار في شعر الشعراء وامتداح ادبهم بانه يحاكي شعر المتنبي والخنساء والبحتري وابي تمـــام والبحتري وأبي فراس والرضي ومهيـــار وأبي الأسود الدؤلي ولبيد وابن المعتز والنابغة وكعب بن زهير[5]، الا انهم لم يقدروا على الخروج من حياتهم الفكرية التي قيدتها بتقاليدها لان الشعر المتطور يظهر في مجتمع حضاري متجدد وفي بيئة فكرية متقدمة لم تكن هذه الفترة قد وصلتها وكأني باكثرهم لم يقرأ دواوين الشعر الكبار دراسة تمعن واستفادة والا لتغير كثير من ادبهم وتطور فكرهم تطورا ملموسا ، فوجدناهم قد تأثروا بمن عاش في مثل ظروفهم وفي بيئة تفرض حاجاتهم الملحة وتختلف حياتهم الفكرية عن حياة اليوم فان آراءهم واخيلتهم لا يقدر المعاصر على قبولها ، فقد سيطر عليهم الفكر الصوفي من جراء تأخر الحياة العقلية نتيجة للحياة المضطربة فكريا ، المتخلفة

---

(١) الخال : البرق

(٢) الخال : العجب والكبرياء

(٣) الخال : ضد العاشق اي الخالي من الحب .
في شأن القصيدة راجع الدر المنتثر ص ١٢٨ وعارضها العمري وهجا التيمي صاحبها فرد عليه بطرس كرامه فتدخل عبدالجليل البصري . ويلا حظ مخطوطة (الخاليات) .

(٤) الدر المنتثر ص ١٢٨ وقد عارضها عبدالباقي العمري ، وعبدالحسين محيي الدين وموسى الشيخ شريف وابراهيم العاملي ورفض صالح التميمي معارضتها وجرت مراسلات من اجلها .

(٥) مجموعة صالح افندي الموصلي – المخطوطة فيها كثير من الشعر الجيد .

عقليا ، فقد سادت الامية والامراض ولم يعد العربي يجد ما يعيد الى نفسه الثقة ، فقد حرم من المنصب والمشاركة في الحكم ورأى امورا لا يقدر على هضمها وفهمها ، فقد حكم المماليك بغداد وهم اجانب عنه وابعدوه عن السلطة والنفوذ .

ان اهتمام الاديب باللفظة والعبارة دون الاهتمام بالمعنى والابداع الذهني جره الى ترديد كلمات الشعر العربي القديم مثل حاجر وسلع والقصيم ورامة والشعب وزرود واللوى والغوير دل هذا الاهتمام على عدم فهم احاسيس الشاعر القديم ولم يؤثر فيه وفقد التجاوب الروحي والفكري معه . بل يعتبر عدم الاهتمام بالشكل القديم وتقليده من العيوب ،

وقد كنت اظن ان بيئة الموصل وحكامها من آل عبدالجليل العرب الاقحاح سوف تكون احسن من بيئة بغداد التي كانت مركز الولاية التي سيطر عليها غير العرب ، ولكن لم أجد فرقا كبيرا بينهما ولم تكن النجف والحلة وكربلاء والبصرة تختلف عن البيئة البغدادية وحسبت ان الاحداث التي مرت بالعراق مثل الحروب الداخلية والطواعين والاوبئة والفيضانات ، سوف تؤثر في النفس وتخرج شيئاً انسانيا خالدا ، الا ان الشعر لم يخرج عن طوره وقوالبه واغراضه ، فقد نظم حسين العشاري قصيدة في الطاعون ولولا ورود كلمة الطاعون وانه كارثة حلت بالوطن لكانت قصيدته حنين لاهله واسرته ، فقد اهلك الطاعون عددا كبيرا من الناس وفتك بهم فتكا ذريعا ، فما كان من الشاعر حسين العشاري الا ان يتوجع لما حل ببغداد دون ان يذكر صورة واحدة من آثار الطاعون المحزنة او يصف حادثة انسانية مؤثرة ، فقال :

مصاب عراها لا اصيبت باهلها ... فانهم للمكرمات بها أهل
(ديار بها نيطت علي تمائمي) ... قديما ولي فيها نما الفرع والأصل
فيا سكني في ربعها الخصب ناقتي ... بها جملي يرغو بها قيمتي تغلو
الا ليت شعري هل اراني بربعها ... مقيما وبالاحباب يجتمع الشمل
وهل التقي بالاهل من بعد فرقة ... فلي عندها من كل ناحية أهل
وهل روضها يخضر بعد ذبوله ... ويهوي على اوراقه الغيث والطل
وهل ظبيات الكرخ يخرجن شرعا ... ودون حماهن الاسنة والنصل

وكل ما قاله في الطاعون :

وكم فتية فروا من الموت ضلـــة (ومن ظعنوا في السير عنه وقد كلوا)
امن قدر الرحمن يجري فرارهم (فاولـــه سقم وآخـــره قتـــل)
فقل لمقيم صابر فزت بـــالعلـــى (وللمدعي هيهات ما الكحل الكحل)
يهون علينا ما لقيتم من الاذى ولكن عقد الله ليس له حـــل

ثم يدعو من الله جلت قدرته ان يزيل المرض ويتوسل باسمائه الحسنى والانبياء والرسل وبالمصطفى واصحابه والاولياء والتابعين ان يتولاهم باللطف والرحمة والعفو ، فقد حل بهم :

وباء وطاعـــون وما ثم ملجـــأ سواك وانت الراحم الحكم العدل
ويا غارة الله اسرعي لخـــلاصهم من القهر فالرحمن من شانه الفضل
ويا غارة الله اجعلي كل واحد بحصنك قد غار العدو وهم عزل

الى آخر القصيدة :

وعلى الرغم من ان بعض الولاة في بغداد حاولوا التقرب من علماء بغداد وشعرائها وان اسرة عبدالجليل العربية تحكم الموصل ، فان شعر المديح لم يكن يخرج عن اطار المبالغة الممقوتة وظنت ان حب المباهاة والمفاخرة والمنافسة بين الشعراء والممدوجين سيكون سببا قويا يدعو للتطور والتجديد في الاساليب وسيحاكي شعر المديح من عصوره الزاهية عبارة واسلوبا الا ان الظن خاب فقد بقى الشعر في قوقعة اللفظة وجرس الكلمة فقد مدح الشاعر (محمد امين باشا) ، قال :

أين سافرت أيهذا الامـــيـــر نحن زرع وأنت غيث غـــزيـــر
نحن في حندس من الليل نعشو فيه دوما وانت بدر منيـــر
نحن في سبسب عطاش رشـــاش قد ظمينا وانت جـــود مطـــير
نحن كالشاة اهملتها رعـــاة في البوادي وانت داع مجيـــر
نحن كالعـــين مقلـــة وسواد وبيـــاض وانت نـــور بصيـــر
نحن جسم ميت بغير حيـــاة انت روح لنا ونعم النصيـــر [1]

---

(١) ديوان محمد امين المفتي ، مخطوط .

الادب ظاهرة اجتماعية ، والعراق بلد شاعر ، ولن يتقدم او يتطور ، بدون عوامل تؤثر في مسيرته وتبعث فيه حياة جديدة وحياته المحدودة ، اكثرت المديح والاغراض الفردية ومدح الرسول وآله ، ومدح بعض الكتاب وشيوخ القبائل العربية ، والاسر المعروفة كآل السويدي والجليلي والشاوي [١] .

وكثر الناظمون وسجل لنا التاريخ الادبي اسماء الادباء الذين برزوا في بغداد والنجف والحلة والموصل وكربلاء ، ولكن شعرهم لم يعالج الا قضايا محدودة طابعها الدين والتصوف واحيانا الغزل والخمرة ، بعيدة عن الاحاسيس الانسانية والتجربة المخلصة لان جو المثقف كان محدودا وما كان العلماء بالقدر الكافي الذي يؤثر في المسيرة الفكرية الواسعة .

ولم يكن الاديب قادرا على العيش بادبه ، فقد حدثنا اديب عن معاناته وحاجته الى المال في نزهة المشتاق ، فقال :

(حدثني الواله الابي ، ابو البركات الرحبي ، فقال : طال قعودي فلوى عودي ، وانا حليف فاقة وفقر ، ومنزل خال قفر ، فغالتني يد الضياع وعرضني الدهر على الابتياع فلما لم يبق لي من المال عقله ، اخترت الغربة والنقله ، فركبت متون الغبراء مهاجرا من الزوراء ، فطوحتني الطوائح وشوحتني الشوائح ولفظني قفر الى قفر وبر الى بحر ، وانا في حل ومرتحل ، اذرع شقة الارض بباع انسان المقل ، كريشة ساقطة في مهب الريح من القلق على حال لا تستريح [٢] . وقد قال ابو الثناء الآلوسي :

(فقال لي مالي : اراك كاسف البال ، قل لي ما الذي دهاك ، وما هذا الحال وانت في عنفوان صباك ، فقلت قد لذ لي ذلي في اكتساب الادب ، وقد فاتني بالامس درسي ، فعراني ما ترى من العطب ، فقال لي اخطأت وبئسما صنعت ، قد غشتك نفسك وخانك حدسك ، وغدر بك من استشرته ، وكذبك من استخرته ، وخذلك من استنصرته ، وضلك من استهديته ، اما دريت وانت الجذيل المحكك والعذيق المرجب

---

(١) ديوان العشاري مدح باشا بغداد ص ٢٢١ ومدح السويديين ص ١٩٤ ومدح الجليليين ص ١٠٧ ومدح الشاوي ص ٢١٢ و ٢٠٤ و ١٠١ و ١٠٥ ومدح صبغة الله الحيدري وعبدالله الفخري ٨٧ وغيرهم كثير ومع ذلك لم يكن الشاعر قادرا على العيش في شعره برفاهية .

(٢) الورقة ١٠٦ من المخطوطة .

ان حرفة الادب اعدى من الجرب وصفة الكمال صفة البلبال ، وزينة المناقب ريبة المعاطب ، وان الدهر لم يحارب الا اديبا ولم يحرم ، لادر دره ، الا لبيبا . . . ما ازددت من ادبي حرفا اسر به الا تزيدت حرفا تحته شوم ، ان المقدم في حذق بصنعته ، اني توجه فيها فهو مذموم ، اما علمت ان الدهر متى رأى اماما في الادب امه . . . [1].

لأن حرفة الادب لم تكن تدر على الاديب ما يغنيه ويسد حاجته فيضيع ماء الوجه في المديح او يعكف على استنساخ الكتب وبيعها للناس لكي يعول نفسه واسرته كما كان يصنع العشارى الذي قال :

وما فيك غير الفقر عيب واثمـــا	يعاب الفتى لؤما وان كان ذا جد[2]

وكان فقره شديدا حتى حال دون شراء ما يمنع عنه برد الشتاء فاضطر الى الامتناع عن الكتابة والاستنساخ ، لان البرد الشديد اعاقه عن عمله واخره ودعاه الى القول :

فجـاءنا بـرد شديد قـر	مـا لفتى من بأسـه مـفـر
اشـل منا الكـف والاصابعـا	واخرس الالسنـة المصاقعـا

ومنها :

ثم انقضـت ايـامه المنشقـه	وما كتبنا منـه خمسي ورقـه
وبعدما ادبـر عنا ورحـل	وشمس عزمي قد علت فوق زحل
شددت ازرى موقـدا نبراسـي	اكتب كراسا على كراسـ [3]

وبرزت اسماء شعراء في هذه الفترة مثل خليل بن علي البصير وعثمان الدفتري وقاسم الغـلامي ويحيى البغـدادي وكاظم الازري ومحمـد جواد السياه بوشي وحسين العشاري لا يختلف ادبهم في مجموعه عن بعضه ولا تخرج اغراضه عما الفناه عند غيرهم . أدب أساسه الصنعة وقوامه الألفاظ الرنانة ، إذ لم يتأثر بعوامل خارجيـة وشغلته حياته المتأخرة عن كل تطور وتجديد .

---

(١) مقامات الآلوسي ص طبع حجر في كربلاء ١٢٧٣ هـ

(٢) ديوان العشاري ص ٤٠٦

(٣) الديوان ص ٧٩ كان الشاعر ينسخ كتاباً لسليمان الشاوي لانه يعيش من نسخ الكتب فحال البرد دون اتمامه الكتاب فاعتذر له بارجوزته .

أصالة النحاس في شرح القصائد التسع

الدكتور احمد نصيف الجنابي

بسم الله الرحمن الرحيم

« المـــدخـــل »

(١)

اذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يـُهيىءُ لهذه الأمة على رأس كل مائة عام ، من يجدِّدُ لها أمر دينها (كما جاء في الحديث الشريف) ، فانّه يـُهيِّىءُ للغة العربية ،في كل جيل ، من يحفظ رسالتها ، ويجلو قوانينها ، ويجدد أمرها . قال « الثعالبي » ـ رحمه الله ـ حين تحدث عن اللغة العربية في كتابه « فقه اللغة » : (ولما شرّفها الله ـ عز إسمه ـ وعظّمها ، ورفع خطرها ، وكرّمها ، وأوصى بها الى خير خلقه ، وجعلها لسان أمينه على وحيه ، وخلفائه في أرضه ، وأراد بقاءها ودوامها ، حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده ، وفي تلك الآجلة لساكني جنانه ، ودار ثوابه . . . قيّض لها حفظة وخزنة ، من خيار الناس ، وأعيان الفضل ، وأنجم الارض ، تركوا في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر والمحابر ، وكدُّوا في حصر لغاتـِها ، طباعـَهـُمْ ، وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم ، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم ، وانفقوا على تخليد كتبها أعمارهم . . .) .

ومن هؤلاء الاعيان « أحمد بن محمد بن اسماعيل » (المتوفى ٣٣٨ هـ) ، الذي ألف في حفظ العربية وفنونها ، ما يربو على عشرين مؤلفاً ، فيها ما هو أصيل ، وهو الكثير ، ومنها ما هو مجرد عن تلكم الصفة ، وهو قليل . . .

والكتب تتفاوت قدرة ، كما يتفاوت العلماء في أقدارهم ، فمنهم من يظلّ مناراً وقدوة للاجيال بعده ، ومنهم من يكون مورداً عذباً لأبناء جيله ، دون سواهم ، لسببٍ مّا ، ومنهم من يموت ذكره ، وهو يدبّ على وجه البسيطة . والكتب منازل ، فمنها ما هو أصيل ، يلبّي حاجة متجددة بتجدّد الازمان ، أو يكون أساساً لحياة كريمة تتّسق مع فطرة الانسان وسعادته في كل زمان ومكان ، ولعل أحد أسباب خلود كتاب الله ، هو اتصاله بالفطرة الانسانية ، وتحقيقه لسعادة البشرية ، كلما تقاذفتها الاهواء ، وشتتتْ وحدتها الافكار . . . ولعل هذا الجانب هو وسيلة من وسائل حفظ الكتاب الكريم المشار اليه في الآية الكريمة : « إنّا نحن نزّلنا الذكر ، وإنّا له لحافظون » (سورة الحجر ، آية : ٩) .

ومن الكتب ما هو اصيل ، ولكنه لا يتناول إلاّ جانباً ضيّقاً من جوانب الحياة والفكر ، فتضيق الحاجة إليه ، ويضيق امتداده في الزمان والمكان .

ومنها ما يضيف جديداً الى ما تقدّمه من الكتب ، ومنها ما لا يُضيف ، فتنصرف الانظارُ الى ما هو أحسن منه ، في بابه ، واكثر افادة . . .

وقبل أنْ نحدّد مفهوم الاصالة نبادر فنقول : إنّ العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، وإنّ أخذ العالم عمّن سبقه أو عاصره ، لا يضير ، بشرط ألاّ تطغى شخصية السابق على شخصية اللاحق ، فتمحو خصائصها ، وتطمس ملامحها .

وتحديد مفهوم « الاصالة » لا بُدّ منه ، قبل أنْ نشرع بتلمسها في كتاب النحاس « شرح القصائد التسع » .

فما مفهوم الاصالة ؟

الاصالة في التأليف تعني : أن يتناول الكاتب موضوعاً ، لم يُسبق اليه ، كما فعل سيبويه « في كتابه » أو الخوارزمي في « الجبر والمقابلة » ، وابن المعتز في « البديع » وابن خلدون ، في « المقدمة » .

فكل منهم سبق الزمان بأصالته في أفكاره او في منهجه او فيهما معاً .

والأصالة تعني — أيضاً — أنْ يتناول الكاتب موضوعاً مطروقاً من قبلُ . . . لكنه يتناوله بمنهج جديد ، أو برؤية جديدة ، كما فعل الامام السُّهيليّ (ت ٥٨١ هـ) ،

في كتابه « الأمالي » حيث فسّر « الممنوع من الصرف » تفسيراً جديداً . وكما فعل « ابن مضاء القرطبيّ » حين تناول موضوع العلل النحوية بالنقد ، وذلك في كتابه : (الردّ على النحاة) .

ويكون الكاتب أصيلاً حين يعمد الى موضوع قد تناوله غيره ، ولكن بشكل ناقص ، وترك فيه ثغرات او أخطاء ، فيعمد الكاتب الجديد الى سدّ الثغرات واكمال النقص ، كما فعل الامام « الصاغانيّ » (ت ٦٥٠ هـ) ، مع كتاب « الصحاح » مع عدم نفي الاصالة عن « الجوهريّ » . . .

والكاتب يكون أصيلاً حين يتناول موضوعاً تناولته الاقلام ، ولكنه مشتّت في أبحاث ورسائل قصيرة ، وجزئية ، فيجمع أطرافه ويذلل مشاقه ، وينظّم أبوابه وينسق مباحثه ، ويضعه في « سفْر » ، ويضيف الى مادته شيئاً جديداً ، فيكون محسناً في ناحيتين : تقريبه البعيد ، واضافته الجديد ، كما فعل أبو بكر محمد بن القاسم الانباريّ (ت٣٢٨هـ) ، في لمّ أشتات موضوع « المذكر والمؤنث » ، في كتابه الموسوم بهذا الاسم .

ففي أيّ ميدان من ميادين الاصالة ؟ وكيف ، صار النحاس ، أصيلاً ؟

أما الجواب عند السؤال الاول فيظهر في بيان منهجه العام . أما الجواب عن السؤال الآخر فيظهر في استطاعة النحاس بناء جزئيات مأخوذة من كتب متعددة مختلفة المناهج والاتجاهات ، وإخراج بناء جديد من تلك الجزئيات.

منهجه العام في شرحه

أمّا من حيث المنهج العام فانّ النحاس أول صورة واضحة وكاملة تطالعنا للاستشهاد بنحو القراءات ولغتها ، ولا سيما في كتابيه « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » . بحيث نراه يستشهد بالقراءات في كتاب مثل « شرح القصائد التسع » بشكل يلفت النظر ويدعو إلى إدامة التأمل ،وهو النحوي المقرئ الوحيد الذي مزج بين منهج القرّاء ومنهج النحاة التقليديين ، بعيداً عن نصّية القرّاء وتعسف النحاة ، فأزال بذلك الفروق الحدية بين المنهجين . فالنحاة يُحكّمون القياس في الرواية سواء كانت قرآنية أم نصاً شعرياً ، ومنهم الفراء (ت٢٠٧ هـ) والمبرد (ت٢٨٥هـ)

أما الفراء فقد ردّ كثيراً من القراءات المتواترة وغير المتواترة . ومن الأمثلة التي ردها قراءة حمزة « إلاّ أنْ يخافا » (سورة البقرة آية: ٢٢٩) ، بضم الياء بحجة أنها لا

تعجبه . . . [1] وقد أطال في تعليل ذلك [2] . و « حمزة » من أئمة القراء . وكذلك ردّ قراءة ابن عامر : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » . برفع « قتل » ونصب « أولاد » وجرّ « الشركاء » لأنّ فيها فصلاً بين المضاف والمضاف إليه ، بالمصدر ، وهو يخالف القياس النحوي . وسماها « شاذة » [3] وما هي بشاذة ، بل قراءة متواترة ، فإذا ردّ القراءات المتواترة فردٌ غيرها أيسر [4] .

أما المبرد فموقفه من القراءات موقف لا يحمد عليه وهو اكثر النحاة تطرفاً في موقفه هذا .

أما منهج القراء فيعتمد على الرواية . والقراءة عندهم « سُنّة مُتّبَعَة » . وهي بذلك « توقيفيّة » متناسين في ذلك احتمال الخطأ فيها . . . وغير معترفين بالاجتهاد الشخصي فيها ، بالرغم من وجوده . والدليل على وجوده أن القراء السبعة جميعاً قرؤوا « إن هذان لساحران » (سورة طه : ٦٣) بثبوت ألف « هذان » إلاّ أبا عمرو بن العلاء فإنه قرأها بالياء [5] مخالفاً بذلك الإجماع .

وقرأ الكسائي (ت ١٨٩ هـ) : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم . أنّ الدِّينَ عند الله الإسلام » (الآيتان ١٨ — ١٩ من سورة آل عمران) ، بفتح همزة « أن » وقال : (أنصبهما جميعاً بمعنى شهد الله لأنه لا إله إلا هو أنّ الدين عند الله الإسلام [6] .

ولو كان الأمر يتعلق بالرواية لاحتجّ بها ، ولما نازعه في ذلك أحد . . . لكنّه علّل وجه قراءته لأنه اجتهاد يحتاج إلى ما يسنده من حجة . . . وتلك حجته . . ولكن النحاس أخذ بمبدأ التوسط بين طرفي الأمر فأخذ بنحو القراءات متجاوزاً كثيراً ممن سبقه ، وعلل القراءات تعليلاً كافياً ومستفيضاً في كتابه : « إعراب القرآن » وبنى على القراءات كثيراً من الأحكام والقضايا النحوية واللغوية . وصرح في كتاب « القطع والإئتناف » بأن أسلوب الآيات ونحوها ونظمها لا يمكن أن يفهم في بعض السور إلا بتفصيل القراءات [7] .

(١—٢) الفراء : معاني القرآن ١/١٤٥ — ١٤٦ وينظر معاني القرآن ١/٤١٤

(٣) معاني القرآن ١/٣٥٨

(٤) نفسه ٣ — ٨

(٥) كتاب السبعة / ٤١٩

(٦) النحاس : معاني القرآن ورقة ٣٩ : آ

(٧) القطع والائتناف لوحة ٢٣٤ : ب

ولكن الذي يلفت النظر حقاً أنه يستعمل القراءات في كتابه « شرح القصائد التسع » بكثرة ووفق منهج جديد لم يسبقه إليه أحد . فكل النحاة والمفسرين وأصحاب كتب المعاني استشهدوا بالشعر لتوجيه القراءات وتفسير معاني الآيات ، وفعل النحاس مثلهم في كتابه « معاني القرآن » [1] وغيره ، أما في كتاب : « شرح القصائد التسع » فقد استعمل القراءات لتوجيه الشعر ، وأجاز في الشعر قراءتين قياساً [2] على القراءات . . . وهذا ما لم يفعله أحد من قبل . ولذلك فهو رائد في هـذا . كما أن شواهده القرآنية (أي شواهده من القراءات متواترة وغير متواترة) بلغت (٣٠٦ شواهد) في حين بلغت شواهده الشعرية (٢٦٥) .

وهو أول نحـوي أو لغـوي تتجاوز شواهده القرآنيـة الشواهد الشعرية في كتاب نحوي ولغوي كشرح القصائد التسع .

ولووازنا بينه وبين أستاذه أبي بكر بن الانباري في« شرح القصائد السبع الطوال» ، لوجدنا أن شواهده القرآنية (٢٥٠) وشواهده الشعرية (١٠٩٣) .

أي أن نسبة الشواهد القرآنية إلى الشواهد الشعرية عند كل منهما يبينها الجدول الآتي :

	الشاهد القرآني		الشاهد الشعري
عنـد النحـاس	٣	:	٢ر٥ تقريباً
عند ابن الأنباري	١	:	٤ تقريبـاً

وهذا يدل بوضوح على بُعْدِ الشُّقّة بين المنهجين في الاستشهاد بالقرآن والقراءات . فما هو السبب ؟

لقد قرأ النحاس على نُخبة طيّبة من القُراء أمثال أبي بكر [3] بن يوسف التُجيبيّ (ت ٣٠٧ هـ) ، وأبي بكرمحمد [4] بن أحمد بن عمرالداجوني الكبير (ت٣٢٤ هـ) ، وابن شَنَبُوذ ؛ محمد بن أحمد (ت ٣٢٨هـ) ، وغيرهم . والأول : مقرئٌ متصدٍّر ثقة إمام . وكان شيخ الديار المصرية في زمانه وانتهت إليه الإمامة في قراءة « ورش » .

أما الداجونيّ فهو « إمام كامل رَحّال مشهور ثقة » . . أخذ القراءات عن كثيرين

---

(١) معاني القرآن لوحة ٣ : ب ولوحة ٣٤ : ب

(٢) شرح القصائد التسع /٥٢١ ، ٥٤٦

(٣) طبقات القراء ٤٤٥/١

(٤) نفسه ٧٧/٢

عَدّدهم ابن الجزري [١] وله كتاب في القراءات ضمنه قراءة أحد عشر قارئاً [٢] .

أما ابن شنبوذ فهو شيخ الإقراء بالعراق . وأثنى عليه كل القراء والعلماء إلاّ ابن مجاهد معاصره (ت ٣٢٤ هـ) . وحجته حجة الأقران . . . وكان ذنب ابن شنبوذ أنه يرى جواز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف الإمام ، اذا صحت روايته . وذلك كل ما عليه . . .

فالنحاس أخذ القراءات المتواترة عن طريق أستاذه الداجونيّ ، والشاذة عن طريق أستاذه ابن شنبوذ ، وقراءة ورش المصري عن طريق أستاذه ابي بكر التُّجيبيّ .فلا غرابة بعد ذلك إذا بدا – من خلال كتبه، لاسيما إعراب القرآن ومعانيه وشرح القصائد التسع والقطع والائتناف – وقد سبر غور القراءات وعرف موضع الشاهد فيها ، واستخدمها ببراعة تامة دلت على سعة علمه وفضله . ويظهر – والله أعلم – أنه كان متقناً لقراءة ورش (ت ١٩٧ هـ) ، ولهذا أخذها عنه ابن خاقان [٣] . خلف بن إبراهيم بن محمد (ت ٤٠٢ هـ) المقرئُ الإمام أستاذ الداني [٤] . وعنه رواها الداني [٥] .

فالنحاس إمام من أئمة القراءات . وهذه النقطة توضح جانباً من موقفه العام من القراءات .

وإذا كان قد أنكر بعض القراءات [٦] فليس معنى ذلك أنه يُقْرَنُ بالمبرد ، ولا يعني أنه منكر للقراءات دائماً ، كما توحي عبارة محقق كتاب « شرح القصائد التسع [٧] » ، معتمداً على خمس قراءات دفعها النحاس في كتابه « إعراب القرآن » ولكنه نقلها من « تفسير القرطبي » فوقع في تحريف أربع منها في الضبط وفي نسبة بعضها وفي مكان النقل . . فكان حكمه مبنياً على أساس مُحرَّف أولاً . كما أنه يُرَدّ عليه باعتماد النحاس على القراءات : مئات القراءات وفي إعراب القرآن نفسه ثانياً وأخيراً ، وليس آخراً ، فإنّ رده لبعض القراءات لا يعني أنه بجانب المبرد الذي كان يرفض القراءة إذا

---

(١) لطائف الاشارات ١/٨٦

(٢) طبقات القراء ٢/٥٢

(٣) الداني : المفردات السبع /١١

(٤) طبقات القراء ١ : ٢٧١

(٥) طبقات القراء ١ : ٢٧١ (وقال عنه الداني : كان ضابطاً لقراءة ورش متقناً لها مجوداً مشهوداً بالفضل والنسك واسع الرواية صادق اللهجة كتبنا عنه الكثير . .)

(٦) اعراب القرآن لوحة : ٦ ولوحة ٧١

(٧) شرح القصائد التسع /٣٤ (من الدراسة) .

خالفت المقاييس النحوية ، لأنّ « ابن مجاهد » شيخ القراء في عصره قد أنكر بعض القراءات السبعية المتواترة في كتابه [١] « السبعة » في حين أنكر النحاس بعض القراءات التي لا تصح في المعنى أو إذا كانت لَحْناً [٢] .

فموقف النحاس من القراءات موقف طبيعي ، ومعتدل لا يختلف عن موقف أي قارئ من القراء ، أما إذا قورن بموقف النحاة فإنه مختلف عنهم ويفوقهم في قبول القراءات ، ولا سيما في كتابه « شرح القصائد » . أما في كتابه « القطع والائتناف » فإنه ردَّ بشدّة على أكثر النحويين [٣] الذين رَدُّوا قراءة « حمزة » (بفتح كلّ همزة في سُورة الجِنّ من أنّا وأنّه إلاّ ما كان بعد قول) ، وكان رده قائماً على حجة علماء القراءات وليس على حجة النحاة لأنّ قول النحاة « طَعنٌ على ما روته جماعة وأئمة يُقتدى بهم » على حد تعبيره . [٤] بالرغم من استعماله سلاح النحو ، في كل كتبه ، وهل يمكن أن يتخلى عن هذا السلاح ، كل من يريد أن يبيّن معاني القرآن وأساليبه في الخطاب والتوجيه ؟ .

وإذا بدا عنده ميل إلى تحكيم القياس النحوي — أحياناً — فأكثر ما يأتي ذلك في غير ميدان القراءات [٥] ، وقلّما يأتي في ميدانها [٦] ، وعندما نضع بجانب هذا القليل ، استشهاده بالقراءات حتى الشاذة منها [٧] ، فإن ميله إلى تحكيم منهج القراء في مقاييس النحو يبدو واضحاً ، أي : أنّه يأخذ بالسماع والرواية ، لأن القراءة سُنّة متواترة أي قائمة على رواية ثابتة وسماع صحيح ، أما الشاذة فهي تعتمد على الرواية غير المتواترة ، أحياناً ، وبالرغم من اعتمادها على الرواية فإنها ليست من قراءة السبعة أو العشرة ، وهي في كل الأحوال قياساً نحوياً .

أثر كونه قارئاً في منهجه :

وكون النحاس قارئاً ، أثّر في آرائه وأحكامه فظهرت له بعض الآراء التي تعد طريفة كل الطرافة وجديدة كل الجدّة وتستحق الوقوف عندها .

(١) كتاب السبعة /١٦٩ ، ٢٠٧
(٢) اعراب القرآن لوحة : ٦ ولوحة ٧١
(٣) القطع والائتناف لوحة : ٢٤٣
(٤) القطع والائتناف لوحة : ٢٤٣ : ب
(٥) شرح القصائد التسع /١٥٧ ، ٢٦٨
(٦) اعراب القرآن لوحة : ٦
(٧) شرح القصائد التسع /٢٢٦ ، ٢٩٢

ومن تلك الآراء وأكثرها طرافة : إجازته قراءة أبيات الشعر بصورتين مختلفتين وذلك حين تكون عنده الصورتان في حيز القراءات القرآنية ، أي وجود ما يشابههما في علم القراءات .

ومن الأمثلة على ذلك إجازته قراءة بيت عنترة (٦٣) :

فبعثتَ جاريتي فقلتُ لها اذهبي فتَحسّسِي أخبارَها لي واعلمِي

بصورتين : بفتح ياء « لي » أو بسكونها : (إنْ شئت أسكنت الياء في قوله : لي وإنْ شئت فتحتها وهما لغتان معروفتان قرأ بهما القُرّاء)[1].

كما أجاز أنْ يُقرأ بيت إمرئ القيس (رقم ٢٠) :

أأن رأتْ رجُلاً أعشى أضَرَّ بِهِ ريبُ المنون ودهرٌ مُفْنِدٌ خبِلُ

بتحقيق همزتي « أأن » ، وبتخفيف الثانية [2] . ومسألة تحقيق الهمزتين من كلمة أو تخفيف الثانية ، من مسائل الأصول في علم القراءات[3] . وليس هذا حسب ، بل ظهر أثر كونه قارئاً في اعتماده الكبير على الشواهد القرآنية والقياس عليها في جل أعراض الإستشهاد .

وأهم الأغراض التي جاء بالقراءات والآيات من أجلها هي :

١ ـ للدلالة على جواز أسلوب :

ففي شرحه لبيت النابغة (رقم ٤) بهذه الرواية :

رُدَّتْ عليهِ أقاصيه ولَبّدَهُ ضرب الوليدة بالمِسحَاة في الثأد

أراد أن يبرهن على أن الشاعر أضمر ما لم يجز ذكره ، فقد أراد ردت عليه الأمَة إلاّ أن هذا جائز كثير إذا عرف معناه . قال الله عز وجل : « حتى توارت بالحجاب» (سورة ص آية : ٣٢) ، يعني الشمس والله أعلم [4] .

٢ ـ أو للبرهنة على أفضلية أسلوب على أسلوب :

وفي شرح بيت الحارث بن حِلِّزَةَ اليشكري :

ثم خيل من بعد ذاك مع الغَلاّقِ لا رأفةٌ ولا إبقاءُ

---

(٥) شرح القصائد التسع / ٥٢١

(١) شرح القصائد /٥٤٦

(٢) ينظر كتاب السبعة /١٣٤ ، ١٤٥ وسراج القارئ المبتدى /٦٢ غيث النفع في القراءات السبع /١٠٠ واتحاف فضلاء البشر /٤٤ .

(٣) شرح القصائد التسع /٧٣٧ (لبده : سكنه وطمأنه ، الثأد : الموضع الندى التراب) .

قال : : « لا رأفة ولا ابقاء : أي ليس لأصحاب الغلاق رأفه بهم ولا ابقاء عليهم ، ثم حذف لعلم السامع ، وقيل في قوله عز وجل : « فمستقر ومستودع » (الأنعام : ٩٨): « مستقر في الأصلاب ومستودع في الأرحام » [١]

ثم جعل لا في قوله : لا رأفة بمعنى : ليس .

وأنشد سيبويه [٢] :

مَنْ صَدّ عن نيـرانِهـا فأنـا ابنُ قيس لا بَـراحُ

وهو في بيت الحارث أحسن لتكريره لقوله « ولا إبقاء » ، فصار مثل قراءة من قرأ : « فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحَجّ »

(البقرة : ١٩٧) [٣]

٣ ــ للدلالة على صحة بناء كلمة وعدم صحة غيره :

ففي شرح بيت عنترة رقم ٧٩ :

ولقد شَفَى نفسي وأَبـرأَ سُقْمَهَا قِيلُ الفوارسِ : وَيْكَ عنترَ أَقْدِمِ

أورد ما يأتي : (قال بعض النحويين ، معنى ويك ، ويحك ، وقال بعضهم معناه : ويلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ ويك أنه (القصص آية : ٨٢) كما يقال : ويلك أنه ، ويحك أنه ، على أنه قد احتجّ لصاحب هذا القول بأن المعنى : اعلم أنه لا يفلح الكافرون وهذا خطأ من جهات : إحداها : حذ ف اللام من ويلك وحذ ف اعلم ، لأن مثل هذا لا يحذف ، لأنه لا يعرف معناه ، وأيضاً فإن المعنى لا يصح ، لأنه لا يُدرى من خاطبوا بهذا ، والأحسن في هذا ما روى سيبويه عن الخليل وهو أن « وى » منفصلة وهي كلمة يقولُها المتندم إذا تنبه على ما كان منه ، فهي على هذا مفصولة كأنهم قالوا على المتندّم (وى كأنه لا يفلح الكافرون)[٤]

٤ ــ لإثبات صحة قراءتين لبيت :

ففي شرح بيت امرئ القيس رقم ٢٠ :

---

(١) هو رأى أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٠١/١ .

(٢) الكتاب ٣٥٤/١ وهو لسعد بن مالك القيسي . واستشهد به على اعمال « لا » عمل ليس وقال انها لغة قليلة . وينظر المقتضب ٣٦٠/٤

(٣) شرح القصائد ٥٩٠ : من بني حنظلة من بني تميم كان على هجائن النعمان ، غزا بني تغلب فقتل فيهم وسبى (نفسه ٥٩٠) .

(٤) شرح القصائد التسع /٥٣٣

أأن رأتْ رجلاً أعشى أضرَّ بِه　　ريبُ المنون ودهر مُفْنِدٌ خبِلُ

قال : لك أن تحقق الهمزتين فتقول : « أأن » ولك أن تخفف الثانية فتقول : أان وعلى هذا قرئ : أأنذرتهم . وأانذرتهم (سورة البقرة) [1] .

٥ – لإثبات صحة أسلوب :

ففي شرح بيت الحارث بن حلزة اليشكري رقم ٧ :

وبعينيكَ أوقدتْ هِنْدٌ النا　　رَ أصيلاً تُلْوِي بها العَلْياءُ

قال : « المعنى وبرأي عينيك ، ثم حذف ، وهو مثل « وأسأل القرية » (يوسف آية : ٧٢) والمعنى أوقدت النار وأنت تراها لقربها منك » [2] .

٦ – لإثبات صحة قاعدة نحوية :

ففي شرح بيت الأعشى رقم ٤٨ :

لأعرِفنَّكَ أنْ جَدّتْ عداوتُنا　　والتُمِسَ النصرُ منكم عَوْضَ يَحتمل

جاء ما يأتي (قال ابن السكيت : عَوْضَ : دهر وأبد ، وهذا القول فيه تساهل لأنه لو كان على هذا لكان نكرة ، ووجب أن ينصب وينون ، ولكن حقيقته أنه بمعنى دهرك وأبدك وهو معرفة ولذلك بُنِيَ وهو بمنزلة قبلُ وبعدُ إذا نُكرِّتا لم تبينا ، كما قُرِئْ « لِلّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ » (الروم آية : ٤)[3]

٧ – لتقوية وجه إعرابي يراه :

وبعد بيت عنترة من معلقة :

فيها اثنتان وأربعونَ حلوبةً　　سُوداً كخافيةِ الغُراب الأسْحَمِ

قال : (اثنتان : مرفوع بالابتداء وإن شئت بالاستقرار . وأربعون عطف عليه : وقوله : سوداً : نعت لحلوبة لأنها في موضع الجماعة والمعنى من الحلائب : وقيل في قوله جلّ وعزّ : « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » (الأعراف آية ١٦٠) ، أقوال أحدها يقّوي هذا ، وهو أنّ المُفَسِّر محذوف والمعنى : اثنتي عشرة أمة [4].

(١) شرح القصائد التسع /٧٠٠

(٢) شرح القصائد التسع /٥٤٦

(٣) شرح القصائد التسع / ٧١٨

(٤) شرح القصائد التسع / ٤٧٠

٨ – للبرهنة على جواز لغة :

وذلك في شرح قول عمرو بن هند :

وأيامٍ لنا ولهُم طِوالٍ   عصينا المَلْك فيها أنْ نَدينا

حيث جاء « عصينا المَلْك ، يعني المَلِكَ ، ويقال إنها لغة ربيعة [1] ، كما قرئ : « بورْقكم » (الكهف : ١٩) ، أي بسكون الراء [2] .

٩ – للبرهنة على أمر نظري :

ففي شرح بيت عنترة رقم ١٩ :

جادتْ عليه كلُّ بكر حرّة   فتركن كلَّ قرارة كالدرهم

جاء قول النحاس : (وقوله فتركن محمول على المعنى لأن المعنى جادت عليه السحائب . ولو كان في الكلام لجاز . . . وفي كتاب الله عز وجل : « ومن يقنت منكُنَّ لله ورسوله » (الأحزاب آية ٣١) على لفظ « من » وتعمل على المعنى ، ثم قال عز وجل : « نؤتها » [3] .

ومعنى هذا أنّ فعل الشرط عاد على « مَنْ » لفظاً ، وعاد جواب الشرط على معنى « من » لانها تتحدّث عن امرأة .

١٠ – للبرهنة على تصريف كلمة واشتقاق أخرى :

فقد فسّر قوله تعالى : « فجعلناهم سَلَفاً » (الزخرف آية ٥٦) بقوله : أي متقدمين ليتعظوا بهم ، ومن قرأ سُلُفاً فهو جمع سليف . أي : جماعة متقدمة : ومن قرأ « سُلَفا » فهو جمع سُلْفَة : أي فرقة متقدمة [4] .

١١ – لبيان المشترك اللفظي :

ففي شرح بيت طرفة رقم ٦٤ :

أرى الموتَ يَعْتامُ الكرام ويصطفي   عقيلةَ مالِ الفاحش المُتَشَدِّدِ

(١) شرح القصائد التسع ٤٧٠

(٢) وهي قراءة أبي رجاء عمران بن تيم (المحتسب ٢٤/٢) . حركها محقق شرح القصائد التسع بكسر الراء خطأ .

(٣) شرح القصائد التسع /٤٧٥

(٤) شرح القصائد التسع ٧٣٤ (قال ابن مجاهد : « قرأ حمزة والكسائي سلفاً بضم السين واللام وقرأ الباقون سلفاً بفتحها » كتاب السبعة /٥٨٧) .

قال: « الكريم : الشريف الفاضل . قال الله عزّ وجلّ : « ولقد كرّمنا بني آدم » (الإسراء آية ٧٠) ، أي : شرفناهم وفضلناهم . ويقال للصفوح : كريم . قال الله عز وجل : « فإنّ ربّي غنيٌّ كريم » (النمل : آية ٤٠) ، ويقال للكثير كريم لفضله . قال الله عز وجل : « لهم مغفرة ورزق كريم » (الأنفال) [١] .

١٢ ــ لتأكيد جواز لغتين :

قال : (سرى وأسرى : إذا سار بالليل . وجاء القرآن بهاتين اللغتين قال جل ذكره « سبحانَ الذي أسرى بِعَبْدِهِ ليْلاً » (الإسراء آية ١) وقال : « والليلِ إذا يَسْرِ » (الفجر آية ٤) [٢] .

وكل هذه الأمثلة وما سبقها تثبت أن النحاس أول من مزج بين منهج القُراء ومنهج النحاة وبذلك حاز قصب السبق بهذا المنهج . أما قول الدكتور عبدالفتاح شلبي : (إنّ ظهور مذهب القراء في كتب النحاة يبدو واضحاً منذ القرن السابع الهجري [٣] فهو بعيد عن الصواب ، لأن الباحث المذكور أهمل كتاب النحاس ، ولو اطلع على كتابه « إعراب القرآن » أو « شرح القصائد التسع » وهو ذو طابــع نحوي .... لما بدر منه هذا القول . وإذا كان يريد تخصيص ذلك المنهج بموضوع « الإمالة » فإن النحاس قد أدخل منهج القراء في كتابه « إعراب القرآن »[٤] وهو يناقش كثيراً من مواضع الإمالة... « والإمالة » موضوع تخصص به القراء . . . وهي فرع من فروع « علم القراءات ». . . فإذا كان النحاس قد مزج بين منهج القراء في الاصل ، فكيف لا يمزج الإمالة كذلك، وهي فرع من فروع شجرة القراءات الوارفة الظلال .

هذا هو المنهج العام الذي اتبعه النحاس . . . وبه يكون أول من وضع طريقــة لشرح القصائد ، جمع فيه بين منهج القُرّاء ومنهج النحاة .

أما الجزئيات فقسمٌ منها يتصل بمصادر متخصصة بشرح المعلقات ، والقســم الآخر ، يتصل بمراجع لغوية عامة . . .

فما هي الجزئيات التي أخذها النحاس ؟

وكيف استخدمها في بناء هيكل كتابه ؟

---

(١) شرح القصائد التسع ٢٧١

(٢) شرح القصائد التسع / ٢٤٦

(٣) الامالة في القراءات واللهجات / ٢٨٠

(٤) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب ، ولوحة ١٢٩ : ب

(أ) أما ما أخذه من المصادر المتخصصة في شرح المعلقات ، فيمكن ارجاعه الى الكتب الآتية :

١ – القصائد الستّ [١] ، للاصمعيّ .

٢ – شرح المعلقات [٢] ، لابن السكيت .

٣ – شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لاستاذه أبي بكر محمد بن القاسم الانباريّ . وهو مطبوع .

٤ – شرح السبع الطوال ، لا بن كيسان [٣] .

أما موقفه من كتاب الاصمعيّ ، فيمكن أن يلخّص ، بما يأتي :

أ – أنّه يسوّي بين رأي الاصمعيّ ، ورأي ابن الاعرابيّ : محمد بن زياد (المتوفى ٢٣٠ هـ) ، والاول بصريّ النزعة والآخر كوفيّ .

ب – وكذلك يسوّي بين رواية الاصمعي ، البصري ، ورواية أبي عمرو الشيبانيّ الكوفيّ [٤] ، مثلما يسوّى بين رواية الاول ورواية ابن كيسان [٥] .

لكنه لا يلتزم برأي أحد التزام تقليد ، بل يرجح ما يراه صواباً [٦] .

أما موقفه من كتاب « ابن السكّيت ، فيمكن حصره ، بما يأتي :

انه يستفيد منه في رواية بيت [٧] ، او شرحه شرحاً لغوياً [٨] ، او تفسير بعض الكلمات منه [٩]

وقد يأخذ ببعض آراء ابن السكيت اللغوية [١٠] ويردّ عليه أحياناً [١١] ، مثلما يرد على « المبرِّد » وهو من هو ! ! ويتفق هذا النهج ، اتفاقاً تاماً مع عقلية النحاس الذي

---

(١) الفهرست /٥٥ (وهو الآن في حكم المفقود)

(٢) هدية العارفين ٥٣٦/٢ (وهو الآن في حكم المفقود)

(٣) توجد من هذا الشرح ، نسخة في مكتبة برلين ، (برقم ٧٤٤٠) .

(٤) شرح القصائد التسع /١٨٥ ، ٣٢٠ ، ٤٨٦

(٥) نفسه / ١٩٨

(٦) شرح القصائد التسع / ٤٩٦

(٧) نفسه / ٢٨٠ ، ٥٤٣

(٨) شرح القصائد التسع / ٥٨٢ ، ٧٣٧

(٩) نفسه / ٣٧٨ ، ٤٣٣

(١٠) شرح القصائد التسع / ٢٣٩ ، ٤٦٧

(١١) نفسه / ٧١٨

لا يقلِّدُ أحداً ، وفرق كبير بين الاستفادة والتقليد . فالعالم قد يستفيد ممّن تقدمه ، فيبني عليه ، ويخرج منه بناء جديداً ، على جانب كبير من الجدّة . .

ويُلاحَظُ أن النحّاس لم يذكر اسم أستاذه « ابن الانباريّ » في شرحه ، والاستاذ سابق بكتابه : « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » .

والظاهر أنّ النحاس اقتبس من هذا الكتاب ، في الحالات الآتية :

(أ) قد ينقل منه توجيهاً لغوياً ، كما في شرح قول « عنترة » :

مَسحاً وتَسكاباً فكلّ عشيّـة ... يجري عليها المـاء لم يتصرّم

ويكتفي بالتوجيه اللغويّ ، ويترك التفصيلات الاخرى . [1]

(ب) وقد يأخذ منه شرحاً لمعاني جملة مفردات ، وتوجيهاً لاختلاف الروايات ، كما في شرح « بيتي عنترة » :

ما راعني إلاّ حمولـةُ أهـلها ... وَسْطَ الديارتَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ

فيها اثنتان واربعـون حلوبة ... سوداً كخافية الغـراب الاسـحم

(ج) أما تفاصيل شرح البيت فنادراً ما يأخذها من شرح استاذه .

ففي شرح بيت « عنترة » :

حييتَ مِنْ طلل تقادم عَهْدُهُ ... أقوى وأقفر بَعْدَ أمّ الـهيثم

انتفع بشرح استاذه ، بعد أنْ لخّصه تلخيصاً مناسباً [2] .

أما المشكلات النحوية ، التي أولع بها النحاس في شرحه ، فقلما يعتمد فيها على « ابن الانباري » ، وذلك لاختلاف المنهجين — كما أوضحْتُ . . . ولأنّ ابن الانباريّ ذو نزعة كوفية في النحو ، والنحاس كثيراً ما يميل الى رأي البصريين ، في النحو .

ولم يبق إلاّ بيان موقف النحاس من شرح القصائد السبع ، لابن كيسان .

وقد حاول باحث معاصر أن يشرح هذا الموقف فنفى الاصالة عن النحاس ، بطريقة لا أحبّ أن أصفها قبل أن اوضحها !

يرى الباحث [3] ، أنّ النحاس قفى استاذه [4] ، ونقل عنه نقولاً كثيرة ، « ولم

---

(١) شرح القصائد التسع / ٤٧٦ وشرح القصائد السبع /٣١٣

(٢) شرح القصائد التسع / ٤٦٠ وشرح القصائد السبع / ٢٩٨

(٣) السيد علي مزهر الياسري ، في كتابه : أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة / ١٠٢ وما بعدها

(٤) كذا جاء رسم الفعل بالياء ، والصواب (قفا) ، لأنه واوي . جاء في اللسان (قفا) ٢٠/٥٥ : (قفا يقفو قفواً ، ، وهو أن يتبع الشيءُ . ومنه قوله تعالى :

« ولا تقف ما ليس لك به علم »

يقتصر نقله على معاني المفردات حسب ، بل تعدّاه الى محاكاته في منهجه في التفسير »

ويرى أن النحاس لم يورد جديداً « إلاّ التوسع في الشرح ـ أحياناً ـ والتقديم والتأخير في المفردات ، في مواضع أُخرى » ، وكان بديهياً أن يحدث هذا ـ على قول الباحث ـ « اذ لا يستطيع النحاس أن يبتعد عن منهج ابن كيسان ، وهو ينقل عنه شروح أبيات كاملة » .

ثم ينقل شرح النحاس بيت امرئ القيس :

كأنّ السِّباع فيه غرقى عشية بأرجائها القُصوى أنابيشُ عنصلِ

كما يأتي : (قال ابو الحسن بن كيسان : قال بندار : لا واحد لها [1] وقال غيره : واحدها أُنبوش . قال : وهو عندي « أُفعول » من النبش ، والعنصل : نبت يشبه البصل . قال أبو الحسن : معنى البيت عندي : انّ هذا الغيث قد غرّق هذه السباع فهي في نواحيه ، ويبدو منها أطرافهما ، فشبّهها بالعنصل [1] .

ليدلل بهذا على نقل النحاس لشرح بيت كامل عن ابن كيسان ، ومن ثم لينفي أصالة الاول .

وهذا النقل لا يدل على أخذ شرح بيت كامل ، لأن في شرح البيت نقولاً عن أبي حاتم وأبي عبيدة ، وغيرهما ، ممّن صرّح النحاس بأسمائهم . وإنّ ابن كيسان ينقل في شرحه هذا ، عن « بندار » ، وينقل في أماكن أخرى من شرحه عن علماء آخرين ، كما صرّح الباحث [3] ، فهل يقدح ذلك في أصالة « ابن كيسان » ؟ .

فاذا كان لا يقدح ، فكيف يقدح في أصالة النحاس ؟ وان كان يقدح في أصالته فليس له فضل على النحاس فيما نقله منْ كتابه ، بل يعود الفضل لمن نقل عنهم ابن كيسان . . .

أليس هذا هو المنطق المقبول ؟ !

ثم يعود مرة أُخرى ليقول : (ولعلّ من المفيد أن أُورد هنا ، نموذجاً من شرح ابن كيسان ، نقله النحاس : في شرحه لنتبين أسس الطريقة التي اعتمدها ابن كيسان وتابعهُ النحاس فيها متابعة تامة) . فينقل ما يأتي : [4].

---

(١) يريد (الا نابيش) .

(٢) عن شرح القصائد التسع / ٢٠٢ ، ٢٠٣ (وليس / ١٥٦ ، ١٥٧ ، فليحرر) .

(٣) ابو الحسن بن كيسان / ١٠٢

(٤) نفسه / ١٠٤

ورد في شرح معلقة « لبيد » مما أورد النحاس ، شرح البيت الآتي :

ويكللـون اذا الرياحُ تنـاوحتْ خُلُـجاً ، تمـدّ شـوارعاً أيتامُـها

(قال ابو الحسن بن كيسان : يجوز أن يكون معنى قوله : تناوحت : من نحوتُ نحوه ، فيكون الاصل هذا تناحى ، وللمؤنث تناحت ، مثل : تفاضت ، ثم تقدّم لام الفعل ، فتجعله عينه ، فيصير : تناوحت . . . الخ .

فيجعل هذا – أيضاً – برهاناً على متابعة النحاس أستاذه ، في شرح القصائد ، متابعة تامة .

ويبدو أنّ « السيد الياسريّ » قد تعاطف مع ابن كيسان تعاطفاً جعله يأتي بأحكام عاطفية ، واستعمل اللغة الانفعالية التي تتسم بالاسلوب غير الموضوعيّ . وذلك للاسـباب الآتية :

١ – انّ المنهج العام الذي اتبعه النحاس في شرح المعلقات ، هو منهج فريد ، اذ مزج فيه بين منهج النحاة ومنهج القـرّاء . وأثر ذلك في شرحه تأثيراً واضحاً ، كما بينتُ تفصيلاً .

وقد غاب هذا المنهج عن الباحث . . .

٢ – أما الجزئيات التي ذهب فيها الباحث الى أنّ النحاس أخذها في شرحه عن « ابن كيسان » ، فلا تدل على تجرّد النحاس من الاصالة ، ولا على متابعة استاذه متابعة تامة ، فانه نقل عن مصادر أخرى متخصصة في شرح المعلقات ، كما اوضحتُ .

هذه واحدة . . .

والثانية . . . أنّ النحاس أضاف الى شرح بيت« لبيد » السابق ، شرحاً في أوله[1] ، وشرحاً في آخره ، فاقتطع منه السيد الياسريّ ، ليثبت أن النحاس تابع ابن كيسان متابعة تامة ! أفهذا أسلوب موضوعيّ ؟ ! والثالثة . . . أنّ الباحث لم يثبت أنّ النحاس نقل عن « ابن كيسان » شرح بيت واحد ، نقلاً كاملاً ، فكيف يقول : إنّ النحاس ينقل عن كتاب استاذه « شروح أبيات كاملة » ؟ !

(ب) أنّ النحاس نقل – في شرحه – عن مراجع أخرى . غير متخصصة في شرح المعلقات ، بل هي كتب لغوية بالمفهوم العام للغة ، كما أشرنا سابقاً .

فقد استفاد من كتاب (العين) في اربعة مواضع من كتابه « شرح القصائد التسع »

---

(١) شرح القصائد التسع / ٤٣٩

واستفاد من كتاب (مجاز القرآن) ، لأبي عبيدة ، وقد تردد اسمه في شرح القصائد التسع ، كثيراً ، فالنحاس ينقل جزءاً من آرائه في اللغة والنحو ، ومجموعة من مروياته للاشعار ، ولا سيما في الحالات التي يختلف فيها ابو عبيدة مع اللغويين أمثال الاصمعيّ ، وابي عمرو الشيبانيّ ، وابي عبيد القاسم بن سلام . وقد يعتمد على ابي عبيدة حين يروي شاهداً شعرياً في معنى غريب [1] ويستفيد منه كذلك في أخبار عرب الجاهلية . . .

لكنّ النحاس لم يكن يوافقه دائماً ، بل يخالفه مرات ، ويوافقه مرات . . [2]

ونقل النحاس من كتاب « فعل وأفعل » [3] ، لابي حاتم السجستانيّ ، وقد وجدت أنه نقل من كتاب « أبي حاتم » ست مواد ، هي : « ثوى وأثوى » ، و « حبّ وأحبّ » ، و « صمى واصمى » ، و « سرى وأسرى » ، و « كنّ واكنّ » ، و « نمى وأنمى » .

ولكنه في كلّ هذا لا يلتزم برأي معيّن ، فقد يأخذ برأي الاصمعيّ [4] ، أو غيره [5] ، وقد يجتهد رأيه .

واستفاد من كتاب « المنقوص والممدود » للفراء [6] ، ومن كتابه القيّم : معاني القرآن [7] .

واستفاد من كتاب « الكامل » للمبرِّد [8] . ومن كتب الكسائيّ والاصمعيّ والزَّجّاج . . . وغيرهم .

فلا يمثِّلُ « ابن كيسان في هذا الموكب المبارك من العلماء إلاّ واحداً من عِشرين لا من عشرة » ! !

ألم يعلم السيد الياسرى ذلك ؟

الراجح أنه لم يطلع عليه . . .

(١) شرح القصائد التسع / ١٠٦

(٢) مجاز القرآن ٦٩/٢ وشرح القصائد /١٥٠

(٣) ينظر كتاب « التعدي واللزوم في العربية مع تحقيق كتاب فعلت وأفعلت لابي حاتم السجستاني » .

(٤) رسالة ماجستير قدمها السيد خليل ابراهيم العطية الى كلية آداب ، جامعة عين شمس .

(٥) شرح القصائد التسع / ٣٣٦ ، ٤٦٦

(٦) شرح القصائد / ١٥٧ والمنقوص والممدود / ٢١ .
وكذلك شرح القصائد / ١٧٤ ويقارن بالمنقوص والممدود /٢٨

(٧) شرح القصائد / ٥١٥ – ٥١٦ ، ومعاني القرآن ١٢٧/١

(٨) شرح القصائد / ٢٠٨ ويقارن بالكامل ٥١/١

إنّ العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، فلا يقدح ذلك في أصالة الآخذ . . . إلا في حالة انعدام شخصيته . . .

لقد أخذ « سيبويه » ، وهو اكثر النحويين أصالة ، بَعْدَ استاذه الخليل بن احمد الفراهيديّ، عن جماعة من أساتذته، مجموعة من الآراء والنقول . فقد نقل عن «الخليل» (٥٢٢) مرّة [١] . ونقل عن استاذه يونس بن حبيب ، ثمانين ومائة مرّة [٢] .

فهل يقدح هذا في أصالة كتاب سيبويه ، الذي قيل فيه : (من أراد أن يضع كتاباً في النحو بعد كتاب سيبويه ، فليستح) ؟ !

كلا . . . وألف كلا . . . مادام الآخذُ لا يقلّدُ الآخرين ، في المنهج العام ، ولا في طريقة بناء التفاصيل . . .

وما دامت للكاتب سمة خاصة وشخصية واضحة ، تختلف عمّن أخذ عنهم .

وكذلك الجزئيات التي أخذها النحاس من شروح القصائد الجاهليات ، والجزئيات الاخرى التي أخذها من مراجع غير متخصصة ، لا تمثّلُ مادتها لازمة من لوازم الشروح إلاّ نادراً ، فهي موجودة في كتب لغوية أُخرى لا تتصل بشروح القصائد الجاهليات ، اتصالاً مباشراً .

وليس هذا حسب ، وانما أخضـع النحاس تلك الجزئيات لمنهجه ، وجعلها تصطبغ بصبغته ، وتخضع لطابعه ، فجاءت منضوية ، تحت لواء ذلك الصرح الذي رسمه وصممه ، فصار شرحاً فذّاً في منهجه العام ، وفي طريقة تناوله مقيساً بزمانه واقرانه وبيئته..

فالعالم الاصيل قد يأخذ عمّن سبقه أو عاصره ، لكنه يخضع ما يأخذه لشخصيته ومنهجه ، كالنحلة ترشف من قلوب الازهار ، فتحول كلّ ما تأخذه شراباً مختلفاً ألوانه ، فيه شفاء للناس . . .

وهذا ما فعلهالنحاس ، وأمثال النحاس . . .

وبعد . . . فأرجو أنْ أكون قد أوضحتُ « أصالة النحاس » في « شرح القصائد » ، من حيـث المنـهج العام وطريقة الاستفادة من الجزئيات . . . فان استطعتُ فتلك أمنيتي وإن لم أفعل ، فقد فزت بأجر المجتهد المخطئْ . . .

والله اسأل أن يوفقنا الى أقوم السُّبل ، وأن يعصمنا من زلل الاقوال والاعمال . . .
وهو حسبُنا ونعم الوكيل . . .

---

(١) د . صاحب جعفر ابو جناح : سيبويه / ٨١

(٢) د . مهدي المخزومي : الخليل بن احمد / ٢١٩

المَراجِـعُ المُسَاعِدة

- إعراب القرآن ، لابي جعفر النحاس ، (مخطوط مكتبة فاتح باسطنبول ، رقم ٨٨)
- الامالة في القراءات واللهجات ، للدكتور عبدالفتاح شلبي ، ط . مصر ١٣٩١ هـ – ١٩٧١) .
- الانصاف في مسائل الخلاف ، لابي البركات الانباريّ ، تحقيق الاستاذ محيي الدين عبدالحميد ، ط . مصر ١٩٥٣ .
- اتحاف فضلاء البشر ، في القراءات الاربع عشر ، للعلامة أحمد بن محمد المعروف بالبناء المتوفى ١١١٧ هـ ، ط. مصر ١٣٥٩هـ.
- التعدّي واللزوم في العربية مع تحقيق كتاب فعلتُ وأفعلتُ ، لابي حاتم السجستانيّ . (رسالة ماجستير بآداب عين شمس برقم ٦٠٤ رسائل) ، قدّمها السيد خليل ابراهيم العطية .
- أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة ، للسيد مزهر علي الياسري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٩ .
- خزانة الادب ، لعبد القادر البغداديّ ، ط. بولاق ١٢٩٩ هـ
- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، للدكتور مهدي المخزوميّ ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٦٠ م
- كتاب السبعة في القراءات ، لابن مجاهد : أحمد بن موسى (ت٣٢٤هـ) . تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ط. دار المعارف ١٩٧٢ .
- كتاب سيبويه ، ط. بولاق ١٣١٨ هـ
- سيبويه . للدكتور صاحب جعفر أبو جناح . دار الحرية ، بغداد ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م
- سراج القارئ المبتدي ، وتذكار المقرئ المنتهي ، للامام أبي القاسم عليّ بن عثمان المعرف بابن الناصح ، ط . مصر ١٢٧٣ هـ
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لابي بكر محمد بن القاسم الانباريّ، تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون ، ط . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- شرح القصائد التسع المشهورات ، لابي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطّاب ط. بغداد ١٩٧٣ .

- طبقات القراء ، (غاية النهاية في طبقات القراء) ، لابن الجزريّ ، تحقيق برجشتراسّر ، ط. مصر ١٣٥١ هـ
- غيث النفع في القراءات السبع ، لوليّ الله سيدي على النوري الصفاقسيّ ، مطبوع بهامش (سراج القارئ المبتدي)
- القطع والائتناف، لابي جعفر النحاس، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية، (برقم ١٩٦٧٠ ب) .
- الكامل في اللغة والادب ، للمبرِّد . تحقيق الاستاذين :
أبي الفضل ابراهيم ، والسيد شحاتة ، ط . القاهرة ١٩٥٦ م
- لسان العرب ، لابن منظور ، ط. بولاق ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ
- لطائف الاشارات لفنون القراءات . للامام شهاب الدين القسطلانيّ ، تحقيق الشيخ عامر عثمان ، والدكتور عبدالصبور شاهين ، ط. القاهرة ١٩٧٢ م .
- مجاز القرآن ، لابي عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق الدكتور فؤاد سزكين، ط. القاهرة ١٩٥٤ — ١٩٦٢ م
- المحتسَبُ في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها .
لابن جنّي ، تحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف وزميليه ،ط. القاهرة١٣٨٦هـ
- معاني القرآن ، للنحاس ، (مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ٣٨٥ تفسير)
- المفردات السبع ، لابي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ ، ط. مصر (بدون تاريخ)
- المقتضب ، للمبرد ، تحقيق الاستاذ محمد عبدالخالق عضيمة ، ط. القاهرة ١٩٦٣ — ١٩٦٨ م
- المنقوصُ والممدود ، للفراء ، تحقيق الاستاذ : عبدالعزيز الميمنيّ ، ط.القاهرة ١٩٦٧ .

النحت في العربية

واستخدامه في المصطلحات العلمية

الدكتور محمد ضاري حمادي
كلية الآداب– جامعة بغداد

قسم شليجل (Schlegel) اللغات الانسانيــة من حيث البنية والجملة أقســاماً ثلاثــة :

الاول – اللغات المتصرفة : وهي التي تتغير معاني مفرداتها بتغير الابنية ، وتترابط أجزاء جملها بروابط مستقلة .

الثاني – اللغات اللصقية (أو الوصلية) : وهي التي تتغير معاني مفرداتها بحروف إضافية تلصق بالمفردة الاصلية إما قبلها فتسمى « سابقة » وإما بعدها فتسمى « لاحقة » . وهذه الزوائد الملصقة تعمل في تغيير معنى المفردة من جهة وفي الدلالة على ترابط أجزاء الجملة وعلاقة هذه المفردة بتلك من جهة أخرى .

الثالث – اللغات العازلة : وهي التي لا تتغير أبنية المفردات فيها ، فكل مفردة تلازم صورة واحدة وتدل على معنى ثابت لا يتغير . أما الجملة فلا وجود لروابط بين أجزائها للدلالة على علاقة كل جزء بآخر وانما تفهم وظائف المفردات فيها وعلاقــة كل منها بالاخرى من خلال ترتيبها في الجملة ، وإلا فمن سياق الكلام [1] .

إن اللغة العربية لغة اشتقاقية أي إنها من اللغات المتصرفة في هذا التقسيم . بيد أنها لم تخلُ من تركيب الكلمات بعضها مع بعض وصولا الى كلمة واحدة مقصودة على

(١) ينظر علم اللغة : ص (١٠٥ – ١٠٨)

طريقة الصنف الثاني في تقسيم شليجل ، صنف اللغات اللصقية أو الوصلية . وذلك ما يوضحه وجود المركب المزجي والمركب الاضافي وغيرهما من المركبات المؤلفة من أقسام الكلمة الثلاثة : الفعل والاسم والاداة . فقد يتركب الفعل مع الاسم فيقال مثلاً (حَبّذا) أو مع الاداة فيقال مثلاً (قلّما) ، وقد يتركب الاسم مع الاسم فيقال مثلاً (عبدالله)

وقد تتركب الأداة مع الأداة ، فيقال مثلاً : (ليْتما :) . واتجهت اللغة العربية في تركيب الكلمات الى ضرب لا يقف عند جمع اللفظة الى اللفظة حَسْبُ ، ولكن يُشذّب اللفظان المجموعان ويبرى شيءٌ من حروفهما ثم يدمج الباقي في كلمة واحدة جديدة أطلق علماء العربية عليها اسم : الكلمة المنحوتة . قال إمام العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ - ٧٩١ م) في كلمة (عبشمية) في بيت عبد يغوث ابن وقّاص الحارثي :

وتضحك مني شيخة عبشمية   كأنْ لم ترَى قبلي أسيراً يمانياً [١]

« نسبها الى « عبد شمس » فأخذ العين والباء من (عبد) ، وأخذ الشين والميم من (شمس) ، وأسقط الدّال والسّين ، فبنى من الكلمتين كلمة ؛ فهذا من النّحت ، وهو من الحجة . » [٢] .

والنحت لغة ، كما يقول الليث ، « نحت النجار الخشب » [٣] وفي مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م أن « النون والحاء والتاء كلمة تدل على نَجْر شيءٍ وتسويته بحديدة » [٤] وما سقط من الخشبة فهو « نُحاتة » [٥] ويقال : نَحَتَ الجبلَ ينحِته ، قطعه ، وهو من ذلك ، كما يقال : نحَت ينحِت وينحَت ، لغتان [٦] .

ويقول ابن فارس إن الأصل في ذلك إنما يرجع الى الخليل ، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ . والاصل في ذلك

---

(١) البيت في المفضليات : ١٥٨ ضمن قصيدة عبد يغوث . ويلاحظ في الشطر الثاني (لم ترى) باثبات الالف ، وفي ذلك خلاف في الرواية حيث روي (لم ترأ) وفي التخريج . ينظر حاشية المحققين في تلك الصفحة .

(٢) العين ٦٩/١ . وقوله : « وهذا من الحجة » يعني أن ذلك حجة .

(٣) تهذيب اللغة : مادة (نحت) .

(٤) مقاييس اللغة : مادة (نحت).

(٥) جمهرة اللغة : مادة (نحت) .

(٦) مادة (نحت) في كل من : التهذيب والمحكم واللسان .

ما ذكره الخليل من قولهم : (حَيْعَلَ الرجلُ) ، اذا قال : « حَيَّ على . » [1] . وبذا اتضح مفهوم النحت اصطلاحاً ، وجعل يتردد خلال العصور في مصادر الدرس اللغوي حتى عصرنا الحاضر ، فليس النحت الا ما ذكر وعليه ينبغي ألاّ يعد من النحت التركيبُ الـذي يحتفظ بكامل أحرف المنحوت منـه ، ولم يحـدث فيه مثل ذلك البريُ أو التشذيب . فقد اختلف في بعض الكلمات ولا سيما الأدوات النحوية المركبة : أمركبات حقيقةً هي أم بسائط ؟ واذا ثبت أنهـا مركبات ، فهـل هو تركيب نحت أو هو تركيبُ تلازم واتصال يربط الكلمتين لايجاد ثالثة بلا إسقاط أو تشذيب ؟ ذهب الخليل الى أن (لن) هي أصلاً (لا أن) . فهي أداة منحوتة من تينك الكلمتين أصبح لها بالنحت حكم جديد ومعنى جـديد ، فقال سيبويه يوضح تحليل الخليل « فأما الخليل فزعم أنها (لا أن) ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم ، كما قالوا : وَيْلُمـِّه ، يريدون : وَيْ لأمـِّه ، وكما قالوا : يومئذٍ . وجعلت بمنزلة حرف واحد ، كما جعلوا (هلاّ) بمنزلة حرف واحد ، فانما هي (هل) و (لا) . » [2] ولم يسلم هذا الرأي من نقد وإنكار ، فاعترض عليه بأنّ (لن (ليست كذلك ، و « لو كانت على ما يقول الخليل لما قلت : أمّا زَيداً فلن أضربَ ؛ لأن هـذا اسم والفعل صلة ، فكأنـه قال : أما زيداً فلا الضرب له . » [3] . . . وهذا معناه أنه لو كانت (لن) منحوتة من (لا أن) « لما جاز لزيد أن يتقـدم على (لن) ، لأنه كان يكون في التقدير من صلةِ (أن) المحذوفة الهمزة ولو كان من صلتها لما جاز تقدمه عليها على وجه . »[4]. فما حجة الخليل إذن في نحت تلك الاداة؟ الحجة يوضحها ابن جني(٣٩٢هـ ـ١٠٠١م) إذ يقول : « فهذا يدلك أن الشيئين اذا خلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا . ألا ترى أن (لولا) مركبة من (لو) و (لا) ، ومعنى (لو) امتناع الشيْ لامتناع غيره ، ومعنى (لا) النفي أو (النهي) . فلما ركبا معاً حدث معنى آخر وهو امتناع الشيْ لوقوع غيره » [5] . . . فحكم (لن) جديد ، ومعناها جديد ، لا يجوز أن يطبق عليها ما كان يطبق على مكوِّناتها (لا) و (أن) من أحكام ، وذهب

(١) مقاييس اللغة ٣٢٨/١ – ٣٢٩ . وانظر : العين ٦٨/١ – ٦٩
(٢) كتاب سيبويه ٥/٣ .
(٣) كتاب سيبويه ٥/٣ .
(٤) سر صناعة الاعراب : ٣٠٤/١ – ٣٠٥ .
(٥) سر صناعة الاعراب : ٣٠٥/١ .

الخليل الى أن (ليس) مركبة كذلك على طريقة النحت ، وأن الاصل فيها (لا أيس) فطرحت الهمزة والالف والزقت اللام بالياء [١] . وتابع أبو زكريا الفراء (٢٠٧ هـ - ٨٢٢م) الخليل على ذلك وقال : « أصل (ليس) : (لا أيس) . ودليل ذلك قول العرب : ائتني به من حيث أيس وليس ، وجيءُ به من أيس وليس ، أي من حيث هو وليس هو»[٢] . . . فـ (أيس) إثبات ، و (ليس) نفي هذا الاثبات أصله (لا أيس) ثم ركب نحتاً بغية الاختصار . وحين ينظر الباحث الى هذا المزج بين كلمتين لتوليد كلمة ثالثة جديدة حكماً ومعنى كما في (لن) و (ليس) فانه لا بد قاطع بأن هذا نحت لا تركيب محض ، وأن ما أتهمَ به الخليل من بعض اللغويين القدماء [٣] أو المحدثين [٤] من أن ذلك مما انفرد به الخليل وشذ به عن جمهرة النحاة . . . لا يدل على تدقيق كاف في هذا الاطلاق ، وقد أيدت الدراسات اللغوية الحديثة القائمة على دراسة الألفاظ اللغوية دراسة تحليلية مقارَنة وجودَ هذا التركيب النحتي في الكلمات المختلفة أسماءً وأفعالاً وأدوات [٥] . وممن لم يرتض فكرة النحت في بعض أدوات العربية الدكتور علي عبد الواحد وافي إذ نفى أن يكون قد وقع في مثل (لن) و(هلم) و(لما) و (لكن) و (ليس) وغيرها [٦] .

والحق ان ما قاله يدعم معنى النحت في الأدوات ولا ينفيه ، لأن ذلك هو النحت عينه . ولئن كان من الخطأ نفي النحت عن بعض المركبات المنحوتة لقد كان من الخطأ أيضاً إثباته وافي بعض المركبات غير المنحوتة ، مما يفضي الى خلط بين المركبات تركيباً مزجياً والمركبات تركيباً نحتياً . وكان جرجي زيدان قد أدرج في أمثلة النحت أنواعاً من الأدوات والكلمات بعضها منحوت وبعضها ليس كذلك ، أمثال : « ألم » (من : همزة الاستفهام + أداة النفي « لم ») ، و« الآن » (من : أل + آن) ، و« حيثما » و « كيفما » و « إذما » و « لولا » وغيرها ، [٧] وهذا من مظاهر الخلط بين النحت

---

(١) لسان العرب : مادة (ليس) . (٢) نفسه .

(٣) كقول الازهري (٣٧٠ هـ /٩٨٠ م) : « حكى هشام عن الكسائي مثل هذا القول الشاذ عن الخليل . » . لسان العرب : مادة (لن) .

(٤) كطه الراوي . ينظر تاريخ علوم اللغة العربية : ٢٨ .

(٥) ثمة أدوات أخرى اختلف الا وائل في امرها منها « لكن » و « الآن » و « اللهم » و « لهنك » . ينظر : مدرسة الكوفة : ٢١٥ – فما بعدها ، النحو العربي نقد وبناء : ١٧٣ – فما بعدها .

(٦) فقه اللغة : ١٨٢ . وقد تابعه على ذلك الدكتور سليم النعيمي . ينظر : مجلة المجمع العلمي العراقي ٩٨/٢٣

(٧) الفلسفة اللغوية : ٧٧ .

والتركيب مثلهُ ما كان يقـول به كارل بروكلمان (C. Brockelmann) من أن اللغات السامية لا تعرف تركيب الكلمات أو ما سمّاه بالادغام [1] . فان كان يعني التركيب المحض فتلك مجازفة ، سببها متابعة مطلقة لنظرية شليجل المذكورة في صدر البحث ، وقد استقر علم اللغة الحديث على رفض تقسيمات شليجل الحدية القاطعة ، وقرر أن اللغات الإنسانية اتخذت الأساليب المختلفة جميعاً تلك التي وردت في نظريته ، ولم يحل انتماء لغة الى فرع من الفروع الثلاثة بينها وبين الإفادة من الفرعين الآخرين في البنْية والتركيب . [2] وإن كان – بروكلمان – يعني التركيب النَحتي ، فان العربية وغيرها قد عرفت النحت ، وأن مصادرها الاصيلـة جاءت بشواهده . وذكر الدكتور رمضان عبدالتواب أن بروكلمان لايقصد التركيب النحتي ، وإنما « يقصد بذلك التركيب الذي في مثل (حَبْقُرّ) في العربية الفصحى ، و (رسمال) و (ماوَرْد) في اللهجات العربية الحديثة ؛ فان التركيب مع الاحتفاظ بجميع عناصر الكلمات الداخلة في التركيب أمر نادر في العربية . » [3] وهذاكلام يوحي – أو يعني – إبعاد أمثال (حَبْقُرّ) عن التركيب النحتي ، ويعدها مثالاً على التركيب المحتفظ بجميع عناصره الأصلية . والحق أن هذه الكلمة منحوتة من (حبّ قرّ) ومثلها (عَبْقُرّ) المنحوتة من (عبّ قرّ) ، وكذا (شَقَحْطَب) المنحوتة من (شِقّ حَطَب) [4] .

فالتضعيف في (حبّ) و (عبّ) و (شقّ) لم يبق على حاله بعد التركيب ، فقد سقط أحد المثلين وبقي الآخر ، وهذا نحت لا تركيب مجرد .

ومن المقرر في علم الصرف العربي أن الكلمة المجردة اذا كانت فعلاً فانها لا تزيد على أربعة أحرف ، واذا كانت اسماً فانها لا تزيد على خمسة ، ولما كانت الكلمة المنحوتة تعدّ مجردةً ، كل أحرفها أصل ، فانه ينطبق عليها قانون الصرف ذاك . على

---

(١) النحو العربي نقد وبناء ، ١٧٢ ، فصول في فقه العربية ٢٧١ .

(٢) علم اللغة : ص (١٠٨ – ١٠٩) .

(٣) فصول في فقه العربية : ص (٢٧١ – ٢٧٢) .

(٤) المزهر ٤٨٢/١ – ٤٨٤ . في جمهرة الأمثال (٢٤٥/١) لأبي هلال العسكري : « أبرد من عبقر ، وحبقر » . وفي » « لسان العرب » – ح ب ق ر » – : « إنه لأ برد من عبقر ، وأبرد من حبقر . » لكنه فتح الباء في مادة – ع ب ق ر – : بقوله : « إنه لأبرد من عبقر ، وأبرد من حبقر » . وفي صحاح الجوهري (ع ب ق ر) : « العب : اسم للبرد الذي ينزل من المزن وهو حب الغمام ؛ فالعين مبدلة من الحاء . والقر : البرد » أما (شقحطب) فقد قال « اللسان » فيها : « كبش شقحطب : ذو قرنين منكرين ؛ كأنه شق حطب » .

أن الملاحظ أيضاً أن ما جاءنا منحوتاً عن العرب من الافعال أو الاسماء لم يكن ليقلّ عن أربعة أحرف ، فلم يؤثر عن علماء العربية أن قالوا بنحت كلمة حروفها أقلّ من ذلك [1] . وقد عزا الدكتور رمضان عبد التواب هذه الفكرة الى ابن فارس مشيراً إليه وحده والحق أن جميع ما روي من منحوتات عربية (سواءٌ أكانت على مذهب ابن فارس أم على ما أجمعت الكلمة على نحته) — لم يتخذ صورة أقل من صورة الكلمة الرباعية .
وقال الدكتور : « إننا نلاحظ أن ابن فارس لا يرى النحت الا فيما زاد على ثلاثة أحرف ُ أما نحنُ فإننا نراه في بعض الكلمات الثلاثية كذلك ؛ فان كلمة (أسمر) مثلاً منحوتة — في رأينا — من (أسود) و (أحمر) . » [2] وهو مجرد اجتهاد منه لم يدعمه ببراهين كافية أو أمثلة أخرى تمكن الباحث من رسم منهج في النحت الثلاثي ، فان المثال واحد ، لا يغني غَناءَ الامثلة المئات التي قدمها ابن فارس في رسم منهج النحت فيما زاد على ثلاثة أحرف . وعلى الرغم ممـا قال الدكتور ثانيةً : « وهناك الامثلة الكثيرة التي تؤكد أن العربية تعرف النحت في كلماتها الثلاثية وغيرها » [3] . . . فانه لم يأت بمثال غير ذلك المثال [4] .

وغير غريب أن تخضع الكلمة المنحوتة لمقاييس واعتبارات تفضي الى صوغها صياغة مرضية مقبولة تباعد بينها وبين كلّ ما قد يهبط بها عن المستوى الخاص بوضع الالفاظ وتكوينها . وقد جرّ ذلك الى الاعتقاد بأن ليس ثمة قياس في النحت ولا قاعدة ، ولكن يجري الأمر فيه على مذاهب شتى ومسالك متباينة ، وأنه إذا جاز استنباط قاعدة من بعض المنحوتات فان نقضها بمنحوتات أخرى قريب سريع . فذهب بعض الباحثين الى أنه « حين نستعرض الشواهد الصحيحة المروية عن العرب في النحت لا نكاد نلحظ نظاماً محدداً نشعر معه بما يجب الاحتفاظ به من حروف وما يمكن الاستغناء عنه . وليس يشترك بين كل تلك الامثلة سوى أنها في الكثرة الغالبة منها تتخذ صورة الفعل أو المصدر وأن الكلمة المنحوتة في غالب الاحيان رباعية الاصل » [5] . فاذا حاولنا الوقوف

---

(١) والكلمة المنحوتة إما أن تكون اسماً مثل : شقحطب » أو وصفاً مثل « ضبطر » أو منسوباً مثل : «عبشمي » أو فعلا مثل (بسمل) . ينظر تفصيل لذلك في الاشتقاق والتعريب ص ١٣ — ١٥ .

(٢) فصول في فقه العربية ٢٧٠ .

(٣) فصول في فقه العربية ٢٧١ .

(٤) وقع النحت في بعض الأدوات على ما تقدم بيانه (ص١٦٣—١٦٤) والثلاثي منها نادر جداً مثل (ليس) .

(٥) من أسرار اللغة ٨٧ .

على حقيقة هذا ، والوصول الى معرفة مدى خضوع المنحوتات العربية لقاعدة أو قواعد ، لزمنا أن نستحضر أولاً ما تقدم به القول من أن المنحوت لا يقل عن أربعة أحرف ، وأنه لا بد أن يقع فيه التهذيب والإسقاط ، تمييزاً له من سائر المركبات. يضاف الى ذلك هنا أنه لا بد أن يكون لكلٍ من الكلمتين المنحوت منهما معنى يختلف عن معنى الكلمة الاخرى ، فيجتمع المعنيان في الكلمة الجديدة المنحوتة . ولا يختلف النحت من ثلاث كلمات أو أكثر [1] عن النحت من كلمتين في هـذا الباب . ذلك أن العرب تكتفي غالباً بلفظين فقط سواء أرادت النحت من لفظين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر ، وأنها إنما تنتقي ذينك اللفظين بما يضمن الدلالة على المقصود ، ويحقق استحداث اللفظ الجديد . فقد نحت المتقدمون (دَمْعَزَ) من : (أدام الله عزك) ، و (كبتع) من (كبت الله عدوك) ، و (طلبق) من (أطال الله بقاءك) ، و (حولق (من) لا حول ولا قوة الا بالله [2] . وذلك ، كما قلت ، هو الأغلب الأعم ، لا ينفيه ما قد يكون من نحت لا يكتفي باللفظين ، كقولهم : (مشكن) من (ماشاء الله كان) حيث أخذت الكلمة المنحوتة من ثلاثة ألفاظ ، هي : (ما) و (شاء) و (كان). ولو عددنا (ما شاء) – وهما موصول وصلته – كلمة واحدة ، أو بحكمها ، لما شذّ هذا المثال عن المنهج المرسوم . ولقد رأيت الدكتور إبراهيم أنيس يعد (جُعِلْتُ) من الفعل والنائب عن الفاعل كلمة واحدة في هذا المضمار ، فقال إن النحت من(جعلتُ فداك) مثال على الكلمة المنحوتة من كلمتين [3] . وليس الترابط في (ما شاء) بأضعف منه في (جُعِلتُ) ؛ إذ صرح علماء العربية أن الموصول مفتقر في جميع أحواله الى الصلة ، وأنه لذلك أشبه الحرف في ملازمة الافتقار ، فكان هذا سر بنائه وعلته . ومن الجدير بالذكر هنا أن اللجنة [4] التي ألفها مجمع اللغة العربية بالقاهرة لدراسة المنحوتات العربية قد ذهبت في حكم علم إلى « أنه لا يجب في النحت الأخـذ من كل كلمة

---

(١) تنظر أمثلة المنحوتات من ثلاث كلمات أو أكثر . في كتاب : من أسرار اللغة ٨٧ .

(٢) ذهب الثعالبي (٤٢٩ هـ) في كتابه (فقه اللغة ٢١٧) الى أن (حيعل) منحوت من ثلاث كلمات هي (حي على الفلاح) والصواب أنه منحوت من كلمتين فقط هما (حي على). ينظر الى ص (١٦٣، ١٧٣) من هذا البحث . وقد قال الدكتور ابراهيم أنيس (من أسرار اللغة ٨٧) وعبدالله العلا يلي (مقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٤) بمثل ما قال . الثعالبي .

(٣) من أسرار اللغة ٨٧ .

(٤) أعضاء اللجنة : الشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ عبدالقادر المغربي ، والاستاذ مصطفى نظيف ، والدكتور أحمد زكي .

من المنحوت منه ، فان (الدمعزة) و (الكبتعة) لم يؤخذ فيهما حرف من حروف لفظ الجلالة . » [1] . وهذا استنباط لم يلتفت الى أن العرب يكتفون عند النحت غالباً بلفظين فقط من الثلاثة أو الاربعة أو الاكثر . وهو بعدُ استنباط عام يشمل النحت من كلمتين مثلما يشمل النحت من أكثر منهما ، وليس ذلك كذلك ، فانه في الحقيقة استنباط خاص لا يشمل الا النحت من ثلاث كلمات أو أكثر ، وإلاّ فهل يجوز تطبيق هذا القول : « لا يجب في النحت الأخذ من كل كلمة من المنحوت منه » على النحت من كلمتين ؟ ! .

ومما يلزم الالتفات إليه في استنباط قاعدة النحت أن حروف المنحوت منه يجب أن تبقى على ترتيبها بعد النحت ، فلا يسوغ التلاعب بهذا الترتيب بتقديم الحروف وتأخيرها . وقد ذهَب بعضهم الى أن ذلك غير ملزم ، وأشارت اللجنة المذكورة الى أن ابن فارس قد قال إن « (حوقل) بتقديم القاف على اللام منحوت : (لا حول ولا قوة الا بالله) ، وأن (الجعفلة) : منحوت قول (جعلت فداك) . » [2] ومع أني لم أعثر على مثل هذا القول عند ابن فارس فان ما جاء من أقوال العلماء في هاتين الكلمتين (حوقل) و (جعفل) يعيدهما الى الأصل ويبعدهما عن مخالفة الترتيب والانتظام . قال ابن دحية في كتابه (التنوير) : « الحولقة : قول (لا حول ولا قـوة الا بالله) ، ولا تقل : (حوقـل) بتقديم القاف ، فان الحوقلة مشية الشيخ الضعيف . » [3] ثم رأيت السيوطي (٩١١هـ - ١٥٠٥م) ينقل في « المزهر » أن كلاً من ابن السكيت (٢٤٤هـ -٨٥٨م) في «إصلاح المنطق» والتبريزي (٥٠٢هـ - ١١٠٩ م) في « تهذيب إصلاح المنطق » قد أجاز الوجهين معاً : (الحولقة والحوقلة) [4] ، بيد أني لم أعثر في « إصلاح المنطق » على غير (الحولقة) ، إذ يقول مؤلفه ابن السكيت : « وقد اكثرت من الحولقة اذا اكثرت من قول (لا حول ولا قوة الا بالله) . » [5] أما (جعفل) بتقديم الفاء على اللام خلافاً لمقتضى الترتيب فان ابن دحية نفى هذا النحت أيضاً وقال : الصواب (جعفد) بالدال [6] . وإنه لعلى حق ، وإن (جعفل) باللام مردود من جهتين :

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠١/٧ .
(٢) نفسه . ممن أورد (حوقل) العلا يلي (مقدمة ٢٣٤) والدكتور ابراهيم أنيس (من أسرار اللغة ٨٧ .)
(٣) المزهر ٤٨٣/١ .
(٤) المزهر ٤٨٣/١ .
(٥) اصلاح المنطق : ٣٠٣ .
(٦) المزهر ٤٨٤/١ . أورد الدكتور ابراهيم أنيس (جعفل) . ينظر : من أسرار اللغة ٨٧ .

الأولى – من حيث الترتيب ؛ فان (جعلت فداك) تلزم جعل اللام قبل الفاء
الثانية – من حيث النحت والتأليف ، فان الأفعال الأخرى المنحوتة على غرار هذا الفعل إنما تجمع الحرفين (الأول والثاني) من الكلمة الأولى الى نظيريهما من الكلمة الثانية ، كقولهم : (حيعل) ، من (حيَّ على) ، وذلك يتحقق في (جعفد) ، ولا يتحقق في (جعفل) .

ثم ذكرت اللجنة أن الشهاب الخفاجي (١٠٦٩ هـ–١٦٥٨م) قد ثبت لفظ (الطبلقة) بتقديم الباء على اللام في كتابه « شفاء الغليل » ، وأوضحت أن بعض العلماء يوجب ترتيب الحروف في المنحوت والمنحوت منه ، وأنهم لذلك خطؤوا الخفاجي فيما ذكره من (الطبلقة) [١] . وعلى الرغم من هذا التصريح وجدت الدكتور ابراهيم أنيس يثبت (طبلق) على أنه منحوت من (أطال الله بقاءك) [٢] والذي يجب أن أقف عنده هنا أن (طبلق) تعني مثالاً ثالثاً (بعد : حوقل وجعفل) يساق في بيان عدم لزوم الترتيب ، وأنه لذلك يتحتم النظر في هذا المثال والقول فيه بما يؤيد صورته هذه أو ينفيها ، ويعيدها الى الاصل وهو (طلبق) بتقديم اللام على الباء .

وكنت مطمئناً الى أن الشهاب الخفاجي قد أورد تلك الكلمة (طبلق) في « شفاء الغليل » ، وأن العلماء قد ردّوا عليه ما ذكر ، استناداً الى تقرير تلك اللجنة العلمية [٣]. ولكني فوجئت بالخفاجي يقول في كتابه ذاك : « طلبق : قال (أطال الله بقاءك) مولدة . قال ابن حجاج :

لكنني كنت في محلّ مُدَمْعَزاً عندَها مُطَلْبَقْ

أي يقال لي : (أدام الله عزك وأطال بقاءك) . » [٤] فلم يقل الخفاجي (طبلق) ، ولم يخرج عما جاءت به المظان وقال به الجميع ، فمن ذا الذي نسب إليه ذلك ؟ ومن أولئك العلماء الذين خطؤوه ؟ !

إن الكلمة المنحوتة لا تفقد في ميلادها بطريقة النحت شيئاً أو خاصةً من خصائص الكلمة العربية ، أو مقوِّماً من مقومات شخصيتها ؛ فتلك الكلمة المنحوتة إذا كانت

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠٢/٧ .
(٢) من أسرار اللغة ٨٨ .
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠١/٧ .
(٤) شفاء الغليل ١٧٦ .

إذا كانت فعلاً فانها يجب أن توضع على صورة واحـد من أوزان الفعل العربي ، وأن تخضع لجميع أحكامه من التعدي واللزوم وغيرها . واذا كانت اسماً فانها توضع على وزن اسمي (وان تخضع لاحكام الاسم كذلك) لان أحداً لا يحق له الزعم أنه يصنع كلمة عربية على وزن غير عربي ! ! ليس ذلك حسب ولكن الكلمة المنحوتة في هذه اللغة العريقة كأية كلمة أخرى بسيطة أو مركبة يجب أن تخضع لقانون التأليف اللغوي في المفردات العربية . ولما كانت الكلمة المنحوتة لا تقل عادة عن أربعة أحرف أصلية على ما سبق البيان [1] فان ذلك يقتضي ضرورة أن يشتمل كل كلمـة منحوتة على حرف من أحرف الذلاقة أو أكثر من حرف منها ، وهي : الفاء والباء والميم والراء والنون واللام ؛ تطبيقاً لقانون لغوي عرفته الكلمات العربية الرباعية والخماسية . قال ابن دريد (٣٢١ هـ — ٩٣٣ م) في مقدمة « الجمهرة » : « إعلم أن أحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة . ألاترى أنك لا تجد بناء رباعياً مُصْمَتَ الحروف لامزاج له من حروف الذلاقة الا بناء يجعل بالسين ، وهو قليل جداً ، مثل عسجد ، وذلك أن السين لينة وجرسها من جوهر الغنّة فلذلك جاءت في هذا البناء . فأما الخماسي مثل فرزدق وسفرجل وشمردل ، فانك لست تجد واحدةً إلا بحرف وحرفين من حروف الذلاقة من مخرج الشفتين أو أسلة اللسان ؛ فان جاءك بناء يخالف ما رسمته لك ، مثل : دعشق وضعتج وحضافج وصفعهج أو مثل عقجش وشفعج ، فانه ليس من كلام العرب فارْدُدْهُ . » [2] ولا يتحقق الا ئتلاف المطلوب في النسيج الصوتي للمنحوت الا بعد النظر في أمر آخر هو الحذر من الوقوع في تنافر الحروف ؛ إذ لا يجوز اجتماع حرفين متنافرين في كلمة عربية ، فلا يجتمع الصاد والجيم ، ولا الهاء والعين ، ولا العين والخاء . . . وغير ذلك مما نبه عليه الأولون وفي مقدمتهم الخليل [3] .

إن هذه الخصائص المتقدمة مطلوبة في كل كلمة تنحت فلايصح الغفول عن واحدة منها ، أو الاستغناء ببعضها عن بعض . على أن ما روي من المنحوتات العربية يمكن تصنيفه الى طوائف يكون لكل منها منهج يميزه عند إرادة النحت . فقد دل

(١) ص (١٦٦) .
(٢) الجمهرة ١١/١ .
(٣) ينظر تفصيل ذلك في مقدمة الجمهرة والمزهر (١٩١/١ — فما بعدها) حيث بيان متى تثقل الحروف في بناء الكلمة العربية ومتى تتنافر فلا تجتمع ، ثم أضرب التأليف وأحسن الابنية وأكثر الحروف استعمالا وتآلفاً ورتب الفصاحة ؛ إذ « ان الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف الى حرف لا يلائمه قرباً أو بعداً . » المزهر ١٩٧/١ .

الاستقراء على أن الالفاظ التي نحت منها العرب كلماتهم في مختلف العصور قـد كانت على الهيآت الآتية :

الهيئة الاولى ــ ألفاظ تؤلف مركباً إضافياً : وقد أتت على صورتين :

(أ) مركب إضافي مصدر بلفظ « بني » نحو : بني الحارث ، وبني العنبر ، وبني عجلان ، وبني القَـيْـن ، وبني الهُـجَـيْـم .

(ب) مركب إضافي غير مصدر بلفظ « بني » ، نحو : تيم الله ، وامرئ القيس ، وعبدِ شمس ، وعبدالدار ، وعبدالقيس ، وسوق مازن ، وسوق الليل ، وسوق وردان ، ودار البطيخ ، وشقّ حطب ، وحبّ قرّ ، وعبّ قرّ .

الهيئة الثانية ــ ألفاظ تؤلف جملة تامة : نحو : بسم الله ، وسبحان الله ، وحسبي الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وأدام الله عزك ، وكبت الله عدوك ، وجعلت فداك ، وما شاء الله كان ، وحيّ على ، وبأبي أنت .

الهيئة الثالثة ــ ألفاظ ليست مركبة ، بل هي أصول مستقلة ، نحو : (الشافعي ، أبي حنيفة) ــ و (أبي حنيفة ، المعتزلة) ــ و (عجم ، ضاجم) ــ و (لا ، أن) ــ و (لا ، أيس) ــ و (بتر ، حتر) ــ و (بحث ، بثر) و (زمخ ، بزخ) ــ و (بطح ، بلط) ــ و (ضبر ، ضبط) ــ وغير ها كثير .

فكيف نحت الماضون كلماتهم من كل هيئة من هذه الهيآت ؟ إنهم إن كانوا سلكوا في ذلك سبيلاً ، أمكن إذن الاهتداء إليه والاعتماد عليه والاقتداء به فيما يعرض لنا اليوم من حاجة الى نحت جديد يثمر مفردات جديدة .

الهيئة الاولى :

(أ) المركب الأضافي المصدر بلفظ « بني » : نحت العرب من هذا المركب كلماتهم ، فقالوا : بلحارث ، وبلعنبر ، وبلعَجْلان وبلقَيْن ، وبَلْهُجَيْم . وواضح مسلكهم في هذا النحت اذْ يسقطون النون والياء من اللفظ الأول : « بني » ، ويسقطون الهمزة من « أل » التعريف في اللفظ الثاني . وقد أوضح هذا سيبويه في « الكتاب » حين قال معقباً على قول العرب « بلعنبر » و « بلحارث » : « وكذلك يفعلون بكل قبيلة يظهر فيها لام المعرفة . فأما إذا لم تَظهر اللام فيها فلا يكون ذلك » [1] .

(١) كتاب سيبويه ٤٨٤/٤ . أخذ السيوطي (المزهر ٤٨٥/١) هذا النص من صحاح الجوهري ولم يشر الى كتاب سيبويه .

(ب) المركب الاضافي غير المصدر بلفظ « بني » : قال ابن مالك (٦٧٢ هـ – ١٢٧٣م : « قد يبنى من جزْءي المركب (فعلل) بفاء كل منهما وعينه ؛ فان اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه ، أو بلام الأول ، ونسب إليه . » [١] . وبيّن أن قول ابن مالك : « فان اعتلت عين الثاني » يجب أن يسبقه ما يعالج اعتلال عين الأول ، وذلك ما لم يشر إليه ، فاستدركه عليه البدر الدماميني (٨٢٧ هـ – ١٤٢٣ م) بقوله : « ولم يتكلم على اعتلال عين الأول ، وقد وقع » . قالت العرب في النسبة الى دار البطيخ : دَرْبَخيّ ، بحذف العين من الأول ، على قياس تلك المسألة ، وبحذفها من الثاني أيضاً ، وهو خلاف قياس تلك ؛ فكأنهم أجروا على الثاني الحكم الثابت للأول ، فأتبعوه له في الحكم » [٢] .

إن هذين النصين كفيلان بشق الطريق نحو قاعدة غالبة في النحت من المركبات الإضافية ، يكون أساسها قول ابن مالك : « يبني من جزءي المركب (فعلل) بفاء كل منهما وعينه » على أن يراعى في ذلك أمران : –

الأول – اعتلال عين الأول أو عين الثاني : وهذا يقضي حذف العين سواء في الاول أو الثاني .

الثاني – قد يظل كل من جزْءي المركب خاضعاً لقول ابن مالك في أخذ حرفين اثنين منه : (الفاء والعين » ، وقد يختلف الأخذ بما لا يقل عن واحد ، ولا يزيد على ثلاثة . فالنحت من (عبد شمس) مثلاً ، يكون بأخذ حرفين (الفاء والعين) من كل جزء ، فيقال « عبشم » ، وعند النسبة « عبشمي » . فاذا اعتلت عين الجزء الأول – ومثاله « دار » من « دار البطيخ » – أو عين الجزء الثاني – ومثاله « قيس » من « عبد القيس » – فلا محالة من حذف العين والتعويض باللام [٣] . وهذا يعني أن الاعتلال لا يؤثر في الأصل العام ، وهو أخذ حرفين ؛ حيث التعويض عن الحرف المحذوف لازم . أما الاكتفاء بحرف واحد ، فمثاله « مازن » من « سوق مازن » ، فيقال في النحت (سُقْزِيّ) وأما أخذ ثلاثة أحرف ، فمثاله (حَطَبَ » من (شِقّ حطب) فيقال : « شَقَحْطَب » . وقد جمع الأمران – الاكتفاء بحرف واحد والتجاوز الى ثلاثة – في قولهم من (تيم الله) : تيملي.

---

(١) تسهيل الفوائد ٢٦٢ .

(٢) تعليق الفرائد للدماميني : باب النسب . (نقلا عن الاشتقاق ٤٢٣) .

(٣) فقالوا : « دربخي » من « دار البطيخ » و « عبقسي » من « عبدالقيس »

الهيئة الثانية ـ الجملة :

نحت العرب في عصور الاسلام من الجمل ، التي سبق ذكرها [1] ، أفعالاً رباعية على وزن « فعلل » ، ومصادرها « فعللة » . قال الخليل يعقب على نحت الفعل « حيعل » : « فهذه كلمة جمعت من « حيّ » ومن « على » وتقول منه : حيعل يحيعل حيعلة . وقد اكثر من الحيعلة . أي من قول : حي على[2] وهكذا قالوا في نحت ما تقدم من تلك الجمل : بَسْمَلَ ـ بسملة ، وسَبْحَلَ ـ سبحلة ، وحَسْبَلَ ـ حسبلة ، وحَمْدَلَ ـ حمدلة ، وحَوْلَقَ ـ حولقة . وقالوا أيضاً : دمعز ـ دمعزة ، وجعفد ـ جعفدة ، وسمعل ـ سمعلة ، ومشأل ـ مشألة ، ومشكن ـ مشكنة . ويدل النظر في هذه المنحوتات أن الناحتين سلكوا الطريقة الخاصة التي نحت بها العرب في العصر الجاهلي المركبات الاضافية غير المصدرة بلفظ « بني » ، التي سبق حديثهما هذه الفقرة من هذا البحث . ذلك أنهم نحتوا كل فعل من الافعال المذكورة من كلمتين اثنتين مركبتين ، وهذا شأنه شأن تلك المركبات الإضافية . واتضح قبل قليل أن النحت من هذه المركبات يكون بأخذ حرفين اثنين من كل جزء من المركب « هما : الفاء والعين ». وهو ما ينطبق على قولهم مثلاً : « جعفد » من « جعلت فداك » ، فاذا روعي الاعتلال في عين الجزء الاول أو الثاني فقل : « دمعز » من « أدام الله عزك » ، و « طلبق من « أطال الله بقاءك » ، و « مشكن » من « ما شاء الله كان » . . . أما عند مراعاة التجاوز الى ثلاثة أحرف ، أو الاكتفاء بحرف واحد ، أو كلا الامرين كما في « تيملي » من « تيم الله » ، فان ذلك يتضح في قولهم : « بسمل » من « بسم الله » ، و « سبحل » من « سبحان الله » ، و « حسبل » من « حسبي الله » ، و « حمدل » من « الحمدلله » ... فان ذلك كله إنما وقع بأخذ ثلاثة أحرف من الكلمة الأولى وحرف من الكلمة الاخرى .

الهيئة الثالثة ـ الاصول المستقلة :

من الممكن أن تصنف هذه الطائفة صنفين :

الأول ـ كلمات متناثرة قليلة ، مثل : « الشافعي ، أبي حنيفة » ، و « أبي حنيفة ، المعتزلة » ، ومثل بعض الأدوات المنحوتة من كلمات مستقلة في الاصل نحو : « لن وليس » وغير ذلك [3] . قال ابن الفرحان في كتابه « المستوفي » : « ينسب الى الشافعي

---

(١) ص (١٧١) .

(٢) العين ٦٨/١ .

(٣) ينظر ص (١٦٣ – ١٦٤) من هذا البحث .

مع أبي حنيفة : شفعنتي ، والى أبي حنيفة مع المعتزلة : حنفلتي . » [١] وقد عقّب محققو كتاب المزهر على هاتين الكلمتين بقولهم : « لم نقف على ضبطهما فيما بين أيدينا من كتب اللغة . وقياساً على الثانية نرجح أن تكون الأولى : : شفعنفي » [٢] والذي أراه أن حمل الواحدة منهما على الأخرى لا يعطي الإجابة الشافية في هذه المسألة ؛ لأن ذلك يجعل إحداهما أصلاً : (المقيس عليه) ، والثانية فرعاً : (المقيس) . وليس ثمة ما يقطع بصدق هذا القياس ؛ إذ لا تفاضل بين الكلمتين هنا بعد أن تبين في القول المتقدم عدم وقوف القائلين على ضبطهما فيما بين أيديهم من كتب اللغة . ولمصطفى صادق الرافعي رأي في هاتين الكلمتين ، أراه أولى وأسدّ ، إذْ ربط بين نحت العرب في العصر الجاهلي لكلمة (عبشمي) ونحت هاتين الكلمتين ، فقال : « قلت : كذا في الأصل (يعني : شفعنتي وحنفلتي) . ولعله من اصطلاح بعض المتأخرين من الفقهاء والذي يطابق مذهبهم أراه أن تكون : « شفحنيّ » و « حنشفيّ » بوزن « عبشمي » في في كليهما . » [٣] لكنّ ما قال به الرافعي في : « شفعنتي وحنفلتي » يختلف كلياً عما قال به ابن فرحان قبل قليل . قال الرافعي : « ينسب المولدون الى الإمامين الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله ، فيقولون : شفعنتي وحنفلتي . » [٤] فهاتان الكلمتان على قول الرافعي تقالان في مقام واحد لا في مقامين كما ذكر ابن فرحان [٥] ، وكان ذلك هو الذي سوغ للرافعي أن يقترح (شفحنيّ وحنشفيّ) ، لأن كلاً منهما يصلح للنسبة الى الشافعي وأبي حنيفة ، ولا يصلح للنسبة الى أبي حنيفة والمعتزلة . وعلى كل حال ، فان اقتراح الرافعي باخضاعه تينك الكلمتين لوزن (عبشمي) يلحقهما وأمثالها بطريقة النحت من المركب الإضافي غير المصدر بلفظ « بني » المتقدم بيانها .

الثاني – الكلمات المنحوتة على مذهب أحمد بن فارس ، التي أفاض في بيانها في معجمه المشهور « مقاييس اللغة » . وقد أقام مذهبه على الأساس الآتي : إن ما زاد على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت من أصول مستقلة . وهو لا ريب مذهب متفرّد به يؤدي الى توسعة النحت في اللغة العربية والى عدّ شواهده وأمثلته على أنها مئات لا عشرات

(١) المزهر ٤٨٥/١ .
(٢) المزهر ٤٨٥/١ – الحاشية الاولى .
(٣) تاريخ آداب العرب ١٨٧/١ – الحاشية الثانية .
(٤) تاريخ آداب العرب ١٨٧/١ .
(٥) المقام الواحد هو (الشافعي ، ابو حنيفة) والمقامان هما : (الشافعي ، ابو حنيفة) و (ابو حنيفة ، المعتزلة) .

ومن ذلك : (بُحتُر) ، وهو القصير المجتمع الخلق ، فهذا منحوت ، من كلمتين : الباء والتاء والراء ، وهو من بترته فبتر ، كأنه حرم الطول فبتر خلقه ، والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء ، هو من حتَرتُ واحترتُ وذلك أن لا تفضل على أحد . » [١] وكذلك « بحثر » من « بحث » و « بثر » [٢] ، و « بزمخ » من « زمخ » و « بـزخ » [٣] ، و « بلطح » من « بُطح » و « أبلط » [٤] . . .

لقد ذكر ابن فارس مذهبه في كتابه « الصاحبي » فقال : « هذا مذهبنا في أن الاشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد (ضبَطْر) من (ضبَط) و (ضبَر) . » [٥] وكان طبّق هذا المذهب في كتابه « المقاييس » وقال : « اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق ؛ وذلك أن اكثر ما تراه منه منحوت » [٦] . ثم استدرك على ذلك أن ما ذكره من مقاييس الرباعي ضربان ؛ قال : « إن ذلك على ضربين أحدهما المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب الآخر الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس » [٧].

انفرد ابن فارس بهذا المنهج ، وحاول فيه أن يفسر ظاهرة الكلمات الزائدة على الثلاثة ؛ فكان أن خرّج أن اكثرها منحوت من كلمتين : احتفظت احداهما بأحرفها ، واكتفى من الثانية بحرف واحد فقط ، يكون دليلاً على تلك الكلمة برمتها . وليس ذلك بالغريب ؛ فقد سبق القول أن أخذ ثلاثة أحرف من الكلمة الأولى وحرف واحد من الكلمة الاخرى، ضرب من النحت عرفته العربية في بعض المركبات ، أمثال « تيملي » من « تيم الله » و « حسبل » و « بسمل » و « حمدل » وغيرها من « حسبي الله » و «بسم الله» « بسم الله » و « الحمد لله » . . . ومثل هذا ما قد يقع عند النسبة الى المركب المزجي مثل قولهم : « حضرمي» من « حضرموت » . وقد كشفت الشواهد الكثيرة التي جاء بها ابن فارس على أن ذلك الحرف الواحد قد يزاد أول الكلمة الأولى (تصديراً) كما في

(١) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .
(٢) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ – ٣٣٠ .
(٣) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .
(٤) مقاييس اللغة ٣٣٠/١ – ٣٣١ .
(٥) الصاحبي ٢٧١ .
(٦) مقاييس اللغة ٣٢٨/١ .
(٧) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .

« برقع » المنحوتة من « رِقع » وزيادة الباء [1] ، وفي « دَمْشق » المنحوتة من « مشق » وزيادة الدال [2] ، وفي « بِرْقِش » المنحوتة من « رقش » وزيادة الباء [3] . وقد يزاد الحرف الواحد وسط الكلمة الأولى (حشواً) كما في « بلطح » المنحوتة من « بُطح » وزيادة اللام [4] ، وفي « بلهس » المنحوتة من « بهس » وزيادة اللام [5] ، وفي) « بهنس» المنحوتة من « بهس » وزيادة النون [6]. وقد يزاد ذلك الحرف آخر الكلمة الاولى (كَسْعاً) شأن بعض المركبات المنحوتة المشار اليها — أمثال : بسمل وحمدل وحولق وغيرها — ومن ذلك « البرزخ » حيث الخاء هي الزائدة [7] ، و « بلسم » حيث الميم هي الزائدة [8] ، و « حــدرج » و حيث الجيم هـــي الزائدة [9] ، و (جُعْفِل) حيث الـلام هي الزائدة [10] . . إن ذلك كله يذكّر بالنظرية الثنائية في علم اللغة الحديث ، وهي أن اللغة ثنائية الأصل انتقلت من بعد الى الحالة الثلاثية بزيادة سابقة في الاول أو محشوة في الوسط أو لاحقة في الآخر ، مما يدعو الى اعجاب بنظرات ابن فارس الثاقبة في هذا السبق العلمي الجليل . أما كيف اهتدى هذا العالم اللغوي الى الحر وف الأصول للكلمة الأولى ، والحرف الوحيد الباقي من الكلمة الأخرى الرامز لها ، فذلك راجع الى تحديده معنى الكلمة المنحوتة كلها وكيفية استعمالها ، ثم تحديده المعنى الخاص بالكلمة الناتجة عن عزل حرف واحد من الكلمة المنحوتة والربط الدقيق بين المعنيين لتثبيت العلاقة قال مثلاً في « بلعوم » ، وهي على مذهبه كلمة منحوتة من « بلع » وزيادة الميم بعد إشباع الواو [11] : « البلعوم : مجرى الطعام في الحلق . وقد يحذف ، فيقال : بُلْعُم . وغير مشكل أن هذا مأخوذ من « بلع » ، إلا أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه » [12]. وعلى هذا المنوال عالج الكثير من الكلمات ، أمثال : البحظلة ، والبرشاع ،

---

(١) مقاييس اللغة ٣٣٤/١ . وذلك شبيه بنحت (بلعنبر) و (بلحارث) . . .
(٢) مقاييس اللغة ٢٣٨/٢ .
(٣) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .
(٤) مقاييس اللغة ٣٣٠/١ — ٣٣١ .
(٥) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .
(٦) مقاييس اللغة ١ / ٣٣١. .
(٧) مقاييس اللغة ٣٣٣/١ .
(٨) مقاييس اللغة ٣٣٤/١ .
(٩) مقاييس اللغة ١٤٦/٢ . وذلك شبيه بنحت (بسمل) و (حمدل) . . .
(١٠) مقاييس اللغة ٥٠٦/١ .
(١١) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .
(١٢) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .

والبرغثة ، والبرجمة ، وغيرها [1] . ولكن ابن فارس لا يتردد أن يذكر الكلمة المحذوفة ويعين المادة الثلاثية الغائبة التي لم يبق منها الا حرف واحد ، هو من الآثار الدالة عليها ؛ كقوله في « ضِبَطْرٌ » : إنه من « ضبط » و « ضبر » [2] — وهذا مثال الاسم الرباعي المنحوت ، وكقوله في « صَهْصَلِق » : إنه من « صهل » و « صلق » [3] — وهذا مثال الاسم الخماسي المنحوت ، وكقوله في (بزمخ » : إنه من « بزخ » و « زمخ » [4] — وهذا مثال الفعل الرباعي المنحوت . ومن هنا كان واضحاً أمام ابن فارس أن الكلمة العربية الزائدة على ثلاثة أحرف إنما يفسر ظهورها على هذا النحو الذي يجمل ابن فارس مسالكه بقوله : « فمنه ما نحت من كلمتين صحيحتي المعنى ، مطردتي القياس . ومنه ما أصله كلمة واحدة وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله . ومنه ما يوضع كذا وضعاً . » [5] . ومن المحدثين من ردَّ على ابن فارس بأن ثمة وسائل أخرى لخلق الرباعي في العربية ، كوسيلة المخالفة الصوتية ، وهي « إبدال أحد الحرفين المتماثلين في صيغة « فعّل » حرفاً يغلب أن يكون من الحروف المائعة أو المتوسطة (ل م ن ر) ، مثل : « تقرّصع » بمعنى : سال في مشيته ، فأصلها « تقصّع » خولفت فيها الصاد الأولى ، وجعلت راء » [6] . وعليه ، رأى الدكتور رمضان عبدالتواب أن بعض ما عدّه ابن فارس نحتاً ، مثل الفعل : « برجم » من « بجم » وزيادة الراء [7] ، ليس كذلك ، بل هو كلمة « ناتجة عن طريق المخالفة من الفعل : « بجّم » . وكذلك « تبلخص لحمه »[8] بمعنى غلظ ، أصلها : « تبخّص » ، ومثلها « بلطح » [9] ، فهي مأخوذة من « بطحَّ» بمعنى ضرب نفسه في الارض » [10] . ويضيف الدكتور : أن المخالفة الصوتية قد تحدث « بتكرار الحرف الأول من الكلمة عوضاً عن أحد المتماثلين فيها ؛ مثل :

(١) ينظر مثلا : مقاييس اللغة ٣٣٢/١ – ٣٣٥ .
(٢) مقاييس اللغة ٤٠١/٣ ، الصاحبي ٢٧١ .
(٣) مقاييس اللغة ٣٥١/٣ ، الصاحبي ٢٧١ .
(٤) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .
(٥) مقاييس اللغة ٥٠٥/١ .
(٦) فصول في فقه العربية ٢٧٠ .
(٧) مقاييس اللغة ٣٣٣/١ .
(٨) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .
(٩) مقاييس اللغة ٣٣٠/١ – ٣٣١ .
(١٠) فصول في فقه العربية ٢٧١ .

« كفكف دمعه » بدلاً من « كفّف » [1] . ثم أدخل في وسائل خلق الرباعي استعمال وزن « افعالّ » في الشعر بإقحام همزة فيه ، مثل : « اطمأنّ » قائلاً : « إن هذه الهمزة الناشئة من الوزن الشعري قد تقلب عيناً كما في لهجة تميم ، وعندئذ يتولد عندنا أمثال « اقشعرّ » و « ابذعرّ » [2] .

والحق أن هذا التفسير إن طبق على بعض شواهد ابن فارس فلا يصح تطبيقه عليها ، بل إنه لا يهدم تحليل ابن فارس لتلك الشواهد التي طبق عليها هذا التفسير ، أمثال « برجم » و « بلطح » وغيرهما . قال ابن دريد : « بجم الرجل يبجم بجماً وبجوماً : اذا سكت عن عيّ أو هيبة ، فهو باجم »[3]. ولو أردنا التضعيف ، وقلنا « بجّم » ، لكان ذلك مبالغة في السكوت عن عيّ أو هيبة ، فكيف يكون هذا الفعل المضعف دليلاً على (البرجمة) بمعنى غلظ الكلام ؟ ! إن وجود الراء في (برجم) يكفي لدعم القول بدلالته على كلمة محذوفة يمكن معها أن ينقل (بجم) من معنى السكوت عن الكلام الى غلظه ، وليس يسيراً أن يكون مجرد تضعيف «بجم» كافياً للدلالة على المعنى الجديد.

لقد جاء في كلام الثقات الاوائل قول سيبويه : « وقد يجعلون للنسب في الاضافة إسماً بمنزلة « جعفر » ، ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر ، ولا يخرجونه من حروفهما ليُعرَف ، كما قالوا : « سبَطْرٌ » ، فجعلوا فيه حروف « السَّبْط » إذْ كان المعنى واحداً » [4] . فقوله « كما قالوا « سبَطْر » فجعلوا فيه حروف السَّبْط » ، يدل على أن « سبَطْر » مكونة من « سَبْطٍ » وما بقي من الكلمة الأخرى وهو الراء . وهذا لا يختلف في جوهره عن قول ابن فارس في « ضبَطْر » من أنها منحوتة من كلمتين إحداهما « ضبط » والاخرى لم يبق منها غير الراء [5] . وفي ذلك ما يسند موقف ابن فارس ويجعل مذهبه مبنياً على أساس ثابت[6] .

---

(١) فصول في فقه العربية ٢٧١ .
(٢) فصول في فقه العربية ٢٧١ .
(٣) جمهرة اللغة ٢١٣/١ – العمود الثاني وانظر مقاييس اللغة ٣٣٣/١ .
(٤) كتاب سيبويه ٣٧٦/٣ .
(٥) مقاييس اللغة ٤٠١/٣ والكلمة الاخرى هي (ضبر) .
(٦) أشار الرافعي (تاريخ آداب العرب ١٨٨/١) الى أن بعض العلماء عرض لحروف المضارعة المجتمعة في كلمة(أنيت) ؛ فرأى أن المضارع لا بد أن يكون منحوتاً من المادة الثلاثية وحرف المضارعة الرامز الى المادة المحذوفة ؛ ففي قولنا (أكتب) تقوم الهمزة مقام (أنا) ، وفي (نكتب) يقوم النون مقام (نحن) وفي (تكتب) تقوم التاء مقام (أنت) أما في (يكتب) فالياء أصلها الواو من (هو) ثم ميل الى الياء استخفافاً للابتداء بالمضارع .

إن نظرية ابن فارس نقلة هائلة في النحت تجعل من هذه الظاهرة المحدودة في العربية ظاهرة عامة تتسع لما هو كثير جداً من الكلمات ، أسماءً أو صفات أو أفعالاً .
وعلى الرغم من عدم العثور على من يأخذ على ابن فارس من المتقدمين أهل الشأن غلواً أو افتئاتاً أو تعسفاً في منهجه النحتي ، ظهر في عصرنا مؤاخـــذون عليه مثل ذلك ، كالدكتور علي عبدالواحد وافي اذ يقول : « ولا يخفى ما في هذا المذهب من تحايل وتعسف وتعارض مع المناهج العامة التي تسير عليها اللغات الانسانية بصدد الكلمات الدالة على الحدث وتصريفها بعضها من بعض . »[1] ، وكاللجنة المؤلفة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إذ تقول : « ولا يخفى أن ابن فارس ركب التعسف والشطط في حمل ما زاد على ثلاثة على النحت ، فقد ذكر أن كلمة « صَهْصَلِق » منحوتة من « صَهَلَ » و « صَلَقَ » ، والصهل والصلق بمعنى واحد ، وأن « جُذْمُور » منحوت من « الجِذْم » و « الجِذْر » ، وهما بمعنى واحد أيضاً ، وذكر أن « البُرْجُد » منحوتة من « البِجاد» و « البُرْد » ، مع أن البجاد هو الكساء المخطط ، فلا معنى إذن لضم البُرْد إليه . »[2]
ومن المعلوم أن ابن فارس صاحب نظرة جديدة مبتكرة ، وأنه إن اضطرب في تطبيقها على بعض الأمثلة فان ذلك لا يقضي على نظريته ، ولا يلغي مئات الأمثلة الاخرى التي أودعها أبواب معجمه الكبير : (مقاييس اللغة) ، ولم يبد أحد اعتراضاً عليها أورداً لتحليلها .
وعليه لا يصح أن يقال في حكم عام : إن ما جاء به ابن فارس تعسف أو شطط ، كالذي جاء في النصين المتقدّمين ، أو أن يقول الدكتور مصطفى جواد : « وما ذكره ابن فارس في (مقاييس اللغة) و (فقه اللغة) لا يعدو الظن والتخمين والتأويل البعيد »[3] وهو حكم مطلق يحتاج للبرهنة عليه ، الى تحليل كل مثال ، جاء ابن فارس به تحليلاً آخر ، وإثبات بطلانه ، بحجة كافية لهدم النظرية وإلغائها ، وهو ما لم يفعله هو ولا غيره . ولقد اعترض عبدالله أمين على بعض كلمات ابن فارس ، مثل : « ضِبَطْر » و « جُذْمُور » ، لان « ضِبَطْر » وما نحتت منهما — وهما : ضَبَرَ وضَبَطَ — بمعنى واحد ، وكذلك (جُذْمُور) ، على ما رآه ذلك الباحث[4] . ولكنه لم ينف نظرية ابن فارس جملة وتفصيلاً ، بل إنه جعل شواهده صنفين : صنفاً لا اعتراض له عليه ،

(١) فقه اللغة ص (١٨٢ — ١٨٣) .
(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ٧/٢٠٣ .
(٣) المباحث اللغوية ٨٩ .
(٤) الاشتقاق ص (٤٠٤ — ٤٠٥)

وصنفاً له اعتراض عليه ، مع أن له وجهاً يجيز قبوله ، فقال : « وشواهد ابن فارس التي حللتها آنفاً طائفتان ، ككلّ ما عدّه منحوتاً ، وهو لا يحصى. وإحدى الطائفتين منحوتة على طريقة « السبَطْر » تماماً ، مثل « جعْفَل » و « الضِّبَطْر ». والطائفة الاخرى أدخل في باب النحت منها. وقد كنت أنكرت الاولى، وارتضيت الثانية لهذا الفرق بينهما، فاذا كانت الأولى مقبولة ، فالثانية أولى منها بالقبول ، وحينئذٍ يكون كل ما جاء به ابن فارس صحيحاً . »[1] وبيّن أن حكم الباحث على « ضِبَطْرٍ » وسائر أمثلة الطائفة الاولى يحمل الدلالة على أن الاعتراض على ابن فارس في بعض أمثلته لا يقوم على أساس راسخ ، ولا يصح أن يكون القول الفصل . ف « صَهْصَلِق» المعترض عليها من لجنة المجمع بأن أصليها « صَهَل » و « صَلَق » بمعنى واحد ، يقبلها عبدالله أمين بكل اطمئنان ، ويقول معللاً : « فأما من قبل المعنى فلأنها صفة تجمع معنيين متفرقين : الحدة في « صَهَل » والصياح والولولة في « صَلَق » . وأما من قبل اللفظ فـلأن في « صَهْصَلِق » الحرفين الاول والثاني (من) صَهَل وأحرف « صَلَق » الثلاثة بترتيبها . »[2]
وقد أنكر الدكتور سليم النعيمي ما جاءت به اللجنـــة ، وخلص بعد مراجعة الى القول : « إن رأي اللجنة في هذه الكلمات التي ذكرتها للرد على ابن فارس وانه ركب التعسف والشطط فيها يحتاج الى شيْ من التحقيق ؛ فليس الصهل والصلق بمعنى واحد ، وليس الجِذم والجذر بمعنى واحد أيضاً وليس الجحف والجفل[3] بمعنى واحد ، كما أن هناك فرقاً بين البُرْجُد والبِجاد والبُرْد . »[4] أما الدكتور صبحي الصالح فدافع عن مذهب ابن فارس في النحت بقوة وقال : « فهل من ريب بعد هذه الشواهد الصريحة على زيادة كل حرف من حروف الهجاء تعويضاً ونحتاً في أن مذهب ابن فارس في النحت يضاهي أدق النظريات العلمية في الاشتقاق بطريق السوابق واللواحق المعروفة في اللغات الإلصاقية ؟ وهل من ريب بعد هذا كله في أن للنحت أصولاً مؤصلة عرفتها العربية ولم تنكرها ، وحفظها رواتها ولم يهملوها . »[5] فالباحثون المحـــدثون لم يختلفوا

---

(١) الاشتقاق ٤٢٨ .
(٢) الاشتقاق ٤٠٣ .
(٣) قالت اللجنة أيضاً أن الجحف والجفل بمعنى واحد وأنهما لا يصح أن يكونا أصلي كلمة (جحفل) على ما يريد ابن فارس . ينظر مجلة المجمع اللغوي المصري ٢٠٣/٧ .
(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي ٩٥/٢٣ .
(٥) دراسات في فقه اللغة ٢٦٣ .

الا في أمثلة محدودة معدودة مما جاء به ابن فارس . أما الكثرة الكاثرة من الشواهد ، فهم بين متحمس لها وصامت عنها . وقد رأيت عبدالقادر المغربي من أوائل المقتنعين بهذا المذهب في كتابه « الاشتقاق والتعريب » ، ولكني فوجئت في ذلك بأمر غريب حين عرض لهذا الموضوع قائلاً : « وقد أعملت الفكر مرة في كثير من الكلمات الرباعية والخماسية ، فوجدت أنه يمكن إرجاع معظمها الى كلمتين ثلاثيتين بسهولة . ولاحظت أن تكوّن تلك الكلمات في لغة العرب إنما كان بواسطة طريقة النحت المذكورة ، أو بما نسميه الاشتقاق النحتي : فمثل « دحرج » منحوت من « دحره فجرى » ومثل « هرول » من « هرب وولى » و « خرمش » الكتاب أفسده من (خرم وشوّه) أو من « خرم وشرم » ، ومثل « دعثره » اذا صرعه من « دعّه فعثر » ، و « بحثرت » الدجاجة « بحثت وأثارت » التراب لتلتقط الحب وهكذا . » [1] فهذا الكلام يدل على أن الفكرة جديدة غير مسبوقة ، وأنها وليدة تأمل المغربي وإعمال فكره ، فليس ثمة إشارة الى ابن فارس ومنهجه المعروف في هذا القول ! ! بل إني لم أجد ذكراً لابن فارس فيما كتبه المغربي عن النحت في كتابه المذكور آنفاً [2] سوى الإشارة المتقدمة والتي تعزو الفكرة الى المغربي نفسه . وذلك غريب ؛ إذ ليس يسيراً أن يجهل المغربي مذهب ابن فارس وهو يعرض للنحت ، وليس معقولاً أن يدّعي هو أو غيره مذهب الرجل ، المذهب القديم.

إن حديث النحت في العربية لا يكاد يحصر المنحوت في دائرة أو حدود ، وما مقولة ابن فارس في أن « ما زاد على الثلاثة فأكثره منحوت » الا توسعة هائلة لهذا الباب ، بل رجح بعض الدارسين أن كثيراً من الكلمات العربية ، غير ما قال به ابن فارس وغير ما رواه الرواة من المنحوت ، كان قد ولد ولادة نحتية ، وأن ما يعضد هذا أن النحت هو الوسيلة الكبرى من وسائل الاختزال والاختصار . فالنحت يختصر الكلمة الى حرف ، ويختصر الجملة الى كلمة ؛ وذلك مما يحتاج إليه الانسان في الحياة ؛ فمثل النحت « مع الاساليب والجمل كمثل الكتابة بدأت صوراً للأشياء كاملة ، فانتقصت أطرافها السرعة والاختصار حتى أصبحت رموزاً أخرى لا تمت الى أصلها التمثيلي بصلة ونسب . وها هم الناس في العصر الحديث تدفعهم السرعة وضيق الزمن الى نحت الكتابة فكان الاختزال ، وبه يساوق الكاتب أسرع الخطباء تدويناً وتحبيراً . » [3] ومن هنا رأى فريق

---

(١) الاشتقاق والتعريب ١٥ .

(٢) الاشتقاق والتعريب : ص (١٣ — ١٦) .

(٣) نشأة اللغات ٥٥ .

من الباحثين أن حروف الجر وحروف العطف في العربية « كانت في أصلها كلمات مستقلة لها دلالتها الخاصة بها ، لكن شذبها النحت وانتقص أطرافها فصيّرها حروفاً واستلبها دلالتها الذاتية ، وأضحت محتاجة الى فعل أو اسم تنفث فيه روحها ، وتبين فيه دلالتها . »[١] فالنحت على هذا كثير ، لكن « تتبعه في كل كلمة من الكلمات العربية مركب يشق ، لأنها دُوِّنت بعد استكمالها وتمامها . »[٢] . ويرى محمد المبارك أن النحت « طريقة كانت مستعملة في عصور العربية القديمة ، ومن تلك العصور بقيت هذه الألفاظ الرباعية والخماسية المنحوتة ، ولكن العربية فيما بعد أهملت هذه الطريقة في توليد الالفاظ الجديدة وسلكت طريق الاشتقاق »[٣] .

إن اضطراب الدارسين بين القول بقلة النحت وكثرته ،واطراده وتخلّفه ، لايمنع أن للنحت في العربية مسالك معينة يمكن انتهاجها ، وأنه على أية حال لم يجرفيها كيفما اتفق ، وأن ما ورد من المنحوت يكفي لاستنباط تلك المسالك ،فلا ينقضها الشذوذ ، إذ لكل قاعدة شذوذ ، ولا يمنع قيامها ما قيل من أن المنحوت قليل ؛فالقلة لا تقف حائلاً دون القياس . لننظر مثلاً الى سيبويه وهويقرر قاعدة النسب الى «فَعيلة» و « فُعيلة » في الباب الذي عقده في كتابه: « هذا باب ما حذفُ الياءِ والواوِ فيه القياسُ » : « وذلك قولك في ربيعة : رَبَعي ، وفي حنيفة : حَنَفي ، وفي جُذَيْمة: جُذَميّ ، وفي جُهينة : جُهَني ، وفي قُتَيْبة : قُتَبي . وفي شَنُوءة : شَنَئي »[٤]. فقرر حذف الياء في القياس مع أنه أورد بقاء الياء في مثل :حَنيفي ، وسَليمي ، وعَميري ، وسَليقي وخُريبي[٥]. بل إنه قرر أن تحذف الواو حذفاً قياسياً، مع أنه لم يورد في أمثلته المذكورة غير كلمة واحدة هي « شنوءة » ،اعتقاداً منه أن هذا اللفظ « لم يرد بخلافه لافي اللفظ عينه ولا فيما كان من نوعه »[٦] فالقلة وحدها غير مؤهلةلمنع

---

(١) نشأة اللغات ٥٢ . ومثال ذلك الكاف : « كانت في عصرها الاول (اكن) بمعنى حقيقة . » نشأة اللغات ٥٢ . ويقول الرافعي ان باء الجر منحوتة وان علماء اللغات « رأوا أن أصلها (بيت) في العبرانية وجاءت (بي) في الكلدانية ثم الباء وحدها في العربية ، فكأن الباء بقية من لفظ (بيت) كمل بها المعنى الاصلي مع وجازة اللفظ وسعة التصرف . » تاريخ آداب العرب ١٨٩/١

(٢) نشأة اللغات ٥٤ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ١٤٩ .

(٤) الكتاب ٣٣٩/٣ .

(٥) الكتاب ٣٣٩/٣ .

(٦) دراسات في العربية وتاريخها ٤٠ .

القياس وإقامة القواعد . هذا اذا قلنا إن النحت قليل حقاً في العربية ، وهو مما لا يجوز القطع به قال عبدالله أمين معلقاً على (عبشمي) وأمثاله : « ومن الجائز أن يكون ما ورد من هذه الأعلام التي نُحت منها ونسب إليها على هذا النحو ، أكثر مما رواه العلماء منها وهو خمسة أعلام ، والدليل على صدق ما نقدره من اطراد النحت منها عند النسب اليها على هذا النحو لو كثرت ، أن هذا النحت تم فيها على نسق واحد . » [1] فمن المقطوع به أن المروي من اللغة العربية عن الثِقات الفصحاء الحجج ليس كل تلك اللغة الواسعة الرحيبة ولا معظمها؛ فان أباعمرو بن العلاء (١٥٤هـ - ٧٧٠م) كان يقول قولة مشهورة : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » [2] . . . ومع هذا ، كان المروي من المنحوت كافياً لأن يؤلف أبو علي الظهير بن الخطير النعماني (٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م) كتاباً خاصاً بما وقع من مثال « شقحطب » في كلام العرب في نحو عشرين ورقة من حفظه ، اسمه : (كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب) [3] ، ولعله حوى أمثلة أخرى وشواهد اكثر من المنحوت المروي المتداول الذي يقع في حدود ستين كلمة [4] . أما إذا أخذنا بنتائج ابن فارس أو جلِّها ، كما فعل الدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة» حيث قدم إحصاءً دقيقاً في المنحوت الذي قال به ابن فارس وأثبته في (مقاييس اللغة) ، فأسفر الاحصاء في أبواب مزيدات الثلاثي عن اكثر من ثلاث مئة كلمة [5] . . . فان ذلك يوجب تغيير الرأي القائل بقلة المنحوت في العربية وندرة أمثلته فيها .

لا ينبغي لأحد إذن الانتقاص من النحت ، أو إضعاف شأنه أو نكرانه ، فان ما تقدم في هذا البحث كاف للدلالة على أن العربية عرفت النحت وقبلته، وهي « لغة — كما يقول الدكتور مصطفى جواد — لها قابلية طبيعية لمجاراة الزمن وللتطور تطوراً معتمداً

---

(١) الاشتقاق ٤٣٠ .

(٢) الخصائص ٣٨٦/١ .

(٣) معجم الأدباء ١٠٣/٨ . المزهر ٤٨٢/١ (وفيه أن لقب الظهير هو « العماني » والذي في معجم الادباء « النعماني » كذلك في بغية الوعاة ٥٠٢/١ وفي كشف الظنون ٤٨٦/١) .

(٤) ينظر المزهر ٤٨٢/١ — ٤٨٥ .

(٥) دراسات في فقه اللغة ٢٥٨ . وعبارة الصالح : « استخرجنا من أبواب مزيدات الثلاثي وحدها اكثر من ثلاث مئة كلمة منحوتة بين فعل وصفة وهي جميعاً مما صرح ابن فارس بنحته بعبارة قاطعة . » وغريب أن يقول الدكتور النعيمي ان ذلك مئة واحدى وثلاثون كلمة فقط ! مجلة المجمع العلمي العراقي ٩٤/٢٣ .

على طبيعتها في النحت والاشتقاق والتعريب . » [١] وأن « معرفة هذه الطبيعة واجبة على كل من عني بها ووكل إليه الحفاظ على سلامتها بدفع المخل عنها ، وبإضافة المغني لها إليها . » [٢] . فاذا كان النحت من طبيعة العربية ، فما الذي حداه الى أن يصف منحوتات ابن فارس بأنها وليدة الظن والتخمين والتأويل البعيد ؟ [٣] .

إن ما يجب الوقوف عليه والخلوص إليه اليوم في أمر النحت أمران يراهما هذا البحث غاية في الاهمية : الأول – متى ننحت؟ والثاني – كيف ننحت؟ فالحاجة القائمة في هذا العصر ، ستبقى قائمة في المستقبل ، تدعو الى الإفادة من وسائل الأثراء اللغوي في العربية وهي : المجاز والاشتقاق والتعريب ، وإذْ كان النحت قريباً الى الاشتقاق ، أو هو نوع منه ، فالحاجة إليه إذن قائمة بهذا المعنى . وكان ذلك دافعاً الى أن يحث كثير من الدارسين على اعتماد قياسية النحت وطرده ؛ وبهذا تتسع دائرة لغوية أو منفذ لغوي من منافذ خلق المفردات الجديدة ووضع المصطلحات العلمية ، ومن هذا الفريق طائفة من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة [٤]، وأفراد من الباحثين كعبد القادر المغربي [٥] وساطع الحصري [٦] ومصطفى الغلاييني [٧] وعبدالله أمين [٨] وغيرهم . بيد أن القول باطلاق النحت ، وفتح الباب على مصراعيه أمامه ، شيٌ يغاير القول بلزوم استنباط الضابط النحتي ، واكتشاف طرائقه ومسالكه عند العرب الفصحاء في عصور السليقة العربية والطبع الخالص الاصيل . وعليه لا يتفق هـــذا البحث على فتح باب لا قِبَل للعربية به أولاً ، وهي في غنية عنه بغيره ثانياً . ذلك أن مئات أو آلافاً من الكلمات المخترعة ستتدفق سيولها غازيةً غامرةً ، وأن كثيراً من المنحوتات المقترحة في عصرنا قد ثبت أنه يفتقر الى جوهر الكلمة العربية وهو الجرس الموسيقي الذي يحقق لها الخفة والقوة والوضوح والجمال ، وأن ذلك الكثير أيضاً لم يكن المسلك الفرد الموفق لحل معضلة المصطلح ، فان النحت إنما يكون بشرائط وقواعد ولوازم سواء اكان في الكلمة المنحوتة ذلك أم في الأحوال المحيطة بها ، فان لم يستوف هذا كله ويأخذ الامر مجراه ومداره ،

---

(١) ، (٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٣٥/١ – ٢٣٦ .
(٣) المباحث اللغوية ص (٨٨ – ٨٩) .
(٤) ينظر : من أسرار اللغة ٩٠
(٥) ينظر : الا شتقاق والتعريب ١٥ .
(٦) ينظر : المباحث اللغوية ص (٩٤ – فما بعدها)
(٧) ينظر : جامع الدروس العربية ٢٢٩/١
(٨) ينظر : الاشتقاق ٤٢٩ .

كان الدواء داءً ، وآض النفع ضراً ومفسدة . والذي تقدم في هذا البحث أن النحت في أغلب صورة تحكمه قواعد ، وأن ما انفرد من الألفاظ أو شذ عن القاعدة لا يجوز أن يدعو الى نكرانها أو إلغائها . ويضاف هنا أن هذا الشاذ لم يكن الا مراعاة لعامل خطير له الصدارة دائماً في العوامل والمؤثرات ، وهو الذوق العربي الأصيل . ذلك أن خضوع النحت للقاعدة الغالبة ، وابتعاده عن منابع الصفاء والطبع السليم ، لا يشفع له في القبول؛ إذ القاعدة لاحقة للكلام ، لا سابقة عليه . ومن هنا كان هزيلاً ، بل مبعث سخرية ، ذلك الذي استحدثه بعضهم من مفردات منحوتة أخضعوها للقواعد وحدها ، وافرغوها من جوهرها حين أغفلوا شرط الموافقة التامة للأذن العربية والذوق السليم ، فكان أن استحدثت قسراً على صورة خاوية أو هيكل فارغ . قال ابو الطيب اللغوي (٣٥١ هـ - ٩٦٢ م : « دخل رجل على أبي حاتم ، وعلى كتفه صبيٌّ ، فقال له : يا أبا حاتم ، ما تُسمّي العربُ الرجلَ إذا كان في فرد رجله خُفٌّ وفي الأخرى نعل ؟ قال : لا أدري . قال : صدقت ؛ لأن فوق كل ذي علم عليم . يقال له : « مُخَفْنَعِل » يا غلام . فضحك أبو حاتم حتى شَرِق بريقه »[1] وليس من ريب في أن (مخفنعل) هذه التي أضحكت أبا حاتم السجستاني ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م حتى شرق بريقه أخف كثيراً من كثير من تلك المصطلحات المبتدعة في العصر الحديث ، وقد انكر عبدالله العلايلي بحقٍّ بعض ما نحت من المصطلحات أمثال : (أَرْبَيْدِيَة) للدلالة على الفصيلة ذات أربع الايدي ، و (ضِبِسْقُوط (للدلالة على البرشوت ، و (سَفَنْجَوّ) للدلالـة عل سفينة الجو والجيولوجيا ، و (أرطباق (للدلالة على طبقات الأرض ، و (محركيار (للدلالة على الموتير من محرك السيارة واصفاً ذلك بقوله : « الى كثير من هذه الرطانة الممجوجة »[2].

إن مراقبة المنحوت والتدقيق فيه أمر جليل الشأن ، وضرورة لازمة في إظهار النافع وطرح ما سواه . . فالحق يقضي أن نقر بالفضل والاكبار لكل من وضع مصطلحاً علمياً سليماً بطريقة النحت ، ونجح في صنع الكلمة المؤهلة من كل الوجوه بعد قيام الحاجة

---

(١) مراتب النحويين ١٣٢ . ويروى أن البوصيري (٦٩٥ هـ /١٢٩٦ م كان يركب بعض الكلمات نحتاً قصد الفكاهة . ينظر الى : معجم تيمور الكبير ١٠٢/١ – الحاشية .

(٢) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٧ .

وقال عبدالقادر المغربي (الاشتقاق والتعريب : ص ١٤ – ١٥) في صوغ المولدين (حنفلتي وشفعنتي) : « والمرأة الناتق الولود قلما يخلو أن يكون في أولادها السمج البغيض . فلا عجب اذا وجد مثل (حنفلتي) و (شفعنتي) في ذراري اللغة العربية الكريمة » .

إليها قياماً لامعدي عنه ولا عدول. ولكنّ من البأس أو الضرر أن نوقع الضيم على العربية، فنقر أمثال :

- أزْ أكْفَض : للدلالة على « أزوتات الفضة » [1] .
- كُبْأَ كَحَد : للدلالة على « كبريتات الحديد » [2].
- كُبْأَ كزَن : للدلالة على « كبريتات الزنك » [3].
- كُبْأَ كنَح : للدلالة على « كبريتات النحاس » [4].
- كرْأَ كَصَد : للدلالة على « كربونات الصوديوم » [5].
- نُتْأَ كَصَد : للدلالة على « نترات الصوديوم » [6] .

وما الى ذلك من غرائب موحشة قفراء ، ليست فينا حاجة اليها وبين أيدينا التركيب الاضافي نفسه الذي كتب له بحق التداول والاستعمال ؛ فما حاجتنا الى « كبأ كنح » ولدينا « كبريتات النحاس » ؟ ! !

لا ينكر هذا البحث أن للنحت فوائد في تيسير الاختصار والتوليد للجديد من الكلمات بيد أنه ينكر الخروج بمثل تلك الألفاظ ، وتوليد تلك الغرائب ، الثقيلة في الالسنة ، والثقيلة على الاسماع ، والتي لا تدعو إليها الضرورة لوجود ما يغني عنها ويكفي ، وذلك أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م بقـــراره القاضي بـ « جواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية » [7] ولا جدال في لزوم أن يكون النحت على وفق ما عرفته اللغة العربية في الماضي من مراعاة أوزان الكلمة وحسن نسيجها الصوتي ، وموافقتها الذوق وحظوتها عند الناس بالاستساغة والقبول . ثم كان للمجمع اللغوي المصري قرار آخر عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م أعلن فيه أنه « يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة ، على أن يراعى ما امكن استخدام الأصلي من الحروف دون الزوائد . فإن كان المنحوت اسماً اشترط أن يكون على وزن عربيّ والوصف منه باضافة ياء النسب ، وإن كان فعلاً كان على وزن (فعلل) أو (تفعلل) الا اذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جرياً على ما ورد من الكلمات المنحوتة . » [8] ويبدو أن

---

(١) الاشتقاق ٤٤١ .
(٢) الاشتقاق ص (٤٤١ - ٤٤٢ .
(٣)، (٤) ، (٥) ، (٦) : الاشتقاق : ص (٤٤٢ - ٤٤٣) .
(٧) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٥٨/٧ .
(٨) في أصول اللغة ٤٩/١ .

هذا القرار لم يظفر باجماع الاعضاء في المجمع ، فقد رفض محمد علي النجار اجازة الخروج على وزن (فعلل (أو (تفعلل (عند نحت الفعل ، على حين وقف أمين الخولي موقفاً مغايراً حين رفض ما في القرار من قيود أو شروط في كيفية النحت [١] .

إن النحت ، على الرغم من أنه لون من الاشتقاق في العربية ، لم يكن يسيراً صوغ قاعدة تنتظم أحواله كسائر المشتقات في هذه اللغة . وليس أمامنا في مباحث أئمة العربية إشارة أقوى من إشارة ابن مالك القائلة بامكان أن يبنى من المركبات كلمات ينحت كل منها من فاء الجزء الاول من المركب وعينه ، ثم ما يناظرهما من الجزء الثاني على ما تقدم بيانه في هذا البحث . وهذا الذي يقوله ابن مالك إنما ينحصر في وزن (فعلل (. وقد أشار هذا البحث الى أن ما ينحت من الجملة إنما يكون على (فعلل) أيضاً ، وأن ما ينحت من الأصول المستقلة ، وفيها معظم أمثلة ابن فارس ، إنما يعود الى هذا الوزن نفسه [٢] فالاصل في ذلك كله هو هذا الوزن فان أُريد مصدره ، فهو « فَعْلَلَة » — وإن كان مضاعفاً فالمصدر « « فِعلال » — ، وإن أُريد الفعل اللازم من « فَعْلَلَ » فهو « تَفَعْلَلَ » ، ومصدره « تَفَعْلُل » . ، وتلك هي المقاييس الجارية في اللغة العربية ، التي أقرها علماء التصريف والاشتقاق . فالمشكلة في الوصول الى وزن « فَعْلَل » و الاقرار به في النحت ، وما الاوزان المتواردة عليـــه الا فروع تشتق منه على وفق سننٍ ثابتٍ وحقٍّ مصرَّح به متفق عليه [٣] . واذا كان ما جاء به ابن فارس من شواهده المئات وابن مالك من مقولته السالف ذكرها والدماميني من إيضاح وإضافة لتلك المقولة ، وغير هؤلاء ممن يسبقهم أو يلحقهم . . . كافياً للوصول الى جواز النحت على (فَعْلل (؛ فقد وضح الطريق الى النحت وساغ ذلك وجاز . على أن ما جاء به ابن‌فارس يذكّرنا بأن إشتراك بعض الأحرف في كلمتين يراد النحت منهما يدعونا ، ويلزمنا أن نزيل الاشتراك من الكلمة الجديدة ، وذلك بأخذ الأحرف الكاملة لاحدى الكلمتين مع الحرف الباقي غير المشترك من الكلمة الاخرى .

إن الحكمة في معالجة الاحتياج الى وضع المفردات الجديدة تقضي بالنظر الى النحت على أنه وسيلة من وسائل ابداع الالفاظ المطلوبة ، لا أنه الوسيلة الاولى المتقدمة . ذلك أن مسالك العربية في هذا الميدان أرحب وأنفع وأثرى فحين تلجئنا الحضارة وأسباب

(١) في أصول اللغة ١/٤٩ — الحاشية .
(٢) ينظر ص (١٧٤ — فما بعدها) من هذا البحث .
(٣) وذلك إنما يستخدم عند الاحتياج والضرورة على ما سيأتي .

التمدن الى مواجهة مصطلح حديث ليس له فيما بين أيدينا ومألوفنا كلمة مقابلة عمدنا الى خطوات علمية عملية متسلسلة : أولها الترجمة التامة لذلك المصطلح بالبحث عن مقابل عربي يفي بالقصد ، ويدل على المراد ، ويغني عن اللفظ الدخيل . فانْ كان ذلك ، والا عمدنا الى المعاني المجازية للكلمة العربية بعد معناها الوضعي (الحقيقي) ؛ ففي تلك المعاني ثروات كبيرة ومنافذ واسعة تسعف في نقل الدلالة الى ما يراد ؛ بعد أن تتحقق أسباب النقل وشرائطه المقررة في تعميم الخاص وتخصيص العام وانتقال الدلالة لعلاقة المشابهة أو المجاز المرسل . وثانيهما — أي ثاني تلك الخطوات — اللجوء الى الاشتقاق القياسي على هدي ما استنبط أئمة العربية واتفقوا عليه من قواعد مطّردة ، وطرائق ثابتة ؛ وذلك في حال فَقْدِ القدرة على الافادة من الوسيلة الاولى (الترجمة) وعدم الوصول في ضوئها الى الكلمة العربية المعبّرة . والمعلوم أنّ الاشتقاق أنواع في العربيـــة هي : الصغير ، والكبير ، والأكبر ، والكبّـار : (النحت) ؛ وذلك يبيّن أن مرتبة النحت في وسائل الوضع الاشتقاقي متأخرة ؛ مثلما هي متأخرة عن وسائل الوضع اللغوي عامة ، وأن عجزنا عن الافادة مما قبل النحت من أساليب الاستحداث والاغناء هو ما يضطرنا الى الانتقال الى النحت كيما ننظر في كيفية الإفادة منه ، والاستعانة به على وضع المصطلح العلمي الجديد . فان تعذر علينا النحت (كما تعذر علينا ما قبله من وسائل) عمدنا الى تعريب المصطلح الاجنبي نفسه ، شريطة أن يخضع لقوانين الكلمة العربية الفصيحة ؛ صوتاً وبناءً ، وذلك في ضوء قواعد التعريب المستخلصة من طرائق العرب في التعريب ضمن عصور الفصاحة والصفاء اللغوي على ما تكفلت ببيانه هذه اللغـــة ومنابعها الثرة .

• • •

المصادر والمراجع

(١) الاشتقاق – عبدالله أمين . القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) – ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م – ط (١).

(٢) الاشتقاق والتعريب – عبدالقادر المغربي . القاهرة (لجنة التأليف والنشر) – ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧م–ط(٢)

(٣) إصلاح المنطق – ابن السكيت /القاهرة (دار المعارف)– ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م–ط(٣) . تح : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون .

(٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – جلال الدين السيوطي . القاهرة (مطبعة عيسى البابي الحلبي) ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م – ط (١) . تح : محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٤أ) تاج اللغة وصحاح العربية = صحاح الجوهري .

(٥) تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي / بيروت (دار الكتاب العربي) – ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م – ط (٤) . تصدير : محمد سعيد العريان .

(٦) تاريخ علوم اللغة العربية – طه الراوي . بغداد (مطبعة الرشيد) – ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م – ط (١) .

(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد – ابن مالك . /القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – ١٣٨٨هـ /١٩٦٨ م – تح : محمد كامل بركات .

(٨) تهذيب اللغة – أبو منصور الأزهري . القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) – ١٣٨٤ هـ –١٣٨٧هـ /١٩٦٤ م – ١٩٦٧ م
تح: جماعة من المحققين اللغويين .

(٩) جامع الدروس العربية – مصطفى الغلاييني / بيروت (المكتبة العصرية للطباعة والنشر) – ١٣٨٥هـ ١٩٦٦ م – ط (١٠) .

(١٠) – جمهرة الأمثال – ابو هلال العسكري . القاهرة (المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع)– ١٣٨٤ هـ /١٩٦٤ م تح : محمد ابو الفضل ابراهيم وعبدالمجيد قطامش ط(١) .

(١١) جمهرة اللغة – ابن دريد .
حيدر آباد الدكن (دائرة المعارف العثمانية) – ١٣٤٤ هـ ١٣٥١هـ/١٩٢٥ م – ١٩٣٢ م .

(١٢) الخصائص – ابن جني /القاهرة (دار الكتب) : ١٣٧١ هـ – ١٣٧٦ هـ/١٩٥٢م – ١٩٥٦ م– تح: محمد علي النجار .

(١٣) دراسات في العربية وتاريخها – محمد الخضر حسين / دمشق (المكتب الاسلامي ومكتبة دار الفتح) – ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠ م – تصحيح علي الرضا التونسي .

(١٤) دراسات في فقه اللغة – الدكتور صبحي الصالح/بيروت (دار العلم للملايين) – ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م –ط(٤) .

(١٥) سر صناعة الاعراب – ابن جني /القاهرة (إدارة إحياء التراث القديم – مطبعة مصطفى البابي (الحلبي): ١٣٧٤ هـ/١٩٥٤ م – تح : مصطفى السقا وآخرين .

(١٦) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من المعرب والدخيل – شهاب الدين الخفاجي . القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م – تصحيح محمد عبدالمنعم خفاجي – (ط (١) .

(١٧) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – أحمد بن فارس . بيروت (مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر) – ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م – تح : الدكتور مصطفى الشويمي .

(١٧أ) صحاح الجوهري (تاج اللغة وصحاح العربية) : اسماعيل بن حماد الجوهري / القاهرة (دار الكتاب العربي) – ١٣٧٥ هـ /١٩٥٦م تح : أحمد عبدالغفور عطار .

(١٨) علم اللغة – الدكتور علي عبدالواحد وافي . القاهرة (دار نهضة مصر للطبع والنشر) – ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م – ط (٦) .
(١٩) العين (أول معجم في اللغة العربية) – الخليل بن أحمد الفراهيدي / بغداد (مطبعةالعاني) – ١٣٨٦ هـ /١٩٦٧ م .
تح: الدكتور عبدالله درويش .
(٢٠) فصول في فقه العربية – الدكتور رمضان عبدالتواب /القاهرة (مكتبة دار التراث) – ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م – ط (١) .
(٢١) الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية – جرجي زيدان . القاهرة (دار الهلال) – ١٣٨٩ هـ /١٩٦٩م تحقيق الدكتور مراد كامل .
(٢٢) فقه اللغة – الدكتور علي عبدالواحد وافي / القاهرة (دار نهضة مصر للطبع والنشر) – د . ت – ط(٦).
(٢٣) فقه اللغة وخصائص العربية – محمد المبارك /بيروت (دار الفكر) – ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م–ط (٥).
(٢٤) فقه اللغة وسر العربية – أبو منصور الثعالبي / القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) – ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م
تح : مصطفى السقا وآخرين .
(٢٥) في أصول اللغة – مجمع اللغة العربية بالقاهرة . . القاهرة (الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية – ١٣٨٨ هـ/١٩٦٩ م . اشراف : محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين .
(٢٦) كتاب سيبويه : القاهرة (مطبعة دار القلم ومطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب) – : ١٣٨٥ هـ ١٣٩٧ هـ/١٩٦٦ – ١٩٧٧ م . تحقيق عبدالسلام محمد هارون .
(٢٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – حاجي خليفة/طهران (المطبعة الاسلامية) – ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م
(٢٨) لسان العرب – ابن منظور / بيروت (دار صادر) : ١٣٧٥ هـ – ١٣٧٦ هـ/١٩٥٥ م –١٩٥٦ م .
(٢٩) المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية – الدكتور مصطفى جواد . بغداد (مطبعة العاني): ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م – ط (٢) .
(٣٠) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة – ابن سيده / القاهرة (معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية/مطبعة– مصطفى البابي الحلبي) – ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م . : تحقيق مصطفى السقا وآخرين .
(٣١) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : الدكتور مهدي المخزومي /القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) – ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م – ط (٢) .
(٣٢) مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي /القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة والنشر)– ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م. ط (٢) . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
(٣٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جلال الدين السيوطي /القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) – د.ت. تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين .
(٣٤) معجم الادباء (إرشاد الأريب الى معرفة الاديب) – ياقوت الحموي . القاهرة (دار المأمون) : ١٣٥٥ هـ – ١٣٥٧ هـ/١٩٣٦ م – ١٩٣٨ م . إشراف : الدكتور أحمد فريد رفاعي .
(٣٥) معجم تيمور الكبير في الالفاظ العامية – أحمد تيمور /القاهرة (الهيئة العامة للتأليف والنشر) – ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م . تحقيق الدكتور حسين نصار .
(٣٦) معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس . القاهرة (مطبعة مصطفى (البابي الحلبي) : – ١٣٨٩هـ– ١٣٩٢ هـ / ١٩٦٩ م – ١٩٧٢ م – ط (٢) . تحقيق : عبدالسلام محمد هارون .

(٣٧) المفضليات – المفضل الضبي / القاهرة (دار المعارف) – د.ت. – ط (٤) تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون .
(٣٨) مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد – عبدالله العلا يلي. القاهرة (المطبعة العصرية)–د.ت.
(٣٩) من أسرار اللغة – الدكتور ابراهيم أنيس . القاهرة (مكتبة الانجلومصرية) – ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م– ط (٥) .
(٤٠) النحو العربي نقد وبناء – الدكتور ابراهيم السامرائي . بيروت (دار الصادق) – تاريخ التصدير ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م .
(٤١) نشأة اللغات وحاجة الأمة الى المجمع اللغوي – محمود أحمد عمر النشوي / القاهرة – د.ت – ط (١) .
المجلات :
(١) مجلة المجمع العلمي العراقي
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ابن الجوزي
« فهرست كتبه »

تحقيق : ناجية عبدالله ابراهيم
كلية التربية – جامعة بغداد

عرفت ابن الجوزي عالما موسوعيا مُنذ عكفت على دراسة وتحقيق كتابه الموسوم « المصباح المضيء في خلافة المستضيء [١] » لنيل مرتبة الماجستير من جامعة بغداد الموقرة. ووجدت فيه الانتاج الثر، فشدني البحث اليه، وما زلت أتابعه ما دمت في العلم طالبة، وها أنا اليوم أضع بين يدي القارئ الكريم اثرا جديدا يتناول اسماء مجموعة من كتب ابن الجوزي وضع ليكون بمثابة فهرست لتصانيفه التي الفها في العلوم المختلفة، علني أقدم بهذا خدمة للمكتبة العربية.

حياته :

هو أبو الفرج [٢] جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي [٣] الفقيه الحنبلي البغدادي. ينتهي نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كما ذكر هو نفسه[٤].

---

(١) طبع الكتاب بمقدمة موجزة مع النص في جزئين على نفقة وزارة الاوقاف ببغداد، ١٩٧٦، ١٩٧٧.

(٢) انظر ترجمته في : ابن نقطة، التقييد (ق ١٤١)، ابن الأثير، الكامل : م١٢/١٧١، ابن الدبيثي : ذيل تاريخ بغداد جـ ٢/ق (١٢٢ – ١٢٣) والمختصر المحتاج اليه جـ ٢ / ٢٠٥ – ٢٠٨، ابن ابي الدم، التاريخ المظفري : (ق ٢٢٩)، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨١–٥٠٣، المنذري : التكملة جـ ٢ / ٢٩١ – ٢٩٣، النعال : المشيخة (الشيخ ٤٨)، ابن خلكان : وفيات الاعيان : جـ ٢ / ٣٢١ – ٣٢٢، الذهبي : العبر جـ ٤ / ٢٩٧ – ٢٩٨ وتذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٢/٤ – ١٣٤٨ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ أ – ٢٣٣ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥أ – ٧٠ ب)، الصفدي : الوافي بالوفيات : جـ ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٢–١٥٣)، ابن رجب : الذيل : جـ١/٣٩٩ – ٤٣٣، ابن الفرات : التاريخ : م٤جـ٢/٢١٠ – ٢٢٠ ومظان اخرى غيرها.

(٣) نسبة الى موضع يقال له فرضة الجوز : وقيل ان جده جعفر منسوب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة وفرضة النهر ثلمته التي يستقى منها وفرضة النهر محط السفن : انظر المصادر المترجمة أعلاه وقد عقدنا فصلا خاصا في نسبه واسرته بكتابنا المصباح المضيء في خلافة المستضيء – في المقدمة غير المنشورة – ق١ ص ٥ – ١٢.

(٤) لفتة الكبد « الاوقاف » : ق (٦ أ).

كان امام وقته وعلامة عصره [١] . ولد ببغداد سنة ٥١٠ هـ تقريبا بدرب حبيب [٢] . وفي رواية انه قال : لا أحقق مولدي غير أنه مات أبي في سنة اربع عشرة وخمسمائة، وقالت الوالدة كان لك من العمر نحو ثلاث سنين . [٣]

نشأ ابن الجوزي يتيما لم يحظ بحنان الابوين ، لان والده توفي وهو صغير فكفلته أمه وعمته [٤] . وكانت عمته هذه امرأة صالحة اهتمت بتربيته وتولت أمر العناية به منذ الطفولة حيث كانت تأخذه الى الشيوخ لتسمعه الحديث وتحصل له الاجازات . وكان أول سماعه في سنة ٥١٦ هـ[٥] .

بدأ اهتمام ابن الجوزي بطلب العلم منذ الصغر ، فحفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء ، وأخذ يسمع بنفسه الكثير ويعنى بالطلب وراح ينظر في جميع العلوم والفنون ويؤلف فيها [٦] . لذلك بورك له في علمه وسنه فروى الكثير وسمع الناس منه اكثر من اربعين سنة [٧] . وكان قد لازم الشيوخ ودرس عليهم وحضر حلقات الفقهاء والعلماء في الجوامع والمساجد وانتظم في سلكهم خصوصا ممن اشتهروا في التأليف والتدريس والرواية [٨] ، فكانوا اساتذته في حياته العلمية ، درس عليهم وحدث ونقل وروى عنهم وعلق على عدد غير قليل منهم ، وجمع لنفسه مشيخة ذكر فيها شيوخه واحوالهم ، وروى فيها عن كل واحد حديثا [٩] .

وكان جل مشايخه من الاكابر كالفقهاء الاعيان، والادباء، والمحدثين، والوعاظ ، والمناظرين ، والقراء ، والرواة، والمفسرين، واللغويين، والشعراء ، وأئمة أهل المذهب ، وعلماء الخلاف والجدل والاصول والفرائض .

(١) تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ ٢ / ٢١٠ .

(٢) أنظر : التقييد (ق ١٤١) ، ذيل تاريخ بغداد : جـ ٢ / ق (١٢٣) ، مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨١ ونقل عنه ابو شامة في الذيل ص ٢١ ، ذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤٠٠ .

(٣) وفيات الاعيان : جـ ٢ /٣٢٢ ، تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨أ) . . ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) ، ذيل ابن رجب : جـ ١/٤٠٠ .

(٤) ذيل ابن رجب : جـ ١/٤٠٠ – ٤٠١ وقد عقدنا فصلا خاصا في نشأته وتربيته بكتابنا المصباح المضيء – في المقدمة الغير المنشورة – ق١ ص١٣ – ١٨ .

(٥) مشيخة ابن الجوزي (المصورة) : ق (١٢١ أ) ، وتذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٢/٤ .

(٦) شذرات الذهب : جـ ٣٣٠/٤ .

(٧) ذيل تاريخ بغداد : جـ ٣ / ق (٣٩ ب) .

(٨) انظر الباب الثاني من كتابنا المصباح المضيء في المقدمة الغير المنشورة، ثقافة ابن الجوزي وشيوخه ق١ - ص ٥٢ – ١٨١ .

(٩) ذيل تاريخ بغداد جـ ٢/ق (١٢٢) .

وقد حصل على اجازاتهم منذ الصغر . ولعل اول اجازة منحت له في سنة ٥٢٠ ﻫ من الشيخ أبي القاسم علي بن يعلي الهروي المتوفى سنة ٥٢٧ ﻫ[١] . وكان ابن الجوزي مغرما بقراءة الكتب ومطالعتها منذ الصغر ولم يعرف عنه أنه كلّ يوما ما أوملّ في الحصول على كتاب بل بالعكس كان اذا وجد كتابا فكأنه عثر على كنز . ومهمـــا ازداد في المطالعة فهو بعـــد في الطلب . نقل الكتاني عنـــه انه قال : « ما أشبـــع من مطالعة الكتب ، واذا رأيت كتابا لم أره فكأني وقفت على كنز . ولقد نظرت الكتب الموقوفة ، وكتب مشايخنا وكانت احمالا ولو قلت اني طالعت عشرين الف مجلدة ، كان اكثر وأنا بعد في الطلب[٢] » .

لقد أجاد ابن الجوزي التصنيف في كل فن من فنون العلم والمعرفة وأفرد لكل حقل كتاباً مبوباً كي يميزه . وكانت له اليد الطولى والمشاركات في سائر العلوم كالتفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو[٣]

وقد ابتدأ التصنيف وله ثلاث عشرة سنة[٤] . ومن هنا كانت مصنفاته كثيرة[٥] . ويبدو ان القوة الذهنية والمقدرة العجيبة التي كان يتمتع بها اهلته لأخراج ثبت طويل من التآليف قيل انها بلغت ثلثمائة مصنفاً . وقد سئل مرة عن عددها فقال : « زيادة على ثلثمائة واربعين مصنف منها ما هو عشرون مجلدا ومنها ما هو كراس »[٦] .

ولطول باعه في التصنيف امتدحه بعض المؤرخين قائلا[٧] : « لا أعرف احدا له تصانيف موجودة اكثر من ابن الجوزي، في فنون العلم ، ورأيت اسماء ها مفردة في

(١) المنتظم : م٩/٢٥٩ ونقل عنه سبطه في مرآة الزمان : ج ٨ ق ١١٨/٢ .
(٢) فهرس الفهارس : ج ٢٢٧/١ .
(٣) مرآة الزمان : ج ٨ ق٤٨٣/٢ والبداية والنهاية : ج ٢٨/١٣ .
(٤) الوافي بالوفيات : ج ١٥ — ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) ، ذيل ابن رجب : ج٤١٦/١ .
(٥) قام الاستاذ البارع عبدالحميد العلوجي باستقصاء تصانيف ابن الجوزي وذكر اخبارها في كتابه الموسوم (مؤلفات ابن الجوزي) المطبوع ببغداد عام ١٩٦٥ وللاستاذ هلال ناجي نقد عليه وبعض الاضافات في مجلة المكتبة ع ٦٢ السنة ٨ ، ١٩٦٨ ص ٢٤ — ٢٦ ، واستدرك عليه الاستاذ محمد باقر في مجلة المورد : م١ ع٤ — ٢ / ١٩٧١ ، ص ١٨١ — ١٩٠ .
(٦) تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٣٠ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٨ أ) ، والوافي بالوفيات ج ١٥ — ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) ، ذيل ابن رجب : ج ٤١٣/١ . وجاء في مقدمة كتابه الباز الاشهب المنقض على مخالفي المذهب (الاوقاف) ق (١ ب) : وقد بلغت مصنفاتي ما بين مائتين وخمسين مصنفا » ولا نعلم تاريخ تأليفه هذا الكتاب ، وربما ألف كتبا اخرى بعده فزاد عددها بعد ذكره هذا العدد في هذا الكتاب .
(٧) المختصر المحتاج اليه : ج ٢ / ٢٠٧ .

كراس [١] . وقال الذهبي : « ما علمت احدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل» [٢] وكان ابن الجوزي قد كتب بخطه الشيء الكثير وروى عنه أنه قال في اخر عمره : «كتبت باصبعي هاتين الفي مجلدة » [٣] .

ولكثرة ما صنفه ابن الجوزي من تآليف فانه حظي باهتمام العلماء به والثناء على نتاجاته فصار مرجعا لهم ينقلون عنه وان تفاوت الامر في ذلك ، فمنهم من اكتفى بنقل نصوص قليلة من كتبه ومنهم من نقل الكثير من الاخبار الواردة في كتبه سواء كانت حوادث تاريخيــة ام تراجم رجــال ونساء أو غير ذلك ، وراح يحشوها في كتــابه بنصوصها وصفحاتها حتى لتكاد بعض مؤلفات اولئك العلماء لا تخلو من ذكر ابن الجوزي أو الرواية عنه .

ونظرا لمكانته العلمية الرفيعة ، واهتمامه الشديد بالنشاط الديني الفعال ولا سيما في الحديث وصناعة الوعظ ، فانه كان يعد أوحد زمانه في ترصيع الكلام [٤] . ولبراعته الكبيرة في الوعظ اطلق عليه المؤرخون عالم العراق وواعظ الافاق [٥] . وكانت مجالسه الوعظية مشهودة حضرها الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله نفسه مرات عديدة . كما حضرها الوزراء والعلماء والفقهاء والقضاة وارباب الدولة والشيوخ والأكابر وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم .. حتى قيل ان مجلس وعظه حزر بمائة الف [٦] . وان دل هذا على شيء، فإنما يدل على شدة تأثيره في النفوس ، ومدى احترام الناس له .

وكان فوق كل هــذا استاذاً ماهرا ومدرسا قديرا ، تولى التدريس بنفسه في مدارس كثيرة كمدرسة درب دينار ببغداد ومدرسة الشيخ عبدالقادر وغيرها . وكانت وفاته ببغداد سنة ٥٩٧ هـ [٧] . ودفن بداره في قطفتا [٨] .

---

(١) يعني فهرست كتبه هذا الذي بين ايدينا .

(٢) تذكرة الحفاظ : جـ ٤ / ١٣٤٤ ونقل عنه ابن رجب في الذيل : جـ ١ / ٤٢١ .

(٣) تقدير المجلد عشر ورقات . وفيات الاعيان : جـ ٥ / ٢٣١ . وانظر : مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٤٨٢/٢ ، تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) ، ذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٠ ، طبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ .

(٤) المستفاد : الورقة (٤٦) .

(٥) تذكرة الحفاظ : جـ ٤ / ١٣٤٢ .

(٦) العبر : جـ ٤ /٢٩٨ ، مرآة الجنان : جـ ٣ / ٤٨٩ ، شذرات الذهب جـ ٤ / ٣٣٠ . —

(٧) انظر كافة المصادر المترجمة له .

(٨) تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٣٠ ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٨ أ) .

وصف مخطوطة فهرست كتبه :

تصانيف ابن الجوزي كراس صغير ــ وهو مخطوط فريد ــ تحت عنوان فهرست كتبه [1] (أي كتب ابن الجوزي) يقع فيورقتين شغلت الاوراق (٢١٤-١-٢١٥-٢) في مجموع رقم (٦٩) محفوظة في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق [2] . وعنها نسخة مصورة محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم (٥١٢). والمخطوطة ناقصة لا تحوي اسماء تآليف ابن الجوزي جميعها ، كما أنها خلو من اسم المؤلف وتاريخ تأليفها واسم الناسخ وتاريخ النسخ ، ولم يشر اليها من المؤرخين غير سبطه أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي[3] (ت ٦٥٤هـ) وابن الدبيثي [4] (ت ٦٣٧هـ) وابن رجب الحنبلي[5] (ت ٧٩٥ هـ) .

ومما يؤكد ان المخطوطة موضوعة في تعداد تصانيف ابن الجوزي ما ورد في اولها : « فهرست ايضا كتب الشيخ الامام » وورود عبارة « ومما له في الاصول . . . ومما له في الحديث . . . ومما له . . . » في ثناياها عند ذكر اسماء الكتب . وهي لا تحوي ــ كما ذكرت ــ كل تآليف ابن الجوزي بدليل ما ذكره ابن رجب في كتابه حيثقال[6] : « . . . فهــذا ما ذكره ابن القطيعي من خطه وقرأه عليه ــ أي على ابن الجوزي ــ وزاد فيه ». مما يدل على ان الفهرستالذي وضع في تصانيفه قد قرئ على ابن الجوزي وهو يسمع فزاد فيه .

ولابن الجوزي تصانيف اخــرى كثيــرة ألفها بعد اعداد هذا الفهرست ذكرها ابن رجب في الذيل [7] . فقد اتضح من خــلال مقارنة اسماء الكتب الــواردة في المخطوط مع المصادر المختلفة ، ان هناك نقصاً كثيرا فيها وقد سقطت اسماء كتب عديدة منها ، بدليل ان تلك المصادر تذكر أسماء كتب اخرى بين ثنايا اسماء كتب المخطوط ــ الذي بين أيدينا ــ ولا نجدها فيه.

---

(١) كذا ورد في فهرس مخطوطات الظاهرية ، دمشق ١٩٧٠ ص ٤٠ . وقد انفرد بذكره .
(٢) ن . م : ص ٤٠ .
(٣) مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٢ / ٤٨٣ .
(٤) المختصر المحتاج اليه : جـ ٢ / ٢٠٧ وفيه يثني ابن الدبيثي على كثرة تصانيف ابن الجوزي ويضيف قائلا : ورأيت اسماءها مفردة في كراس ، ولا ندري أهو هذا الكراس الذي بين ايدينا أم غيره .
(٥) الذيـل : جـ ١ / ٤٢٠ .
(٦) ذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٩ .
(٧) ن . م : جـ ١ /٤١٩ ــ ٤٢٠ .

ويظهر ان هذا الكراس قد نقل الى الشام منسوخا عن طريق العلماء الذين كانوا يأتون الى بغداد طلبا للعلم . فقد ذكر سبطه في تعداد كتبه ما نصه : « ذكر ما وقع الى الشام من أسامي فهرست مصنفاته ومجموعاته ومنقولاته ومؤلفاته . . . »[1] ثم يستعرض اسماءها .

وقد احتوت المخطوطة ــ موضوع البحث ــ اسماء (١٢٦) كتابا ــ منها (٧) كتب مكررة ــ تضمنت المواضيع التالية ــ

في الاصول ، في الحديث ، في علم الحديث ، في الفقه ولغته ، في العربية ، في المناقب .

والمخطوطة مؤطرة بحاشية من خط آخر لا علاقة له بمحتويات المخطوطة . وخطها نسخي يرقى الى القرن ٨ هـ على ما نعتقد . وتقع في ورقتين ، تحوي الورقة الواحدة منها صفحتين بـ ١ ــ ٢ ، وكل صفحة تحوي بين (٢١ ــ ٢٥) سطرا . وكل سطر فيها يحوي (٨ ــ ١٠) كلمة . اما العناوين فقد احتوت على أربع أو خمس كلمات .

وعلى المخطوط خروم في الصفحة (٢) من الورقة الاولى مما يدل على وجود نقص في اسماء بعض الكتب سيما في السطور (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) من الصفحة (٢) المذكورة وهي على العموم منقوطة لكنها غير مضبوطة الشكل ، ويوجد بياض في بعض ثناياها مما يدل على سقوط كلمة أو اكثر تدل على جزء أو مجلد[2] .

اما رسم الناسخ للحروف فيلاحظ أنه يحذف الهمزة ويستبدل بها الياء في الكلمات: المسايل ، الدلايل ، الحدايق ، النظاير . . . الخ « وقد رسمتها بشكلها الصحيح هكذا : « المسائل ، الدلائل ، الحدائق ، النظائر . . . الخ » .

أو يستبدل بها الواو كما في « جزء » حيث رسمها « جزو » .

كما حذف الناسخ الألف من ارقام الاعداد ورسمها هكذا « ثلثة » وقد رسمتها بالألف هكذا : « ثلاثة » .

واذا سقط كلام في المتن يستعمل اشارات هكذا : « . . . ، . . . » تدل على ان كلاما سقط اثناء النسخ وهو موجود قبالة تلك الاشارة . وقد ادخلت كُل ما سقط من هذا القبيل في متن النص بمكانه .

---

(١) مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٤٨٣/٢ .

(٢) وقد اشرت الى مواقعها في حاشية النص .



الورقة (٢١٤-١-٢) من مخطوطة (فهرست كتب ابن الجوزي)

مصورة عن نسخة الظاهرية (مجموع ٦٩)

ومماله في الفقه واللغة

ومماله في العربية

ومماله في المناقب

الورقة (٢١٥-٢) من مخطوطة (فهرست كتب ابن الجوزي)

مصورة عن نسخة الظاهرية (مجموع ٦٩)

(ق ٢١٤ـ١) فهرست ايضا كتب الشيخ الامام العالم السيد الحبر الكامل [١] الفاضل جمـال الدين أبي الفـرج عبدالرحمن بن علي [٢] بن محمـد بن علي ابن الجوزي .

فمن ذلك في تفسير القرآن العزيز [٣] : كتاب « المغني [٤] » عشرين مجلدا [٥] . كتاب..« زاد المسير [٦] » خمس مجلدات. كتاب « تذكرة الاريب [٧] » جزء. كتاب

---

(١) في الاصل مطموسة .

(٢) في الاصل غير واضحة وصوابه من : التقييد ، الورقة (١٤١ أ) وذيل تاريخ مدينة السلام بغداد : جـ ٣ ، الورقة (٣٩ ب) وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ أ) ومختصره (ن . الدراسات) ق (٦٥ أ) .

(٣) ورد النص بالفاظ مختلفة في : مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٤٨٣/٢ . تذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٣/٤ ، الوافي بالوفيات : جـ ١٥ — ١٧/ق ٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب: جـ ١٧/١.

(٤) كذا ورد في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ أ) ومختصره (ن . الدراسات) ق (٦٥ب) وفي ق (٢٢٨ ب) و (٦٦ب) منهما نقلا عن سبط ابن الجوزي : « كتاب المغني احد وثلاثون جزءا بخطه الا انه لم يبيضه ولم يشتهر». وقد رجعت الى مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٣/٢ فوجدت ذلك نصا ولكن بلفظ « كتاب المعين . . . » كذا بدل « كتاب المغني » وفي تذكرة الحفاظ : جـ ٤ / ١٣٤٣ لم يذكر عدد مجلداته بل ذكر انه كبير جدا . وفي الوافي بالوفيات : جـ ١٥ — ١٧/ ق٢ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٦ « احد وثمانون جزءا » ولم يذكر ابن الفرات في تاريخه : م٤ جـ٢/٢١١ ولا السيوطي في طبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ عدد مجلداته . وانظر ايضا العلوجي : ص ١٧١ رقم (٤٠٤) .

(٥) في الاصل مجلد (كذا) .

(٦) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٤٨٣/٢ وتذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٣/٤ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ أ) و (٢٢٨ ب) ومختصره (ن . الدراسات) ق (٦٥ ب) و (٦٦ب) والوافي بالوفيات : جـ ١٥ — ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤١٦/١ ولكن بلفظ « اربع مجلدات » بينما في وفيات الاعيان : جـ ٣٢١/٢ وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١١/٢ بلفظ « اربعة اجزاء » وباضافة «أتى فيه بأشياء غريبة» ومنه نسخة بجامعة القرويين في فاس برقم (١٤٠٠) وفي البداية والنهاية : جـ ٢٨/١٣ « كتابه في التفسير المشهور بزاد المسير ، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور» وانظر ايضا العلوجي ص ١٠٧ رقم (١٥٨) والمورد العدد ١ — ١٩٧١/٢ ص ١٨٥ رقم (١٩) . وقد طبع الكتاب بعناية مكتب النشر الاسلامي ببيروت وساهم بنفقاته الشيخ علي ال ثاني امير قطر وصدر منه سبعة مجلدات وتسم بثمانية مجلدات من القطع الكبير . انظر : مجلة المكتبة ع ٦٢ ، السنة ٨ ، ١٩٦٨ . ص ٢٦ .

(٧) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٤٨٣/٢ بلفظ « تذكرة الاريب في علم الغريب » وعنه صحح محقق تاريخ ابن الفرات في م٤ جـ ٢ / ٢١٢ . وعده الذهبي في تذكرة الحفاظ : جـ ٤ / ١٣٤٣ في اللغة . وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) بلفظ « تذكرة الأريب في شرح الغريب مجلد » ومثله في الوافي بالوفيات : جـ ١٥ — ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤١٦/١ عدا لفظه (شرح) وردت (تفسير) . وانظر ايضا طبقات الحفاظ ص ٤٧٨ والعلوجي ص ٨٢ رقم ٧٢ و ٧٣ .

ناسخ القرآن ومنسوخه » [1] كتاب « الوجوه والنظائر » [2] مجلد . وكتاب « الوجــوه والنواظر [3] » مجلد. وكتاب « تذكرة المنتبه في عيون المشتبه » [4] جزء .

وكتاب « فنون الأفنان وورود الاغصان » [5] .

مما له في الأصول : [6]

« منهاج الوصول [7] » مجلد . كتاب « منتقد المعتقد » [8] جزء . كتاب « السر المصون » [9] وكتاب « دفع التنبيه بكف التنزيه » [10] .

---

(١) ورد نصا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٣/٢ وبلفظ « مجلد » وعنه العلوجي ص ١٩٣ رقم ٤٧٧ .

(٢) ورد نصا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٤٨٣/٢ وتذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٣/٤ والوافي بالوفيات : جـ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وبدون كلمة (مجلد) في تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ ٢١٣/٢ وطبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ ، وانظر ايضا العلوجي ص ٢٠١ رقم (٥٠٩) .

(٣) قال ابن الجوزي : اختصرت من هذا الكتاب – نزهة العيون والنواظر في الوجوه والنظائر – كتابا يسمى « بالوجوه النواظر في الوجوه والنظائر ، مجلد » . ذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٦ وبهذا العنوان توجد نسخة في مكتبة جستر بيتي بدبلن تسلسل (٤٣٨٦) انظر : المورد م٧ ع٤ ، ١٩٧٨ ص ٢٠٧ والعلوجي ص ٢٠١ رقم (٥٠٩) .

(٤) في الوافي بالوفيات : جـ ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) « عيون المشتبه » جزء . بينما ورد المتن نصا في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٧/١ وانظر العلوجي : ص ٨٣ رقم (٧٦) .

(٥) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٣/٢ وتذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٣/٤ بلفظ « فنون الافنان في علم القرآن » مجلد . وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (ن . الدراسات) ق (٦٥ب) بلفظ « فنون الافنان » مجلد . وفي ذيل ابن رجب : جـ ١ /٤١٧ ورد ما نصه : « فنون الافنان في عيون علوم القرآن ، مجلد ، كتاب ورد الاغصان في فنون الافنان ، جزء » مما يدل على أنهما كتابان منفصلان . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١١/٢ « فنون الافنان في سجوع القرآن » . انظر ايضا العلوجي ص ١٣٠ رقم (٢٤٦). قالت ناجية : لعل كتاب فنون الافنان وورود الاغصان هذا كتاب آخر لا بن الجوزي غير تلك الكتب .

(٦) انظر تصانيفه في هذا الحقل : مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٥/٢ والوافي بالوفيات : جـ ١٥ – ١٧/ق٢ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٧ .

(٧) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٤٨٥/٢ بلفظ « منهاج الوصول الى علم الاصول ، مجلد » وكذا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤١٧/١ ولكن بلفظ « خمسة اجزاء » . وورد في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) مجردا من اي عدد . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ ٢١٣/٢ بلفظ « الوصول الى علم الاصول » وانظر ايضا العلوجي ص ١٨٩ رقم (٤٦٤) وفيه اشار الى نسخة خطية للكتاب .

(٨) ورد نصا في مرآة الزمان: جـ٨ ق٤٨٥/٢ وذيل ابن رجب: جـ ٤١٧/١ وتاريخ ابن الفرات: م٤جـ٢١٣/٢ وفيه مجرد من الجزء . العلوجي ص ١٨٥ رقم (٤٤٩) .

(٩) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٢ / ٤٨٥ باضافة « في الفرائض ، جزء » وهي في الاصل بياض وفي ذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٧ بلفظ « مجلد » . العلوجي ص ١١٠ رقم (١٦٨).

(١٠) في مرآة الزمان: جـ٨ ق٤٨٥/٢ « كتاب رفع التشبيه با كف التنزيه ، اربعة اجزاء» ومنه نسخة مخطوطة =

ومما له في الحديث [1] :

« جامع المسانيد [2] » عشر مجلدات . وكتاب « الحدائق [3] » ثلاث مجلدات . وكتاب « نفي النقل »[4] ثلاث مجلدات . وكتاب « درر الاثر [5] » مجلد . كتاب « المديح »[6] مجلد. كتاب « أخاير الذخائر » [7] ثلاثة اجزاء. وكتاب « الفوائد[8] عن الشيوخ » ستون جزءا.

= في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم (٢٢٥) مجاميع ، عقائد ، انظر العلوجي : ص ٩٩ رقم (١٣٠) .

(١) انظر تصانيفه في هذا الحقل : مرآة الزمان : ج ٨ ق٤٨٣/٢ والوافي بالوفيات : ج ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : ج ٤١٧/١ .

(٢) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق٤٨٣/٢ بلفظ « جامع المسانيد بالحصر (؟) الاسانيد سبع مجلدات » ومثله في ذيل ابن رجب : ج٤١٧/١ وبدون عدد . وورد نصا وبلفظ « سبع مجلدات » في تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (ن . الدراسات) ق (٦٥ب) والوافي بالوفيات : ج ١٥ – ١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) . وفي البداية والنهاية : ج ٢٨/١٣ « وله جامع المسانيد استوعب فيه غالب مسند احمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي » . وبعنوان « جامع المسانيد والالقاب » توجد نسخة في العبدلية بتونس رقمها (٦٨٣) واخرى بالعطارين في تونس ايضا رقمها (٥٥٣٨) وكلتاهما بخط مشرقي وتعود الثانية منهما للقرن السابع للهجرة . انظر : مجلة المكتبة ع ٦٢ ، السنة ٨ : ١٩٦٨ ، ص ٢٦ ، العلوجي ص ٨٩ رقم ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٣ وتذكرة الحفاظ : ج ١٣٤٣/٤ ومختصر تاريخ الاسلام (ن . الدراسات) ق (٦٥ب) بلفظ « مجلدان » . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ بلفظ « أربع وثلاثون جزءا » وورد مجردا من العدد في تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢١٣/٢ واشار العلوجي في ص ٩٤ رقم (١١١) الى وجود نسخ عديدة عنه .

(٤) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٤ بلفظ « ستة وخمسون جزءا مجلدا » وفي تذكرة الحفاظ : ج ١٣٤٣/٤ بلفظ « نفي النقل مجلد كبير » بينما ورد مجردا من العدد في تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (ن . الدراسات) ق (٦٥ب) . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ – ١٧/ق٢ / الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : ج٤١٧/١ بلفظ « خمسة أجزاء » . ومجردا من العدد ايضا في تاريخ ابن الفرات : م٤ ج ٢١٣/٢ . وانظر العلوجي : ص ١٩٨ رقم (٤٩٩) .

(٥) كذا ورد في هدية العارفين : م٥٢١/١ (وبدون مجلد) وللكتاب نسخة خطية في خزانة كتب جامع الفاتح باستانبول برقم (٢٦١٤) . انظر العلوجي : ص ٩٧ رقم (١٢٦) .

(٦) في مرآة الزمان : ج ٨ ق٤٨٤/٢ بلفظ « المديح » بينما ورد نصا في الوافي بالوفيات ج ١٥–١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : ج ٤١٧/١ ولكن بلفظ « سبعة أجزاء » وعنهما العلوجي في ص١٦٤ رقم (٣٧٥) .

(٧) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق٤٨٨/٢ وعده من تصانيفه في الوعظ وفي ص ٤٨٤ من نفس الجزء بلفظ « مجلد » ويعده من تصانيف علم الحديث. وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) بلفظ « الذخاير » بينما ورد المتن صحيحاً ايضا في ذيل ابن رجب : ج ٤١٧/١ . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢١٥/٢ بلفظ « وكتاب الذخاير في الوعظ » . وانظر ايضا العلوجي ص٦٤ رقم (٨) .

(٨) ورد نصا في ذيل ابن رجب : ج٤١٧/١ وعنه العلوجي ص ١٣١ رقم (٢٤٨) .

ومما له في علم الحديث : [1]

كتاب « كشف مشكل [2] الصحيحين » خمس مجلدات . وكتاب « التحقيق في [3] احاديث التعليق » مجلدان . وكتاب « تلقيح فهوم أهـــل الأثر [4] » مجلدان . كتاب « الموضوعات » [5] مجلدان .

---

(١) انظر تصانيفه في هذا الحقل : مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٤ .

(٢) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٣ بلفظ « الكشف عن معاني الصحيحين ،أربع مجلدات » بينما ورد نصا في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وكلاهما بلفظ « أربع مجلدات » وفي تذكرة الحفاظ : ج ١٣٤٣/٤ « مشكل الصحاح » أربع مجلدات . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) بلفظ « الكشف لمشكل الصحيحين أربع مجلدات » ومثله في ذيل ابن رجب : ج١/٤١٧ . وفي طبقات الحفاظ ص ٤٧٨ مجرد من العدد . وانظر ايضا العلوجي : ص ١١٣ رقم (١٧٩) وص ١٤٩ رقم (٣٠٩) ، والمورد م١ع ١-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٥ رقم (٢٥) .

(٣) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٥ ضمن تصانيفه في علم الفقه وكذا نصا ورد في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (ن . الدراسات) ق (٦٥ب) وفي تذكرة الحفاظ : ج٤ / ١٣٤٣ بلفظ « التحقيق في مسائل الخلاف ، مجلدان » ولعله كتاب اخر لا بن الجوزي . وورد نصا ايضا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : ج ٤١٧/١ . ويوجد مختصر له بعنوان « تنقيح كتاب التحقيق في أحاديث التعليق » ومنه نسخة خطية في مكتبة فيض الله ، برقم (٢٩٦) . ويوجد الجزء الثاني في المكتبة الظاهرية بعنوان « تنقيح التحقيق لابن الجوزي » برقم ٣٠١ حديث . وعن هاتين النسختين اخذت النسختان المصورتان الموجودتان في معهد احياء المخطوطات العربية انظر / المورد ، ع ١-٢ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨٣ رقم (٢) ، العلوجي : ص ٨١ رقم (٧٠) .

(٤) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٤ بلفظ « مجلد » وباضافة « في علم التواريخ والسير » . وقال ابن خلكان في وفيات الاعيان : ج٢/٣٢١ (وله تلقيح فهوم الاثر ، على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة) وكذا بلفظ مجلد في تذكرة الحفاظ : ج٤/١٣٤٣ . وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ ب) ورد بلفظ « تلقيح فهوم أهل الاثر في عيون التواريخ والسير» وكذا في ذيل ابن رجب : ج١/٤١٧ وبلفظ « مجلد » . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ ج ٢/٢١٣ بلفظ « تلقيح فهوم الاثر على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة (في علم التواريخ والسير .) وذكر في الحاشية الاضافة على ما ورد في مرآة الزمان وبلفظ « تلقيح فهوم الاثر » في طبقات الحفاظ : ص : ٤٧٨ ونقل عنه الكتاني في فهرس الفهارس : ج١/٢٢٧ . وللكتاب نسخ خطية عديدة انظر : العلوجي : ص ٨٦ رقم (٨٩) والمورد م١ع١-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم (٩) .

(٥) ورد نصا في مرآة الزمان : ج٨ ق٢/٤٨٤ وفي وفيات الاعيان : ج ٢/٣٢١ بلفظ « في أربعة اجزاء ، ذكر فيها كل حديث موضوع » وكذا ورد نصا في تذكرة الحفاظ : ج ١٣٤٣/٤ وبدون «مجلدان» في تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (ن. الدراسات) ق (٦٥ب) وفي ق(٢٣١ب) و (٦٩ب) منهما قال الذهبي : « . . . صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فأصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل » . وكذا ورد نصا في الوافي بالوفيات : ج ١٥- ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ). وفي البداية والنهاية: ج ٢٨/١٣ بلفظ « وله الاحاديث الموضوعة » وفي ذيل ابن رجب: ج١/٤١٧ =

كتاب « المحتسب في النسب [1] » مجلد . كتاب « تحف الطلاب [2] » (ق ٢١٥-١) ثلاثة اجزاء .

« مدائح لابن القصاب [3] » كتاب « النصر على مصر [4] » جزء . « ومثير العزم الساكن الى أشرف [5] الأماكن » ، يعني الى الحج مجلد . « الحث على [6]

= بلفظ « كتاب الموضوعات من الاحاديث المرفوعات مجلدان » ومثله في تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢/ ٢١٢ ولكن بلفظ « اربعة اجزاء » . وبلفظ « الموضوعات » فقط في طبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ وعنه نقل الكتاني في فهرس الفهارس : ج ٢٢٧/١ . وللكتاب نسخ عديدة ، انظر : العلوجي ص ١٤٥ رقم (٣٠١) والمورد ؛ م١ ع١-٢/السنة ١٩٧١ ص ١٨٧ رقم (٣٥).

(١) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٤/٢ وذيل ابن رجب : ج٤١٧/١ . وفي الوافي بالوفيات : ج١٥-١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) وتاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢١٣/٢ بدون مجلد . وانظر العلوجي : ص ١٥٩ رقم (٣٥٠) .

(٢) ورد نصا في ذيل ابن رجب : ج ٤١٧/١ - ٤١٨ وبلفظ « تحفة . . . » وعنه العلوجي ص ٨٠ رقم (٦٧) .

(٣) في الاصل بعد كلمة القصاب بياض ولعله مكان كلمة تدل على جزء أو مجلد . والكتاب لأول مرة يذكر هنا ولم اجده فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٤) ورد بدون لفظة جزء كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق٤٨٧/٢ تحت فصل « ومن الرياضات ونحوها » وكاملا ايضا في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : ج٤٠٤/١ وفيه ان هذا الكتاب صنفه ابن الجوزي لما خطب للخليفة المستضيء بمصر وانقطع أثر العبيديين عنها ، وعرضه عليه وحضر عنده . وفي ص ٤١٩ من الذيل نفسه ورد اسم الكتاب كاملا . وانظر ايضا العلوجي : ص ١٤٧ رقم (٣٠٣) .

(٥) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ق٤٨٧/٢ بلفظ « مثير العزم الساكن ، مجلد » تحت فصل : ومن الرياضات ونحوها . وبلفظ « . . . الغرام . . . » كاملا في تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ . وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) كاملا وبدون اضافة . وبلفظ « مثير العزم الساكن مجلد » في الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) . وكاملا ايضا في ذيل ابن رجب : ج ٤١٨/١ . وللكتاب نسخ خطية عديدة . انظر العلوجي : ص ٧٧ رقم (٥٨) وص ١٥٦ ، رقم (٣٣٧) وتوجد للكتاب نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية محفوظة في— جامعة الدول العربية برقم (٤٣٧) . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، ق١ ج ٢٢٩/٢ . وهناك منتخبات مخطوطة من هذا الكتاب بعنوان « مثير العزم الساكن » في جامعة برنستون ص ٦٦-٦٧ رقم ١٧١ . انظر : المورد م١ع١-٢/السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم (٥) .

(٦) ورد في مرآة الزمان : ج٨ق٤٨٧/٢ كاملا وبلفظ (مجلد) وتحت فصل : ومن الرياضات ونحوها . وفي ذيل ابن رجب : ج ٤١٩/١ ورد بلفظ « الحث على حفظ العلم ، وذكر كبار الحفاظ » جزء . وانظر ايضا العلوجي : ص ٩٣ رقم (١١٠) وهناك مخطوط بعنوان « رسالة الحث على طلب العلم والحركة على سلوك طريقه في كسب العلم وادلته » . انظر : المورد م١ع١-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٥ رقم (١٤) .

طلب العلم » جزء . « أسرار [1] الموالي » جزء . كتاب « البــاه » [2] جزء .
« تحريم المحل المكروه » [3] جزء وكتاب « عطف العلماء » [4] جزء . « ذم الحسين الحلاج » [5] جزء . كتاب « أعمار الاعيان » [6] جزء . كتاب « العزلة [7] » جزء . كتاب « مبادرة [8] العمر « جزء كتاب » المعاد [9] » جزء . كتاب « الثبات عند [10] الممات » جزء . « والمصطفى » [11] سبعة أجزاء .

كتاب « ذم الهوى» [12] مجلدان . كتاب « الاذكياء » [13] مجلد . كتاب

---

(١) ورد نصا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٦/٢ تحت فصل : من تصنيفه في المناقب . وانظر ايضا : العلوجي : ص ٦٩ رقم (٢٧ و ٢٩) .

(٢) في الاصل (الباه) وقد ورد كاملا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٧/٢ وعده من تصانيفه في الطب .

(٣) ورد كاملا في ذيل ابن رجب : جـ٤١٩/١ وعنه العلوجي ص ٨٠ رقم (٦٦) .

(٤) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٧/٢ ورد تحت فصل ومن الرياضات ونحوها : « كتاب عطف الأمراء على العلماء جزءان » وبلفظ « عطف العلماء على الامراء ، والامراء على العلماء » جزء ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة جون رايلاندز في مانشستر برقم (٧٧٧ب) . انظر : العلوجي ص ١٢٢ رقم (٢٠٩).

(٥) كتاب جديد يذكر لأول مرة .

(٦) ورد كاملا في مرآة الزمان : جـ٨ ق٤٧٢/٢ وبلفظ (جزءان) . وكاملا ايضا في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٩/١ . وللكتاب نسخة خطية في مكتبة الغازي خسروبك بسراييفو في يوغسلافيا ضمن مجموع رقم (٣٠٠) فرغ من نسخه محمد بن عبد الفتاح الواعظ المنزلي يوم الاحد ١٩ صفر سنة ١٠٢٤. انظر فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية ص ١٣٣ — ١٣٤ والعلوجي ص ٧٠ رقم (٣٣) .

(٧) ورد كاملا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٦/٢ تحت فصل الرقائق . وكذا في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) . وفي ذيل ابن رجب : جـ١ / ٤٢٠ بدون جزء وعنهم العلوجي في ص ١٢٢ رقم (٢٠٧) .

(٨) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٦/٢ ورد بلفظ « مشاجرة . . . » وعده سبطه في المناقب وعنه العلوجي في ص ١٦٧ رقم (٣٨٨) .

(٩) ورد كاملا في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) وبدون جزء وعنه العلوجي في ص ١٤٣ رقم (٢٩٤) .

(١٠) ورد كاملا في مرآة الزمان: جـ٨ ق٤٨٧/٢ وبلفظ (جزءان) وبدون جزء في تاريخ الاسلام (ن.بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) والوافي بالوفيات : جـ ١٥–١٧/ق١/الورقة (١٥٣ أ). وبلفظ (جزءان) ايضا في ذيل ابن رجب : جـ٤٢٠/١ . وللكتاب نسخ خطية عديدة . انظر : العلوجي: ص ٨٩ رقم (٩٥) والمورد : م١ع١–٢ السنة ١٩٧١ص١٨٤ رقم (١١) .

(١١) لم أجد كتابا بهذا العنوان ولعله جديد ان لم يكن كتاب الوفاء في فضائل المصطفى الذي ذكره العلوجي وأشار الى نسخه الخطية في ص ١٤٧ رقم (٣٠٥) من كتابه .

(١٢) ذكره ابن الجوزي في كتابيه صيد الخاطر : جـ٨١/١ و ١٥٤ والطب الروحاني (الاوقاف)(ق٦٢أ) وقد ورد نصا في مرآة الزمان : جـ٨ ق٤٨٦/٢ وبلفظ مجلد في تذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٣/٤ ومجردا في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) . وكاملا ايضا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥–١٧/ق٢/ الورقة (٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤١٩/١ وبدون =

« المغفلين »[1] مجلد . « الظراف – والمتماجنين [2] » كتاب « الحث على طلب [3] الاولاد » .

كتاب « صيد [4] الخاطر » . كتاب « تبوير العبس » [5] ؟ . « أحكام الاشعار » [6]

= (مجلدان) في تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢/٢١٣ . وللكتاب نسخ خطية عديدة اشار اليها العلوجي في ص ١٠١ رقم (١٣٨) من كتابه وهناك نسخ اخرى منه في مكتبات الازهر وأروقته (خطها سنة١١٢٣هـ) برقم (٤٠٥) تصوف انظر مخطوطات مكتبات الازهر واروقته : ص ١٤ تسلسل (١٣٤) ، واخرى في ييل برقم (١٦٠٨) . انظر المورد م١ ع١–٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٥ رقم (١٦) .

(١٣)ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٧ وورد ذكره عرضا في وفيات الأعيان : ج٦/٢٨٣ وكذا كاملا في تذكرة الحفاظ : ج ١٣٤٣/٤ وتاريخ الاسلام (ن. بشار) / ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وفيهما بدون مجلد . والوافي بالوفيات : ج ١٥–١٧/ق٢/الورقة (١٥٣أ) وذيل ابن رجب: ج١/٤١٩ وتاريخ ابن الفرات م٤ج٢/٢١٣. وللكتاب نسخة خطية في مكتبة الاوقاف، اكل نسخها : محمد عمر النجدي سنة ١٢٤٤ هـ برقم (٢٢٨) ، انظر : فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف: ج٣/٤ تسلسل (٤٣٨٥) وهناك نسخ اخرى له أشار اليها العلوجي في ص١٣٨ رقم (٢٨٣) من كتابه ومحمد باقر في مجلد المورد : م١ ع١–٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٦ رقم (٣٣) وافادني الدكتور عماد عبدالسلام مشكورا بوجود قطعة من كتاب الاذكياء هذا ، وهي نسخة قديمة ربما كانت بخط المؤلف في مكتبة ابراهيم الدروبي . وقد طبع الكتاب عدة مرات .

(١) كذا ورد في تذكرة الحفاظ : ج ١٣٤٣/٤ وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ أ) بلفظ « الحمقى والمغفلين » . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢/٢١٣ بدون مجلد . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١٣٥ ز رقم (٢٧٤) ومحمد باقر في : المورد م١ ع١ – ٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٦ رقم (٣١) .

(٢) في مرآة الزمان : ج٨ ق٢/٤٨٧ باضافة (مجلد) وفي تذكرة الحفاظ : ج٤/١٣٤٣ بلفظ (الظرفاء ، مجلد) وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥–١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) بلفظ (الظرفاء والمتحابين) . وانظر ايضا العلوجي : ص ٦٦ رقم ١٣ و ص ١٢٠ رقم (١٩٩) وص ١٣٨ رقم (٢٨١) .

(٣) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٧ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في كتابه لفتة الكبد (الاوقاف) : ق (٥ب) وفي مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٦–٤٨٧ باضافة (ثلاث مجلدات) وكذا في تذكرة الحفاظ : ج٤/١٣٤٣ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ ب) . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥–١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : ج ٤١٩/١ بلفظ « خمسة وستون جزءا » . وبلفظه في تاريخ ابن الفرات: م٤ ج٢/٢١٣ وللكتاب نسخ خطية عديدة وطبعات أشار اليها العلوجي في ص ١١٨ رقم (١٩٣) من كتابه

(٥) كذا في الاصل وفي مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٦ « كتاب تنوير الغبش في فضل السودان والحبش مجلد » وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ – ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) بلفظ « كتاب تنوير الغبش في فضائل الحبش » وفي ذيل ابن رجب : ج١/٤١٩ بلفظ « تنوير الغبش في فضل السود والحبش » وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢/٢١٣ بلفظ « كتاب تنوير الغبش في فضائل الجيش » وللكتاب نسخ خطية عديدة اشار اليها العلوجي في ص ٨٨ رقم (٩٢) من كتابه ومحمد باقر في المورد م١ع١–٢ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم (١٠) .

(٦) في مرآة الزمان : ج ٨ ق٢/٤٨٧ بلفظ « أحكام الاشعار باحكام الاشعار ، مجلدان » ونقل عنه الذهبي في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ب) =

مجلد كتاب « مناقب [1] بغداد » مجلد . « آفة أصحاب الحديث » [2] مجلد . كتاب « صلاة أبي [3] بكر رضي الله عنه » .

كتاب « فيه ذم يزيد »[4] . كتاب « فضل ليلة [5] الجمعـة » جزء . كتاب « مقبرة [6] الامام احمـد امامنا رضي الله عنه » [7] . كتاب « السهم [8] المصيب » جزء . كتاب « المكر » [9] جزء . « تبصره المبتدي [10] » أربع مجلدات . « المستنجد»[11] مجلدان .

= وبلفظ « عشرون جزءا » في الوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب جـ ٤١٩/١ . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٣/٢ بلفظ (وكتاب الاشعار) . وانظر ايضا العلوجي : ص ٦٤ رقم (٦) .

(١) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٤/٢ والوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧ / ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١ . وبدون لفظة (مجلد) في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره ق (٦٥ ب) . وللكتاب نسخة خطية في مكتبة فاروق الاول بالاسكندرية برقم (٧٤٢٤ج) واخرى بزقم (٧٨٦٣ج) . انظر : مكتبة فاروق الاول بالاسكندرية ، فهرس التاريخ ، بقلم محمد البشير الشندي ، ١٩٥١ ص ١٥٣ . وهناك نسخ اخرى اشار اليها العلوجي في ص ١٧٧ رقم (٤٢٩) من كتابه .

(٢) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٧٤/٢ بلفظ جزء . وله نسخة مخطوطة في مكتبة المشهد الرضوي / (٤ : ١٢ برقم ٣٤) . انظر العلوجي : ص ٦٣ رقم (٢) .

(٣) في الاصل بعد كلمة عنه بياض لعلها مكان جزء او مجلد . وهذا الكتاب لم تذكره المصادر التي اطلعنا عليها .

(٤) لم أجد كتابا بهذا الاسم فيما اطلعنا عليه من مصادر ، وفي كتاب العلوجي ص ١٠٣ رقم (١٤٣) ورد كتاب بأسم « الرد على المتعصب العنيد المانع من ذ م يزيد » وعندي ان هذا الكتاب غير الكتاب الوارد اعـلاه .

(٥) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٦/٢ بلفظ « فضائل . . . » وعنه العلوجي في ص ١٣٠ رقم (٢٤٣)

(٦) في مرآة الزمان : حـ ٨ ق٤٨٦/٢ بلفظ « تقريب الطريق الأبعد بفضل مقبرة احمد ، جزءان » . وبدون لفظ (جزءان) في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) (ق٦٦أ) والوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤٢٠/١ وفيهم بلفظ « . . . في فضل . . . » وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٥/٢ بلفظ « وكتاب الامام احمد بن حنبل (رضي)» ، العلوجي : ص ٨٤ رقم (٨٣) .

(٧) في الاصل بعد كلمة عنه بياض .

(٨) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٢ / ٤٨٧ وذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٧ بلفظ « جزءان » . وفي الوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٣/٢ بلفظ « السهم المصيب في الرد على الخطيب » وعنهم العلوجي في ص ١١١ رقم (١٧١) .

(٩) لم اجد كتابا بهذا الاسم فيما اطلعنا عليه من مصادر .

(١٠) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٧/٢ والوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) بلفظ « التبصرة » ثلاث مجلدات . وورد مجردا في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وفي ق (٢٢٨ب) وق (٦٦ب) منهما نقلا عن السبط وفي ذيل ابن رجب : =

كتاب « كنز المذكر »(١) مجلد . كتاب « المدهش »(٢) مجلدان . كتاب « المنتخب »(٣) مجلد . كتاب « المطرب »(٤) جزء . كتاب « المعلق »(٥) جزءان . كتاب « الملهب »(٦) ثلاثة أجزاء .

كتاب « منتهى(٧) المبتها »(٨) مجلد . كتاب « الأرج »(٩) مجلد . كتاب

= جـ ٤١٩/١ بلفظ « عشرون جزءا » . وللكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية (ينقص منها المجلس الاول) برقم (٥٦٨٣ عام)، انظر محمد ناصر الدين الالباني، فهرس دار الكتب الظاهرية، ص ٣٩ ، واخرى في مكتبة جستر بيتي بدبلن برقم (٣٥٣٦) (جـ١-٢) ٢٥٨ و ٢٤٦ ورقة ، تاريخها ٨٦٧ هـ) . انظر المورد : م٢ ع٤ السنة ١٩٧٣ ص ١٩٠ ونسخ اخرى وملحقات للكتاب اشار اليها العلوجي في ص ٧٨ رقم (٦١) من كتابه .

(١١) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٧/٢ — ٤٨٨ ومن تصانيفه في الوعظ : كتاب المستنجد والمستنجد مجلدان وعنه العلوجي في ص ١٦٧ رقم (٣٨٤) .

(١) جاء في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ ما نصه : « ومن تصانيفه في الوعظ . . . واللؤلؤة والملح والياقوتة وكبر المذكر ، كل واحد من هذه في جزء جزء » . وفي الوافي بالوفيات : جـ١٥ — ١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) بلفظ « المذكر ، مجلد » بينما ورد كاملا في ذيل ابن رجب : ج٤١٩/١ ، ٤٢٠ وعنه العلوجي في ص ١٥٠ رقم (٣١٣) .

(٢) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ « مجلد » ومجردا في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وفي تذكرة الحفاظ : جـ ٤ / ١٣٤٣ بلفظ (المدهش في المحاضرات ، مجلد) ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية برقم (٧٠٥٢ . انظر فهرس مخطوطات الظاهرية : جـ ٢ / ٤٢٨ — ٤٢٩ . وورد كاملا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥ — ١٧/ق٢ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ١ / ٤١٩ وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١٤١ — ١٤٢ رقم (٢٩٠) من كتابه واخبرني الدكتور عماد عبدالسلام مشكورا بوجود نسخة مخطوطة للكتاب ناقصة الأول والآخر في دار مخطوطات البحرين هدية من مكتبة الصديقي .

(٣) كذا ورد في تذكرة الحفاظ : جـ ١٣٤٣/٤ وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ب) بلفظ « كتاب المنتخب في الوعظ ، مجلدان » وفي الوافي بالوفيات : جـ١٥— ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) بلفظ « المنتخب في النوب مجلد » وكذا في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١— ٤١٩ . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٤/٢ بلفظ (كتاب المنتخب) وانظر ايضا العلوجي ص ١٨١ رقم (٤٤٣) .

(٤) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ بلفظ (الطرب) وفي تذكرة الحفاظ : جـ١٣٤٣/٤ بلفظ (مجلد) وبدون جزء في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) . وفي ذيل ابن رجب : جـ٤٢٠/١ بلفظ « المطرب الملهب » بحيث جعله كتابا واحدا مع الكتاب الوارد بعده . وانظر ايضا : العلوجي ص ١٦٩ رقم (٣٩٤) .

(٥) في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١ « المغلق » وعنه العلوجي في ص ١٧١ رقم (٤٠٣) .

(٦) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ (جزءان) وفي تذكرة الحفاظ : ج ١٣٤٣/٤ بلفظ (مجلد) وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٤/٢ بدون أجزاء .

(٧) في الاصل (منتها) .

(٨) في مرآة الزمان: جـ ٨ ق ٤٨٨/٢ وتذكرة الحفاظ: جـ ١٣٤٣/٤ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) =

« اللطف »[1] مجلد . كتاب « اللطائف »[2] مجلد . كتاب « تحفة الواعظ »[3] مجلد كتاب « رؤوس القوارير »[4] مجلد . كتاب « زين القصص »[5] مجلد . كتاب « مختصره في اللباب »[6] . كتاب « اللؤلؤ »[7] مجلد . كتاب « نسيم الرياض »[8] مجلد .

= ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥) بلفظ (منتهى المشتهى) وفي ذيل ابن رجب : جـ١ /٤١٩ بلفظ (منتهى المنتهى) وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢/٢١٤ بلفظ (منتهى المشتهى) وأشار المحقق في الحاشية الى الاصل بقوله : كتاب منتهى المسهى . وصححه على ما ورد في مرآة الزمان ومقدمة زاد المسير . والكتاب نسخة مخطوطة في جامع الفاتح برقم (٢٨٠٥) . انظر العلوجي : ص ١٨٥ رقم (٤٥٠) . وعندي ان كتاب منتهى المبتها « هو غير منتهى المشتهى » ولعل الاصل الوارد في تاريخ ابن الفرات هو الصواب فكلاهما رسما بشكل واحد .

(٩) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٨ بلفظ (أربعة اجزاء) وورد كاملا في الوافي بالوفيات : جـ١٥–١٧ ق٢/الورقة (١٥٣ أ) . وفي ذيل ابن رجب : جـ١/٤١٩ بلفظ (الازج) . وبعنوان « الارج في الوعظ » يوجد مخطوطاً في مكتبة خزينة الملحقة بطوبقبو سراي رقم (١/١١٥٠) في (٣٢) ورقة وعنه أخذت النسخة المصورة الموجودة في معهد احياء المخطوطات العربية ، رقم (٢٠) . انظر : المورد : م١ ع١–٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٣ رقم «١» وانظر ايضا العلوجي : ص ٦٨ رقم (٢٣) وص ٦٧ رقم (١٩) .

(١) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٨ بلفظ (اللطفة) بينما ورد كاملا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥–١٧/ق٢ الورقة (١٥٣ أ) . وبعنوان « اللطف في الوعظ » توجد نسخة مخطوطة بقلم معتاد تاريخها ١٢٢٦هـ في دار الكتب المصرية برقم (٢٠٥٣٧ب) انظر فؤاد سيد : فهرس المخطوطات : ق٢/٢٧٨ وانظر ايضا العلوجي : ص ١٥٢ رقم (٣٢٠) .

(٢) ورد كاملا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٨ والوافي بالوفيات : جـ ١٥–١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ١/٤١٩ . وبدون جزء في مختصر تاريخ الاسلام (الدراسات) ق (٦٦ أ) وبعنوان « اللطائف الكبرى » و « اللطائف في المواعظ » توجد نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي : ص ١٥٢ رقم (٣١٩) من كتابه ومحمد باقر في المورد : م١ ع١ – ٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٣ رقم (٧) .

(٣) ورد بدون لفظة (مجلد) في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢/٢١٥ . وكاملا في الوافي بالوفيات : جـ١٥–١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) . وفي ذيل ابن رجب : جـ١/٤١٩ بلفظ (. . . الوعاظ . . .) . العلوجي ص ٨١رقم(٦٩)

(٤) وردفي مرآه الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٨ بلفظ « مجلدان » ونقل عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ : جـ٤/١٣٤٤ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ب) وفي تاريخ ابن الفرات م٤ جـ٢/٢١٥ بلفظ (. . . في الوعظ) . وبعنوان (رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير) توجد نسخة مخطوطة في المكتبة الأصفية بحيدر آباد ٢ : ١٧٢٠ رقم ١/١٣ . وقد طبع الكتاب بالقاهرة سنة ١٩١٤ . انظر العلوجي : ص ١٠٦ رقم (١٥٥) .

(٥) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٨ بلفظ (مجلدان) وورد كاملا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥–١٧ / ق ٢ / الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ١/٤١٩ وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ ٢/٢١٤ بدون مجلد ، العلوجي ص ١١٠ رقم (١٦٦) . —

(٦) في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧) ب ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) بلفظ « لباب زين القصص » . وعنه العلوجي في ص ١٥١ رقم ٣١٧. وفي[الأصل]بعد لفظة (اللباب) بياض =

كتاب « الملح »[١] مجلد . كتاب « الياقوته »[٢] جزء . كتاب « الوعظ المصري »[٣] جزء . كتاب «روح[٤] ...» «المعشوق[٥] ... » « المنتخب»[٦] مجلد ... (ق ٢١٥-٢)
كتاب « العقيدة »[٧] جزء . وكتاب « النور »[٨] مجلد .
كتاب « الموافق »[٩] جزء . كتاب« شاهد ومشهود »[١٠] مجلد . كتاب« المقعد والمقيم»[١١]

= مما يدل على سقوط كلمة جزء أو مجلد .

(٧) جاء في مرآة الزمان : جـ٨ ق٤٨٨/٢ ما نصه : « فصل : » من تصانيفه في الوعظ واللؤلؤ والملح و . . . كل واحدة من هذه جزء جزء » بينما ورد كاملا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ١ /٤١٩ وعنه العلوجي ص ١٥٥ رقم (٢٣٠) .

(٨) ورد كاملا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) وفيهما بدون جزء ، الوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ ق٢/ الورقة (١٥٣ أ)، ذيل ابن رجب : جـ ٤٢٠/١ . وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٨/٢ أنشد الشيخ (يقصد ابن الجوزي) في بعض مجالسه وعظه :

اصبحت الطف من مـــر النسيم سرى   على الرياض ، فكاد الوهم يؤلمني
من كل معنى لطيف اجتلي قدحـــا   وكل ناطقة في الكون تطربني

(١) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ « ومن تصانيفه في الوعظ . . . والملح والياقوتة . . . كل واحد من هذه في جزء جزء » ونقل عنه الذهبي في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ب) غير انه قال (ومن علم العربية . . . كتاب ملح الاحاديث جزءان » . الوافي بالوفيات: جـ ١٥ - ١٧ / ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) بلفظ (ملح الاحاديث) وكذا في ذيل ابن رجب : جـ٤٢٠/١ وبلفظ (جزءان) . وانظر العلوجي : ص ١٧٤ رقم (٤١٥) .

(٢) انظر الهامش اعلاه . وفي تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) والوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) بلفظ (ياقوتة المواعظ) . وكاملا في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٩/١ وبلفظ (جزءان) . وللكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة الاوقاف تاريخها سنة١٣٢٥ بخط السيد يوسف جميل بن خضر البغدادي برقم (٢٣١٦٧/٦ مجاميع) . انظر فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف : جـ ٥٢٤/٢ ت (٤٢٣٩) . وانظر ايضا العلوجي : ص ٢٠٣ رقم (٥١٨

(٣) لم اجد ذكره في المصادر التي اطلعت عليها ويبدو انه كتاب جديد لابن الجوزي .

(٤) في الاصل بعد كلمة (روح . . .) خرم لا أستطيع قرائته وهو ما يقارب سطر . وفي العلوجي : ص ١٠٥ رقم (١٥١) عنوان الكتاب (روح الا رواح) وله نسخ خطية عديدة أشار اليها وذكر ان الكتاب طبع في القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ بـ ٩٦ ص .

(٥) كذا في الا صل وما بعده خرم ما يقارب سطر . والذي في ذيل ابن رجب : ج٤٢٠/١ « المعشوق في الوعظ » وعنه العلوجي في ص ١٧٠ رقم (٤٠٠) . وفي ص ١٤٣ رقم (٢٩٥) من نفس الكتاب « كتاب المشوق » اختصره فخر الدين البعلبكي ، ومن هذا المختصر نسخة مخطوطة في ليدن برقم (٢١٥٧)

(٦) تكرر الكتاب اعلاه ص ٢١ وفي الاصل خرم ما يقارب سطر .

(٧) لم أجد ذكره فيما اطلعت عليه من مصادر ويبدو أنه كتاب جديد لابن الجوزي .

(٨) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ وبلفظ « النور في فضائل الايام والشهور » في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦أ) وذيل ابن رجب : جـ٤٢٠/١ باضافة « مجلد » . تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٤/٢ ، العلوجي : ص ٢٠٠ رقم (٥٠٤) .

(٩) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ وذيل ابن رجب: جـ٤١٩/١ بلفظ (موافق المرافق، مجلد) ومثله=

مجلد . كتاب « اليوا [قيت [1] في] الخطب » مجلد . كتاب « اللآلئ في الخطب »[2] جزءان .

كتاب « .. ضب [3] في الخطب » مجلد . كتاب « شطب اللمع [4] » مجلد .

كتاب « [5] اللؤلؤ » جزء . « تنوير السدق » [6] . كتاب « الالقاب » [7] جزء .

= في تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢/٢١٤ وبدون مجلد ، وهو في الوعظ . بينما في تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) بلفظ (مرافق الموافق) ومنه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط برقم (٥٨٩) وبخط مغربي . انظر : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح : ق٢ ج١/١٨٨ . وقد أشار اليها الاستاذ هلال ناجي في مجلة المكتبة ع٢ السنة ٨ ، ١٩٦٢ ص ٢٦ . وهناك نسخ اخرى للكتاب أشار اليها العلوجي في ص ١٦٥ رقم (٣٧٧) وص ١٩٠ رقم (٤٧٠) من كتابه ومحمد باقر في المورد : م١ ع١-٢ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨٧ رقم (٣٨) .

(١٠) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق ٢٨٨/٢ وذيل ابن رجب : ج١/٤١٩ وهو في الوعظ . وعنهما العلوجي في ص ١١٢ رقم (١٧٧) وانظر ايضا ص ٢٠٠ رقم (٥٠٧) .

(١١) كذا ورد في مرآة الزمان: ج٨ق٤٨٨/٢ وتذكرة الحفاظ: ج٤/١٣٤٣ مع حذف (الواو) وبحذف الواو والمجلد في تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراساث) ق (٦٥)ب بينما ورد كاملا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) . وفي ذيل ابن رجب : جـ ٤١٩/١ بلفظ (العقد المقيم ، جزء) . وعنه العلوجي في ص ١٧٢ رقم (٤١١) . وهو في الوعظ .

(١) في الاصل مخرومة وصوابه من مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ (وفيه بلفظ جزءان ، وهو في الوعظ) والوافي بالوفيات : جـ ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١ وتاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢ / ٢١٤ (وفيه بدون مجلد) . بينما ورد بعنوان (اليواقيت في الخطب الوعظية) في تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وفي تذكرة الحفاظ جـ ١٣٤٣/٤ بلفظ (المواقيت في الخطب الوعظية ، مجلد) . وبعنوان (اليواقيت في الوعظ) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم (٢٥٩١٦ب) انظر : فؤاد السيد ، فهرس المخطوطات الموجودة في دار الكتب : ق ٣٠٣/٣ . وانظر ايضا العلوجي : ص ٢٠٣ رقم (٥١٩).

(٢) ورد في مرآة الزمان : ج٨ق٤٨٨/٢ تحت فصل تصانيفه في الوعظ (كتاب الملالي (؟) في الخطب جزءان وفي تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) والوافي بالوفيات : جـ ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) - بلفظ (كتاب خطب اللالئ على الحروف) . وبعنوان (اللالئ) توجد نسخة مخطوطة في جامع الفاتح باستانبول برقم (٥٢٩٥) (٥) . انظر العلوجي: ص ١٥١ رقم (٣١٦) .

(٣) كذا في الاصل وفي مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ بلفظ (كتاب المقتضب جزءان) وهو في الوعظ ومثله في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج٢/٢١٤ وبدون مجلد .

(٤) كذا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٨/٢ وبلفظ (ثلاثة اجزاء) وهو في الوعظ .

(٥) تكرر ذكر الكتاب ص٢١٠ اعلاه وبلفظ مجلد .

(٦) في الاصل بعد كلمة السدق بياض وفي مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٤/٢ بلفظ (كتاب تنوير السدف في المؤتلف والمختلف جزء) . وفي ذيل ابن رجب : ج٤١٨/١ بلفظ (تنوير مدلهم الشرف ، جزء) وعد العلوجي كلا منهما كتابا ، انظر مؤلفات ابن الجوزي : ص ٨٨ رقم (٩١) وص ٨٩ (٩٣) .

(٧) ذكره ابن خلكان عرضا في وفيات الاعيان : ج٢/٣١٤ ، ٥١٠ وج٣/٢٧٤ و جـ ٣٢١/٤ وج٥/٤٠٤ وورد كاملا في ذيل ابن رجب : ج٤١٨/١ وانظر العلوجي : ص١٣٤ رقم (٢٦٧) .

« نسخ الحديث [1] الكبير » . « ومختصرة » [2]. كتاب « المجتبى » [3] .

كتاب « غريب [4] الحديث » مجلدان . « مناقب أصحاب [5] الحديث » مجلد .

كتاب « موت الخضر [6] عليه السلام » مجلد . « مختصره » [7] جزء . « روضة الناقل [8] » جزء . « اغمار الاعيان » [9] جزء . كتاب« الضعفاء [10] والمتروكين » .

ومما له في الفقه ولغته [11] :

---

(١) لم أجد كتابا بهذا العنوان والذي في مرآة الزمان : جـ٨ ق٢/٤٨٤ (كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه مجلد) وفي تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) بلفظ (كتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث) ومثله وباضافة (مجلد) في الوافي بالوفيات : جـ ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) . وأنظر العلوجي : ص ١٩٢ رقم (٤٧٦) .

(٢) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٤ ونقل عنه العلوجي في ص ١٦٤ رقم (٣٧٠) بلفظ (مختصر ناسخ الحديث ومنسوخه) .

(٣) في الاصل (المجتبا) كذا وبعده بياض يدل على سقوط كلمة . وقد ورد في مرآة الزمان : جـ٨ق٢/٤٨٤ والوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ١/٤١٧ بلفظ (مجلد) وانظر ايضا تاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢/٢١٣ . وعده العلوجي في ص ١٥٨ رقم (٣٤٣) ضمن عنوان كتاب (المجتبي في علوم القرآن) وعندي أنه ليس كذلك فكتاب المجتبى هذا وعلى ما ذكره ابن رجب في الذيل انه في علم الحديث .

(٤) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٣ وبلفظ (أربعة أجزاء) تحت فصل علم التفسير ثم يذكره ايضا في فصل آخر (في علم الحديث) وبنفس الصفحة . وبلفظ (مجلد) في ذيل ابن رجب جـ١/٤٢٠. وللكتاب نسخة مخطوطة نادرة في سبعة أجزاء بمجلد كامل وبخط المؤلف (فرغ منتأليفه سنة ٥٧٦هـ وخرجه من بيضته سنة ٥٨١ هـ) محفوظة بجامعة القرويين في فاس برقم (ق/١٤٠) . انظر : مجلة المكتبة ع٦٢ السنة ٨ ، ١٩٦٨ ص ٢٦ . وله نسخة اخرى ذكرها العلوجي في ص ١٢٥ رقم (٢٢١)

(٥) كذا ورد في ذيل ابن رجب : جـ١/٤١٧ ونقل عنه العلوجي في ص ١٧٦ رقم (٤٢٥) من كتابه .

(٦) كذا ورد في ذيل ابن رجب : جـ ١/٤١٧ ونقل عنه العلوجي في ص ١٩١ رقم (٤٧١) .

(٧) ورد في ذيل ابن رجب : جـ ١/٤١٧ (مختصرة) تصحيف وفيه بلفظ (مجلد) .

(٨) في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٤ بلفظ (. . . الناثل . . .) وعده في علم الحديث . وبدون لفظة (جزء) في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) وذيل ابن رجب : جـ ١/٤١٧ (وفيه بلفظه كاملا) وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢/٢١٣ . وانظر العلوجي : ص ١٠٦ رقم (١٥٤) .

(٩) كذا ورد في الاصل وتقدم اعلاه ص ٢٠٦ بلفظ (اعمار الاعيان) ولعله كتاب جديد آخر لابن الجوزي ان لم يكن مصحفاً .

(١٠) في مرآة الزمان: جـ ٨ق٢ /٤٨٣ بلفظ (مجلدان) وفي الوافي بالوفيات : جـ ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ١/٤١٧ بلفظ (مجلد) . وبلفظ (كتاب الضعفاء) في تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٧ب) ومختصره . . (الدراسات) ق (٦٥ب) وطبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص١٣٧ رقم (٢٦٩) ومحمد باقر في المورد : م١/ع٢-١ السنة ١٩٧١ ص ١٨٦ رقم (٣٠ ، ٣٢) .

(١١) في مرآة الزمان: جـ ٨ ق٢/٤٨٥ « ومن تصانيفه في علم الفقه » وفي الوافي بالوفيات: جـ ١٥-١٧/ق٢ الورقة (١٥٣ أ) ، « في الصرف . »

« لغة الفقه »[1] مجلـد . « المُذهب في [2] المَذهب » . « مسبوك [3] المذهب» مجلد . كتاب « البلغة [4] » مجلد . « يقظة العجلان »[5] . كتاب « روس المسائل»[6] كتاب « صوم يوم [7] الغيم » . كتاب « جنة [8] النظر » .

ومما له في العربية : [9]

« غريب الحديث » [10] . كتاب« تقويم [11] اللسان » . مجلد . ملجأ الاعاريب[12]

---

(١) في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ب) وذيل ابن رجب جـ٤٢٠/١ بلفظ (جزءان) . وبدون (مجلد) في الوافي بالوفيات : جـ١٥ – ١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣أ) والعلوجي : ص ١٥٣ رقم (٣٢٢) .

(٢) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٥/٢ (وفيه بلفظ جزءان) وتذكرة الحفاظ : جـ١٣٤٣/٤ (وفيه بلفظ مجلد) وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٧ ب) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ب) والوافي بالوفيات : جـ ١٥ – ١٧/ق٢ / الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ٤١٨/١ وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٢/٢ . وعنهم العلوجي في ص ١٦٥ رقم (٣٧٦) .

(٣) في مرآة الزمان : جـ٨ق٤٨٥/٢ وذيل ابن رجب : جـ٤١٨/١ بلفظ (. . . الذهب . . .) وفي تاريخ تاريخ ابن الفرات : م٤جـ٢١٢/٢ بلفظ (مسبوك الذهب في الذهب) وانظر العلوجي : ص ١٦٦ رقم (٣٨٢) .

(٤) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٥/٢ وعنه العلوجي في ص ٧٦ رقم (٥٤) .

(٥) لم أجد كتابا بهذا العنوان فيما اطلعت عليه من مصادر ولعله كتاب جديداخر لابن الجوزي .

(٦) في الاصل بعد كلمة (المسائل) بياض مكان كلمة . ولم اجد كتابا بهذا العنوان فيمـا اطلعت عليه من مصادر ولعله كتاب جديد آخر لابن الجوزي .

(٧) ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٥/٢ بلفظ « كتاب رد اللوم والضيم في تحريم الصوم يوم الغيم ، جزء » وفي ذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١ بلفظ «كتاب رد اللوم والضيم ، في صوم يوم الغيم » وعنهما العلوجي في ص ١٠٣ رقم (١٤٤) .

(٨) كذا ذكره ابن الجوزي في كتابه لفتة الكبد (الاوقاف) ق (٥ب) يخاطب فيه ولده أبا القاسم ويحثه عل طلب العلم بقوله : (وتحفظ كتاب جنة النظر فانه يكفي في تلقيح فهمك للفقه) . وفي كتابه الآخر الباز الاشهب (الاوقاف) ق (١ب) بلفظ (جنـة النظر وجنة الفطر) ومثلـه في الوافي بالوفيات : جـ ١٥–١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) ولكن بلفظ (. . . وجنة النظر) وكذا في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١ باضافة (وهي التعليقة الوسطى) . وكاملا في تاريخ ابن الفرات : م٤جـ٢١٣/٢. وانظر ايضا العلوجي ص ٩٢ رقم (١٠٣) .

(٩) انظر تصانيفه في هذا العلم في مرآة الزمان : جـ ٨ق٤٨٤/٢ .

(١٠) في الاصل بعد كلمة الحديث بياض مكان كلمة . وقد تكرر الكتاب ص ٢١٣ اعلاه .

(١١) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٤/٢ (وفيه بلفظ جزءان) وتاريخ الاسلام (ن.بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٥ ب) (وفيهما بدون مجلد) وفي ق (٢٢٨ ب) وق (٦٦ب) منهما نقلا عن السبط في مرآته . والوافي بالوفيات : جـ ١٥–١٧/ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) (وفيه بدون مجلد) وذيل ابن رجب : جـ٤١٩/١ و ٤٢٠ وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٣/٢ (وفيه بدون لفظة مجلد). وللكتاب نسخ خطية أشار اليها العلوجي فيص ٨٥ رقم (٨٥) من كتابه ومحمد=

كتاب « نزهة الاديب » [1] جزء . « نزهة أهل الادب » [2] جزء . « تثقيف الادب »[3] جزء .

ومما له في المناقب [4] .

« الوفا بفضائل المصطفى » [5] مجلدان . « صفوة الصفوة » [6] خمس مجلدات « التحقيق في أحاديث » [7] . « مناقب عمر بن عبدالعزيز [8]. . » . .

كتاب . « تلقيح [9] فهوم أهل الاثر» مجلدان . « سفيان [10] الثوري » مجلدان

= باقر في المورد : م١ / ع١-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم (٨) .

(١٢) في الاصل بعد لفظة الاعاريب بياض مكان كلمة . وفي مرآة الزمان : جـ ٨ ق٢/٤٨٤ بلفظ (كتاب ملح الاعاريب جزءان) وعنه نقل العلوجي في ص ١٧٤ رقم (٤١٦) ووهم قائلا بان ابن رجب قد ذكره في الذيل على طبقات الحنابلة . وعندي أن الذي ذكره ابن رجب هو (ملح الاحاديث) الذي ذكره العلوجي ص ٢٢ رقم (١٨١) .

(١) في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١ بلفظ (جزءان) ونقل عنه العلوجي ص ١٩٥ رقم (٤٨٧) وأضاف قائلا ذكره اسماعيل البغدادي في هدية العارفين بلفظ (نزهة الأريب) .

(٢) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ٨ ق٤٨٤/٢ ونقل عنه العلوجي في ص ١٩٦ رقم (٤٨٨) .

(٣) لم أجد كتابا بهذا العنوان في المصادر التي اطلعت عليها ولعله كتاب جديد آخر لابن الجوزي .

(٤) انظر تصانيفه في المناقب : مرآة الزمان : جـ٨ ق٤٨٥/٢ .

(٥) في الاصل بالالف الممدودة (المصطفا) كذا . وورد كاملا في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٥/٢ وتاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) وفيهما بدون لفظة (مجلدان) ومثلهما في الوافي بالوفيات : جـ ١٥ - ١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) تذكرة الحفاظ : جـ١٣٤٣/٤ وذيل ابن رجب : جـ٤٢٠/١ وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٣/٢ (وبدون لفظة مجلدان) . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١٤٧ - ١٤٨ رقم (٣٠٥) من كتابه .

(٦) كذا ذكره ابن الجوزي في كتابه الآخر لفتة الكبد (الاوقاف) ق (٥ب) بدون (خمس مجلدات) وورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٦/٢ (وقد عده في الرقائق) وتذكرة الحفاظ : جـ١٣٤٣/٤ بلفظ (أربعة مجلدات) وكاملا في الوافي بالوفيات : جـ ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ ٤١٨/١ ومجردا في مختصر تاريخ الاسلام (الدراسات) ق (٦٥ب) وتاريخ ابن الفرات : م٤ جـ٢١٣/٢ . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١١٦ - ص ١١٧ رقم (١٨٩) وقد طبع الكتاب بأربعة أجزاء في حيدر اباد ١٩٣٦ - ١٩٣٧ تحت عنوان « صفة الصفوة ».

(٧) في الاصل يبدو أن السطر مبتور ومتداخل والذي في ذيل ابن رجب : جـ ٤١٧/١ (التحقيق في احاديث التعليق ، مجلدان) وقد تكرر أعلاه ص ٢٠٤ .

(٨) كذا ورد في مرآة الزمان : جـ ٨ ق٤٨٥/٢ وتذكرة الحفاظ : جـ٤ / ١٣٤٣ - ١٣٤٤ ، وباضافة (مجلد) تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) والوافي بالوفيات : جـ ١٥-١٧/ق٢/الورقة (١٥٣ أ) وذيل ابن رجب : جـ٤١٨/١ (وفيه بلفظ فضائل) ايضا باضافة (مجلد) وفي تاريخ ابن الفرات : م٤جـ٢١٥/٢ بلفظ (... الاموي). وقد نشر الكتاب مختصرا مع مقدمة بالالمانية المستشرق بيكر في ليبزك - برلين ١٨٩٩ - ١٩٠٠ في ١٦٨ + ٢٢ص. انظر العلوجي : ص ١٨٠ رقم (٤٣٩) .

(٩) تكرر أعلاه ص ٢٠٤ .

(١٠) في مرآة الزمان: جـ٨ ق٤٨٦/٢ وتذكرة الحفاظ: جـ١٣٤٤/٤ (وفيه بلفظ مناقب الثورى) وذيل=

كتاب « المحتسب في [1] النسب » مجلد . « مناقب بشر الحافي » [2].

« مراجع البحث »

أولاً – المخطوطات :

ابن أبي الدم الحموي : ابراهيم بن عبدالله بن أبي الدم المظفري (ت ٦٤٢هـ).

١ – التاريخ المظفري : نسخة الدكتور بشار عواد المنسوخة عن نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية رقم (١٢٩٢ ب) .

ابن الجوزي : ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٤٩٧ هـ) .

٢ – المشيخة : نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق (مجموع رقم ١٠١) .

٣ – الباز الاشهب المنقض على مخالفي المذهب . نسخة مكتبة الاوقاف العامة . ببغداد المرقمة (١-٣٧٧٠ مجاميع) ونسخة اخرى برقم (١-٢٣١٦٥ مجاميع)

٤ – الطب الروحاني : نسخة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد المرقمة (٨-٢٩٠٠ مجاميع) (تسلسل ٦٥٤٤) .

٥ – لفتة الكبد في نصيحة الولد : نسخة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد المرقمة (٥ - ٢٣١٦٧ مجاميع) تسلسل (٤٠٨٤) .

ابن الدبيثي : ابو عبدالله محمد بن سعيد الواسطي (ت ٦٣٧ هـ) .

٦ – التاريخ المذيل به على تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني – النسخة المصورة عن نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم (٥٩٢٢) المحفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب بجامعة بغداد المرقمة (١٢٣٨) و (١٢٤١) .

ابن نقطة : أبو بكر محمد بن عبدالغني البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) .

= ابن رجب : ج ٤١٨/١ بلفظ (مجلد) . وبلفظ (مناقب الثورى) في تاريخ الاسلام (ن . بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ – ١٧ق٢/الورقة (١٥٣ أ) . ونقل عن بعضهم العلوجي في ص ١٧٩ رقم (٤٣٥) من كتابه .

(١) لفظة (مجلد) في الاصل مخرومة وقد تكرر الكتاب أعلاه ص ٢٠٥ .

(٢) في مرآة الزمان : ج ٨ ق٤٨٦/٢ باضافة (مجلد) وفي تاريخ الاسلام (ن. بشار) ق (٢٢٨ أ) ومختصره (الدراسات) ق (٦٦ أ) بلفظ (كتاب مناقب بشر) وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ق٢/ الورقة (١٥٣ أ) بلفظ (مناقب بشر) وفي ذيل ابن رجب : ج ٤١٨/١ باضافة (سبعة اجزاء) وفي تاريخ ابن الفرات : م٤ ج٢١٥/٢ بلفظ (. . . بشار . . .) تصحيف . وانظر ايضا العلوجي : ص ١٧٧ رقم (٤٢٨) و ص ١٢٨ رقم (٢٣٥) .

٧ ـ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، النسخة المصورة عن نسخة مكتبة الازهر رقم (١٣٧) مصطلح الحديث ، محفوظة لدى الدكتور بشار عواد .
الدمياطي : احمد بن عبدالله (ت ٧٩٥ هـ) .
٨ ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : نسخة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، رقم (٢٥ م خ) .
الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)
٩ ـ تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الاعلام : نسخة الدكتور بشار عواد المصورة عن المكتبة الوطنية بباريس رقم (١٥٨٢) عربي .
١٠ ـ مختصر تاريخ الاسلام وطبقات الاعلام ـ نسخة مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب . اربعة مجلدات برقم (١٦٥٩ ـ ١٦٦٢) .
الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ) .
١١ ـ الوافي بالوفيات : النسخة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، رقم (٩٢٠ ص ف و)
١٢ ـ المحمود : عبداللطيف ، مكتبة عبداللطيف المحمود بالبحرين الخاصة .

ثانياً : المطبوعات :

١٣ ـ الألباني : محمد ناصر الدين .
فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة الترقي ، دمشق (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠) .
١٤ ـ ابن الاثير : عزالدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ (١٢) مجلداً ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٥ ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ .
ابن الجوزي : جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) .
١٥ ـ صيد الخاطر : تحقيق ناجي الطنطاوي وعلي الطنطاوي (٣) أجزاء ، ط ، دار الفكر ، دمشق ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .
١٦ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم (١٠) مجلدات المطبوع منها مجلد (٥ ـ ١٠) ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩ هـ .

ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) .
١٧ — وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد (٦) أجزاء ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
وطبعة اخرى تحقيق الدكتور احسان عباس (٨) مجلدات مع الفهارس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ — ١٩٧٢ .
ابن الدبيثي : ابو عبدالله محمد بن سعيد الواسطي (ت ٦٣٧ هـ) .
١٨ — المختصر المحتاج اليه ، انتقاء محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق المرحوم د . مصطفى جواد ، جزءان ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .
ابن رجب : زين الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن احمد الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) .
١٩ — الذيل على طبقات الحنابلة ، تصحيح محمد حامد فقي ، (٢) جزء في مجلد واحد ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م
ابن العماد : أبو الفلاح عبدالحي بن احمد الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ)
٢٠ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (٨) أجزاء في (٤) مجلدات ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧ هـ) .
٢١ — تاريخ ابن الفرات : المطبوع منه م٤ (ق ١ — ٢) تحقيق حسن محمد الشماع دار الطباعة الحديثة — البصرة ، العراق ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ .
ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) .
٢٢ — البداية والنهاية ، (١٤) جزء ، ط ١ ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨—١٣٥١هـ
أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ)
٢٣ — ذيل الروضتين في أخبار الدولتين ، باعتناء محمد زاهد الكوثري ، ط١ ، القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
٢٤ — جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات المصورة ، الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة حتى اواخر شهر تشرين الاول ١٩٤٨ ، (طبع على الاستنسل) .
الجبوري ، عبدالله
٢٥ — فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد (٤) اجزاء ، (ج١ — ٢ — ٤) مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٣ ، ج ٣ مطبعة العاني ١٩٧٤ .

الجزري : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد العمري (ت ٨٣٣ هـ) .
٢٦ ــ غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره : ج . براجسترا سر (٣) أجزاء في مجلدين ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
الدروبي : ابراهيم .
٢٧ ــ مكتبة الدروبي الخاصة .
دوابراجا : قاسم .
٢٨ ــ فهرس المخطوطات العربيــة والتركية والفارسية في مكتبة الغــازي خسروبك بسرايفو . سرايفو ١٩٦٣ .
سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ)
٢٩ ــ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، المطبوع م٨ ج ٨ (ق ١ ــ ٢) ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ١٣٧٠ ــ ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ م .
السيد ، فؤاد
٣٠ ــ فهرس المخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ــ ١٩٥٥ ، القاهرة ١٩٦٢
السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمــد الخضيري
٣١ ــ (ت ٩١١ هـ) طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ١٩٧٣ .
الشندي ، محمد البشير .
٣٢ ــ فهرس مخطوطات مكتبة فاروق الاول بالاسكندرية (المكتبة البلدية سابقاً) . القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
العلوجي : عبدالحميد
٣٣ ــ مؤلفات ابن الجوزي ، وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد ١٩٦٥ .
الكتاني : عبدالكبير بن محمد الادريسي (١٨٥٢ ــ ١٩١٥ م) .
٣٤ ــ فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، جزءان المطبعة الجديدة ، القاهرة ١٣٤٦ ــ ١٣٤٧ هـ .
المنذري : زكي الدين ابو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوى (ت ٦٥٦ هـ)
٣٥ ــ التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق د . بشار عواد ، م ١ ــ ٤ ، مطبعة الاداب ، النجف ١٩٦٨ ــ ١٩٧١ ، م٥ ، القاهرة ١٩٧٥ .

النعال : صائن الدين محمد بن الانجب البغدادي (ت ٦٥٩ ﻫ)
٣٦ – المشيخة : تخريج الحافظ رشيد الدين ابن المنذري (ت ٦٤٣ ﻫ)، تحقيق المرحوم د . ناجي معروف و د . بشار عواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٧٥ م
اليافعي : عبدالله بن سعد اليمني المكي (ت ٧٦٨ ﻫ) .
٣٧ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٤) أجزاء ط٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٠ ﻫ – ١٩٧٠ م .
ثالثاً : المقالات :
١ – المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي ، محمد باقر علوان – مجلة المورد ، المجلد الاول ع ١ – ٢ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨١ – ١٩٠ .
٢ – مؤلفات ابن الجوزي – نقد هلال ناجي – مجلة المكتبة ، العدد ٦٢ ، السنة الثامنة ١٩٦٨ ص ٢٤ – ٢٦ .
٣ – ذخائر التراث العربي في مكتبة جستربيتي – دبلن ، كوركيس عواد ، مجلة المورد ، م٢ ، ع٢ ١٩٧٣ و م٧ ، ع١ ، ١٩٧٨ .

ملاحظة :

اقتصرت في حاشية الفهرست على استعمال المختصرات للمصادر التالية للايجاز :

ق : ورقة من كتاب مخطوط .

ن : نسخة .

الدراسات : مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب بجامعة بغداد

الاوقاف : مكتبة الاوقاف العامة ببغداد

مختصره : أي مختصر تاريخ الاسلام وطبقات الاعلام للذهبي .

بشار : الدكتور بشار عواد معروف .

خصائص الخط العربي

الخطاط وليد الأعظمي

تمهيد

يتضمن بحثنا هذا الكشف عن اصول التشكيل والتنقيط . وفنون التركيب والتوليد في فن الخط العربي وخصائصه ، كما يبين ابعاد ومقاسات الحروف واتجاهاتها واوضاعها ، مع ذكر الخطوط ومزاياها ، وكذلك يوضح اوهام الخطاطين مع الاشارة الى تطوير الخط العربي .

وقد زينت البحث بنماذج توضّح الكلام ، وتجلّيه لذوي الاذواق والافهام ، وتكشف عن مستغلق التراكيب في هذا الفن الجميل .

التشكيل

ان التشكيل في الخط العربي ينقسم الى قسمين ، ويهدف الى غايتين .

اولاً : للاعراب والتوضيح ، وهذا التشكيل يتكون من الضمّة . والفتحة . والكسرة والسكون . وهمزة الوصل . والشدّة . والتنوين . وهذه صوره واشكاله :

ثانياً : يكون للزينة واملاء الفراغ والتنسيق ، ويتكون هذا التشكيل من بعض الصور والهيئات . وتسمى (الاوراد) واحدتها وردة ومثال ذلك :

وهناك اشكال اخرى تسمى (الاوراق) واحدتها ورقة مثال :

واصطلح ارباب صناعة الخط . على ان يجعلوا تحت الحروف المهملة ، نفس تلك الحروف بحجم صغير ، وذلك للتوضيح وعدم الالتباس ، وحتى لا يظن القارئ أن هذا الحرف معجم وان الخطاط قد نسي نقطته .

وأما الحرف المعجم فلا يكتبون تحته مثله . وذلك يكون خاصة في الحروف المتشابهة في صورتها وهيئتها عنـــدما تكون في وسط الكلمة كالجيم والحاء والخاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين ومثال ذلك – لاحظ الحروف المهملة : –

المغضوب المغصوب المعصوب

وكل هذه الحروف الصغيرة ، تكتب عادة تحت الحروف الكبيرة بأصل السطر . عدا حرف الهاء الصغير ، فانه يكتب فوقه مثال :

الله عقيدة مكتبة

وهناك بعض الحروف المهملة ، لا تصلح ان يكتب تحتها مثلها ، وتكون قبيحة اذا وضعنا ذلك كحرف الدال واللام والواو .

لذلك كان الحذاق المجوّدون من كبار الخطاطين . يضعون تحت تلك الحروف المهملة نقطة ، ويجعلونها على شكل دائرة ، لتختلف في صورتها وهيئتها عن النقط الاخرى التي هي من اصل الحروف ومثالها :

إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ

إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

هذه هي اصول التشكيل التي اتفق على وضعها أئمة الخط العربي . واكثر الخطاطين المعاصرين لا يدركون ذلك، فنراهم يضعون الحروف الصغيرة تحت الحروف الكبيرة كيفما اتفق لهم عن غير قصد ولا معرفة يضعونها تحت الحروف المهملة والمعجمة على السواء .

كما نجدهم يضعون بعض حركات الاعراب في غير مواضعها ، حتى ان بعضهم يضع على الحرف حركتين يصعب معها النطق بالكلمة .

واستاذنا المرحوم هاشم محمد الخطاط يعرف ذلك جيداً ، وعنه اخذنا هذه الاصول . الا انه كان لا يلتزم بها هو ايضاً . وكنّا نوقّره ونستحي ان نعترض عليه .

التنقيط

تختلف النقط في الخط العربي ، من حيث هيئاتها واوضاعها ، وذلك تبعاً للنوع الذي تنتمي اليه ، وتكتب به .

ففي خط الثلث تكون النقطة مستطيلة الشكل ، ولا تتقابل زواياها مثال :



والنقطة في خط النسخ تكون على شكل (المعين) تقريباً الا انها غير متقابلة الزوايا أيضاً ومثالها :



وفي خط التعليق (الفارسي) تكون النقطة محدبة من الاعلى ومقعرة من الاسفل ، وتكون لها زاويتان فقط من يسارها ومن اسفلها مثال :

وتكون النقطة في خط الرقعة ، بمقدار نصف نقطة الثلث تماماً ، وهي على شكل مستطيل هكذا :



ونقطة الخط الديواني كالرقعة تماماً ، وتكتب احياناً على شكل دائرة ، والنقط تكتب بالاصل متفرقة في الخطوط كافة .

وتكون النقطتان في التاء والقاف والياء المتصلة ، الواحدة بجوار الاخرى هكذا :



واذا كانت الكلمة ذات حروف معجمة ، وخشي الخطاط ان يلتبس وضع النقــط على القارئ ، او تكون النقط بشكل قبيح ، فيستطيع الخطاط عند ذلك ان يجعل الواحدة فوق الاخرى مثال :



اما في خط الرقعة ، فتكون النقطتان متصلتين ، وكذلك النقط الثلاث في حرف الثاء والشين ، ولا يجوز تفريقها . كما هي في الخطوط الاخرى مثال :

تشبث

وفي الخط الديواني اذا كانت النقط فيه على شكل دوائر ، كما ذكرنا ، فانها تكون متفرقة هكذا :



واذا كانت النقط في الخط الديواني كالرقعة ، فانها تجمع عندئذ .

وقليل من الخطاطين المعاصرين يدركون ذلك ، فنراهم يجعلون النقطة على شكل واحد في سائر الخطوط . واستاذنا المرحوم هاشم الخطاط ، كان الوحيد الذي يعطي النقطة حقها ويوفيها شكلها ووضعها . حتى انك لتميز الخط الذي يريده من شكل النقطة التي تراها في السطر .

اتجاه الحروف

يعتبر الخطاطون حرف الألف . هو المقياس المعول عليه . والعلامة الفارقة المميزة لكل نوع من انواع الخطوط ، وذلك لانه يختلف في كل نوع عن غيره ، وقد تكون بقية الحروف متقاربة بعض الشيئ في وضعها وهيئتها مثل حرف الهاء في خطي الرقعـــة والديواني فانها تكون متقاربة جداً في شكلها مثال :

هذا - هذا

وكذلك حرف العين الوسطى ، تتقارب في الشكل عند خطوط النسخ والديواني والتعليق (الفارسي) ومثالها :

العراق العراق العراق

وكذلك حرفا الفاء والقاف الاولى والوسطى . فانهما يشتركان في خطي الرقعة والديواني مثـــال :

فقير فقير قفل قفل

وكذلك حروف الباء والتاء والثاء والنون والياء، اذا اتصلت بحرف الميم ، فكلها تشترك وتتماثل في خطي الرقعة والديواني مثال :



اما حرف الألف فانه يتميز به كل خط عن سواه من الانواع الاخرى ، ويميل حرف الالف عند نزوله من اليسار الى اليمين ، في الخطوط كافة ، عدا خط التعليق (الفارسي) فانه على العكس منها جميعاً حيث يميل من اليمين الى اليسار مثال :

ثلث اجازة نسخ رقعة ديواني جلي الديواني تعليق

وكذلك اللام المتصلة تميل عند صعودها بعكس نزول الالف ، ومعنى ذلك انها متفقة ومشابهة لحرف الالف في الخطوط كلها ، الا في التعليق (الفارسي) ومثالها :

وكذلك نزول حرف الميم يكون كحرف الالف متجهاً من اليسار الى اليمين في الخطوط كافة عدا خط التعليق (الفارسي) ومثالها :

والصعود الى حرف الدال يتجه من اليمين الى اليسار عدا خط التعليق (الفارسي) مثال

القياس والأبعاد

يعتبر حرف الالف كما ذكرنا مقياساً للنوع وللبعد في الخط العربي ، ويقاس ارتفاع الالف وبقية الحروف المنبسطة والمنكبّة والمعقوفة ، بنقط معدودات ، اصطلح عليها الخطاطون الكبار وتواضعوا على الالتزام بها، واعتبروها الموازين الثابتة المقررة . والقواعد المحررة . التي لا ينبغي للخطاط ان يتجاوز حدها .

وهي لم تأت اعتباطاً ولا طفرة ولا رغبة وقتية ، ولا مدعاة للشهرة والصيت والمخالفة ، وانما جاءت نتيجة لتجارب طويلة ، ومراحل عديدة انتقل فيها الخط العربي في اطوار التطور حتى استقرت على هذا القسط من الجمال والتنسيق في الوضع والاحكام .

ويكون إرتفاع حرف الألف في خط الثلث سبـــع نقط من نفس القلم الـــذي يكتب

به الخطاط . ويكون البعد بينه وبين الحرف الذي يليه من نقطة الى نقطتين ، وكذلك بين كل حرف وحرف ما لم يكن هناك مد . مثال :

البلد وليد علوان

انظر البعد بين كل حرف والذي يليه .

ويضطر الخطاط الى المد احياناً ، وذلك عند بعض الحروف مثل اسنان السين والشين وإتصالها بالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وخشية من الالتباس والتماساً للجمال والتنسيق يعمد الخطاط الى المد مثال :



وكذلك يخشى الخطـاط من بعض الكلمات التي تحتوي حروف البـاء والتاء والثاء والسين والشين والنون والياء بالتعاقب ، فيضطر الخطاط عندها الى تمييز بعض نبرات الحروف وذلك بارتفاعها عن اخواتها ، حتى لا تتشابه مثال :

بتشبثنا

فلو لم يرتفع الخطاط بحرف التاء ويمد حرف الشين ثم يرتفع بعد ذلك بحرف الثاء لكانت اسنان الحروف متشابهة كلها ، مما يجعلها مرتبكة وغير جميلة مثال :

بتشبثنا

انظر الفرق بين الوضعين جمالاً وتنسيقاً ووضوحاً عند جمع الحروف اولاً ثم ارتفاعها ومـدها .

ويكون حرف الالف بالثلث سبع نقط في السطر الاعتيادي ، والكلمة المفردة ، اما في التركيب حين تكون الكتابة على شكل بيضوي او دائري او مربع او مثلث او غير ذلك فيكون هناك متسع للتصرف عند الخطاط ، ويزيد في طول الالف او ينقص حسب موضعه في اللوحة . ولكنه لا يزيد على تسع نقط ، ولا يقل عن خمس . ومعنى ذلك ان زيادة طول الاول تمتد الى نقطتين . . وقصره يقل نقطتين .

وارتفاع حرف الالف في خط النسخ يكون خمس نقط ، وفي الرقعة ثلاث نقط ، وفي التعليق (الفارسي) ثلاث نقط ايضاً . وخط الاجازة كالثلث سبع نقط كل ذلك بنفس القلم الذي يكتب به الخطاط حرف الالف ، اما الخط الديواني وجلي الديواني فيتراوح حرف الالف من ثلاث الى سبع نقط . مثال :

ثلث اجازة نسخ رقعة تعليق ديواني ديواني

انواع الخطوط واسماؤها

ينقسم الخط العربي الى قسمين :

القسم الاول : ذو الحروف اليابسة المستقيمة ، وهو الخط الكوفي بانواعه العـــديدة ومشتقاته الكثيرة ، والخط الكوفي لا يُحاسب به الخطاط ، لانه واسع المجال ، يستطيع الخطاط من خلاله ان يتصرف كثيراً ، ويتفنن في الابداع واظهار مواهبه الفنية ، والخط الكوفي يكتب عادة بالمسطرة ، وهو الى الرسم اقرب ، حيث يتخذ اشكالاً هندسية بديعة كالمربعات والمخمسات والنجوم والزوايا والعقود والضفائر وغيرها من تشكيلات الرّيازة .

ولا يتمرن الخطاط بالخط الكوفي عند بدء الكتابة ، وانما تترك له حرية الابداع فـــي كتابتـــه .

القسم الثاني : ذو الحروف اللينة المطاوعة لحركة القلم اثناء الكتابة وهي المسطحـــة والمنكبة والمقوّرة والمعقوفة ، ولا تكون فيه حروف مستقيمة ابداً ، ولا يستطيع الخطاط ان يكتب حرفاً او جزءاً من حرف بالمسطرة ، وانما يكتب بالقلم مباشرة .

ومن القسم الثاني خطوط الثلث المرسل والمحقق والمركب وخط الاجازة والنسخ والرقعة والديواني وجلي الديواني والتعليق (الفارسي) .

وبحثنا هذا في خصائص القسم الثاني حسب ، وذلك لأن الخط الكوفي الحاد اليابس هو الى الرسم اقرب كما ذكرنا .

الثلث

يعتبر خط الثلث رأس الخطوط العربية . واجملها واصعبها ، وبه يقاس وزن الخطاط وتعرف منزلته ودرجته من خلاله ، ويحاسب الخطاط بخط الثلث . فاذا تمكن الخطاط من الاجادة والضبط بالثلث ، فانه يتمكن من سائر الخطوط الاخرى .

والثلث في الخط العربي كالبحر الطويل في الشعر العربي ، يحتاج الى ثروة لغوية ومادة وافرة من التعابير ، يعاني النظم فيه كبار الشعراء ويكادون يخصصونه الى الاحداث الجليلـــة .

وهو كالابراهيمي في المقامات العراقيـــة ، كثير القطع والانغام والانتقال والتصرف يتحاشاه كثير من قراء المقام ، ولا يؤديه الا المتمكنون في الصناعة ، واهل الدراية والاحاطة في هذا الفن .

وقد تطور خط الثلث على ايدي الخطاطين الاتراك حتى بلغوا به الكمال او كادوا .

ومن العظماء الذين تفننوا في الابداع بخط الثلث الخطاط عبدالله الزهدي كاتب السطور الرائعة في المسجد النبوي الشريف ، وشفيق بك كاتب سطور المسجد الاقصى (قبة الصخرة) في القدس الشريف ، وراقم واحمد الكامل وحقي وسامي ونظيف وعمر الوصفي وشوقي وخلوصي وعثمان ياور وعزيز الرفاعي وماجد الزهدي وحامد الآمـــدي وحليم ، وهؤلاء كلهم من الاتراك .

وفي مصر الخطاط حسني ومكاوي وعبدالرحمن والشيخ علي بدوي وسيد ابراهيم ومحمد ابراهيم البرنس . كاتب سطور المسجد الحرام في مكة المكرمة .

وفي الشام الحاج محمدبدوي الديراني وفي لبنان الشيخ نسيب مكارم ، وفي العراق المرحوم سفيان الوهبي البغدادي ومحمود الثنائي وإسماعيل الأنوري وعبدالجبـــار زاده ومحمد صبري الهلالي ، وهاشم محمد البغدادي . مفخرة العراق ومعجزة الخط الذي فاق من سبقه من الخطاطين خلال العصور .

وعلى يد المرحوم هاشم محمد عادت رئاسة هذا الفن البديع . الى العرب ، بعد ان تولاها الاتراك زهاء اربعـة قرون . حيث لم يصل خطاط عربي الى مستوى كبار الخطاطين الاتراك فضلاً عن ان يبزهم كما صنع المرحوم هاشم .

وليس في المغرب العربي كله خطاط مبرز في الثلث سوى الخطاط الخماسي فـي تونس وهو لا يرقى الى هؤلاء العظماء .

وخط الثلث تكتب به اللوحات الفخيمة كواجهات المساجـد والقباب والمحاريب . ومن السطور الرائعة في الثلث عندنا ببغداد واجهة جامع الامام الاعظم . وهي سورة الفتح كتبها الخطاط عبدالجبار زاده البغدادي سنة ١٣٢١ هـ، وكذلك قبة الشيخ معروف الكرخي كتبها الخطاط عثمان ياور. وسطور جامع فتاح باشا بالكاظمية كتبها محمد صبري الهلالي وسطور جامع البنية والسطر الجديد في واجهة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني كتبها الاستاذ هاشم .

ومن ابرع اللوحات بالثلث . اللوحة المعلقة فوق محراب جامع الامام الاعظم وهي (راس الحكمة مخافة الله) كتبها عثمان ياور سنة ١٣١١ هـ . ومنها نسخة في جامع الشيخ معروف الكرخي .

وتكتب بالثلث ايضاً عناوين الكتب والصحف واللوحات الفنية التي تزين بها المجالس ولا ادري من أين جاءت تسميته بالثلث ، وتعريفات كتب المتقدمين لا تبين ذلك ، والذي يبدو لي انه سمي بالثلث ، لانحراف القلم عند الكتابة بمقدار ثلث عرضه اصلاً وعسى ان يكون هذا الرأي مقبولاً لانه تعليل قريب من الواقع الذي عليه انحراف القلم ومقدار ه الثلث مثال :

وعند الخطاطين الثلث وخفيف الثلث وثقيل الثاث.
و يسمى الاخير الجلي او الجليل اي الواضح ، وهو عكس الدقيق.
قلت : ولا عبرة بعرض القلم ودقته ، ذلك لأن القياس واحد . عند كل كتابة ، حيث تقاس الحروف بنفس القلم الـذي يكتب به الخطاط .

وخفيف الثلث انما سمي بهذا الاسم لكونه دقيقاً ، لا ترويس لحروفه ، وذلك لصغرها كرأس الالف ورأس الدال والراء واللام والنون والهاء . لانها صغيرة ، فلا تتضح

مثل الحروف الكبيرة ، ولأن الخطاط لا يعود على الحرف بعد كتابته ليسوي رأسه وحاشيته كما يفعل بالجليل . انظر رؤوس الحروف عند الكتابة . ثم تسويتها بعد الكتابة .



ولعل الثلث هو النوع المشهور بالكتابة العريضة الواسعة في واجهات المساجد ، وهو النوع الوحيد الذي يحمل اسم الجليل اي الواضح العريض . وفي المثل البغدادي : (احكي بالقلم العريض) والى ذلك اشار المرحوم معروف الرصافي الشاعر بقوله :

ولولا إبائي إذ أخاطب ملحنا

كتبت هجاء الدهر بالقلم الثلثي

هذا اذا لم تكن القافية قد اضطرته الى القلم الثلثي . وربما لو كانت القافيـــة حرف الخاء لكتب الرصافي بالقلم النسخي ولو كانت فاءً لكتب بالقلم الكوفي .

وخط الثلث بديع جداً في الكلمة المفردة وفي السطور الاعتيادية وفي التراكيب ، ومن الثلث (المحقق) . وهو الذي تأخذ حروفه اوضاعها كاملة باشباع كالراء والواو مثال :

ورث ورث

ثلث محقق ثلث غير محقق

والثلث المحقق تبقى ميمه مفتوحة ولا تعوّر مثال :

ولا يحق للخطاط ان يجعل كؤوساً لحروف الجيم والحـاء والخاء والعين والغين المحقق ، بل تبقى مرسلة دون ان تعقف مثال :

ولا يجوز في المحقق ان تكتب (لام الف) مشدودة مثال :

كمـا ان حرف (لام الف) بصورة مشدودة لايجوز الابتداء بها في الثلث عامـة وانما يُبتدأ بالثانية (لا) وتكتب المشدودة في الوسط مثال :

واجمل شاهد لخط الثلث المحقق هو السطر الجديد في واجهة جامع الحيدرخانة على شارع الرشيد فانه من اروع خطوط المرحوم هاشم وابدع كتابته .

ومما يؤسف له انه نسي (الف الجماعة) في (وآتوا الزكاة) وقد وقّع في آخر السطر هكذا : كتبه هاشم بخط المحقّق سنة ١٣٩١ هجرية .

ولو انه كتب (بالخط المحقق) او بالثلث المحقق ، لكان اوضح ، وابعد عن الالتباس خشية ان يقرأ بخط المحقِق ّ بكسر القاف الاولى .

وخط الثلث هو النوع الوحيد الذي تفتح عينه المتصلة . ولا تغمض ابداً وتكون العين المتصلة مغمضة في سائر الخطوط الاخرى مثال :

المجمع العلمي العراقي ببغداد

والثلث خط جميل بديع في الكتابة بحجم متوسط ، واذا كبرت حروفه كانت اكثر جمالاً وابدع تنسيقاً .

النسخ

النسخ خط جميل ، ويزداد جمالاً كلما كانت حروفه صغيرة ودقيقة . ويكون غير جميل في الكتابات الكبيرة .

وتكتب به عادة المصاحف الشريفة والربعات والادعية والاوراد . وتكون حروف المطابع بحرف النسخ في الاغلب الاعم .

وقد اتخذ هذا الاسم من كونه يستعمل في نسخ الكتب ، لأنه يكتب بسرعة عادة . وان كانت الكتابة بخط الرقعة اسرع منه .

وخطنا في الكتابة الاعتيادية في امورنا الحياتية الى الرقعة اقرب منها الى النسخ . وان اية عناية يبديها الكاتب اثناء الكتابة ، تنقله من الرقعة الى النسخ او يقترب منه ، وهو لا يشعر .

ومن خصائص خط النسخ ، انه يصلح لكتابة السطور ، وتكون سطوره مستوية ويحتمل التشكيل ايضاً للتوضيح وللزينة ، ولكنه اقل من الثلث عادة . وتكون النقط في خط النسخ متفرقة ولا يجوز جمعها ، ولا تفتح عينه المتصلة ، ولا تكون سينه او شينه ممدودة دون اسنان .

ولا يصلح النسخ للتركيب .

ومن العظماء الذين تفننوا بخط النسخ امام الخطاطين المرحوم الحافظ عثمان التركي المتوفى سنة ١١١٠ هـ . وهو يعد طبقة وحده ، ثم المرحوم محمد امين الرشدي كاتب المصحف الذي طبعته رئاسة ديوان الاوقاف العراقية في المانيا . ومنهم نظيف قدره غلي كاتب مصحف الاستانة المطبوع ، والحاج احمد الكامل وابراهيم قهوجي باشي كاتب

المصحف المهدي لحضرة الامام الاعظم من قبل الوزير العثماني انور باشا، والمرحوم هاشم محمد البغدادي ، مثال لخط النسخ :

الحمد لله رب العالمين

الاجازة

خط الاجازة يكون مجموعاً من خطي الثلث والنسخ ، وهو خط جميل ، وقد قيل إنه أقدم من خطي الثلث والنسخ ، وإنهما تفرعا منه ولا أرى ذلك صحيحاً لأن اسمه يدل على التجوز للخطاط في الجمع بين النوعين .

وليس هناك قاعدة لضبط الاجازة في اوضاع حروفه من حيث تسلسلها في النوعين فالخطاط حر في خط الاجازة ، ان يكتب حرفاً من الثلث والذي يليه من النسخ ، أو أن يكتب حرفين او ثلاثة حروف بالثلث ثم يعقبها بحرف او اكثر من النسخ، وبالعكس ولذلك ، لو اخذنا كلمة واحدة وطلبنا كتابتها من ثلاثة خطاطين ، لوجدنا كل خطاط قد استقل بوضع حروفه وتسلسلها من النوعين (الثلث والنسخ) (حسب ما يتراءى له من الجمال في اوضاع الحروف وحسن تنسيقها مثال :

الأعظمية الأعظمية الأعظمية

وبالعكس من ذلك ، لو اخذنا كلمة واحدة وطلبنا من الخطاطين الثلاثة انفسهم كتابتها بالثلث او النسخ ، لتشابهت خطوطهم وتقاربت من حيث اوضاع الحروف وابعادها.

ويبدو لي ان خط الاجازة متأخر عن الثلث والنسخ ، وأنه مولد ومتفرع منهما ، وهو خط التمرين عند الخطاطين ، وغالباً ما نجد الخطاط اذا مسك القلم وابتدأ بالمشق ، قبل كتابة اللوحة الفنية التي يروم كتابتها ، فانه يبدأ بالثلث ثم ينتقل فجأة الى الاجازة .

وكذلك بعد قط القلم نرى الخطاط يكتب بالاجازة قبل غيره من الانواع ، ليجرب طواعية القلم ، وامتداد الحبر وجودة الورق ، وليهيىء اعصابه للكتابة .

ويكون خط الاجازة كالتمرين قبل لعبة كرة القدم ، وذلك ان اللاعبين قبل السباق يتمرنون على هدف واحد ، ويستعرضون قواهم ويهيئون انفسهم للسباق ، ويبدون اروع الحركات واعنف الضربات ، ولكنهم في الوقت نفسه غير محددين بنظام ، ولا مقيدين بخطوط الساحة ، ولمس الكرة باليد وغيرها من المخالفات .

وخط الاجازة يكتب به عادة عناوين السور القرآنية الكريمة ، وعدد آياتها ، وقيل إن الاجازات العلمية كانت تكتب به فسمي خط الاجازة ، وهذا الرأي صحيح ومقبول ، ولكن الرأي الاول انه سمي بالاجازة لتجوز الخطاط فيه بالجمع بين النوعين اقرب .

وخط الاجازة بين الخطوط العربية ، كمعلقة عبيد بن الابرص بين المعلقات .

اقفر من اهله ملحـــوب   فالقطبيات فالذنــــــوب

فلا هي قصيدة ولا هي خطبة ، وفيها البيت والبيتان والثلاثة موزونة ثم يعقبها بيت او اكثر مختل الوزن معلول .

التعليق

هو خط جميل منسق ، ويسمى (الفارسي) ايضاً ، ويبدو انه اتخذ هذا الاسم (التعليق) لأنه كان يستعمل في كتابة التعليقات في الحواشي والهوامش ، ليخالف فيه اصل خط الكتاب .

ويسميه العجم (نستعليق) وأصله (نسخ التعليق) ويلفظ نستعليق للسهولـــة . وهو خط جميل في الكتابة الدقيقة والوسطى والكبيرة ، وفي الكلمة المفردة والسطر ، ومن خصائصه انه يتحمل المد كثيراً ويزيده المد جمالاً وحسناً وتوزيعاً ولا تكون سطوره مستوية ، ففيه حروف صغيرة مجموعة ثم يعقبها حرف ممدود مثـــال :

والضحى والليل اذا سجى

وربما يرجع بعض حروفه فيغطي حرفين او اكثر ، ولا يجوز هذا في غير التعليق (الفارسي) مثال :

في جنات الفردوس ن والقلم

وخط التعليق (الفارسي) مثل مقام الدشت او الاوشار ، من حيث الجواب والقرار . فالجواب في الاصوات هو العالي المرتفع . والقرار المنخفض كاسمه ، وكما يغني الفارسي فيسرد اربع او خمس كلمات متتابعة بسرعة ، ثم يصيح بحرف واحد عالياً وطويلاً ، فكذلك خط التعليق (الفارسي) تجتمع حروف الكلمة في مكان ضيّق ، ثم يمتد بعدها احد الحروف طويلاً مثـــال :

طهماسب طران طهـــران

وتارة تكون حروفه عالية جداً ، ثم يعقبها انحدار ونزول مفاجىء ، مما يجعل سطوره غير مستوية استواء الثلث والنسخ مثال :

ان اكرمكم عند الله اتقاكم

ولذلك يعمـــد الخطاط ان يحيط الكتابة بما يشبه الغمـــام من الزخارف ، ويصعب احاطة الكتابة الفارسية بمستطيل من الخطوط او الزخارف الاخرى ، كما هي في الثلث . والتعليق هو النوع الوحيد الذي تكتب فيه نقطة الظاء عن يمين الفها وعن يساره وفوقه ايضاً ، وذلك عند التأكد من عدم الالتباس بغيرها مثال :

خير حافظاً حافظاً حافظاً

ولكأس حرف النون في خط التعليق (الفارسي) شأن كبير ، حيث يشترك فيه ثلاثة عشر حرفاً ، وهي : النون ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، واللام ، والياء ، والقاف ، والجيم والحاء ، والخاء ، والعين ، والغين . مثال :

شواهد

ن س ش ص ض ق ل ي
ج ح خ ع غ

ومن الخطاطين العظماء في خط التعليق (الفارسي) ، مير عماد الحسني ، واسعد اليساري ومن المعاصرين الشيخ حسن المعروف بزرين خط (الخط الذهبي) . ويواهقه المرحوم هاشم محمدالبغدادي والحاج محمد بدوي الديراني في الشام. والخطاط حسني بمصر.

الرقعة

خط الرقعة رائع وجميل ، اخترعه الخطاطون الاتراك واول من اجاد فيه ومیز خصائصه الخطاط التركي ممتــاز بك .

وهو لا يصلح للتركيب ولا للتوليد ، وكتابتنا الاعتيادية في امورنا الحياتية العامة اقرب الى خط الرقعة من سائر الخطوط .

ومن خصائص خط الرقعة ، انه تغمض منه العين المتصلة ، والواو ابتداء واتصالاً كما تغمض منه الفاء ابتداء وتنفتح اتصالاً مثال :

جمعة يوسف الفرقة

وتغمض القاف ابتداءً وتنفتح وسطاً وتغمض انتهاء مثال :

العقيق رقيق

وخط الرقعة تجمع فيه النقط ، ولا يجوز تفريقها ، كما انه النوع الوحيد الذي يجوز فيه ان تتصل نقط الشين والضاد والقاف والنون والياء في آخر الحرف مثال :

جيش حيش ارضه عريضه

منه من ربي

ويكتب حرف الجيم والحاء والخاء في خط الرقعة على وضعين

الاول : اذا كان الحرف الذي يلي حرف الجيم صاعداً فيكتب بهذه الصورة :

أجر جهم حمزة خميس

الثاني : اذا كان الحرف الذي يليه نازلاً فيكتب هكذا :

جاء جئت حيث حين خير

ويستعمل خط الرقعة في الكتابات الكبيرة والاعلانات التجارية ، والمكاتب ، والدوائر الرسمية ، لسهولة قراءته . وكذلك في عناوين الصحف والمجلات وبعض الكتب ، وهو لا يحتمل التشكيل .

وقد اخذ خط الرقعة هذا الاسم من (الرقعة) وهي قطعة الورق الصغيرة في المكاتبات.

واشهر من يكتب خط الرقعة هو المرحوم الخطاط محمد صبري الهلالي البغدادي ، وحسني الخطاط بمصر والخطاطون الاتراك .

وخط الرقعة متأخر زمنياً عن الثلث والنسخ ، وهو غير (خط الرقاع) المذكور قديماً.

وفي خط الرقعة يكون حرف (لام الف) بمقدار نصف حرف الالف مثال :

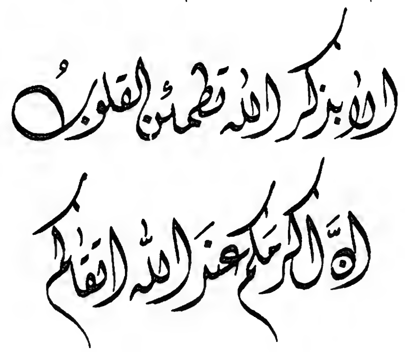
الأول الآخر الإحسان

الديواني

ان الخط الديواني اخترعه الخطاطون الاتراك ، وولّدوه من خط الرقعة ، وهويشترك مع خط الرقعة في كثير من اوضاع الحروف وهيئاتها .

وقد خصصوه لكتابة الاوامر والمراسيم التي كانت تصدر عن ديوان السلطنة ، فسمي (الخط الديواني) كما يسمى (الخط الهمايوني) و (الخط السلطاني) ايضاً . وتكتب به عادة اللوحات الفنية ذات الاهمية الكبيرة كالمراسيم الجمهورية ، والشهادات العلمية ، والسندات ، كما تكتب به المعايدات والبطاقات الشخصية .

والخط الديواني تكون سطوره مستوية من الاسفل في الاغلب ، وقد ينزل منها بعض الحروف كالجيم والحاء والخاء والعين والغين والميم ، ولا تستوي سطوره من الاعلى مثال :



والديواني كخط الرقعة ، لا يحتمل التشكيل . وتكون نقطه مجتمعة ومتفرقة ، وتكتب احياناً على شكل دائرة .

واشهر من يكتب الخط الديواني ، هو المرحوم الخطاط مصطفى غزلان بك المصري ، وقد ادخل عليه بعض التطوير وجعل حروفه متداخلة متصلة وسمي باسمه (الخط الغزلاني) وهو من الديواني .

وكذلك من البارعين فيه محمد صبري الهلالي وهاشم محمد البغدادي .

والخط الديواني جميل ، في الكلمة المفردة ، وفي السطر ، ويكون جميلاً في الكتابة الدقيقة والكبيرة على السواء .

جلي الديواني

وهذا النوع يسميه الاتراك (جلي ديوان) واصله (الديواني الجلي) ، وقد اخترعه الخطاطون الاتراك ايضاً ، وولدوه من خطي الديواني والاجازة .

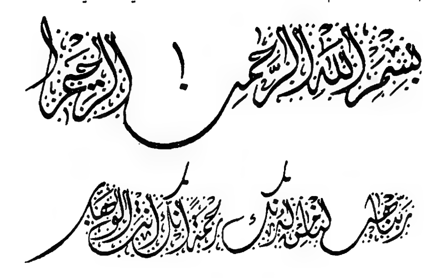
وكأن اسم هذا الخط من الاضداد ، حيث كان ينبغي ان يسمى (دقيق الديواني) او (مطموس الديواني) او (خفي الديواني) .

ومن خصائص هذا الخط انه يحتمل التشكيل كثيراً ، ويضاف الى التشكيل النقط الصغيرة الدقيقة ، مما تزيد الخط جمالا بهجة .

ويتخذ جلي الديواني اشكالاً بديعة وتراكيب لطيفة اثناء الخط ، ويتصرف فيه الخطاطون كثيراً .

ويستعمل في نفس الاغراض التي يستعمل فيها الديواني.

واشهر من يكتبه الخطاط التركي مصطفى عزة ، والشيخ عزيز الرفاعي ، والشيخ نسيب مكارم والاستاذ هاشم محمد البغدادي ، مثال لخط جلي الديواني :

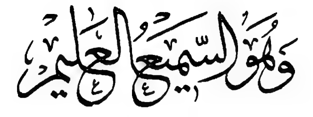


فن التركيب

التركيب فن رائع جميل ، ولا يكون الا في الثلث والاجازة وجلي الديواني ، ومعنى التركيب ان تتداخل الحروف ويشتبك بعضها ببعض ، وتتصل فيما بينها ، بحيث تكون اللوحة كلها قطعة واحدة او قطعتين او ثلاث قطع ، على اكثر تقدير .

واجمل التراكيب وابدعها ما كان قطعة واحدة ، بحيث لو نقلتَ اللوحة على خشب او معدن ، يستطيع الصانع لها أن ينصبها مرة واحـــدة . من دون تعب او حيرة في اوضاع الحروف وابعادها وتقديمها وتأخيرها . مثال :





وغالباً ما تكون كؤوس حروف الجيم والحاء والخاء والعين والغين تامة ، حتى يتمكن الخطاط من ربط الحرف بها ، وخاصة الياء فانها تكون مردودة حتى تربط الحروف المفردة كالالف والدال .

ولا يكون التركيب في الخط المحقق من الثلث ، وذلك لأن المحقق تكون حروفه على اوضاعها في الاصل ، ولا تعقف ولا ترد .

ومن التراكيب الرائعة لوحة المرحوم الشيخ عزيز الرفاعي التركي (تبارك الذي بيده الملك) :



انظر تقسيم الحروف الصاعدة ، من كل جانب اربعة متقابلة بشكل بديع .

ومن التراكيب الفاشلة لوحة للمرحوم عزيز الرفاعي ايضاً (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) :

ان الفشل في هذه اللوحة انها تقرأ (.. ان الله رحيم غفور) والصواب : (... ان الله غفور رحيم) ، والاصل في التركيب ان لا تصعب قراءته ، ولا تكون حروفه مرتبكة في التقديم والتأخير .

والخطاط يضع الكلمة الاخيرة فوق سابقتها . لا تحتها .

ومع هذا الفشل . فان المرحوم الرفاعي هو المقدم في التراكيب ، وهو اكثر الخطاطين انتاجاً ، وابدعهم تركيباً .

ومن الفشل في التركيب لوحة للمرحوم هاشم محمد البغدادي في محراب جامع مظهر الشاوي ببغداد (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً) فقد كتبها المرحوم هاشم هكذا :



وهي تقرأ بهذه الصورة (... وجدها عند رزقاً) .

ومن المبرزين في التركيب المرحوم حقي واحمد الكامل المعروف برئيس الخطاطين ، ونظيف وعمر الوصفي ومصطفى عزة وحليم وسامي وشوقي وعبدالقادر وحامد وماجد وكلهم من الاتراك .

والمرحوم حسني فهمي في مصر .والاستاذ هاشم محمد البغدادي في العراق .

فن التوليد

التوليد فن جميل ، وقابلية خاصة يتمتع بها بعض الموهوبين المتفوقين من الخطاطين.

ومعنى التوليد ، ان يولّد الخطاط حرفا من حرف او جزء منه . أو ان يكون بعض الحـــروف مشتركاً في كلمة واحدة او كلمتين .

ويكون التوليد بصورة فنية مقبولة بحيث لا يشعر القارئ بأن هناك تكلّفاً او ضعفاً ، ويخدع الخطاط نظر القارئ ، كما فعل الاستاذ هاشم محمد البغدادي في الآية الكريمة (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هــــدى) وهي لوحة جمعت بين التركيب والتوليد ، حيث جعل الياء مردودة وربطت الحروف كلها ، ثم جعل حرف الهـــاء من كلمة (وزدناهم) مشتركاً مع كلمة (هدى) بالرغم من وجود (الميم) بين الحرفين . وهو من ابدع ما ولّده الخطاطون :

انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى

ومن التوليد ما يكون جزءٌ من الحرف مشتركاً بين حرفين كرأس الواو والميم وهو كثير شايع مثال :

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين

ومن التوليد الرائع البديع لوحة المرحوم ماجد الزهدي المدرس بمعهد الفنون الجميلة ببغداد سنة ١٣٧٦ هـ في الآية الكريمة (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم) فقد جعل (الف) اكرم جزءاً من حرف (الكاف) مثال :

اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم

وتوليد المرحوم هاشم في باب جامع المرادية قد ابدع فيه ، حيث ولّد حرف (الظاء) من رقبة حرف (العين) وكأسه في كلمة (العظيم) مثال :



ومن التوليد الفاشل لوجة في اعلى محراب جامع المرادية ببغداد كتبت سنة ١٣٢٠ هـ وهي الآية الكريمة (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) .

فقد جعل الخطاط حرف (الياء) الاخير من كلمة (يصلي) مشتركاً مع (الياء) من كلمة (في) ، فلم يوفق الخطاط بذلك حيث اصبحت تقرأ (يصلفي) هكذا :

يصلي في وهو قائم يصلفي المحراب

ومن التوليد جعل حرف الياء جزءاً من حروف الكاف الزنادي مثال :



يكون حرف اللام بمقدار طول حرف الالف ، أو قريباً منه ، في انواع الخطوط كافـــة .

وربما يكون حرف اللام فوق حرفين فيقل بعض الشيء عن الطول الالف . وفي مثل هذه الحالة ، يصعد حرف اللام ابتداءاً عن حرف الالف مثال :

القدرة   الغفار

واذا كان حرف اللام فوق حرفين او حرف واحد ، فانه يصعد عن الالف بمقدار نقطة واحدة مثال :

المختار   الممتاز

اما حرف اللام في لفظ الجلالة ، فانه يكون بمقدار نصف حرف الالف في كل الانواع مثال :

الله	الله	الله	الله	الله	الله
ثلث	اجازة	نسخ	رقعة	تعليق	ديواني

ولو جعلنا حرف اللام في لفظ الجلالة كاملاً بطول حرف الالف ، فلا يكون له من الجمال اي نصيب حينئذ ، انظر الفرق بين اللامين القصيرة والطويلة . في لفظ الجلالة واحكم ايهما اجمل :

الله   الله   الله   الله

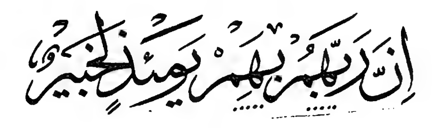
اوهام الخطاطين

ان الحذاق من الخطاطين . يؤنسهم ويزيد في متعتهم ، ان تتكرر بعض الكلمات . اثناء كتابتهم في اللوحة الواحدة .

وذلك ليظهروا مقدرتهم الفنية وقابليتهم في الابداع ، باظهار تلك الكلمات بشكل واحد ومقدار واحد .

وبعض الخطاطين اذا مرت بهم امثال تلك الكلمات ، فانهم يتصرفون في اوضاعها وتنويعها ابتغاء الزينة وابراز جوانب الجمال في اوضاع الحروف .

ومع هذا الابداع في تنويع وضع الحرف ، فقد يعتبره الحذاق منهزماً اكثر منه مبدعاً مثال ذلك في الآية الكريمة (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) .



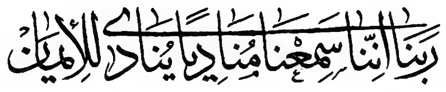
انظر الوضع الثاني لكلمتي (ربهم و بهم) .



ومثال ذلك في الآية الكريمة (فاذكروني اذكركم) وانظر أوضاع حرف الكاف :



ومثاله ايضاً في حرفي النون والالف وتكرارهما في الآية الكريمة (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ..) :



او ان تتكرر كلمة واحدة مرتين متتابعتين في آية واحدة كالآية (واذا بطشتم بطشتم جبارين) :

وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُم جَبَّارِين

او ان تتكرر كلمتان مرتين في الآية الكريمة (.. وقرآن الفجر ان قران الفجر كان مشهودا) :

وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ

ان الخطاط في هذه الآية الكريمة ، يجعل كلمة (ان) كلسان الميزان عن يمينها (قران الفجر) وعن يسارها (قرآن الفجر) .

وكذلك تكرار الحروف مثل حرف الكاف في الآية الكريمة (كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً) .

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا

ان هذا الجناس اللطيف ، يجعل الخطاط مرتبكا ومشغول الذهن ، حيث يريد ان يجانس في الخط كمجانسة اللفظ ، ويجعل حروفه بشكل متناسق مقبول ، يثير البهجة والمتعة . ومما لا شك فيه ان الخطاط الحاذق يشعر بالسرور واللذة بالجناس اللفظي والخطي ، كما ذكرنا ولو انه يلاقي صعوبة في وضع الحروف .

ولكن السعادة التي يشعر بها عند امتلاك ناصية الحرف ، والتصرف بوضعه بشكل مستقر غير قلق ولا مضطرب او متأرجح .

ان تلك السعادة تغطي تعبه وتنسيه ما عانى وكابد . (ودون اجتناء الشهد ما جنت النحـــل) .

قلنا : ان انشغال بال الخطاط بوضع حروفه المكررة ، قد يجعله يشذ ويغلط في

النص ، ومن هذا القبيل كان غلط المرحوم عبدالحميد حمدي في السطر المحيط بقبة حرم جامع الامام الاعظم من الداخل ، حيث كتب الخطاط الآية الكريمة : (... فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) .

ان المرحوم عبدالحميد حمدي قد ابدع في كتابة السطر كثيراً ، وقد مرت به في الآية الكريمة كلمة (وانظر) ثلاث مرات فابدع فيها غاية الابداع وكتبها على نسق واحد يثير العجب . ومرت به كلمة (طعام) وكلمة (عظام) في الآية الكريمة . ولما ابدع بكتابة كلمة (طعامك) انشغل باله وانصرف ذهنه الى كلمة (العظام) فكتبها (ظعام) بتقديم الظاء على العين كل ذلك حتى يجانس بين الكلمتين كما فعل في كلمة (وانظر) . فصحف الكلمة من حيث لا يشعر وصارت هكذا .

فانظر الى طعامك ... وانظر الى الظعام ..

بدلاً من (وانظر الى العظام) واخرجهما بشكل واحد وبذل فيها جهداً فنياً مضنياً ولكنه غلط ، وقد رفع هذا السطر عند تعمير الجامع سنة ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م .
وكذلك غلط المرحوم محمد صبري الهلالي في السطر المحيط بحرم جامع الدهان في الاعظمية ، من الخارج . حيث كتب الآية الكريمة (... ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ..) . لقد كتب صبري كلمة (بعض) مرتين بصورة متناسقة جميلة ، وكتب كلمة (يده) ، فانشغل باله بجناس كلمة (بعض) مرتين وسها فكتب (لم يكد يراه) بدلاً من (لم يكد يراها) كما هي في المصحف الشريف .
وقد جانس صبري بحرف (الهاء) المفرد من (يراه) مع الهاء من (يده) هكذا :

اذا اخرج يده لم يكد يراه .... يراها

وكذلك غلط المرحوم صبري في احدى اللوحات المحيطة بحرم جامع فتاح باشا من داخله في الكاظمية ، حيث كتب الآية الكريمة (وجاهدوا في الله حق جهاده هو

اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) . فأضاف كلمة (سبيل) وهي غير موجودة في المصحف فكتبها هكذا :

والذي يبدو ان المرحوم محمد صبري في هذه الآية قد جاءه الوهم من ناحيتين : الاولى : كثرة ما ورد في القرآن الكريم عن الجهاد مقرونا في سبيل الله وكذلك الانفاق في سبيل الله . فظن المرحوم صبري انها كذلك في هذه الآية الكريمة ايضاً . والثانية : ان الخطاطين قد اصطلحوا وتواضعوا على ان يجعلوا كلمة (الله) لفظ الجلالة في اعلى السطر دائماً ، وان لا يكتبوا فوقه حرفاً او كلمة ، ونتيجة لانشغال بال الخطاط في وضع (لفظ الجلالة) باعلى السطر فقد غلط وكتب تحتها كلمة (سبيل) وهي زائدة.

وقد ذكرت ذلك الى العلامة المرحوم عبدالقادر الخطيب ، حين كان اماماً في الجامع المذكور ، فأمر بنحتها وكانت الحروف بارزة ، فنحتت بالفأس ، وبقي أثرها وفراغها مشوّها للسطر .

وهذه الاوهام قد وقع بها كبار الخطاطين في أروع سطورهم وابدع كتاباتهم ، ومنها ما وقع فيه المرحوم هاشم محمد البغدادي في السطر الكائن باعلى واجهة جامع عادلة خاتون بالصرافية ، فقد كتب الآية الكريمة (... كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده) .

ان الخطاط يسرّه ان ينتهي سطره بحرف الالف حيث ينتهي بصورة بديعة ليس فيه فراغ وهو مريح للخطاط . مثال :



ويزعجه ويؤذيه ان ينتهي سطره بحرف (الهاء) المفرد مثال :

عنده .. بعده

لذلك يبدو ان الخطاط قد ارتبك لشدة تفكيره واهتمامه بنهاية سطره ، وكيف سيضع حرف (الهاء) في النهاية . وهو غير محمود عند الخطاطين .

ولما تكرر حرف الهاء في كلمة (يجده) ولانشغال باله في الهاء من كلمة (عنده) في نهاية السطر ، كل ذلك جعل الخطاط يشذ ويغلط في النص فكتبها هكذا :

لم يجده شيئاً ووجده الله عنده

بزيادة حرف الهاء في كلمة (ووجد) فصارت (ووجده) وما يزال الغلط في السطر المذكور وكذلك غلط المرحوم هاشم في السطر المحقق الكائن في واجهة جامع الحيدرخانة من جهة شارع الرشيد حيث كتب (... فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ..) ونسي الف الجماعة من كلمة (وآتوا) هكذا :

فأقيموا الصلوة وآتو الزكوة

وكذلك غلط المرحوم هاشم ايضاً في السطر الجديد في اعلى واجهة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني من جهة المصلى الصيفي ، كتب فيه الآية الكريمة (... الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم لذكر الله ...) ونسي الف الجماعة من كلمة امنوا هكذا :

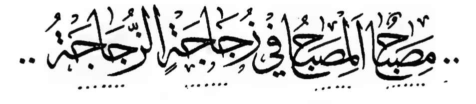
الذين آمنو وتطمئن قلوبهم

وغلط المرحوم هاشم ايضاً في السطر نفسه مرة اخرى وفي الآية نفسها فكتب :

(... والذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) ونسي الف الجماعة كسابقتها هكذا :

الذين امنو وعملو الصالحات

وعظماء الخطاطين البارعين يستأنسون بالآية الكريمة (... كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري) . وذلك لتكرار الكلمات فيها ، فيحاولون الابداع ويبذلون اقصى جهودهم لاظهار مواهبهم في كتابتها بشكل موحد متناسق بديع .



الحروف المنفردة

ان الخطاط يفرح وينتعش عند خطه للكلمات التي تتصل حروفها ، ويبدع في اوضاع حروفه وجمعها ومدها ، وتوليد بعضها من بعض مع حسن تركيبها ، وبالعكس من ذلك فان الخطاط يمتعض ويشعر بالضيق والانقباض عند خطه للكلمات المنفصلة الحروف .

ذلك لانه لا يستطيع أن يمدها ، ولا يحق له أن يباعد بين حرف وآخر فلا يدري كيف يكتبها ، وبخاصة اذا كان العنوان من كلمتين او كلمة واحدة ولدى الخطاط متسع في اللوحة ، وذلك في سائر الخطوط مثال :

أوراق الورد   اوراق الورد

وكذلك يزعجه ان يكون العنوان من كلمتين واحدة متصلة الحروف واخرى متفرقة.

مثـــل :

مُحَـــمَّد داوُدْ محـــمد داود

نجد هنا الخطاط قد مد كلمة (محمد) كثيراً ، بحيث اصبحت ضعف مساحة كلمة (داود) المفردة .

اما في (اوراق الورد) فلا يستطيع الخطاط ان يمد ، لأن الحروف منفصلة غير متصلة . وهي على العموم غير جميلة .

هذا في الخطوط التي تصلح للمد كالثلث والنسخ والاجـــازة والديواني والتعليق (الفارسي) فكيف به في الخط الذي لا يصلح للمـــد اصلاً ، ولا يجوز فيـــه كخط الرقعة مثـــال :

اوراق الورد محمد داود

وكذلك هناك بعض الكلمات ليس فيها حرف الالف ، فهي غير جميلة في خط الرقعة لأن حروفه صغيرة ، وانما تصلح للثلث فقط مثال :

دروزة دورق ثلث

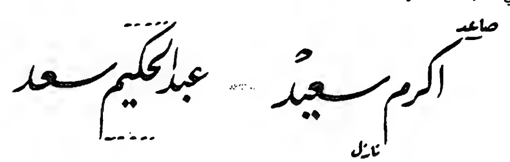
دروزة دورق رقعة

واذا كانت الكلمة متفرقة الحروف ، وفيها حرف الالف ، فربما يرفع حرف الالف من شأنها بعض الشيىء في نفس الخطاط ، وهي في الغالب مما لا يحبه الخطاطون مثـــال :



تناسب الحروف

من الامور التي لا يرتاح لها الخطاط . بعض الاسماء التي لا تتناسب حروفها عند الكتابة فبعض الحروف مرتفع كالالف واللام والكاف ، وبعضها نازل كالجيم والعين والميم . وقد يرد اسم يتضمن هذه الحروف الصاعدة والنازلة ، ثم يعقبه اسم ليس فيه حرف مرتفع او نازل ، بل كل حروفه منبسطة ، فلا يدري الخطاط كيف يتصرف في كتابة هذا العنوان مثال :

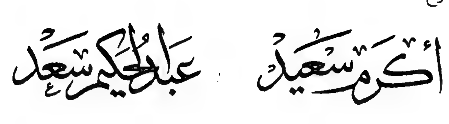


مثل هذه الاسماء لا تصلح كتابتها بالتعليق (الفارسي) . ذلك لان هذا النوع لا يحتمل التشكيل حتى يملأ الفراغ فوق الكلمة الخالية من الحروف العمودية (الصاعدة والنازلة) .

وكذلك لا تصلح كتابتها بخط الرقعة ، لأنه كخط التعليق لا يحتمل التشكيل مثال :

كامل رشيد عبدالحكيم سعد

وفي مثـل هـذه الحالـة يعمـد الخطاط الى كتابتهـا بالثلـث او النسـخ ، ويستعمل فيها حرف الكاف المعقوف (الزنادي) باصطلاح الخطاطين ، ويعقف الميم كذلك ، كما يستفيد من ارتفاع حرف الدال في الثلث ، وكذلك يسعفه التشكيل في املاء الفراغ مثال :



او يكتبها بالنسخ وذلك لنفس الفوائد من الثلث مثال :

اكرم سعيد عبدالحكيم سعد

وهناك بعض الاسماء من النحوسة بمكان لا يؤتمن معها الالتباس ، حيث انها تخدع نظر القارئ ، اذ يمتد الاسم الاول فيأخذ الحرف الاول من الاسم الثاني مثال :

عطار فعت .. عطا رفعت

مثل هذا الاسم اول ما ينظر اليه القارئ يحسبه (عطار) ، ثم ينتبه بعد ذلك الى ان حرف الراء من اسم ابيه (رفعت) .

ولا يستطيع الخطاط ان يباعد بين الاسمين اكثر مما ينبغي وهو نقطة او نقطتان . واذا باعد اكثر من ذلك فانه يعاب عليه . فالخطاط حائر في مثل هذا الاسم ، ومتردد بين العيب في خطه او الالتباس في قراءته . ويكون بين أمرين احلاهما مر ، وتعتبر مثل هذه الاسماء من المحن والهموم التي تفعل فعلها في نفس الخطاط وهمته ومزاجه ، ولا يشعر بها كثير من الناس حيث :

لا يعـــرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبـــابة إلا من يعانيهـــا

تراث الاجداد

ان اجدادنا رحمهم الله قد ابدعوا وتفننوا في اصول وقواعد الخط العربي ، وهذبوه وجوّدوه ، حتى ارتقوا به في مدارج الكمال ، ومعارج الازدهار والجمال ، ويعتبر الخط العربي من اجمل الفنون ، واعز التراث الذي ينبغي ان نحافظ عليه ونعتز به ، ولكن مما يؤسف له ان المتحف العراقي خال تماماً من هذا الفن البديع الجميل .

وكان اجدادنا يقولون :

الخط يبقى زمـــاناً بعد كاتبـــه وكاتب الخط تحت الارض مدفون

اما نحن اليوم فقد اصبح عندنا الخط وكاتبه تحت الاض مدفونين .

لقـــد كان في جامع الشيخ عمر السهروردي ببغـــداد ، سطر بخط التعليق (الفارسي) كتبه على الكاشاني الخطاط البغـــدادي الشهير سفيان الوهبي المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ ، وهو الاثر الوحيد الباقي في بغداد من خطوطه .

الا ان دوائر الآثار والسياحة والاوقاف ، تعاونت على اخراج قوس عباسيّ في البناء وراء ذلك السطر الرائع . فقررت الدوائر الثلاث هدم الباب والسطر لاخراج ذلك القوس.

وحسناً فعلت الدوائر الثلاث باخراج ذلك القوس (العقد) — وان كان في بغداد امثلة عديدة من العقود والاقواس العباسية المماثلة — ولكنها في الوقت نفسه اهملت ومحت أثراً فريداً مهماً ليس في بغداد سواه .

وقد رفعت اجزاء ذلك السطر اليتيم والقيت مع الانقاض (الكلك) . ثم انتبهوا بعد ذلك لهذا التفريط الشنيع والاثم الفظيع . فطلبوا من المرحوم هاشم محمد البغدادي ان يكتب سطراً جديداً بالتعليق ايضاً ووضع داخل العقد العباسي . وذلك سنة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠م ، وضاع الاثر الوحيد للخطاط سفيان الوهبي ، وكان الاجدر ان ينقل ذلك السطر الجميل والاثر الجليل الى المتحف العراقي في قاعة خاصة تضم آثارخطاطي بغداد وكذلك فعلت الاوقاف عند تعمير جامع الامام الاعظم ، سنة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م حيث وضعت تصميماً للزخارف الاندلسية الرائعة في رواق الجامع وحرمه وقبة الضريح ، ونتيجة لهذه العمارة الجديدة ، فقد رفعت السطر البهيج المحيط بقبة الضريح من الداخل وهو (آية الكرسي) كتبه الخطاط عبدالجبار خان زاده البغدادي سنة ١٣١٣ هـ وهو من اروع السطور واجملها ، ورمي مع الانقاض ايضاً .

وكذلك فعلت الاوقاف في السطر الكائن في جانبي المحراب وفوقه بالثلث كتبه عبدالحميد حمدي سنة ١٣١٢ هـ والكتابة عند مدخل ضريح الامام الاعظم وهي قصيدة للشاعر عبدالغفار الاخرس كتبها بالتعليق عبدالحميد حمدي فرميت مع الانقاض .

اما السطر المحيط بقبة حرم الامام الاعظم من الداخل ، فلم يرفع بل وضعت الزخارف الاندلسية فوقه وغطته فانطمس في البناء ، ولعل الاوقاف بعد جيل او جيلين تأمر برفـــع الريازة لاخراج السطر ، وهكذا نضحي بأثر من اجل أثر . ولم يبق من خطوط عبدالجبار زادة سوى السطر الرائـــع في اعلى طارمة جامع الامام الاعظم وهـــو (سورة الفتح) كتبه سنة ١٣٢١ هـ ، وكذلك الخطوط في باب الساعة بجامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد كتبها سنة ١٣١٨ هـ .

ونخشى ان تجدد الأوقاف هذين الجامعين وترمي بالخطوط النفيسة مع الأنقاض، ويضيع هذا التراث العزيز .

وتبقى مديرية الآثار تنفق الآف الدنانير من أجـل (قحف) مجهول ، فتؤصّله وتفصّله وتنسبه الى اهله وصانعيه ، في الوقت الذي تضيع فيه الآثار المعروفة والمنسوبة الى اهلها بتواقيع كتابها انفسهم .

ان مساعي الآثار والاوقاف مشكورة في تجديد وصيانة الجوامع ، ولكن ينبغي ان لا تفرط في السطور الفريدة الغالية .

لقد توفي بعض خطاطي بغداد وتركوا لنا جملة من الآثار البديعة وهي كتاباتهم في تزيين جوامع بغداد وقبابها ومدارسها ، ينبغي ان نحافظ عليها ونوليها عنايتنا واعتزازنا ، وان تسعى مديرية الآثار بتهيئة قاعة خاصة لخطاطي بغداد الراحلين . ان المرحوم الخطاط صالح صبري ترك لنا سطوراً رائعة في جامع السيد سلطان علي . كتبها سنة ١٣١٠ هـ وليس له فيها بغداد من اثر غيره .

وكذلك المرحوم علي صابر ترك لنا سطوراً في غاية الجمال في واجهة جامع الحيدرخانه وعليها توقيعه ، فهدمت الواجهة وضاعت السطور مع الانقاض .

وبقي له بعض السطور في واجهة جامع السيد سلطان علي من جهة شارع الرشيد ، وجامع الخفافين وجامع عثمان بن سعيد وجامع الشيخ عمر السهروردي وجامع الأغا والثانوية المركزية ببغداد ودار المعلمين الابتدائية في الاعظمية ، وجامع عثمان افندي وفيه اسم المعمار وهب السهيل مع اسم الخطاط سنة ١٣٤٢ هـ .

وكذلك توفي المرحوم صبري الهلالي ، وترك اثاراً في غاية النفاسة والجمال منها كتاباته في واجهة جامع عادلة خاتون مقابل المحكمة الشرعية وجامع حسيبة الباجهجي في الكرادة الشرقية وجامع الدهان في الاعظمية وفتاح باشا في الكاظمية ومدرسة التفيض الاهلية ببغداد ، ودائرة الآثار القديمة وخان امين الدين مرجان واجمل خطوطه السطور الرائعة في الحضرتين الحسينية والعباسية في كربلاء . واخيراً توفى عميد الخط العربي المرحوم هاشم . وهو الذي زين المساجد والمعاهد بخطوطه الزاهية الباهية .

ان مثل هذه السطور ينبغي ان نحافظ عليها كتراث جليل وثروة فنية غالية وان ننقل بعضها في قاعة خاصة في المتحف العراقي تمثل آثار خطاطي بغداد الذين ساهموا

في احياء التراث وتطويره ، او في المتحف البغدادي ، وعلى الأقل ان نصوّرها اذا تعذّر نقلها ، خشية ان يكون مصيرها الاهمال والضياع كخطوط سفيان الوهبي ، وذلك اضعف الايمان ، وليس وراء ذلك من الوفاء والاعتزاز حبة خردل .

تطوير الخط

ان فن الخط العربي ، لم يأتنا منزلاً من السماء ، وهو كسائر الفنون الحضارية ثمرة يانعة لجهود جبارة ، ومساع مباركة ، بذلها اجدادنا جيلاً بعد جليل ، حتى اصبح فناً راقياً نعتز به غاية الاعتزاز ، ونفتخر به منتهى الافتخار ، ونحترم المتخصصين فيه ، والعاملين على تطويره وتنسيقه وتجويده .

ومما لا شك فيه ، ان الذين نتأمل منهم تطوير الخط العربي نحو الاحسن والابدع انما هم الصفوة المختارة من ائمة هذا الفن . الذين قضوا مدة طويلة في ممارسته ومعاناته حتى بلغوا درجة التمييز والنظر والاجتهاد ، وارتفعوا بمستواهم الفني عن التقليد والجمود .

وعلى رأس هؤلاء العظماء المرحوم هاشم محمد البغدادي ، وهو الخطاط الاول في العالمين العربي والاسلامي .

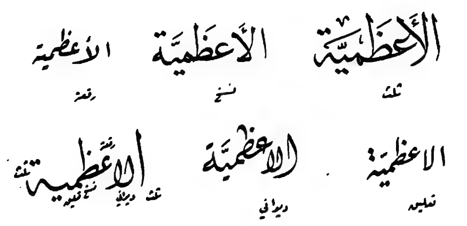
مثل هذا المتفنن العظيم المتمكن من اصول وقواعد الخط العربي والمتوسع فيه وفي آفاقه الرحبة ، اذا وجد الاستاذ هاشم وامثاله بعض الضيق والعنت في ابعاد الحروف وقياساتها واتجاهاتها واوضاعها ، وحاول ان يكتب لوحة ، فلم يجد في مجالات انواع الخطوط ما يسد رغبته ويشبع نهمته ، فيحق له حينئذ ان يولّد ويخترع ويبتكر من الاوضاع للحروف ما يتناسب مع ذوقه الرفيع ، واخلاصه في الحفاظ على التراث واعتزازه بـه .

ذلك لأن الذين اخترعوا الخطوط وجوّدوها من قبل . انما هم رجال مثله وليسواملائكة وهاشم أرقى منهم فناً واسلم ذوقاً وارحب افقاً .

أما أن يأتي شاب خطاط مبتدئ ، لم يحسن بعد ان يكتب سطراً مضبوطاً بالقواعد والاصول ، فيطفر طفرة واحدة ، ويعمل على تطوير الخط العربي ، شئنا ام أبينا ، فهذا امر لا يقره عاقل .

ان هذه الانواع من الخطوط العربية ، لم تأت اعتباطاً ، وانما جاءت نتيجــة لدراسة طويلة ، وتجارب عديدة ، حتى استقرت على هذا الشكل اللطيف والتنسيق المنيف ، واخذت الحروف في كل نوع اشكالها وابعادها بما يتناسب والذوق الذي يبعث في القلب السرور وفي النظر البهجة والارتياح .

ولو اننا اخذنا كلمة واحدة وكتبناها حسب الاصول ، لكانت جميلة في كل نوع من انواع الخطوط ، وتثير في النفس الرضا ، ولو اخذنا نفس تلك الكلمة ، وكتبنا كل حرف منها بنوع لكانت في غاية القبح والسماجة ، يعافها الذوق وتنفر منها الفطرة السليمة ، ولو كان كل حرف منها مضبوطاً حسب قواعده واصوله ، ولكن الاختلاط والارتباط غير المنسجم غير محمود مثال :



انظر جمال كل نوع مستقل مضبوط ، وانظر الكلمة ذات الحروف المتنوعة المختلطة كل حرف منها كتب بنوع ، واحكم ايهما اجمل وابهج في النفس .

هذا اذا كانت الحروف مضبوطة ، ولكنها مختلطة بغيرها . تكون قبيحة كما رأينا اذن فكيف تكون اذا كتبناها بحروف غير مضبوطة حسب القواعد والاصول وكلها هجينة ، لا اصل لها ولا علاقة باي نوع من الانواع ؟ مثال :



من يصدق ان هذه الكلمة اجمل بالخط من سابقاتها ! ؟

ومن يستطيع محاسبة الخطاط ، وعلى اي اساس نتمكن من نقده !

وما الفرق بين هذا المستوى وستوى المبتدئين من الاطفال ؟

ان الخط العربي كالشعر العربي ، فلو اخذنا قصيدة واحدة من بحر معيّن . وحشرنا بين ابياتها بيتاً واحداً ، او شطراً من بحر آخر ، لأحسّ به السامع اولّ وهلة ، وادرك ان هناك خللاً وبعداً ، ولو كان البيت او الشطر الغريب موزوناً ومضبوطاً ، ولكن موسيقاه تغاير موسيقى القصيدة ، فينفر منه الطبع السليم ، وكذلك الغناء ، فلكل حالة نفسية . الحانها التي توافقهـــا وتشيـــع في جوانبها الرضا ، والارتياح ، والسرور ، والبكاء ، والنواح ، فللاعراس الحان وللمآتم الحان ، وللاطفال الحان وللنساء الحان وللرجال الحان ، وربما يكون للابطال الشجعان من الرجال الحان ، لا يطرب لها المخنثون والمستكنّون من اشباه الرجال، وليس هناك من يستحسن ويتذوق الزغردة في مجلس العـــزاء ولا الصراخ والنواح في حفلة الزفاف حتى لو كان فاسد الذوق .

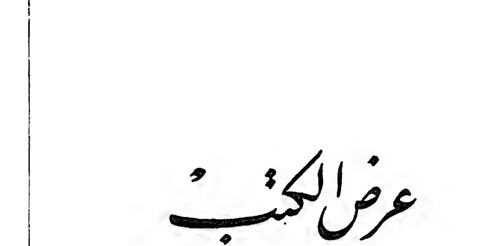
ولقد تفنن اجدادنا في بحور الشعر العربي ، ومجزوءاتها وموشحاتها ، حتى جاوزوا بها الاربعين ضرباً من الاوزان والموسيقى .

فلو اراد شاعر كبير متمكن راسخ القدم في الشعر ، ان ينظم قطعة شعرية ولم يجد في هذه البحور كلها ، بموسيقاها واوزانها المتنوعة ، ما يكفيه للتعبير عما يحسّ به من خواطر ، وما يعرض له من هواجس وعواطف ، فلا عليه ان يبتكر لنا نوعاً آخر من البحور بموسيقى عذبة متناغمة وبجرس مقبول . حلو الوقع على الاذن والقلب .

امّا ان يتقدم شاب غرير في اول الطريق ، لم يحسن بعد ان يُعرب بيتاً واحداً من شعر غيره او حتى من شعره ، ثم يطفر طفرة واحدة على غير هدى ، ويهذى لنا بكلام ممسوخ قلق مفكك ، ثم يسميه لنا شعراً جديداً ، فهذا ينافي الفطرة والتطور والابداع .

ولقد بدأت محاولات لتطوير الخط العربي عن هوى وشهوة وادعاء ، وهي محاولات هجينة غريبة نخشى ان تسيئ الى جمال الخط وحسنه ، او تفسد اذواقنا ونظرتنا الى الفن . وقديما قال اجدادنا (فاقد الشيئ لا يعطيه) . كما قالوا :

(لا تظلم القوس اعط القوس باريها) .


عرض الكتب

دور الجيش العراقي

في حركة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانية سنة ١٩٤١

تأليف : الدكتور فاضل البراك

ط . الدار العربيّة للطباعة – بغداد ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م

(٢٦٩ صفحة من القطع الوسط)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

(عضو المجمع)

هذا الكتاب دراسة سياسية حربية ذات طابع نقدي . . كتبه المؤلّف باللغة الروسيّة ، لنيل « الدّكتوراه » ، أي « الإجازة » في اصطلاح علماء المسلمين ، وأنجز كتابته في « معهد الاستشراق » من فروع « مجمع العلوم السوفييتي » في « موسكو » (سنة ١٩٧٦) . ثم نقله إلى لغة قومه العرب ، وأضاف إليه حقائق جديدة هُديَ إليها من بعدُ ، وتوجّه به من ثَمّ إلى القرّاء العرب من فهم خاصّ ، ووعي قوميّ مُعيّن .

والكاتب ذو ثقافتين : ثقافة عسكرية وثقافة مدنية ، وذو لغات ثلاث : العربية والإنكليزية والروسية . وهذا التنوّع في ثقافتَيْه ولغاته ، كوّن منه دارساً اجتماعياً واعياً ، وباحثاً ناقداً ومحللاً ، يتجاوز فيما يكتب الجمعَ والسّرْدَ ، ولا يقف عند ظواهر الروايات دون محاولة النفاذ الى البواطن والبواعث ، ويحلل قضايا التاريخ في إطار حركة المجتمع : إنسانه وأحداثه ، كما يمثله كتابه .

وهو قد تجاوز في كتابه حدود عُنوانه ، الذي رسمه له ، إلى آفاق اجتماعية وسياسية واقتصادية ، ولم يقف عند حدود الشؤون العسكرية والحرب ، فربط المسبّبات بالأسباب ، ووصل بين النتيجة والمقدمات ، ووضح الدوافع الحقيقية لإقدام الجيش العراقي على حرب بريطانية في سنة ١٩٤١م ، استناداً إلى حركة المجتمع وفكره السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وهذا هو الجديد المهم في هذا الكتاب .

وقد شهد العراق قبل نشوب هذه الحرب (من الحرب العالمية الأولى في « ١٩١٤ - ١٩١٨م » إلى قيام الحرب العالمية الثانية « ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م ») أطواراً سياسية واجتماعية واقتصادية ، كان لها أثر عميق في تقرير مصيره ، نقله من طور راكد لازَمَه حِقبة طويلة من الزمن بحكم طبيعة العصر القديم ، إلى أطوار جديدة متأثرة بعوامل العصر الجديد وحركاته الفكرية والسياسية والاقتصادية والحربية والحضارية ، ثم ما برح يمارس في هذا المضطرب الواسع أحوال العصر وتيّاراته ورياحه المتناوِحة حتى وصل الى ما قُدِّر له بعد جهاد طويل مُضْنٍ ورهيب .

وقد عايش العراق حكم الدولة العثمانية نحواً من أربع مئة عام في إطار من جامعة الدين والعقيدة والمجاورة ووحدة الأقدار المشتركة ، على كثير من الجمود أصاب الحياة ، بسبب تخلّف الشرق عامّةً إذْ ذاك ، إلى أن رأى في أخريات هـذا الحكم لوائح من تباشير اليَقَظَة والتحرك نحوَ التجدد والإصلاح والعمران ما كاد يتمتع منها بشيْ ذي شأن حتى فوجئْ بالحرب العالمية الأولى ، وبغزْوِ الجيوش البريطانية له من جنوبيّه وافدةً من (أرض الهند) « كبرى مستعمرات بريطانية » إذ ذاك ، وإذا هذا الغزو تطول أيامه على أرضه بضع سنين من الكر والفر ، بين البريطانيين من جهة والأتراك العثمانيين من جهة أخرى ، وما ترك العراقيون العثمانيين وحدهم في المعارك ، ولكن شاركوهم فيها بأرتال من المؤمنين المجاهدين الشجعان ، من (السليمانية) الى (النجف) ، ثم ينتهي بتغلب البريطانيين وجلاء العثمانيين .

وحين قُدّر للبريطانيين الاستيلاء على (بغداد) ، أعلن قائدهم على رؤوس الأشهاد الكذبة البلقاء الأولى حين زعم في إعلانه أن البريطانيين إنما جاؤوا الى (العراق) محررين لا فاتحين ، ليستدرج الشعب إلى الرضى والاستسلام . وقد ظنّ البريطانيّون في هذا الشعب ظنَّ السَّوْء ، ولم يكونوا على قدر كافٍ من العلم بنفسيته وطموحه إلى إقامة دولته المستقلّة وتأبّيه أن يمتلكه قوم ليس بينه وبينهم نسب ، ولا آصرة من عقيدة جامعة ، أو أخلاق متشابهة ، أو مطامح متماثلة ، أو أقدار مشتركة . . فما لبِث هذا الشعب الأصيل بضعة أعوام أن تنكّر لاحتلال البريطانيين أرضه ، فثار عليـه من شماليّه إلى جنوبيه ثورته الوطنية العارمة ، داعياً البريطانيين إلى الجلاء ، ونازل فيالقهم المدججة بأحدث الأسلحة ، بأسلحة بدائية ووسائل غير متكافئـة ، ولكنها استطاعت أن تثبت لها أمداً غير يسير ، وحين خمدت نيران المعارك التي أشعلها ، لم تخمد بين

جوانحه بواعث ثورته ، أعني نزعته إلى الحرية وتحقيق الذات بالاستقلال التام ، فظلّت محتدمة في نفسه ، ملتهبة بين جوانحه ، تذكيها الآلام والآمال والطموح . وتلك هي عُدّة الشعوب الأصيلة في كفاحها الطويل النفس من أجل بلوغ الهدف القومي .

وأدرك البريطانيون هذه الحقيقة ، فعمدوا الى « التخدير » ، وأقاموا له تحت إشرافهم المباشر حكومة ذات علم رفّاف ووزارات ورتب وألقاب ، دون أن يملّكوها حريـة التصرف ، وجعلوا السلطان كله الى « المستشارين » منهم لا إلى الوزراء من العراقيين ، وإلى « المفتشين الإداريين » منهم لا الى « المتصرفين » في الألوية . وكان من لوازم هذه الحكومة إحـداث قوى خاصّة لحمايتها ، وفي مقدمتها الجيش ، فأحدثوه ليكون أداة بيدهم يسيّرونه على وَفْق مشيئتهم ، لا لتكون الجندية قيمة من قيم الفروسية والسياسة والحرب . . فوقعوا من هذا الفكر المريض في خطأ لا أعرقَ منه في الضلال ، فما لبث هذا الجيش وهو في بداية نموّه أن خيب فألهم في سنة ١٩٣٣ م ، فخرج على إرادتهم ، وعصى مشيئتهم ، وأنزل ضربته الماحقة بالعناصر الغريبة التي أسكنوها شمالي الوطن ثم حرّضوها على الانتقاض وتقتيلِ الأبرياء الآمنين من أطفال ونساء وشيوخ لأمرٍ مـّا أرادوا بلوغه من هذا الطريق الشائك الوعر ، فخابوا . ومن هنا راجعوا حسابهم معه ، وأخذوا يدبّرون له : يحدّدون سلاحه وعتاده ومَسَاره ، ويتعقّبون بالتجسس حركاته ، ويبعدون من قادته من يبعدون ، ويتربصون بآخرين الفرص للقضاء عليهم . وواتتهم الفرصة الذهبية في عام ١٩٤١ م إذِ الحرب العالمية الثانية مشتعلة الأوار في أوربة وآسيـة وأفريقيـة ، فبادروا ففرضوا عـلى الجيش الحرب قبـل استكمالـه عُدّتـه ، متذرعين بدعوى كاذبة تتّهم قادته بالانتماء إلى « النازية الألمانيـة » التي تنازعهم السلطان على المستضعَفين ، فقبِل هذا الجيش الشجاع الأصيل التحدّيَ وما فرض عليه من الحرب ، وغامر ، ولم يجبُنْ . وكان الشعب كلُّ الشعب على وعي لهذا الأمر عميق ،فأسرع يؤازره،وغامر معه في نوع من التمازج فريدٍ في تاريخ نضال الشعوب والانتفاضات القومية الأصيلة ، انطلاقاً من سجية النزوع في نفسه إلى الحرية وصيانة الكرامة والأقداس ورَفْض سلطان الدخيل المتغطرس .

وتلك سجية مطبوعة عنده ، وموروثة في دمه من أزَل وجوده، تدعوه أن يعيش سيد نفسه ، ويحيا إلى آخر الدهر (شعباً لَقَاحاً) كما أطلق على نفسه قديماً ، وعَنَى أنه لا يدين للملوك والغزاة ، ولا يُمْتَلَك ، ولا يصيبه سِباء . وإذا هِيجَ إلى حرب

جَدّ وأسرع إليها منكبّاً عن ذكر العواقب جانباً ، أنَفاً للذلّ ، ورفضاً للعبودية ، وتحقيقاً للحرية والاستقلال .

وقديماً قال الشاعر العربي يصف هذه الحقيقة العربية :

لَعَمْرُ أبيك ، والأنبـاءُ تَنْمِي، لَنِعْمَ الحَيُّ في الجُلَّى (رِياحُ)
أبَوْا دِينَ الملوكِ ، فهم (لَقَاحٌ) إذا هِيجُوا إلى حربٍ أشـاحُوا

ولمّا ظهر (الإسلام) في (العرب) ، أذكى تشريعه السياسي هذه النزعة إلى الحرية عندهم ، وعلّمهم ومَنْ دخل في مِلّتهم من أجيال البشر أنهم سادة أنفسهم ، لا يُمْتَلَكُون ، وأُولُو أمرِهم منهم . . شرع ذلك (وإنه لتشريع سياسي عظيم وأسّ قاعدة الحكم والإدارة في الإسلام) بكليمة واحدة مؤلفة من « جارّ ومجرور » كما يقول النحاة ، لكنهما « رافعان » للرؤوس لا استعلاءً على الناس ، ولكن استعلاءً على الضيم وأنفةً للذل . . تلك هي كليمة (منكم) في قولِ منزل الذّكر الحكيم جلّ وعلا: (يا أيُّها الّذينَ آمنوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأمْرِ منكم) وما أوسع « منكم » هذه ! وما أعظَمَ دِلالتَها السياسيّةَ ! وها هنا كلام في طاعة أولي الأمر هؤلاء ، كيف تكون ، وما شروطها الملزمة ، ليس هذا موضع بسطه . وقد أشارت بقيّة الآية الكريمة إجمالاً إلى النظام الذي يقيم التوازن بين المؤمنين وأولي أمرهم فقالت : (فإنْ تنازعتم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُول إنْ كنتم تُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، ذلك خَيْرٌ وأحسنُ تأويلاً) . . نظام متقدم جِداً ، رُسِم (للشعب العربي اللّقَاح) ومَنْ يدخل في ملّة الإسـلام ، لتستقيمَ الحياة به ، وتستوثق الآصرة بين الناس وأولي الأمر ، وجملتُه تشير إلى حكم الشعب نفسه بنفسه ، وأن يحتكم في خلافه مع الولاة معهم إلى أصول الشريعة التي تنظم الأمور ، وهو أدقُّ مِمّا يقال له « الحكم الديمقراطي » .

إلى هذا يُرَدّ ما كان في قديم عالم العرب والمسلمين من مقاومة الغُزاة في كل زمان ومكان ، ومنها ما امتد زمانها ثلاث مئة عام كالذي كان في الشـمال الأفريقي ، وما امتدّ مئتي عام في مدافعة الإفرنج عن مصر وفلسطين وبقية بلاد الشام .

وإليه أيضاً يُرَدّ كلُّ ما كان وما يكون من مقاومة هذا (الشعب اللّقَاح) للغزاة في العصر الحديث استبسالاً ما بعده استبسال على امتداد رقعة الوطن الأكبر . وسيظل هذا شأنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لا أستثني أية حركة وطنيـة صحيحة في

وطننا من هذه الخصلة الموروثة على مدى الزمن ، وذلك هُوَ (هُوَ) مصدر ثورة العراق في عام (١٩٤١ م) ؛ وما كان قبلها ، وما كان بعدها من ثوراته .

وقد خص هذا الكتاب ثورة عام ١٩٤١م، لأنها كبرى ثورات العراق، ولأن «دوائر استعباد المستضعَفين » ، ولا أقول « دوائر المستعمرين » ، قد جردتها فيما كتبتْ في شأنها من طابعها الوطني الأصيل ، ودوافعها النفسية الحقيقية ، وتجنّت عليها ، وشوّهت صورتها ، واتهمتها بما هي براء منه حين زعمت أنها ثورة موحىً بها من خارج العراق وليست نابعة من صميم شعور الشعب ، قام بها نفر قليل من قادة الجيش ينتمون إلى سياسة خارجية ، ويشربون من ماء « النازية الألمانية » . وإنها لشبهة واهية وواهنة لا تقوم على ساق ، إن كانت هـــذه الدوائر « دوائر استعباد المستضعَفين » افترتها وهي تعلم في قرارة نفسها حقيقة هذا الجيش وشعبه ونوازعهما إلى الحرية والاستـــقلال — فتلك شِنْشِنَةَ لها ذائعة الشهرة في العالمين ، وقد نَصَل لونها ، وافتضحت بها ، فلا يلقي إليها أَحد باله .

ومهما يكن من شيْ ، فان هذا الكتاب قـــد جاء مبدّداً سُحُبَ هذه الشبهة ، وداحضاً مفتريات هذه الدوائر الغربيّة المكاشحة بشواهد الواقع من تاريخ نضال العراق ، ومن طبيعة فكر المجتمع العراقي وتحرُّكه الى قضاياه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية ، بوحي من ضميره وعقله ووعيه وطِماحه .

ذلك هو المحور الذي دارت فصول الكتاب حوله في جميع اتجاهاتها ، وقد تجرّد الكاتب للحقيقة وحدها ، والتزم الصدق حتى انتهى به إلى « نقد الذات » . وتلك مزية لهذا الكتاب ، كما هي مزيةٌ للكاتب تشهد له بالأصالة والشجاعة ، وقولةُ الحق أحقُ بأن ترسل ويجهر بها دائماً بلا تردّد ولا َوجَل .

ولقد عايشت ما بحث فيه هذا الكتاب من أحوال المجتمع العراقيّ : فكرِه ، وحياتِه السياسية ، وحياتِه الاجتماعية والعقلية ، وكان لي شرف المشاركة في تأجيج هذه الثورة الكبرى بلساني على ما تشهد به قصائد (ديوان وراء الأسلاك الشائكة) وغير قليل منها منشور في (ديوان ملاحم وأزهار) ، ووعى رأسي ما وعى من حقائق هذا الوطن ، وأشهد غير متحيّز أن هذا الكتاب لم يَعْدُ شيئاً مما وعيته وعلمته . وقد تقصّى كاتبه ودقق ومحّص ، فأصاب المَحزّ ، وطبّق المَفْصِلَ في عامّة فصوله ، وكأنه كان قد عايش كل ذلك عِياناً ومُعاناةً ومغامرة . وأغلب ظني أنه كان إذْ ذاك حديث الشمّ لنسيم

الحياة على وجه الأرض ، ولكنّ بحثه المستقيم المتعمّقَ فيه أدّاه إلى الوقوع على الحقائق الكبرى ، فلم يخطئها . لقد أخذ عن الرواة ، وللرواة مدارك ونوازع تتضارب وبعضهم غير موثوق به ، فلم يقبل منهم إلا اليقين بعد المفاحصة والمناقشة على قدر اجتهاده ، وقرأ المدوَّنات بالعربية والإنكليزية والروسية ، أو قرأ منها ما استطاع الوصول إليه ، وفي المدونات الغث والسمين ، والشبهة واليقين . فسلط عليها فكره ، وكتب كتابة من يفهم حركةَ التاريخ وتطوُّرَ المجتمع ، ويلتزم منهج الباحث « الموضوعي » الناشدِ الحقيقةَ في أي مِعْرَضٍ برزت ، وبذلك استوى له بحثه وهو أدنى إلى السلامة ، وارتفع الى « نقد الذات » فأخذ على الثورة الأغلاط التي أدّت إلى الخيبة ، وذكر من هذه الأغلاط أشياء « لا تقلل من خاصّ شأنها ، ولا تنتقص قدرها ، ولا تضعف موقعها الفريد في تاريخ العراق الحديث للعمل الثوري » كما يقول ، ولكنها تدعو إلى التأمل والتدبّر واستخلاص العبر ، للأخذ بالأسباب الصحيحة ، والحذر من الوقوع في مثلها في مؤتنف الزمن . « ونقد الذات » أعلى مراتب البحث العلمي المنهجي الجادّ ، وآية نَضْج العلم ، وعُنوان شجاعة العقل ، ثم هو سبيل أصحّاء النفوس الى تصحيح المسار في الحياة .

وبهاتين الخصلتين : خَصْلَةِ الحرص على تبيان حقيقة هذه الثورة لإعادة الثقة بالجيش والشعب حقاً وصدقاً ، وخَصْلَةِ « نقد الذات » الذي تناول أغلاط القادة — المدنيين والعسكريين — تميز هذا الكتاب عن كل ما كتب الى اليوم في شأن هذه الثورة الوطنية فكراً ومنزعاً . وما ذلك بالشيْ القليل في منظور الواقع القومي .

أقول هذا في جُمّاع هذا الكتاب ، غير خالع غلالة الكمال أو الصحة على كل ما جاء فيه من شيْ . وليس بضائره أن أذكر — بعد هذا التقويم العام — ما لاحظته على جزئياته من سهونَدّ به القلم ، أو تصحيف وقع في « الطبع » ، أو رأي أرى خلافه ، أو ابتعاد في مواضع قَليلة عن فُصُح اللغة ، ونحو ذلك من أشياء يسيرة . . فما كتب الكمال لغيره ، فيُطْلَبَ توافره في هذا الكتاب ، فان هذا مما لا يدخل في قدرات البشر .

وكما انتهى الكاتب إلى « نقد الذات » فأخذ على الثورة والقادة ما أخذ ، أُحِبّ أن أنتهي معه ، من منطلق الصدق والأمانة العلمية ، إلى تبيان ملاحظاتي على جزئيات في الكتاب ، ليستدركها إذا ارتضاها وصحت عنده ، بعد تقويمي لجملة كتابه .

• • •

وملاحظاتي على جزئيات الكتاب نوعان : نوع يتعلّق بالأغراض ، ونوع يتعلق

باللغة . وإليك البيان :

النوع الأول « الأغراض » :

١ — جاء في (ص ٥٨) : « والسبب في هذا التحريض أن الهاشمي لم يدخل حكمة سليمان وزيراً في الوزارة التي ألفها في ١٩٣٠/٣/١٧ » . والصحيح : سنة ١٩٣٥م.

٢ — وفي (ص ١١٢) عن تأليف حكومة الدفاع الوطني أنه كان في اليوم الأول من نيسان ١٩٤١ م . وفي ذاكرتي أنه كان في اليوم الثاني من هذا الشهر .

٣ — وفي (ص ٢٥٤) عن سقوط (الفَلُّوجَة) أنه كان في اليوم العشرين من مارت ، وفي علمي أنه كان في اليوم العشرين من مايس . وهذا من سبق القلم ، إذْ لم تكن في مارت حرب بين الجيش العراقي والبريطانيين .

٤ — وفي (ص ١٥٥) أن « بكر صدقي اغتيل (وهو) في طريقه إلى ألمانيـــة مروراً بتركية » ، وفي (ص ١٦٤) : أن « كتلة الوطنيين القوميين اتّخذت قراراً باغتياله في أثناء سفره إلى المَوْصِل في طريقه إلى تركية التي دعته رسمياً لحضور « مناوراتها » العسكرية . » هكذا قصراً على تركية وحدها . والجمع بين الاثنين هو الصحيح ، فقد دعت حكومة تركية بكراً إلى عرضها العسكري لمشاهدته ولإحكام سياستها به ، كما دعته الحكومة الهتلرية الألمانية في الوقت نفسه ، فأجاب الدعوتين ، وغادر بغداد الى (أنقِرة) عاصمة الجمهورية التركية ، وبينما كان يستجم من سفره في نادي مطار الموصل قُتِل ، وكان مصرعه في رابع جمادَى الآخرة ١٣٥٦ هـ (١١ آب ١٩٣٧ م) .

٥ — وفي (ص ١٦٤) وردت إشارة إلى الرسائل التهديدية في أول عهد بكر صدقي ، وأنها « كانت موجهة إلى الضباط الكبار . » هكذا قصراً عليهم وحدهم ، والذي أعلمه أن هذه الرسائل التهديدية وزّعت « على نطاق واسع » كما يقال ، فأرسلت إلى الضباط الكبار ، وإلى غيرهم أيضاً على وجه التحقيق . وقد كنت في النفر المدنيين الذين تلقوا هذه الرسائل ، وما برِحتُ أحفظ ألفاظها أو قريباً منها : « عليك أن تغادر العراق خلال ثلاثة أيام ، وإلا كان القتل مصيرك » . وقد ذيلت باسم « جمعية الأكراد الإصلاحية » . ويقيني أن هذا الاسم مزوّر ومفترى ، وأن هذه الرسائل إنما هي من صنع جهة خفية تعمدت إشاعة الرعب والهلع في النفوس ، ومناهضة الحكم القائـــم للإدالة منـــه .

٦ – ودونت في (ص ١٨٤) صورة وثيقة باللغة الإنكليزية ، في شأن بكر صدقي ، صادرة من وزارة الخارجية (كذا من غير تعيين) مؤرخــة بـ ١٩٣٦/١٢/٣١ م ومذيلة باسم (ج . دبليو . رندل) ، قال كاتبها : « إن شعبة الاستخبارات في وزارة الطيران أخبرتنا قبل أيام قلائل أنها اكتشفت أن بكر صدقي كان مستخدماً مدة من الزمن في حدود سنة ١٩١٩ – ١٩٢٠ وكيلاً لاستخبارات القوات العسكرية البريطانية في المنطقة المحايدة بين العراق وتركية » . وألحقت بصورة هذه الوثيقة صورة وثيقة أخرى بالإنكليزية أيضاً في (ص ١٨٦) صادرة من السفارة البريطانية ببغداد في ١٩٣٧/١/١٩ م مذيلة باسم (أرجيبولد كلارك كير) قال فيها مخاطباً عزيزه (ج . دبليو . رندل) : « إن ما جاء في رسالته المؤرخة بـ ١٩٣٦/١٢/٣١ م في شأن بكر صدقي قد أكدته القاعدة الجوية هنا ، وأنه قد أعلمته شعبة الاستخبارات ، إضافةً الى ذلك ، أنه كان بتوصية خاصة من الأركان العامة هنا : أنه عيّن بكر صدقي في الجيش العراقي ، وذلك في كانون الثاني ١٩٢١ م » . وقد ترجم المؤلف هاتين الوثيقتين الى اللغة العربية ، ووُضِعت ترجمتهما بإزاء الأصل الإ نكليزي ، ولكن تخالفتا في الطبع ، فوضع كل منهما في موضع الأخرى . وليس هذا ما أردته ، لأن مثله لا يخفى على من يعرفون الإنكليزية من قراء الكتاب . وإنما أردت التنبيه على ما تضمنته هاتان الوثيقتان من شبهات متعسدة ألقيت على بكر صدقي ، لعل أقلّ تأمل في الدوافع المستورة وراء كتابتهما يكشف الغطاء عن الحقد الدفين في صدور الساسة البريطانيين عليه بعد ما كان من قمعه « رَتْلَهم » الذي جلبوه إلى العراق من وراء الحدود وأسكنوه شماليّ الوطن الحبيب ، ثم سوّلوا له أن يعلن الاستقلال ، وحرضوه على الانتقاض ، لأمرٍ أرادوه ، وابتغوا تحقيقه علي ما أسلفت . فافتعلوا هــذه الدسيسة عليه ، وألقوها على سيرتــه ليسقطوا منزلته ويشوّهوا سمعته ، كما افتعلوا مثــل ذلك على قادة الجيش الأربعة الذين قادوا حرب ســنة ١٩٤١ م فاتّهموهم بالعمالة للحكومة النازية الألمانية ، ليفسدوا صورة الثورة التي تزعموها في الأذهان . ذلك مسلكهم مع كل من يسخطون عليه ، وما يسخطون عليه من شيْ . وما بَلاهُ أحرار الأمة من أَسْقاط جواسيسهم الذين يتزيّون بمختلف الأزياء وينطلقون بين الناس ثعابين ينفثون السموم ، يكشف عن هول عظيم من مكايد المحتلّين وذيولهم . أقرر هذه الحقيقة على سبيل المَنْبَهَة للاحتراز ، ولإقرار الحقائق في نصابها ، والله أعلم بالمستور وراء المنظور . وأقول في شأن واقع بكر صدقي إنه في صدر حياته العسكرية تعلّم ببغداد ، وتخرّج

عدوّكم إذا اختلفتم ، لأن الاختلاف يفرّقهم ويضعفهم فيجبنون .

٤ ــ أفشله . استعمل بمعنى : أحبطَهُ ، ولا يعرف « أفشل » بهذا المعنى في كلام العرب ، وإنما تقول العرب : بطل الشيْ ، أي : ذهب ضياعاً وخسراً ، وأبطله هو . وتقول : حبِط حَبْطاً وحبوطاً ، إذا عمِل عملاً ثم أفسده ، وأحبطه صاحبُه أو غيرُه أبطله ، وفي القرآن الكريم : (فأَحْبَطَ أعمالَهُمْ) ، وفي الحديث الشريف : «أحبط الله عمله » ، أي : أبطله .

٥ ــ « الأمر « الملفت» للنظر» . صوابه : الأمر اللافت للنظر . فعله ثلاثي « لَفَتَ » ، يقال : لَفَتَهُ يَلْفِتُهُ لَفْتاً ، فهو لافت ، ولم يسمع فيه « أَلْفَتَ » ، ولذلك لا يقال في اسم الفاعل : مُلْفِت .

٦ ــ « عدت إلى تاريخ بلادي للتعرف « على » ما استجد من أحداث » . الصواب : لِتَعَرُّفِ ما استجدّ . تقول العرب : تعرّفت ما عند فلان ، أي : تطلّبت ما عنده حتى عرفتــه .

٧ ــ «تراوحت عائدات العراق بين ١٥٪ الى ٢٠٪» . والتراوح في العربية التعاوُرُ ، يقال : هما يتراوحان العمل ، أي : يتعاقبانه ويتعاورانه ، وموقع الكلام ها هنا يستلزم استعمال « المراوحة » ، من قولهم : راوَحَ الرجل بين جنبيه ، إذا تقلب من جنب الى جنب ، وراوَحَ بين رجليه : إذا قام على إحداهما مرةً ، وعلى الأخرى مرةً . . فيقال في هذا السياق : « راوَحَتْ واردات العراق بين كذا وكذا » .

٨ ــ « وهي مفارقة صارخة تعني أن العراق يكون مستقلاً « طالما » أنه لا يمارس استقلاله فعلاً » . وليس هذا موضع استعمال « طالَما » ، وإنما يقال في هذا السياق : ما لم يمارس استقلاله فعلاً .

٩ ــ « استبدلت الملكية بالجمهورية » . وهو عكس القصد ، والصواب : استبدلت الجمهورية بالملكية ، وفي القرآن الكريم : (أتستبدِلُونَ الّذي هُوَ أدْنَى بالّذي هو خيرٌ ؟) أنكر عليهم ترك الأفضل وتعاطي الأدنى ، لأن الباء مع هذا الفعل إنما تدخل على المتروك ، والمتروك في العبارة المذكورة ، إنما هو الملكيةُ .

١٠ ــ « نوَاياهم ». استعملت جمعاً لنيّة ، وما كان على « فِعْلَة » في الكلام جمعته العرب جمع مؤنّث سالماً ، ولم تكسّره ، ومنه الحديث الشريف : « إنما الأعمال

بالنيات . . » . والـــذي يجمع عـــلى « فعالى » هو ما كان عـــلى مثل طويّة وطوايا ، وسجية وسجايا .

١١ – « العشرينيّات » ، نسبة إلى العشرين . وهو اســتعمال خاطىء تأباه العربية . وقد صحح بـ « العشرينات » ، وهو فاسد المعنى ، لأنه يدلّ على خلاف القصد، إذْ يفيد جمع عشرين إلى عشرين إلى عشرين ، والعرب إنما استعملت العقد والعقود ، فقالت مثلاً : حدث في العقد الأول من المئة الهجرية الأولى ، هكذا توضيحاً .

١٢ – « استلام الحكم » . استعمل بمعنى تسلّم الحكم ، يقال : سلّم إليـــه الشيْ فتسلّمه ، أي : أخذه . أما الاستِلام فهو اللمس ، كاستلام الحجر الأسود ، أي لمسه إمّا بالقُبْلَة وإمّا باليد .

١٣ – « لا يروق «لهم» أن يحصل . . » . الصواب : لا يروقهم ، أي: لا يعجبهم ، يقال : راقه الشيءُ ، أعجبه .

١٤ – « واضطروا رئيس الو زراء « على » إلغاء الأمر » . الصواب : إلى إلغاءِ الأمر .

١٥ – « وكان الإقطاعيون الكبار يسيطرون « بينما » كانت حصة الملاك . . » . والصحيح أن يقال : « وكان الإقطاعيون الكبار يسيطرون أوانَ كانت حصة الملاك » ، كما يقال مثلاً : « أتيتك زمنَ فلانٌ حاكمٌ ، وأوانَ الأميرُ فلانٌ » . أما (بينما) فهي ظرف زمان بمعنى المفاجأة ، وتضاف الى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر ، وتحتاج إلى جواب يتمّ به المعنى ، ويكون في جوابها إذْ ، وإذا ، وإذا شئت تركتهما . وليس في هذه العبارة مفاجأة ، فتوضعَ فيها (بينما) . وقد كثر هذا الاستعمال الخاطئُ الآن، وَخرَّجَه بعضهم بما يخلّ بجوهر العربية ويفسد أساليبها الأصيلة .

١٦ – « تشكلت الوزارة » . يراد : أُلِّفَتِ الوزارة ، ومطاوعه تألّف . وأصل التأليف وصل الشيْ بعضه ببعض ، والجمع . وتشكلت مطاوعُ شكّله إذا صوَّرَه ، ومنه « الفنون التشكيلية » في المصطلحات الحديثة ، ويقال : شكّلَ الدابّة : قيّدها بالشِكال وهو القيد، وشكّل الكتاب: ضبطه بالشّكْل ، وشكلت المرأة شعرها : عقَصَتْ من أطرافه ، وشكّل الزهر : ألّف بين أشكال متنوعة منه .

١٧ – « تحتمل التأرجح أو التأجيل » . الصواب : « تحتمل الترّجُحَ . . » وهو التهزز والتحرّك ، يقال : ترجّحت به الأرجوحة ، مالت . وترجّح الرأي عنـــدي ،

ومنها ما جانب الصواب وخالف المقاييس العربية الثابتة . والمؤلف وهو قومي ملتزم يعنيه تسويد الفصحى ، وتنقيتها من الدخيل، وردّ الغلط الى الصواب ، وهو عالم أن الحفاظ على سلامة اللغة حفاظ على سلامة الكيان القومي ولا ريب ، وتسويد الفصحى على العجمة والعامية « عقيدة قومية » يجاهد لها المخلصون ، و« وسيلة » إلى الوحدة والارتقاء .

وأبدأ بالدخيل الذي تسرب في الكتاب من كتب المترجمين ، فأذكر منه : الطغمة ، والكادر ، والبنوك ، والأيديولوجية ، والاستراتيجية ، والبرجوازية ، والكومبرادورية ، والليبرالية ، والأكاديمية ، والأنتليجسيا ، والكونفرنس ، والكلاسيكية ، والبيروقراطية ، والكومنتانغ ، والدكتاتورية ، والكومونة ، والتكتيكية ، والجيوبوليتيكية ، ونحوها من ألفاظ غريبة السِمات يحول استعمالها دون فهم المقاصد ، وفي العربية ما يُغني عنها [1] .

وأثنّي على هذه الألفاظ الأجنبية بالألفاظ والعبارات التي تسربت في الكتاب من كتابات المترجمين وغيرهم ممن لا يجدون في أوقاتهم متسعاً للتدقيق اللغوي ، ويَسُرُّهم أن يُرْشَدُوا إلى الصواب . وسأسردها من غير تعيين لمواقعها في الكتاب .

١ — وأوّل ما أذكره عبارة « والحرب (مع) بريطانيا » في عنوان الكتاب . ومؤدّى هذا التركيب « وقوف الجيش العراقي إلى جانب « بريطانية » ومؤازرتها في مقاتلة عدوّ مشترك » ، وليس هذا مراداً للمؤلف ، وإنما مراده محاربته بريطانيةَ ، فالصواب إسقاط لفظ « مع » من البين ، فيقال : « دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني وحربِ بريطانية » ، كما كتب الحجاج بن يوسف إلى الخليفة عبدالملك بن مروان يقول : « إني اشتريت موضع (واسط) ، وأنفقت عليه وعلى حرب ابن الأشعث ما صار إليّ من الخراج » .

٢ — الفترة . استعملت حديثاً في معنى « المُدّة » أو « الزمن » ، وإنما الفترة هي ما بين رسولين من رسل الله ، من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة ، وأصل معناها في العربية الانكسار والضعف .

٣ — الفَشَل . استُعمل بمعنى الإخفاق والخيبة والخسران ، وهو في العربية : الكسل والجبن عند الحرب والشدة ، وهو يسبق الخيبة والإخفاق ، فوضع في غير موضعه . وفي القرآن الكريم : (ولا تنازَعُوا فتَفْشَلُوا وتذهَبَ ريحكم) ، أي : فتجبُنُوا عن

---

(١) وضعنا في لجنة اللغة العربية في المجمع الألفاظ العربية لهذه المصطلحات الدخيلة ، وسننشرها في مجلته هذه قريباً .

في مدرسة أركان الحرب في « الإستانة »، وكان من ضباط الجيش العثماني مدّةَ الحرب العالمية الأولى ، واشترك في كثير من المعارك . ثم بعد انحسار الحكم العثماني انضم الى الجيش العربيّ السوريّ ، وأقام في حلب ، وفي سنة ١٩٢١ انتقل الى الجيش العراقي برتبة « رئيس » ، ووزير الدفاع إذ ذاك جعفر باشا العسكري ، وهو الذي وَظّفَه » .
وأنا حين أذكر هذا إنما أدافع عن حقيقة معلومة ، لا عن بكر صدقي ، ولا يفوتني في الوقت نفسه أن أشير إلى سوء عمل بكر صدقي فيما اضطلع به من إسقاط وزارة الزعيم الكبير ياسين (باشا) الهاشمي ، تنفيذاً لمؤامرة الملك والسفارة البريطانية عليه . أما الملك (الشاب) فقد ضاق ذرعاً بتحديد الهاشمي سلوكه الشخصي ، وأما السفارة البريطانية فقد أقلقتها نصرة الهاشمي للفلسطينيين ومدهم إبّانَ حكمه بالمال والرجال والسلاح .

٧ — وفي (ص ١٤٤) أن « فهمي سعيد عُيِّن قائداً للقوة الميكانيكية » . وليس يغيب عن المؤلف الفاضل ، وهو عسكري عريق ، أن الجيش العراقي قد اطّرح الألفاظ الأجنبية الدخيلة جملةً منذ زمن بعيد ، واستبدل بها مصطلحات عربية فصيحة ، فكان أسبق جيوش الأقطار العربية إلى هذا الشأن الجليل . وهو قد وضع « الآليـــة » بدل « الميكانيكية » ، ونَعَتَ القائد بـ « قـــائد القوة الآلية » ، ولهذا دلالته القومية ، فلا مَعْدىً عن التقيّد به .

٨ — وفي (ص ١٤٥) قرأت قول المؤلف : « كان قادة التكتل القومي على الصعيد العسكري يتعاونون في عملهم ضدّ وزارة المِدْفَعيّ مع الضباط الكبار المعروفين بموالاتهم للإنكليز ، من أمثالِ . . . ، وكان الأجدر بالقادة القوميين أن يبتعدوا عن نوري السعيد وجميل المِدفعيّ . . . » . وعندي أن وصف هؤلاء الضباط الكبار ، وقد سمى ثلاثة منهم ، بموالاة الإنكليز ، موضع تأمل ومراجعة ودرس يقوم على البيّنة ، لأنه شيٌ يتعلّق بالذمم ، وأرى البينة عليه ليست قائمة .

هذه ملاحظات يسيرة هي إلى الاجتهاد والعلم الخاصّ أقرب منها الى اليقين القاطع .

النوع الثاني « لغة الكتاب » :

ولغة الكتاب في الجملة سلسة سائغة سهلة الأداء ، بعيدة عن المعاظلة والتعقيد ، وذلك مما يستحسن جداً ، لإبلاغ المقاصد إلى عامة القراء في يسر وسهولة . ولكنني ألاحظ في ثناياها ألفاظاً وعبارات من كلام المترجمين المتسرعين الذين ينقل عنهم المؤلف ويستعمل ما استعملوه لزاماً ، منها الدخيل الغامض الذي ليست له صورة مفهومة في الأذهان ،

أي غلب . وفسرت دواوين اللغة « الأرجوحة » بأنها « ما تترجح براكبها » ولم تقل : تتأرجح. ويقال للفلاة أُرجوحة ، كأنّما ترجّح مَنْ سارَ فيها ، أو تطوّح به .

١٨ – « رجاها التدخّل لتسوية المشاكل » . الصحيح : رجا منها التدخل لتسوية المشكلات .

١٩ – « تكليفه بتشكيل الوزارة » . الصحيح : تكليفه تأليفَ الوزارة ، باسقاط الباء ، لأن الفعل متعدٍّ بنفسه .

٢٠ – « في موقف مُرْبِك » . الصحيح : رابِك ، فعلُه ثلاثيّ : « رَبَكَ » ، يقال : رَبَكَ الرّجُلَ ، إذا ألقاه في وحل ، ولم يسمع فيه « أربك » فيقالَ في اسم الفاعل « مُرْبِك » .

٢١ – « أفاد الكاتب بأن الأمر كذا » . الصحيح : أفاد الكاتب أنّ ... ، بإسقاط البـــاء .

٢٢ – « اضطر للرضوخ » ، الصحيح : اضطُرّ إلى الخضوع . أما الرضوخ فصوابه الرَّضْخ ، ولا يعرف من معانيه الخضوع ، فقد قالت العرب : رضَخَتِ التيوس ترضِخُ وترضَخُ رَضْخاً : تناطحت ، ورضخ به الأرضَ : ضربه بها ، ورضَخَ له من ماله : أعطاه قليلا ، ورضَخَ الشيءَ اليابِسَ : رَضَّهُ وكَسَرَه .

٢٣ – « أياديها البيضاء » . الصحيح : أياديها البِيض ، لأن مفردها أبيض ، وما كان على أفعل وفعلاء من الصفات فجمعه على « فُعْل » وهو قياس مطّرد .

٢٤ – « تركوه أعزلاً » . الصحيح : أعزلَ ، لأنه ممنوع من الصرف .

٢٥ – « في ضوء استعراضنا المقتضب » . الصحيح : عرْضنا ، يقال ، عرض الشيْ : أظهره وأبرزه ، وعرض كذا : وضعه بالعرْض . أمّا استعرض فمعناه طلب العريض من الأشياء ، واستعرض فلاناً : قال له : إعرِض عليّ ما عندك . واستعرض القائد الجيش : طلب عرْضَهُ عليه ، وقولهم اليوم : « استعراض الجيش » ، خطأ ، صوابه : عرْضُ الجيش ، وقد أطلقوا على القائد في العصر العباسي : العارض ، ولم يطلقوا المستعرض .

٢٦ – « تعود إلى أيام خدمتهم سَوِيّةً » . يريدون « معاً » ، وإنما السويّة الاستواء والاعتدال ، والعدل ، والنّصَفَة .

٢٧ – « بنو ارجاب » . صوابه : « بنو رِكاب » وهم قبيلة معروفة بالعراق .

٢٨ – « صعلم » ، صوابه « صلعم » ، مختصر : صلى الله عليه وسلم ، وهو من الرموز التي اصطُلح عليها قديماً ، ومنها : (ع) و (رض) ، أي : عليه السلام ، ورضي الله عنه . واللائق بمقام النبيّ والآل والصحابة أن تكتب عند ذكرهم عبارة التصلية والتسليم والتـرَضّي نصّاً كما تنطق ، إذْ يقال في النطق : صلّى الله عليه وسلّم ، وعليه السلام ، ورضي الله عنه ، ولا يقال : (صلعم) و (ع) و (رض) . وكذلك يجب أن يكون الشأن عند ذكرهم كتابةً ، تأدُّباً معهم أوّلاً ، ودفعاً لبعض الحرج ثانيـــاً . وقد تورط بعض شـــعراء العرب ممن يعظمون الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس لهم علم بهذه المصطلحات ، فحسِب لفظة « صلعم » هذه اسماً من أسماء النبيّ ، فأدخلها في قافية يمدحه بها ويبجّله .

٢٩ – « نضوجها الطبقي » . الصواب : نَضْجها ، أو نُضْجها ، أو نِضاجها . أما النضوج فلم يسمع .

٣٠ – « الدور الذي لعبه الجيش » . وقد شاع هذا التعبير المسرحي في الكتب الحديثة والمجلات والجرائد شيوعاً عجيباً، يساق في مواضع الجد ، حيث لا لهو ولا لعب ، كما يساق في موارد الحديث عن التمثيل . وهو فاسد لغةً ، إذ الفعل : « لَعِبَ » لازم ، وهم يـُعَدّونه . وحق هذا التعبير المنقول بالترجمة أن يقصر على التمثيل ويعدّلَ فيقالَ مثلا : « الدّور الذي يمثله ، أو يقوم به ، أو يؤديه فلان » . وفيما عدا التمثيل والمسرح يجب أن لا يستعمل ، وفي العربية من الاتساع في التعبير شيْ كثير .

٣١ – « أن يصمد مدّةً » . يستعملون هذا الفعل بمعنى يثبت ، وهو في العربية : يقصد ، والثبات وقوف بصلابة ، والصَّمْدُ تحرك وتقدم الى الأمام،وهجوم إذا شئت . وقد استعملوا الصمود بدلاً من الصَّمْد ، والمعاجم الكبار قد أغفلت الصمود ، ولم أجده إلا عند ابن القطاع .وعلى فرض وروده عن العرب ، فانّ معناه عندهم القصد كما قدمت ، وليس الثبات . ومعنى (الله الصَّمَدُ) في القرآن المجيد ، المقصود في الحاجات . والعدول بهذا اللفظ أو أي لفظ كان من اللغة إلى عكس معناه إخلال كبير يأباه أهل الحفاظ على سلامة اللغة ، مخافة أن تصير هذه اللغة « عربية مالطية » ! .

٣٢ – « ثم يعودون إلى التأكيد على رغبتهم » . الصواب : الى تأكيد رغبتهم ، بحذف « على » .

٣٣ – « ورغم المعاهدة فقد تركوه أعزلاً » . الصحيح : وبالرغم من المعاهدة

تركوه أعزلَ .

٣٤ ــ « مرت الشاحنات عبر الأراضي التركية » . عِبْرَ هذه شغلت الألسنة والأقلام كثيراً استحلاءً لها ، واستعملت في غير معناها في الغالب . والمعروف في اللغـة أن العِبْرَ والعَبْرَ أيضاً هو شاطئ النهر وناحيته ، فأي شاطئٍ في هذه العبارة تعبر اليه « الشاحنات »؟ فالصحيح أن يقال : مرت بالأراضي التركية ، وتسقط « عبر » .

٣٥ ــ « كما أدّى أيضاً بالتالي إلى حرمان العراق » . وبالتالي هذه ، تكثر في هذه الأيام في الكلام كثرة عجيبة ، فلا يكاد الرجل ، وأعني المتعلم الحديث ، يأخذ في كلامٍ إلا قال من غير شعور : « وبالتالي » . وهي قلقة لا مسوّغ لاستعمالها ، في أكثر الحديث . والتالي في كلام العرب له معان عدة ، منها : التابع ، والمتّبع ، والمتخلف ، والطارد ، والتارك ، والخاذل ، والقارئ . وبالتالي في سياق هذا التعبير ، يفيد إرادة « بالتابع » ، وحذفه أولى ، وهو هاهنا مفهوم من كلمة « أيضاً » .

٣٦ ــ « تبرير الرفض » . التبرير لفظ مُحْدَث ، وضع موضع « التسويغ » و « التجويز » و « الإباحة » . ومن أوائل مَنْ جاؤوا به ، مترجم (كتاب الأمير) في السياسة لميكيافيلي ، وهو كتاب كان واسع الانتشار ، وقد أرسل فيه ميكيافيلي قولته النكراء : « الغاية (تسوغ) الوسيلة » أو « تجوزها » أو « تبيحها » لإدراكها والحصول عليها كائنةً ما كانت الوسيلة . فوضع المترجم « تبرّر » موضع إحدى هذه الألفاظ ونحوها ، وشاعت في الألسنة بشيوع هذه العبارة ولَوْكِها ، ظنّاً من الناس أنها من فصيح العربية . ومادة (برّ) في العربية ، ليس في شيءٍ من ألفاظها : (برَّر) ، ولا في (برَّر) ما يؤدي معنى من المعاني التي ذكرت ، أعني التسويغ والتجويز والإباحة ، ولكن في العربية : البرّ ضد العقوق ، والمَبَرَّة وفعلها برَّ ، وبرَّ الرجل خالقه : أطاعه ، وبرَّ في يمينه : صدق ، وبرَّ حجّه ، وأبرَّ الله حجّه ، وتبارُّوا : تفاعلوا ، من البرّ ، وأبرَّ : ركب البرَّ ، وأبرَّ الرجل على أصحابه : علاهم ، وأبرَّ : كثُر ولده ، وأبرَّ القوم : كثروا . فما ثمَّ في (برَّرَ) معنى سوّغ أو جوّز أو أباح . وقد أقحمت هذه اللفظة في (المعجم الوسيط) ، وفسرت بمعنى التزكية . والتزكية في العربية هي الإنماء ، والزيادة ، والإصلاح ، والتطهير ، ومدح النفس ، وتعديل الشهود ، وأداء الزكاة . ولست ألمح في شيءٍ من معاني

هذه المادة ما يصلح أن يخلع على (بَرَّرَ) ومشتقاتها في سياق « العبارة الميكيافيلية » ، أو ما يشبهها من عبارات المترجمين والكتاب .

• • •

أكتفي بهذا القدر من التنبيهات على الألفاظ والعبارات التي درج الكُتّاب على استعمالها ، وتسربت في الكِتاب ، خاتماً بها تقويمي له الذي دعاني إليه المؤلف الفاضل ، على حين يبتغي الكثيرون التقريظ وكيل المدح جزافاً بالباطل . وإني لأكبر فيه نزعته إلى « نقد الذات » . وها أنا ذا قد استجبت له ، وصدقت القول في كتابه ، وبينت ما له وما عليه غيرَ مُوارِب ، إخلاصاً للعلم . وما لاحظته عليه لا يمس جوهر كتابه وأصالته الفكرية ، على أنه يسيرٌ إلى جانب إحسانه فيه فكراً ونقداً وعَرضاً وتقويماً . هذا اذا كنتُ على سَدادٍ فيما قلت ، ولست أزعم لنفسي ذلك . وإني لأستزيد المؤلف « الفاضل » من مثل هذا البحث ، وأرجو أن لا يقف قلمه عند هذا الكتاب الذي نفع وأمتع .

معجم الكيمياء «الموحّد»
عرض ونقد

الدكتور مجيد محمد علي القيسي
كلية العلوم – جامعة بغداد

قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كجزء من رسالتها السامية ، باعداد معجم موحد للمصطلحات العلمية لمراحل التعليم العام في المواد العلمية الست : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيا . وتم طبع بعض اجزاء ذلك المعجم ومن بينها معجم الكيمياء الموحد [1] . ولقد اشرف على اعداد مصطلحاته نخبة فاضلة من الاساتذة العرب . والواقع ان المعجم يمثل جهداً محموداً تستحق عليه المنظمة واجهزتها الفنية العرفان والثناء .

يلمس القارئ لمقدمة معجم الكيمياء مبلغ العناء الذي كابدته اللجان المتخصصة لغاية توحيد وتقريب المصطلحات المختلف حولها وترتيبها هجائياً باللغات العربية والفرنسية والانكليزية . وبالرغم من الجهود المضنية التي بذلت لاصدار المعجم بحلته الحالية الا انه لم يسلم من السقطات العلمية واللغوية ، فضلاً عن فقر مفرداته وانعدام الوحدة والتقريب بين مصطلحاته وضعف بناء واشتقاق البعض منها .

لاشك ان القارئ سوف يركبه الوهم متخيلاً ان المعجم المذكور يؤلف حصاد اكثر من نصف قرن في ميدان الترجمة والتعريب . وان ما قامت به مجامع اللغة العربية في كل من القاهرة وبغداد ودمشق وعمان ومكتب تنسيق التعريب بالرباط والجامعات العربية والافراد انتهى الى مصب المعجم المذكور ! . والواقع ان عدد مصطلحات المعجم الاساسية قليل جداً ، لا يتناسب مع الآمال المعقودة عليه فضلاً عن ضعف بنائها مما يوحي للقارئ الكريم بغياب المنهج القياسي الموحد اللازم لأي عمل علمي منظم .

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام ، معجم الكيمياء .

ولعل سبب ذلك يرجع الى كون اللجنة المختصة تتألف من بضعة افراد غير متفرغين لهذا العمل الجليل ، صرفتهم اعمالهم العلمية في البحث والتدريس عن تكريس جل وقتهم وجهدهم له . ومما لا جدال فيه ان وضع معجم علمي موحد ومتكامل يواكب تطور العلوم والتقنيات يعتبر من المشاريع القومية الكبيرة والتي تتطلب انشاء هيئات او مؤسسات متخصصة ومتفرغة . ولن يكون لنا بذلك سبق الأجر والثواب. فقد سعى اليه اسلافنا الصالحون حينما انشأوا دار الحكمة للترجمة فكانت بحق اول مؤسسة عربية رسمية تعنى بشؤون الترجمة والتعريب ونشر العلوم والمعارف .

وفي بدايات عمل دار الحكمة اتجه المترجمون ، وهم من شتى الأمصار والقوميات ، الى نقل التراث اليوناني والشرقي الى اللغة العربية آخذين بالاعتبار ترجمة او تعريب المصطلحات العلمية والتقنية وفق اصول العربية مع صيانة جوهر المعربات . ولعل اهتمامهم بالتعريب اكثر من الترجمة يرجع الى حاجة الناس لنقل اكبر قدر ممكن من التراث العلمي العالمي كخطوة اولى ، ومن ثم الانكباب على دراسته ومناقشته ونقده . ولم تدم تلك الفترة التحضيرية طويلاً حتى بدأ العلماء العرب بوضع اسس العلم العربي الاسلامي وارسائه على ارض صلبة . وحظي علم الصنعة او صنعة الكيمياء بقسط وافر من نشاط العلماء والمترجمين ، فعملوا الكثير وكتبوا ونشروا الاكثر في ميادين تلك الصنعة . وكنتيجة طبيعية لنمو وتطور العلوم العربية ، اخذ العلماء العرب ببناء واشتقاق المصطلحات العلمية التي تعبر عن الحقائق والمعطيات التي اكتشفوها بانفسهم اثناء ابحاثهم وتنقيباتهم وقدموها الى القراء بلغة عربية خالصة نذكر منها تلك التي تتناول التدابير والكيفيات والآلات كالتقطير والتصعيد والترجيح والتشويه والتصويل والالغام والاقامة وكالكور والماشق والخازن والزق ونافخ نفسه وسواها [1] . اما اسماء الجواهر والمركبات والاحجار فقد نهجوا في تسميتها نهجاً علمياً اميناً . فما كان منها اعجمي المنشأ ابقوه على اصله وجوهره كالمغنسيا والفيروزج والزنجفر والمرداسنج والقليميا . وما كان منها عربي المنشأ اسموه باسماء عربية سرعان ما وجدت طريقها الى شعوب الارض جميعاً . وما زال هذا المنهج العلمي متبوعاً من قبل علماء العالم في وقتنا الراهن وبخاصة اسماء المركبات الكيميائية المعقدة وبعض الظواهر الكونية .

ومما لاجدال فيه ان العلماء العرب الاقدمين كانوا ، الى جانب براعتهم في

---

(١) محمد الكاتب الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ١٤٦ — ١٥٠ .

اختصاصاتهم ، ذوي ثقافة موسوعية شملت علوم الدين والدنيا الى جانب تضلعهم في علوم اللغة العربية . وكان منهم الكاتب البليغ والشاعر الفذ كالطغرائي ، كما كان منهم من يجيد عدداً من اللغات العالمية آنذاك كالفارسية والسريانية واليونانية والسنسكريتية مثل اسحق بن حنين والبيروني وغيرهما .

وكانت تلك الكفايات الموسوعية التي تحلى بها العلماء العرب سبباً رئيساً يمدهم بالعون لبناء الالوف من المصطلحات العلمية العربية . فلم يشعر الوطن العربي آنذاك بالفقر اللغوي ابداً ، بل كان على عكس ذلك يرفل في نعيم العربية بمفرداتها الثرية وقواعدها المتينة وتصريفاتها المتنوعة . فلا غرابة في ذلك ! فاللغة التي اوجدت مئات الاسماء والكنايات للخيل او السباع ومثلها للرياح والغيوم والمياه ، لا يمكن ان تقف عاجزة عن مدنا باسماء الجواهر او الاجهزة والمعدات العصرية . واللغة التي امدت ابناءها الأوائل بعشرات الالوف من رموز ومصطلحات الطب والاقرباذين وعلوم الصنعة والفلك والانواء وعلوم الارض والميكانيك وسواها هي ذات اللغة التي يتحدث بها علماء هذا العصر من ابناء العربية .

والحقيقة التي لا مراء فيها هي ان وقوفنا عاجزين امام ايجاد الاسماء والكنايات والمصطلحات لما تفرزه المدنية الحديثة يومياً من عشرات الابتكارات والاختراعات لا يعود قطعاً الى فقر وعجز العربية ، وانما سببه الانسان العربي سواء أكان مختصاً بالعلوم ام باللغة .

فلا العالم بقادر على التعبير عما يجول بخاطره بلغة عربية سليمة لنضوب معين مفرداته اللغوية . ولا اللغوي بقادر على اسعافه لانصرافه عن العلوم الى ما هو اجدى له . فكان ما كان من انقطاع حبل الوصل بينهما .

والواقع ان ما تراكم من مصطلحات علمية عربية على مر العصور يؤلف نواة صلبة للمعجم العلمي الموحد الذي نصبو اليه جميعاً . فقد وضع العرب الاوائل عدداً لا يحصى من المصنفات العلمية والاسفار والمعاجم اللغوية والعلمية في شتى ميادين المعرفة . وينبغي على مجامع اللغة العربية والمؤسسات العلمية ان تؤلف الهيئات المتخصصة والمتفرغة لجرد كتب التراث العلمي العربي والمعاجم النوعية القديمة والحديثة واصطفاء المصطلحات العلمية الحية منها .

وفي اعتقادنا ان هذه الخطوة الأولية المهمة لا يجوز ان تكون البديل عن وضع

مقاييس ومناهج علمية ولغوية موحدة لبناء واشتقاق المصطلح العلمي على اسس متينة ودائمة ، واتباع النهج الذي سلكه الأولون في هذا المضمار .

ومما لا ريب فيه انه لوتحققت تلك الخطوات لتغير واقع حال المصطلح العلمي العربي ، ولوجد الدارس العربي نفسه متمكناً من ناصية لغته والتعبير عن ذاته بيسر وثبات .

ان ما نلمسه هذه الايام من عناية ابناء الامه العربية ، وعلى المستويات الرسمية وغير الرسمية . باللغة العربية وصيانة اصولها ليبعث على الرجاء في عودتها الى سابق عزها وسؤددها ، كما ان الاهتمام الجاد في وضع العربية في مسار التقدم العلمي والتقني واعتمادها في ميادين التعليم العام والجامعي قد أدى الى تراكم المئات بل الالوف من المصطلحات العلمية العصرية . بيد ان معظمها تلاشى واندثر لجملة اسباب منها تباين الاساليب في نقلها عن اللغات الاجنبية او في بنائها واشتقاقها لانعدام القواعد اللغوية الموحدة واختلاف المعايير والمناهج بين ابناء الوطن الواحد غير الموحد . كل ذلك ولّد قناعات زائفة بعجز اللغة العربية عن مواكبة تطور العلوم .

ومعجم الكيمياء الموحد الذي نحن بصدد عرضه يعتبر اللبنة الاولى في ميدان اعداد المعجم العلمي الموحد . غير ان الدارس لمعظم مفرداته ومصطلحاته يلاحظ افتقارها الى التقريب والتوحيد مما يؤكد دوام اختلاف المعايير والمقاييس في اعداده بسبب تباين المنابع الثقافية للمشرفين عليه . ويبدو ذلك جلياً فيما يأتي من مصطلحات : —

المصطلح منقول عن الانكليزية	المصطلح منقول عن الفرنسية
كبريتيــــد	كبريتور
حمض الكبريتيك	حمض الكبريت
حمض الكبريتوز	حمض الكبريتي
كلوريد	كلورور
حمض الكربوليك	حمض الفنيك
كلوريد الزئبقوز	كلورور الزئبقي
بروميد	برومور
ازرق جون	فليورين
تلريوم	تلــور
تيتانيوم	تيتان

وبنظرة سريعة الى تلك المصطلحات يلاحظ المرء اثر الثقافـة الانكلوسكسونيـة والفرنسية فيها .

لقد اغفل معدو المعجم عدداً من الحقائق العلمية واللغوية وهم ينقلون المصطلحات من منابع ثقافتهم العلمية الاجنبية الى العربية نذكر منها :

أ ـ قيام الاتحاد الدولي للكيمياء الاساسية والتطبيقية (IUPAC) بوضع قواعد موحدة لتسمية المركبات الكيميائية عام ١٩٦٠ نقل بعضها الى العربية بتصرف [1] . والظاهر ان المعجم لم يلتزم بتلك القواعد فابقى على الاسماء القديمة مثل : بروموور وكلورور وزئبقوز وحديدوز وحديديك . . . الخ .

ب ـ التزم المعجم بنقل السوابق واللواحق من اللغات الاجنبية الى العربية دونما تمييز بين ما هولغوي وبين ما هو علمي . ففي معرض تسمية الاحماض نقلت اللاحقة (ic) برسمهـا ولفظهـا الى العربية . فقـد سمى (acetic acid) حمض الخـل نقلاً عن الفرنسية وحمض الاستيك نقلاً عن الانكليزية علماً ان اللاحقة المذكورة تفيد معنى النسب اذ يقابلها في العربية ياء النسب . واذا ما استبعدنا التسمية الاولى لكلونها تسمية يومية دارجة وغير قياسية في ضوء توصيات اا (IUPAC) تكون التسمية المفضلة للحمض المذكور (الحمض الاسيتي (وذلك باضافة ياء النسب الى جوهر الكلمة (-acet) ومنهـا يمكن اشتقاق عشرات المشتقـات بكل يسر نحو اسيتون واستيل واسيتال واسيتاتي . . . الخ وبذلك نبقى على صلة تلك المركبات بالقواعد الدولية من جهة وبالقواعد اللغوية العربية من جهة اخرى .

جـ ـ اتبع المنهج ذاته على المركب (H_2SO_4) حيث سمى (حمض الكبريتيك) نقلاً عن الانكليزية و (حمض الكبريت) نقـلاً عن الفرنسية . ولا شك ان عبارة (حمض الكبريت) سليمـة لغوياً . اما الحمض (H_2SO_3) فسمي (حمض الكبريتوز) نقلاً عن الانكليزية و(حمض الكبريتي (نقلاً عن الفرنسية) . علماً بأن التسمية غير دقيقة لغوياً ولا تفي بالمعنى المقصود . وهذا الخلاف حول تسمية الاحماض يتطلب وضع قواعد عربية موحدة تنسجم مع التسميات الدولية ٥

---

(١) الدكتور مجيد محمد علي القيسي ، العربية ووحدة المصطلح الكيميائي ، بحث قدم لمؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ـ بغـداد . ٤ ـ ١٩٧٨/٣/٧ .

ومن الغريب ان اختلاف الرأي بين معدي معجم الكيمياء (الموحد) لم يقف عند حدود تسمية المركبات وانما تجاوزها الى العبارات البسيطة التي لايختلف فيهـا اثنان . فتحت الحرف (A) فقط وردت المصطلحات المزدوجة التالية : —

لا بلوري — لاشكلي	amorphous
لوزين — امجدلين	amygdalin
شاردة سالبة — ايون سالب	anion
مصعد — انود	anode
مضاد حيوي — انتيبيوتي	antibiotic
مضاد الفرقعة — مضاد للدق	antiknock
كهرب — عنبر	amber
الومينا — الومين	alumina
مائي غولي — مائي كحولي	aquous alcoholic
عطري — اروماتي	aromatic
ارجون — ارغون	argon
تعطير — ارمته	aromatization
زرنيخ — ارسنك	arsenic
عطريل — اريل	aryl
اسبستوس — امينيت	asbestose
قار — اسفلت	asphalt
عاير — قدر	assay
مرذاذ — مذرار	atomizer
مصمم ضاغط — اتوكلاف	autoclave
ازوتات — نترات	azotate
ازوت ميتر — مقياس الازوت	azotmeter

ويبدو ان الخلاف بين الفريقين يرجع الى اسباب ثقافية ولغوية ونفسية ، ففريق يرجح الترجمة على التعريب بينما يرجح الآخر التعريب على الترجمة ، دونما قواعد موحدة ومتفق عليها من قبل جميع الفرقاء حول ما يجب تعريبه وما يجب ترجمته من المصطلحات

وطالما بقيت تلك القواعد غائبة فان الخلاف سوف يستمر الى امد طويل .

وجدير بالتأكيد ان الترجمة يجب ان تكون هي الاساس والقياس ، وما التعريب الا استثناء لها . فالمصطلحات المفردة والدارجة هي المفردات التي لم تكتسب صفة التدويل ولا بد من ترجمتها . اما المصطلحات الدولية والمصطلحات المركبة التي تخضع للعديد من الاشتقاقات كأسماء العناصر والمركبات الكيميائية المعقدة او سواها فينبغي تعريبها وفق اصول العربية . وسبق للعرب ان نهجوا هذا السبيل حينما قالوا : هيولي وفنطاسيا والاسطقس وانولوطيقا وباري ارميناس وقاطيغورياس وافورطيقي وطوبيقي وسوفسطيقي وريطوريقي وبيوطيقي [1] .

ظهرت بين المصطلحات التي سبق ايرادها خلافات ما كان لها ان تظهر كالخلاف حول (anti – knock) وهل تسمى مضاد للدق او مضاد للفرقعة ؟ والخلاف حول رسم ونطق الحرف (G) في كلمة Argon فسمي ارجون وارغون. وسبق للعرب ان نطقوا الكاف المعجمة غيناً (واحياناً جيماً) نحوأيسا غوجي وفيثاغوراس ولوغيا وقاطيغورياس ودارشيشغان وانجليزي [2] . ومن الخلافات التي تلفت النظر تسمية asphalt بـ (بأسفلت) الى جانب الكلمة العربية (قار) . وسميت (atomizer) (مرذاذ) و (مذرار) والصحيح (مذرار) او (مـذرارة) لكونها مشتقة من كلمة (ذرة) بينما تطلق كلمة (مرذاذ) او (مرذاذة) على (sprayer) وكلاهما آلة تستعمل لرش السوائل الا ان الفرق بينهما هو ان الآلة الاولى تطلقها على هيئة ذرات دقيقة ، وهي من صيغ المبالغة ، بينما تنفثه الثانية على شكل رذاذ اي مطر رقيق [3] .

وترجمت كلمة (decantation) تصفية (. وهي كلمة عامة وفضفاضة لا تعبر عن المعنى المقصود . واستعمل العرب كلمة (تصفيق (بمعنى نقل الشراب من اناء الى اناء ليصفو [4] . وترجمت كذلك deposition) ترسيب وقيل في (precipitation) ترسيب ايضاً ، في حين ان اقرب كلمة عربية الى (deposition) وهي طباق . وتكرر هذا الاسلوب في (drying) و (dessitcation) فسميا تجفيف رغم

---

(١) محمد الكاتب الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٨٤ — ٩٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) محمد مرتضى الزبيدي ، معجم تاج العروس من جواهر القاموس .

(٤) المرجع السابق .

تباين المعنيين . واللغة العربية غنية بالمعاني التي تفيد التجفيف كالنشف واليبس والقفوف[1]
واعطيت كلمة (admixture) ثلاث كلمات هي : مزج ومزيج وشائبة . ومزيج اقرب الى المعنى لغة . اما شائبة فقد استخدمت لـ (impuricty) في جميع كتب الكيمياء تقريباً .

وسمي المعجم (aerobiotic) و (aerobic) (حيهوائي) و (هوائي) والصواب (حي بالهواء) وربما سميت (حيهوائي) نحتاً . ومما يشير الى انعدام التقييس تسمية (alcoholimeter) (بمغوال)او (مكحال) . في حين سميت (metry) (تقدير) كما ورد في (alcahalimetry) التي اطلق عليها (مغوالية) او (تقدير الكحولات) . وسبق لكلمة (تقدير (ان اعطيت لـ (estimction) .

لقد اتبع المعجم اسلوباً وعراً وخشناً في تصريف بعض الافعال المشتقة من اسماء الجواهر والمركبات. فقال في الفعل (alcoholise) (غولل) او (كحلل وغوللة وكحللة ومتغولل او متكحلل) . وهذا النوع من الاشتقاق مع ما فيه من فوائد محدودة ، صعب ومحدود الاستعمال . ويفضل القول : يعالج بالكحول او باضافة الكحول ...الخ حسب المعنى المقصود . وقيل ايضاً في (electro — golding) تذهيب وفي (eleclro—coppering) تنحيس . ونتساءل : كيف يمكن صياغة مصدر او فعل للطلاء بفلزات مثل المنغنيز والمولبدنوم والنيكل والتيتانيوم والكروم الى نهاية قائمة الفلزات المستعملة في الطلاء ؟ ! وهل ان (تذهيب (او (تنحيس (تعني بالضرورة استعمال الكهرباء ؟ وما هو الضير في استعمال عبارة طلاء او(طباق) كهربائي بالنحاس او الذهب او البلاتين او الكروم ؟ وعلى النهج الوعر نفسه اشتقت افعال عربية من اسماء اعجمية نحو (برومَّ (من (brominate) (و كلوّر (من chlorinate و (أمنن) من (aminate) . ونتساءل هنا ايضاً : كيف يمكن اشتقاق افعال عربية من (dehydrogenate)و (decarboxy late) و(iodinate) و(iodise)و(oxygenate) (oxidixe) .. الخ . ونسي المعجم ان للغة العربية خصائصها التركيبية والنحوية والصرفية التي تختلف عن اللغات الاوربية .

وخلط المعجم بين الاسماء والصفات حينما دعا (alkali) (قلو) او (قلوي) واذا دققنا النظر في كلمة (alkali) نجدها عربية المبني حيث وردت في كتب التراث

(١) حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي ، الا فصاح في فقه اللغة .

ومعاجم اللغة (القلي) وهو رماد الغض والرمث تغسل به الثياب [1] . فالقلي اذن اسم وليس صفة . وتطلق (alkali) في الوقت الحاضر على عناصر زمرة الصوديوم فيقال (alkalimetels) اي فلزات القلي او يقال اختصاراً (alkalis) بنفس المعنى . اما كلمة قلوي فصفة تقابل (alkaline) . وسمى العنصر (americium) (امريكيوم) والصحيح (امريشيوم) . كما ترجمت (dilute) (مخففف) والاصح (خفيف) لتمييزها عن (diluted) اي (مخفف) .

وفي مجال تسمية المركبات الكيميائية اتبع المعجم نهجاً غير قياسي حين سمي (dichloropropane) (ثنائي كلور البروبان والصحيح لغوياً) ثنائي كلوري البروبان (وذلك باضافة ياء النسب التي تقابل الحرف (O) الـذي يفيـد معنى الوصل . كما سمى (Carbon dioxide) (ثاني اوكسيد الكربون) حيناً و (ثنائي اوكسيد الكربون) حيناً آخر . والتسمية الثانية اكثر انسجاماً مع التسميات الدولية .

واعطى المعجم كلمة (تجمع) لـ (aggregation) ولـ (association) (معاً . وسبق وان اعطيت في مجالات اخرى لـ (gathering) و (Cdlection) و (meeting) . ولما كانت (تجمع) كلمة عامة فانها لا تسعف المعنى الدقيق المـراد منها . وفي اللغة العربية مفردات عديدة تصف بالدقة المطلوبة معاني الافعال المذكورة دونما تداخل او ترادف نحو رصّ وكدس ورصف وركم وجعب وقبا ووزم وجفش وعدف وقثم وكعز وكمز وكتل وقتر وفتر وجشم وامترش وكوم وقمز وكلز وغيرها [2] .

وجميع تلك الافعال تختص بجمع الاشياء وبعضها قريب من معنى (aggregation) اما (association) فتفيد معنى المشاركة والاقتران .

والتبست على المعجم معاني الاسماء في سياق النقل من اللغات الاجنبية الى العربية . فقال في (analyser) (محلل) والتزم الصمت اتجاه (analyst) ويعلم الكيميائيون بان الكلمة الاولى تعني الجهاز او الآلة التي تقوم بالتحليل بينما تصف الثانية الشخص الذي يمارس التحليل مستعيناً بالآلة .

ولم يوفق المعجم لترجمة (anhydride) بـ (لا مائي) اذ اعتبرهـا بادئة . والمعر وف بين المختصين ان ذلك المصطلح يطلق على جذر كيميائي يماثل (chloride)

(١) محمد مرتضى الزبيدي ، معجم تاج العروس من جواهر القاموس .
(٢) ابن سيدة ، كتاب المخصص .

و (hydride) . فهو اذن اسم وليس صفة . كما اقترح (لامائي) ايضاً لكلمـة (anhydrous) واعتبرها لاحقة ، وهي تسمية سليمة . ويمكن تسمية (anhydride) (أنهدريد) تعريباً او (لامائيد) ترجمة .

كما ترجمت (monosaccarides) بـ (سكريات احادية) وهي تسمية دارجة وغير قياسية . ويرجح تسميتها (سكريدات احادية) .

وسمى (Common salt) (ملح الطعام (تارة و (ملح عادي) تارة اخرى . وترجم السابقة (endo) بـ (ماص) فقال في(endothermic) (ماص للحرارة) وترجم السابقة (exo) بـ (باعث) فقال في(exothermic) (باعث للحرارة) . وكلا المصطلحين غير دقيق . واقرب وصف للمعنى هو في قولنا لـ (endo) باطني او داخلي او جواني ولـ exo) خارجي او براني . وجميـع تلك المصطلحات لا تنطوي على معاني فعـلى الامتصاص absorption) والانبعاث (emission) .

وعندما جاء المعجم الى عبارة (qualitative analysis) ترجمها بـ (تحليل كيفي) او (تحليل وصفي) . وعند التدقيق في معنى العبارة في كتب الكيمياء نجدها تتناول تشخيص (نوع) العناصر بالتحليل الكيميائي. فهو اذن (تحليل نوعي او كيفي) . علماً بانه لا توجد في اللغـة العربية كلمـة (كيفي) بالمعنى المذكور [١] وانمـا وردت الكيفيـات في كتب التراث العلمي حينمـا ذكروا (الكيفيات) التي تلازم الاسطقسات وهي البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة [٢] .

وترجم (miscible) بـ (مزوج) وسبق للعلماء العرب ان قالوا فيها (ممـازج) [٣].
وترجم (tonge) بـ (ملقط) . وسبق لهذا المصطلح او ان اطلق على (forceps) ، وكان العلماء العرب يستخدمون اداة مماثلة اسموها (الملزم) او (الكتيفة) [٤] .

نستنتج من هذا العرض السريع لبعض ما ورد في معجم الكيمياء (الموحد) عدداً من الحقائق نذكر منها :

اولاً : افتقار مصطلحات المعجم الى الوحدة والتقريب فقد ورد فيه اكثر من مقابل للمفردة.

---

(١) محمد مرتضى الزبيدي ، معجم تاج العروس من جواهر القاموس .
(٢) ب . كراوس ، مختار رسائل جابر بن حيان .
(٣) المرجع السابق .
(٤) حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي ، الافصاح في فقه اللغة .

ثانيـــاً : عدد مفردات المعجم قليل جداً لايسعف حاجة مرحلة التعليم العام .
ثالثاً : تعرض المعجم الى بعض العثرات اللغوية والعلمية والفنية .
رابعاً : يفتقر المعجم الى فلسفة واهداف واضحة . اذ يصعب على الباحث ان يستقرئ القواعد القياسية المتبعة في اعداد مصطلحاته . والظاهر ان الجهود انصبت على معالجة المصطلحات المفردة او الدارجـــة بمعزل عن صلتها العلميـــة واللغوية بمصطلحات الكيمياء او العلوم الطبيعية الاخرى .
خامساً : التزم المعجم بالتسميات القديمة للمركبات الكيميائية متجاوزاً بذلك مقررات (IUPAC) .
سادساً : لم يحسم المعجم قضية السوابق واللواحق الاعجمية . فلم يتعرض لسبل نقلها الى العربية سواء اكان ذلك ترجمة ام تعريباً . كما لم يشر الى اسلوب ولغة كتابة رموز العناصر والثوابت واسماء المركبات الكيميائية المعقدة والمعادلات الكيميائية والقوانين الرياضية والارقام والرسوم والخطوط البيانية . . . الخ . فما زالت تلك الامور تكتب بلغة عربية مهجنة تثير في نفس الدارس الاضطراب والبلبلة . فالقـــارئ لكـــتب الكيمياء الجامعية الحديثة يجد الارقام العربية المشرقية والمغربية جنباً الى جنب . ويجـــد جملاً وعبارات كتبت متقابلة ومتعامـــدة من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين في سطر واحد . ويجـــد منطوق مسألة رياضية كتبت بالعربية بينما كتب الحل بلغـــة اجنبية . . . الى آخر منظومة التهجين التي لا حدود لها .

ولمست من متابعتي الشخصية وتجربتي المتواضعة في ميدان التأليف ان تلك الشؤون استحالت الى شجون بين المؤلفين والدارسين على حـــد سواء ، فـــأثرت سلباً على مسيرة تعريب العلوم في بعض الاقطار العربية .

ان العمل من اجل اعداد معجم موحد للمصطلحات الكيميائية يعتبر من المشروعات القومية المهمة والتي لا بد ان تكون لها فلسفة واهداف وخطط علمية واضحة . وبالتأكيد فان انجاز مثل هذا السفر الجليل وبمدة قصيرة نسبياً ، يستدعي مشاركة جميع المختصين في ميادين علوم الكيمياء واللغة وفنون المعاجم .

والخلاصة : ان معجم الكيمياء (الموحد) جهد قيم سوف يحتل ، بالتأكيد ، المكانة اللائقة به في المكتبات العربية ، ليكون عوناً للمؤلفين والدارسين ، وليسهم في دفع عجلة تعريب العلوم في الوطن العربي .



آراءٌ وَ اَنباءٌ

تعقيب واستدراك على اشعار

مالك بن الريب وعبيدالله بن الحر وكعب بن معدان الأشقري

ونصر بن سيار وعبدالصمد بن المعذل

الدكتور نوري حمّودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ترتبط عملية تحقيق الشعر ونشره بتاريخ عريق ومدرسة منهجية موغلة في القدم تثبتت اصولها في القرن الثاني الهجري ، واستقامت قواعدها بعد هذا التاريخ حتى اصبحت طريقاً معروفاً ، ومنهجاً متبعاً ، ومسلكاً من مسالك العمل العلمي المزدهر . وقد حققت هذه العملية لديوان الشعر الغربي مادةً ثرّة ، وتراثاً كبيراً ، انتفعوا منه في كل مجال ، واستخدموه في كل موضع ، واستعانوا به في كل تفسير ، وقد اضاف الشعر بكل اشكاله الى اللغة وفروعها ما اغناها وسّع دائرتها ، حتى اصبح القرن الثالث الهجري قرن ازدهار لغوي ونحوي وبلاغي الى جانب الازدهار الذي عرفته الرواية الشعرية بما جمعه الرواة من اشعار الشعراء والقبائل . . ويقف الاصمعي وابو عبيدة وابو عمرو الشيباني وابن الاعرابي على رأس هذه الطبقة ويليهم السكري ابو سعيد الحسن بن الحسين المتوفى سنة ٢٧٥ أو ٢٩٠ الذي يعد ثقة صادقاً فاذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة فقد جمع اشعار ما لايقل عن خمسين شاعراً من الجاهليين والاسلاميين الى العباسيين وشرحها كلها أو اكثرها . . .

وبقيت صناعة الدواوين وجمع الشعر تأخذ مكانها حتى شملت مجاميع الشعر وكتب الحماسة والنوادر والامالي ، وامتدت الى كل مجال ، وانتشرت في كل حقل فاستمدت كتب التاريخ منها شواهدها ، كما اعتمدت كتب البلدان ومعاجم اللغة على دواوين الشعر في مجال الاستشهاد والتدليل والاحتجاج . . . وقد حفظ لنا هذا النهج ثروة كبيرة ، وثبت لنا مجموعة من الحقائق للاستدلال .

وعلى الرغم من الحرص الدقيق الذي رافق عملية الجمع والرواية والمتابعة فقد اختلفت الدواوين الشعرية من حيث كمية الشعر باختلاف الرواة . فشعر النابغة برواية ابن السكيت تختلف عنه برواية محمد بن حبيب ، وتختلف الى حد ما عن رواية الاصمعي ، وكذلك الامر بالنسبة لشعر امرئ القيس وعنترة والاعشى وزهير وغيرهم من الشعراء ، على ان هذا الاختلاف لا يقدح في صحة الرواية أو يشين وجه صحتها ، أو يغير من صدق اسنادها . لأن طرق الرواية مختلفة ، ومواطن الاعتماد متعددة ، وموارد السند متشعبة وهذا ما حمل بعض المحققين في عصرنا الحاضر على ان يجمعوا الروايات ويوفقوا بينها للوقوف على مجموع كامل من نسخ الديوان . وتظل عملية الجمع غير قادرة على الاستكمال ما دامت الرواية الشعرية رافداً من روافدها والمظان الرئيسة غير متوفرة .

وهذا ما دفع الباحثين والمحققين الى الاستدراك والتعقيب حول ما نشر من شعر أو جمع من ابيات ، وانني لعلى ثقة اكيدة ان معظم دواوين الشعر التي نشرت عن طريق النسخ المخطوطة أو المجموعة ستظل غير كاملة الى حد كبير وان كانت صورة النسخ المخطوطة اكمل الى حد ما ، وهذا ما يفسر لنا حركة الاستدراك المتعاقبة التي يقف عليها الباحثون وهم يقدمون في كل زمن ما يضيف الى الشعر المطبوع ما يكمل مسيرته ويحقق وجوده ويهتدي الى توضيح معالم الشاعر أو العصر ، وفي ديوان الراعي النميري الذي صنعته مع الاستاذ الجليل المحقق هلال ناجي ما يكشف عن صدق هذه الحقيقة ، فالذي يرجع الى النسخ الاولى من الديوان والذي اعتنى بجمعه وتحقيقه المرحوم الدكتور ناصر الحاني وراجعه وجمع شواهده ووضع فهارسه المرحوم عزالدين التنوخي نجد ان شعر الراعي لا يتجاوز الخمسمائة والخمسين بيتاً ، ومن غير المعقول ان يكون ديوان الراعي النميري رابع شعراء الطبقة الاولى من شعراء العصر الاسلامي بهذا الحجم فقد استدرك عليه الاستاذ هلال اكثر من ثلاثمائة وخمسين بيتاً نشرت في مجلة المورد وعندما حاولنا اعادة نشره بعد وقوفنا على مجموع شعره في منتهى الطلب تضاعفت الابيات حتى اوشكت ان تصل الى الف وخمسمائة بيت ومعظمها من القصائد الجديدة التي ستكشف عن حياة الشعر وتشارك في توضيح بعض ملامح العصر وتعطي صورة لنمط البناء الفني للقصيدة العربية في عصر الدولة العربية . ومثل ديوان الراعي دواوين كثيرة اضيفت اليها ابيات وقصائد ومقطعات . . .

ولقد حاولت جمع شعر مالك بن الريب قبل اكثر من خمس عشرة سنة لاعجابي

بسيرته وحبي ليائيته التي تعدّ ضرباً رفيعاً من ضروب الشعر فروسية واباءً . وقد ظلت القصيدة تحمل معاني البكاء الذاتي لمعاني البطولة ، وتطوي آهات النفس التي بقيت جذورها مشدودة في تراب الارض العربية على الرغم من نوازع الفتح ، والايمان بقدرة التحرير ورسالة الدعوة العظيمة ، وقد طبعته ضمن كتابي (شعراء امويون) الجزء الاول عام ١٩٧٦ ، ومثل ما اعجبت بمالك بن الريب فقد اعجبت بشجاعة عبيدالله بن الحر الجعفي الذي ظل نموذجاً متقدماً من نماذج الجرأة والشجاعة والاباء فجمعت شعره ونشرته ضمن نفس الكتاب ، ووجدت في شخصية كعب بن معدان وهو يواكب شعر التحرير ويخلد معارك المهلب ويفخر بعناصر البطولة من خلال مدائحه له شخصية اخرى يمكن ان تضم الى بقية الشعراء الذين حفل بهم الجزء الثاني من كتابي (شعراء امويون)

وبعد ثلاث سنوات على صدور هذا الكتاب وقفت على كتاب الفتوح لابي محمد احمد بن أعثم الكوفي المتوفى نحو سنة ٣١٤ باجزائه الثمانية وقد وجدت فيه مقطعات جديدة واخباراً مفصلة يمكن اضافتها الى ما جمعته من شعر ، وهذا ما حفزني على الاستدراك وحملني على التعقب ودفعني الى ان اتابع الاجزاء لاستدرك على نفسي واعقب على عمل قمت به لتكون الفائدة اكبر ، واذا كان بعض المحققين يجد في ذلك غرابة فانني أجد نفسي في غاية الارتياح وانا اعثر على كمية جديدة من الشعر ، واقف علـى جملة من الاخبار التي تضيءُ جوانب من حياة اولئك الشعراء الذي قدمت حياتهم بما كنت امتلكه من المصادر ، وان سروري يعظم ، واعتزازي يكبر إذا وجدت من الاخوة المحققين من يضيف الى الشعراء الذين صنعت دواوينهم شعراً جديداً ، او تحليلاً فنياً ، أو محاولة تغني حياتهم .

والله أسأل أن يمنحنا السداد في الرأي ، والحكمة في العمل والاخلاص في العلم لنخدم هذه اللغة الكريمة ونعمل على احياء كنوزها الرائعة انه نعم المولى ونعم النصير .

مالك بن الريب

(١)

في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٨٩/٤ وردت القطعة (١٤) المثبتة في (شعراء امويون). صفحة / ٣٤ وفي روايتها اختلاف ، وقد داخل بعض ابياتها التحريف والتصحيف .

(٢)

يذكر صاحب كتاب الفتوح ٤ / ١٩٠ انه عندما سار سعيد بن عثمان بن فارس

كان معه مالك حتى صار الى نيسابور ، وبها يومئذ نفر من المسلمين من بقايا اصحاب عبدالله بن عامر بن كريز ، فصاروا الى سعيد بن عثمان ؛ وفرض بهم فرضاً وخلطهم باصحابه ، واقام بنيسابور شهراً كاملاً حتى اخذ جزية اهلها ، ففرقها في اصحابه . ثم سار من (مرو) يريد (سمرقند) فصار الى نهر (بلخ) فنزل على شاطئه ثم أمر بعقد الاطراف فعقدت ، ونادى في الناس ان يعبروا فعبروا ، وعبر سعيد بن عثمان في اول الناس وتبعه اصحابه ؛ فجعلوا يعبرون على الاطراف وسعيد ينظر اليهم حتى عبروا باجمعهم وسار سعيد حتى صار الى (بخارا) فنزل على ابوابها . . . ثم سار من بخارا والادلاء بين يديه فنزل على (سمرقنـــد) وبها يومئذ خلق كثير من السغْد . قال : فخرج إليهم السغد ودنا بعضهم من بعض، فاقتتلوا والناس يقتتلون قتالاً شديداً قال : وخرج رجل من السغْد على برذون له أصفر فجعل يدعو الناس الى البراز قال : فتطأطأ الناس عنه وتحاموه ، فقال مالك بن الريب : ايها المسلمون ما الذي يقول هذا العلج ؟ قالوا : يدعو الى البراز ، قال : افما منكم من يجيبه ؟ فقال مالك بن الريب : فهذه والله لفضيحة ! فقال بعض اصـــحابه : فهل عندك شيءٌ يا مالك ؟ فقال مالك : اني سأبكي نفسي في مثل هذا اليوم . ثم قنّع فرسه ، وخرج نحو العلج وهو يقول :

ألا أيها البـــراز بقرني . . . [1]	أساقيك بالطعن العذاف المُقَشّبا
فأي فتىً في الحرب والموت سَبْبُه	على شاربيه فاسقني منه واشـــربا
ودَونكها نَجلاءَ ينضح فـــرعها	نجيعاً دماً من داخل الجوف متعبا
حباك بها مَنْ لا يَصرّدُ كأسه	إذا ما سقاها من الى الموت ثوّبا
اخو غمرات لا يروع لجأشِهِ	إذا الموتُ بالموت ارتدى وتعصبـــا
يباشر في الحرب السيوف ولا يَرَى	لمن لا يباشرها الى الموت مهـــربا
اغرّ نمـــاه مازنٌ بفعالـــهِ	فكان نجيب الأمـــهات فأنجبـــا

قال : ثم حمل مالك على ذلك السغدي والتقيا بطعنتين طعنه السغدي طعنة فوقعت في قربوص مالك ، وسقط مالك الى الارض فوثب مسرعاً ورمحه في يده فطعن السغدي طعنة رمى به عن فرسه الى الارض وذهب السغدي يقوم ، فبادر اليـــه مالك فاحتمله من الارض حملاً وجعل يعدو به حتى رمى به بين يدي سعيد بن عثمان .

---

(١) كذا في الكتاب وقد اشار في هامشه الى سقط ركن واحد فجعلت هذه النقاط والابيات غير موجودة في شعره الذي جمعته .

قال : واشتبك الحرب بين المسلمين وبين اهل سمرقند يومهم ذلك الى الليل ثم ، انصرف بعضهم عن بعض . قال : ودامت الحرب بين القوم شهراً كاملاً . . . وجعل مالك يفعل في كل يوم بين يدي سعيد من الافاعيل ما تعجب منه المسلمون . فلا يرى أن سعيد بن عثمان يزيده في ارزاقه شيئاً فانشأ يقول [1] .

يا قلّ خير أمير زلتُ اتبعه	ألست تُرهبني ام زلت ترجوني
منّيتموني امانياً قنعت بها	حتى إذا ما جعلتم مقنعاً دوني
كانت امانيّكم ريحاً شآمية	ظلت بمختلف الارواح تؤذيني
فإن وقعت لجنب الرمل منقصفاً	أوليت كل امرئ ما كان يوليني

قال : فبلغ ذلك سعيد بن عثمان فلم يلتفت الى ذلك فأنشأ مالك يقول [2] :

سعيد بن عثمان اميرٌ مروّع	تراه إذا ما عاين الحرب اجزرا
وما زال يوم السُّغدِ يرعد خائفاً	من الروع حتى خفت ان يتنصرا
فلولا بنو حرب لهدت عروشكم	بطون العظايا من كسير واعورا
وما كان من عثمان شيءٌ علمته	سوى نسله في عقبه حين ادبرا

عبيدالله بن الحر الجعفي

(١)

عجبت سليمى أن رأتني ساحباً خلق القميص بساعديّ خدوشُ

الى آخرها . . . ويبدو أنها قصيدة طويلة ، ذكر في كتاب الفتوح لا بن اعثم ١٦٧/٦ ولم اثبتها في (شعراء امويون) . . .

(٢)

انا الحرُّ وابن الحر يحمل منكبي شديد القصيري في العبادي رحيلُ

الى آخرها . . ويبدو ان البيت من قصيدة ذكر هذا البيت في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٦٨/٦ ولم اثبتها في (شعراء امويون) .

(٣)

وعندما التقى بحيّ يقال لهم بنو شبام ، قاتلهم وقاتلوه ثم حمل عليهم ففرقهم ، ثم انشأ يقول ابياتاً مطلعها :

---

(١) الخبر والابيات في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٩٤/٤ والبيت الاول مع اختلاف في (شعراء امويون) مع بيتين آخرين والابيات الثلاثة الاخرى غير موجودة في شعره المنشور .

(٢) الابيات عدا الاول في (شعراء امويون) وفي روايتها اختلاف كبير .

صبحت شباماً غارةً مشعلةً واخرى نشاهدها صباحاً لشاكر

الى آخرها . . ويبدو انها قصيدة ولكن صاحب كتاب الفتوح وقف عند مطلعها في الجزء السادس / ١٧١ .

(٤)

قال : ثم اجتمعت قبائل همدان في ثلاثمائة فارس حتى وافوا الكوفة في رونق الضحى وهمدان يومئذٍ في ثلاثمائة من قبائلهم وثلثمائة من اصحاب المختار ، فلم يشعروا إلا وعبيدالله بن الحر قد وافاهم حاسر الرأس وهو يرتجز ويقول :

انـي انا الحر وابن الحُـرّ [ذو حسب مـذحج وفـخر] [١]

وقادح لكم غداة الـذعـر بالضرب احياناً وطعـن شـزر

(٥)

ثم خشي عبيدالله بن الحر أن تدهمـه خيل المختار بأجمعها أو تجتمع عليه اهل الكوفة فلا يكون له بهم طاقة ، فصاح ومضى حتى خرج من الكوفة فانشأ يقول ابياتاً مطلعها .[٢]

لقيت شبامـاً عند مسجد مخنفٍ وقبـل شبام شـاكراً وسـبيعاً

الى آخرها . .

وفي مجموع شعره الذي صنعته عثرت على قطعتين منفردتين ، تتفقان مع هذا المطلع من حيث الوزن والمعنى والقافية . وفيهما اشارة الى اغارته على شبام من همدان ولم يكن هذا البيت من ضمن الابيات .

(٦)

وقال مخاطباً مصعب بن الزبير :

متى تسـألوني ما عليّ وتمنعوا الـذي لـي لم اسـطع على ذلـكم صـبرا

أهانُ وأقضي ثم ترجى نصيحتـي واني امرؤ يـوفي نصيـحته قسـرا

رأيت اكفّ المفضلين لـديكـم ملاءً وكفّـي مـن عطائكمُ صفرا

وقدماً كففت النفس عما يريبكـم ولو شئت قد اغليت في حربكم قدرا

ولو شئت قد سارت اليكم كتائب رآها سراعاً نحـو عقوتـكم غبرا

---

(١) الشطر ناقص . . . والرجز والخبر في كتاب الفتوح لابن اعثم ٦/١٧٢ .

(٢) الخبر والبيت في كتاب الفتوح لابن اعثم ٦/١٧٢ .

عليها رجالٌ لا يخافون فـي الوغى سهام المنايا والردينيّـة السـمـرا

الخبر والابيات في كتاب الفتوح لابن اعثم ٦ /٢٠٣.

(٧)

يضيف صاحب كتاب الفتوح لابن اعثم للقطعة رقم (٣) في (شعراء امويون) بيتاً جديداً في الجزء السادس / ٢٠ وهو :

بسوء بلاء أم لقتـــل عشيرتي اذلّ وأقصى عن حجـابات مصعب

يذكر صاحب كتاب الفتوح ٦ / ٢٠٦ خبراً عن سجن عبيدالله بن الحر في سجن مصعب بن الزبير بعد ان امر سجاناً يقال له واصل وطلب منه ان يضيق عليه في السجن ما يستطيع . قال عبيدالله :

فلم ارَ يوماً مثـل يوم شـهدتـه ابت شـمسـه مع غيمـه ان تغيّبا

ويبدو انها قصيدة طويلة ظفرت ببعض ابياتها في شعره الذي نشرته ، ولم اهتدِ الى القصيدة ولا الى المطلع الذي ثبته صاحب كتاب الفتوح

(٨)

بعث قوم عبيدالله بن الحر اليه وهو في سجن مصعب بن الزبير : اننا عزمنا على أن نسير اليه ونكلمه في امرك ، وقد احببنا ان يكون معنا ابو النعمان ابراهيم بن الاشتر فلا عليك أن تبعث اليه رسولاً وتسأله أن يركب معنا ، فانه عظيم القدر عند الامير (مصعب ابن الزبير) ولعله ان يستحي منه فيشفعه فيك . قال : فكتب عبيدالله بن الحر الى ابراهيم ابن الاشتر ثم اثبت في رقعته هذه الابيات :

بان المـلامة لا تبقي ولا تـدع ولا يـزيدك الإ انـهـا جـزع

لم يبقَ معـذرة سـعد فـأعذرها ولا مـزاد وكانوا بئس مـا صنعوا

والحارثيون لم ارضَ الـذي نطقوا عند الامير وشرّ المنطق الشـنـع

تبادروا أنهم نـأتـي اميـرهم وللمـذلة في اعنـاقهم خـضعوا

فقد وردتم فـذوقوا غب مصدركم لا يهنكم بعـده ريٌ ولا شـبع

اذا يقـولون وابن الحرُ محتبسٌ همّت بـه مذحجٌ والأنف مجتدع

قد جلّلت مذحج ما ليس يغسله ماء الفرات لأن لم يشهد الـنجع

الضاربون مـن الاقـوام هامهم بحيث يقرع عن هاماتها الصلـع

والطاعنون ولم ترعـش اكفّـهـم إذا العـوالي بأيدي القـوم يخترع

شمٌ العرانين سادات كأنهم بيض السيوف التي لم يعلها الطبع
ارجو قيام ابي النعمان إذ وهبوا ومثله بجسيم الأمر يضطلع
فانْ يفكّ عبيدالله من كبل فليس بعدك في اخراجه طَمع
فاجهد فدى لك والاقوام كلهم ما بعدها من مساعي الخير متبع
فابسط يديك فإن الخير مبتدر علياءه وجدود القوم تصطرع
قد قدمت لك مسعاة ومأثرةٌ من مالك وكذاك الخير منتجع
والأمن والخوف أيام مداولة بين الرجاء وبين الضيق متسع

الابيات والخبر اوردها صاحب كتاب الفتوح في الجزء السادس / ٢١٠ - ٢١١ ولم اعثر قبل هذا المصدر إلا على البيت الاخير في حماسة البحتري / ٢٢٤ .

(٩)

كتب عبيدالله بن الحر الى مصعب بن الزبير يعتذر اليه :

تذكرت قبل اليوم آية خلّة أضرّت بحقي عندكم وهو واجب
وما في قناتي من وصوم تعيبها ولا ذم رحلي فيكم من أصاحبُ
وتعلم إنْ كاتمته الناس انني عليك ولم اظلم بذلك عاتب
وما انا راضٍ بالذي غيره الرضا فلا تكذبنك ابن الزبير الكواذب
رأيتك تعصيني وتشمت شانياً كأني بمالم أجترم لك رائب
فإنّ كان من عندي فبين فانّني لصرمكم يا ابن الزبير لهائب
وان كان من غيري فلا تشمت العدى بنا وتدارك دفع ما انت قارب
وان كان هذا الصرم منك لعلّةٍ فصرّح ولا تُخفي الذي انت راكب
ففي كل مصر قاسط تعلمونه حريص على سري لك راهب
أرى الحرب قد درّتٍ عليك وفتنةٌ تضرّم في الحافات منها المحاطب
فحسبك قد جرّبتني وبلوتني وقد ينفع المرء الكريم التجارب
ألم تعلموا اني عدوّ عدوّكم وتشفي بنا في حربكم من تحارب
أناضل عنكم في المغيب عشيرتي واما بنفسي دونكم فأضاربُ
لكم بارد الدنيا ويصلى بحرّها إذا عضت الهام السيوف القواضبُ
فلسناً كراماً ان رضينا بذاكم ولم تتأهب في الحديد الكتائب
ولولا امير المؤمنين وبيعتي لقد كثرت حولي عليك الجلائب

الابيات اوردها صاحب كتاب الفتوح ٢١٢/٦ ـ ٢١٣ وقد وجدت من هذه القطعة الابيات ٤، ١١، ١٢، ١٤ وقد رتبت ترتيباً مغايراً لترتيبها في هذه القطعة اوردها ابن الشجري في حماسته / ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

(١٠)

وخرج عبيدالله بن الحر من الكوفة ليلاً فلحق به الناس من كل ناحية حتى صار في خمسمائة رجل ما فيهم احد إلا وعليه درع سابغ وبيضة محكمة . قال : فعندها عزم على الغارة ثم كتب الى مصعب بن الزبير بهذه الابيات .

فلا كوفة أمي ولا بصرة ابي ... ولا أنا يثنيني عن الرحلة الكسل
فلا تحسبني ابن الزبير كناعس ... اذا حلّ اغفى أو يقال له ارتحل
فإن لم ازرك الخيل تردي عوابساً ... بفرسانها حولي فما انا بالبطل
وان لم ترَ الغارات من كل جانب ... عليك وتندم عاجلاً ايها الرجل
فلا وضعتْ عندي حصَان قناعها ... فلا تجدعني بالاماني والعلل
فانك لو اعطيتني خرج فارس ... وارض سواد كلها وقرى الجبل
وجدّك لم اقبل ولم آت خطةً ... تسرك فأيس من رجوعي لك الهبل
بل الدهر أو تأتيك خيل عوابس ... شوازبُ قبّ تحمل البيض والاسل
بفتيان صدق لا ضغائن بينهم ... يواسون من أقوى ويعطون من سأل
ألم يأتكم يوم العذيب تجالدي ... به شيعة المختار بالمفصل الأقل
وبالقصر قد جربتموني فلم أحم ... ولم اكُ وقّافاً ولا طائشاً فشل
وبارزت اقواماً بقصر مقاتل ... وضاربت فرساناً ونازلت من نزل

الخبر والابيات في كتاب الفتوح ٦ / ٢١٤ ـ ٢١٥ وقد وجدت من هذه القطعة الابيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ١١، ١٢، في بلدان ياقوت ٤ /١٢٢ وتاريخ الطبري ٦ / ١٣٢. وفي ترتيبها وبعض الفاظها اختلاف اما بقية الابيات فهي جديدة لم اعثر عليها ولم اثبتها في مجموع شعره في (شعراء امويون) .

(١١)

قال عبدالله بن الحر يذكر وقائعه وقد قدّم لهذه الابيات بخطبة رائعة .

وقدماً أبينا أن يقرّ ظلامه ... وقدماً وثقنا كل فتق من الأمر
وكم من ابيّ قد سلبناه وقرَهُ ... باسيافنا حتى أقام على العُسر

بضرب يزيل الهـام عن سكناتـه　　　وطعنٍ باطراف المثقّفـة السـمرِ
ومن شيعةِ المختـار قبـل سقيتها　　　بضربٍ على هـاماتهم مبطل السحر

الخطبة والابيات في كتاب الفتوح لابن أعثم ٦ / ٢١٧ - ٢١٨ ولم اجد منها قبل وقوفي على هذا المصدر إلا البيت الرابـع مع بيتين غير هذه الابيات في بلدان ياقـوت ٣٦٦/٢ وابيات أخرى متناثرة وقف عندها ياقوت في معجمه ويبدو ان هذه الابيات وتلك تشكل قطعة واحدة تحدث فيها الشاعر عن أيامه التي سجلها ومآثره التي يفتخر بها وقد اشرت اليها في (شعـراء امويون) .

(١٢)

بعث عبيدالله بن الحر برجال من اصحابه في جوف الليل ليدفنوا قتلاه في يوم تكريت واقبل راجعاً نحو الكوفة وهو يقول :

وابيض قـد نبهتـه بعـد هجعة　　　فقام يشـدّ السرج والمرء ناعـسُ
عليـه دلاص كالأضاة وبيضـةٌ　　　تضيءُ كما يذكي من النـار قابسُ

الخبر والابيات في كتاب الفتوح لابن اعثم وقد اخلّ بهما مجموع شعره في (شعراء امويون) .

(١٣)

وعندما التقى عبيدالله بن الحر بالعساكر القادمة من الكوفة تريد قتاله على نهـر صرصر . وقع في قلوب العساكر الفشل وانهزوا متفرقين وغنم ابن الحر واصحابه ما كان لهم من دواب وسلاح وانشأ يقول ابياتاً مطلعها :

نفيتُ لصوص الارض ما بين عـانةٍ　　　الى جـازر حتى مدينـة دسـترا

والبيت جديد انفرد به صاحب كتابً الفتوح ٦ / ٢٢٥ وقد ثبت في مجموع شعره قطعتين وجدتهما منفردتين يذكر فيهما هذه الوقعة وارجح ان هذا البيت أو المطلـع هو من تلك الابيات ويبدو ان القصيدة طويلة لم نعثر منها إلا على خمسة ابيات فقط .

قال عبيدالله بن الحر بعد ان دعا بفرسه واخذ سيفه وتقلد رمحه ليجابه قاطـع الطريق الذي اعلمه عنه اهل الانبار :

وابيض قـد نبّهته بعد هجعـةٍ　　　وقد لبس الليل القميص الارنـدجا
وجـدت عليـه مغرماً فقبضتـهٌ　　　وفرّجت مـا يُرجى بـه أن يفرّجا
وكنت إذا قومي دعوني لنجـدةٍ　　　شددت نطـاقي حين أُدعى وأسرجا

فاكشف غمّاها واكسب مغنماً واطفي الـذي قد كان فيها مؤججا

يضاف الى القطعة (٣٨) من شعره هذا البيت :

انشا يسائلني عنـه واطعنـه فخرّ يهوي على الخيشوم منجدلا

الخبر والابيات في كتاب الفتوح ٦ / ٢٢٨ / ٢٢٩ .

(١٥)

اقبل عبيدالله بن الحر على اصحابه . فقال : تهيأوا الآن . اني قد عزمت أن اسير بكم الى الشام الى عبدالملك بن مروان وأسأله المعونة على مصعب بن الزبير . ثم نادى في اصحابه وترحل نحو الشام وانشأ يقول ابيات مطلعها :

وبالشام اخواني وجلّ عشيرتي وقد جُعلت نفسي اليك تَطَلّعُ

الى آخرها .

كتاب الفتوح ٦ / ٢٣١ .

(١٦)

قال عبيدالله بن الحر يحث اصحابه على القتال ويدعوهم الى الثبات .

يا لك يوماً قلّ فيه ثقتي وغاب عنّي معشري وأسرتي

ومذحج طراً وجل اخوتي وصحبتي الحامون لي في كربتي

ياقيس عيلان اصبتم فرصتي وما أبالي إنْ اتت منيّتي

ثم حمل على خصومه في اصحابه على قلتهم فقاتل ساعة فقُتل من اصحابه نيف على ثلاثين رجلاً ، وبقي في بضعة عشر رجلاً فقاتل حتى بقي خمسة فجعل يرتجز ويقول :

لو أن لي من شيعتي رجالا مساعراً أعرفهم ابطالا

لأحسنوا من دونيَ القتالا ولم يهابوا في الوغى الآجالا

قال : وقتل اصحابه الخمسة فبقى عبيدالله بن الحر يقاتل وحده

كتاب الفتوح ٦ / ٢٣٣ - ٢٣٤ .

كعب بن معدان الاشقري

(١)

قال كعب بن معدان الاشقري يذكر الازارقة واصحاب المهلب .

قُل للازارقة الذين تمّرقوا بسلى وسلّبري لقيت نحوسا

قتل المهلب جمعكم وأخذتُم من رسله بالزائدان رؤوسا

قـد تكتمـوها فاستروها واقبلوا　　جهـداً على تلك النفـوس نفوسا
وبكوا عليها كلّ ذرّ شـارقٍ　　واسوا وظلـوا عـاكفين عـبوسا
كم مثلهـا منكم لـه كم مثلهاً　　بؤسـاً لمن عـاد المهلـب بوسـا

الخبر والابيات في كتاب الفتوح ٢٦/٦

(٢)

انشأ كعب بن معدان الاشقري يقول ابياتاً مطلعها :

قل للمهلب إن سيفك مـدرك　　حامي الحقيقـة مـدرك الأوطار

كتاب الفتوح ٧ / ٢٧ .

(٣)

انشأ كعب بن معدان الاشقري يقول وهو يرى المهلب قد حمل بنفسه على الازراقة فلم يزل يقاتل حتى جرح سبع عشرة جراحة

وليس إذا رأى ابن الورد بعد　　ومسـحا بالمهلـب في الصبـاح

الى آخرها . .

كتاب الفتوخ ٧ / ٣٢

(٤)

قال كعب بن معدان عندما دخل المهلب الى مدينة جيرفت واستولى على ما كان فيها من امتعـة الازارقـة ودوابهم وسلاحهم واموالهم ونسائهم واولادهم . .

ألم يأتها أن الازارق شـردوا　　وصارت عليهم في البلاد الفضائح

الى آخرها . .

كتاب الفتوح ٧ / ٦٩

(٥)

انشأ كعب بن معدان الاشقري يرثي المهلب :

ترحلت الاجياد تبغـي عميدها　　اخا الحرب دارتهُ السقائف والقبرُ
يقولون هل بعـد المهلب نعمـة　　من العيش إلا قـد أتى دونها الدهر
ولا نائل إلا قليـل مصـدّد　　قليل الغنى في الناس مطلبه وعرُ
وهُدّتْ لذاك الارض حتى كأنها　　بكته الجبال الصـمُّ وانصدع الفجرُ
واظلمت الآفاق حتـى كأنّما　　يرى دون ضوء الشمس من دونها ستر

فمن ذا الذي يُرجى لكل عظيمة | تحل بنا أو مَن يُسَدُّ به ثغرُ
بقينا بحالات أبى الدهر دونهـا | عرى الحزم والمعروف والنائل الغمرُ
أيرجون أن يُعرى سـمرقند غيرها | وعليا بخارستان وانقطـع النـهرُ

كتاب الفتوح ٧ / ١٣١ ـ ١٣٢

تعقيب واستدراك على ديوان نصر بن سيار الكناني

جمـع وتحقيق عبدالله الخطيب

نشر الاستاذ عبدالله الخطيب ديوان نصر بن سيار امير خراسان عام ١٩٧٢ وقد وقع بين يدي قبل فترة من الزمن اهداني اياه صديق عزيز واديب كريم ، وقد قرأت الديوان في حينه وقيّدت عليه بعض الملاحظات ، ومع اعتزازي بمحاولة الاستاذ المحقق الذي كشف عن آهات هذا الامير الشاعر الذي ضيّعه الزمن وتكالبت عليه سيوف الغدر فمات على بعد تسعة فراسخ من الريّ فدفن بها فقد وقفت على مجموعة من الملاحظات التي تتعلق بالمقدمة والشعر المجموع . .

وبالنظر لطول المدة الزمنية بين ظهور الديوان وكتابتي هذا التعقيب فقد آثرت الوقوف عند المسائل التي تتعلق باستدراك الشعر لما فيه من فائدة ترمي لكشفه عن جوانب جديدة يمكن ان تضيف الى حياته الحافلة ما يضيُ بعض جوانبها ، ويوسع مساحـــة تحركها . وقد افادني في كل الابيات والاخبار كتاب الفتوح لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي المتوفى نحو ٣١٤ للهجرة وفي جزئه الثامن . آمل ان ينتفع منه اصحاب البحث والدراسة والله المرفق .

(١)

لنصر بن سيار موقف واضح من خالد بن عبدالله القسري خاصة بعد عزل عمر بن يزيد بن هبيرة الذي اكتوى بانواع عذاب خالد محاولة منه لاستخراج ما عنده مـــن اموال ، تأييداً لوصية هشام بن عبدالملك ، وقد شق ذلك على اهل البصرة مشقة شديدة لأن عمر بن يزيد كان محباً لأهل البصرة ، حتى إذا اشتد به ألم العذاب يصيح ويقول : يا هشام ! يا هشام . المستغاث من عذب خالد . وقد دفع ذلك نصر بن سيار الى ان يقول الابيات التي اخلّ بها الديوان . وقد وقف المحقق عند مجموعة من المقاطع التي يذكر فيها كيفية جلده وما وقع له واسباب ذلك . . وكان المفروض ان يعرض المؤلف لذلك من خلال دراسته بعد تحليل العوامل ، والاسباب ، وتحديد الدوافع التي كانت

تدفع الشاعر الى هذا الموقف ، والعوامل التي دفعت خالد بن عبدالله القسري واخاه ان يتخذا هذا الموقف ، ولعل موقفه من عمر بن يزيد بن هبيرة من العوامل التي حملتهما على اتخاذ هذا الموقف . والابيات هي :

أرى مضَرَ المصرين قد ذُلّ نصرُها ... ولكنْ عسى أن لا يُذلّ سنامُها
فمن مبلغٌ بالشام قيساً وخندفاً ... أحاديثَ قد هاجت علينا سقامُها
دمُ ابن يزيد صار حِلاً لخالدٍ ... وفينا بقيّاتُ الهدى وامامُها
أنقتلُ فيكم إنْ قتلنا عدوّكم ... على دينكم والحربُ بادٍ قتَامُها
أثار بقتل ابن المهلب خالدٌ ... ألهفى لنفسٍ ليس يُهدّى أنينها

الخبر والابيات في كتاب الفتوح لابن اعثم ٨ / ٣٦

(٢)

وللجنيد بن عبدالرحمن موقف معروف من نصر بن سيار فعندما احدق الترك بالمسلمين من كل جانب في طريق الشعب وهم في طريقهم الى سمرقند دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا قتالاً لم يقاتلوا مثله في يوم مضى قبله قال : وجعل نصر بن سيار يقاتل قتالاً لم يسبقه اليه احد من نظرائه ، فلم يزل كذلك حتى انكشف على وجوههم وصارت الفعلة في ايدي المسلمين وقد قتل من الترك مقتلة عظيمة . قال : وتكلم قوم عند الجنيد ابن عبدالرحمن فقالوا : اصلح الامير ، انه ليس يجب ان يُغفل عن مثل نصر بن سيار ، ولا يقصّر في برّه لشرفه وشرف آبائه وسابقتهم في الاسلام ، وما قد رأى الامير أصلحه الله من فعاله في هذا اليوم . قال : فغضب الجنيد وقال : مَنْ نصرُ بن سيار ؟ وما كان من نصر بن سيار ؟ فوالله إن اقلّ رجلٍ في بني عمي قد فعل في هذا العدو ما لم يفعله نصر بن سيار . ولا يقدر عليه ولو عمر الدهر . قال وبلغ ذلك نصر بن سيار فأنشأ يقول :

اني نشأت وحسّادي ذوو عددٍ ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا

والابيات اوردها الديوان ، وعندما اصيب جند الجنيد وقتل منهم عددٌ كبير شمت به نصر بن سيار وجعل يعرّض به ونسبت الابيات في الديوان نقلاً عن الطبري الى ابن عرس . والواقع ان نسبة الابيات في اطار الاحداث التي وقعت لنصر بن سيار مع الجنيد ترجح الى نصر لان المقدمة التي اوردها الطبري تكاد تكون بعيدة عن مضمون القصيدة . وهذا ما ذهب اليه صاحب كتاب الفتوح من نسبتها الى نصر بن سيار واورد منها ثلاثة ابيات فقط .

(كتاب الفتوح ٨ / ١٠٤)

(٣)

وظلت علاقة نصر بالجنيد على غير ما يرام لأن الجنيد كان يقصر في حقه ولم يفعل له ما كان يفعله بامثاله من العطية والجوائز وهذا ما كان يدفع نصر بن سيار الى التعريض بــه .

لئن كنت في دنيا وملك أصبتَهُ بـــلا حسبٍ زاكٍ ولا طعـــان [1]
فقد يبتلـــى ذو الملك بالبخل والغنى ويصرف عن وري الزناد هجـــان
لعمري لقد اصبحت في اليوم راغباً وقد حلّ منك اللؤم كــل مكانِ

(كتاب الفتوح ٨ / ١٠٥) وقد اخلّ بها الديوان .

(٤)

وعندما قتل عمرو بن زرارة اغتـــم نصر بن سيار غماً شديداً وانشأ يقول :

ألمّوا بالقبـــور فـــودّعوهـــا وأقر قبـــورَهم عنّي الســـلاما
ولو سمعَ الســـلام لـــردّ عمرو ولكن لا يُطيقـــونَ الكـــلاما
هـــم صدعوا الفـــؤاد وأوجعتني مصائبهمُ غـــداةَ لقـــوا الحِماما

(كتاب الفتوح ٨ / ١٣٣) وقد اخلّ بها الديوان .

(٥)

ولما طال امر القتال بين الكرماني ونصر بن سيار تواعدوا وخرجوا الى موضع يقال له الجياد فخندقوا على انفسهم ، وجعلوا يقتتلون الليل والنهار ، حتى اقتتلوا سنة كاملة لا يفترون ولا يملّون . قال : وكتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد بهذه الابيات :

أبلـــغْ اميرَ المؤمنين رســـالـــةً مخبّرةً عن محكمات الرســـائل
بأن عداة الله اضحوا بأرضنـــا يسومونا اطفـــاء حـــقّ ببـــاطل
ونحن حمـــاة الدين نسمو اليـــهمْ باسيافنـــا والمسنـــدات الاوائـــل

(كتاب الفتوح ٨ / ١٥٣) وقد اخلّ بها الديوان .

(٦)

كتب نصر بن سيار بعد ان وجد ابا مسلم الخراساني يدعو الناس الى ما هم عليه من أمر ولد العباس ، والناس يجتمعون اليه وقد سمع بذلك نصر بن سيار ولم يكن لابي

---

(١) كذا في كتاب الفتوح ١٠٥/٨ وفيه سقط .

مسلم حيلة لاستقباله بحرب الكرماني فكتب الى مروان بن محمد بهذه الابيات . وقد ثبت المحقق الفاضل سبعة ابيات منها عثر عليها في عيون الاخبار والاخبار الطوال ومروج الذهب وفصل المقال واساس البلاغة والكامل في التاريخ والحماسة البصرية والعيون والحدائق ومجموعة المعاني ويمكن اضافة سمط النجوم العوالي ٣ / ٢٢٤ والعقد الفريد فهما لم يردا في قائمة المراجع اما كتاب الفتوح ٨ / ١٥٦ ـ ١٥٧ فقد اضاف الى القطعة خمسة ابيات لم تذكرها المراجع كلها وهي :

فانتم في الكريهة اسدُ غابٍ ... إذا كان النذيرَ بها الحسامُ

واكرم في زلازلها اصطباراً ... إذا نشرتْ وثارَ لها قتّامُ

تطيف بكم كرائم عبد شمسٍ ... لدى الهيجاء ضاق بها المقام

وهم عذر الأباطح من قريشٍ ... فكاهلها المقدم والمشام

إذا صدع بقية لاتأوه ... وما صدعوا فليس له التئام

والابيات تأتي متسلسلة في نهاية الابيات المثبتة في الديوان وفي رواية بعض الفاظها وترتيبها اختلاف .

(٧)

وكتب نصر بن سيار الى اهل مرو وغيرهم ممن قد علم أنهم على رأيه ومذهبه ، وسألهم أن ينصروه ويقيموا معه ويؤازروه على حرب الكرماني وابي مسلم وكتب اليهم بهذه الابيات . لقد وقف المحقق عند سبعة ابيات وذكر صاحب كتاب الفتوح ١٦٣/٨ بيتين جديدين هما :

ويقسم الخمسَ من اموالكمْ أسراً ... من العلوج ولا يبقى لكم نسب

وينكح فيكمُ قسراً بناتكم ... لو كان قومي احراراً لقد غضبوا

(٨)

وعندما قتل الكرماني كبّر اصحاب نصر بن سيّار وطمعوا في ابي مسلم بعد ذلك ثم أمر نصر بن سيار برأس الكرماني فأخذه وقوّره وحمله برمحه الى مروان بن محمد وكتب اليه نصر بن سيار بالخبر على جبهته وفي آخر الكتاب هذه الابيات . . وهي ثلاثة عشر بيتاً أورد منها المحقق ستة ابيات . . واورد بقيتها صاحب كتاب الفتوح ٨ / ١٦٤ ـ ١٦٦ وهي :

٣ – وقدت ذوي الأحساب منهم من أقــدمى
واذا الدجل حتى عاد حربـاً يبيدهــا
٤ – واصلحت من ساداتها كــل فــاسـد
واسرعت فــي خير الذي لا يســودها
٨ – اجاشوا نزار الشــام إن نزارهــــا
(ابوه اباي وهنيُ عميــدهـــا) (١)
٩ – خليفتــنــا الســاعي لنا ببراتنــا
فطالبت اوتــار العــدا ومبيــدهــا
١٠– امروان إني قــد منيتُ بمعشــرٍ
خوارج سوء ما يلين شــديــدهــا
١١– أجاهدهــم في الله حقــاً لأننــي
أؤمــل داراً لا يبيــد خــلـودهـــا
١٢– وكم كم اجاشــوا من جنودٍ واوقــدوا
اشــانيب نيرانٍ ســريع خمــودها

وقد حاولت تثبيت الارقام التي سبقت الابيات للتدليل على ان بقية الابيات هي التي اوردها المحقق الفاضل .

شعر عبدالصمد بن المعذل

ونشر الدكتور زهير غازي زاهد شعر عبدالصمد بن المعذل وهو موضوع رسالته في الماجستير ، وقد درس حياة هذا الشاعر المغمور ، وان كنت احتفظ برأيي بشأن تسميته بالشاعر المتمــرد ، الا أنني سأتحــدث عن شعره فقط . لأن مجال مناقشــة الاراء التي طرحها الاخ الكريم تحتاج الى دراسة تحليلية لحياة هذا الشاعر البصري ، وقد جمع له مائة وخمساً وثلاثين مقطوعة وقصيدة عدد ابياتها ستمائة واثنان وثمانون بيتاً ، وقد جمعت لهذا الشاعر من مصدرين اثنين . لم يقف عليهما اكثر من مائة بيت آثرت نشرهما ليضيفا الى حياة هذا الشاعر ما يكمّل صورته ، ويكشفا عن الجوانب الفنية التي وقف على بعضها الباحث الكريم . وما زلت اعتقد ان المصادر التي ستظهر ستضيف الى مجموع شعره قصائد جديدة لان ديوانه كما ذكر ابن النديم يصل الى مائة وخمسين

(١) كذا في الاصل والبيت غير مستقيم .

ورقة وإن مقدار ما في الورقة عشرون بيتاً ، وهذا يعني ان الديوان يصل الى ثلاثة آلاف بيت ، وان كل ما عثر عليه من شعره لا يصل الى ثلث شعره الذي ذكره ابن النديم .

(١)

قال الباحث الكريم في شعر عبدالصمد بن المعذل في القطعة رقم (٣٢) ص (٨٩) قال يرثي عمرو بن سعيد بن سلم وذكر بيتين . والقصيدة في كتاب التعازي والمراثي للمبرد ص ١٧٠ اربعون بيتاً هي :

ما لِلسّماءِ عَلَيْهِ لَيْسَ تَنفَطِرُ ... وَلِلكَواكِبِ لا تَهْوي فَتَنْتَثِرُ؟

وَلِلبِلادِ . ألا تَسْمُو زَلازِلُها ... وَالرّاسِياتِ ألا تَرْدى فَتَنْقَعِرُ ؟

إن النّدى وَأبا عَمْرٍو تَضَمَّنَهُ ... قَبْرٌ بِبَغْدادَ يُسْتَسْقى بِهِ المَطَرُ

لِلهِ حَزْمٌ وَجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ ... وَمَكْرُماتٌ طَواها التُّرْبُ وَالمَدَرُ

يا طالباً وَزَراً مِنْ رَيْبِ حادِثَةٍ ... أوْدى سَعيدٌ فَلا كَهْفٌ وَلا وَزَرُ

أبكَى عَلَيكَ عيونَ الحَيِّ مِنْ يَمَنٍ ... وَمِنْ رَبيعَةَ ما تَبْكي لَهُ مُضَرُ

كُلُّ القَبائِلِ قَدْ رَدَّيتَ أرْدِيَةً ... مِنْ فَضْلِ نُعْماكَ لايَجزي بهاشُكُرُ

ما خَصَّ رُزْؤك لا قَيْساً وَلامُضَراً ... إنَّ الرَّزِيَّةَ مَعْمُومٌ بِها البَشَرُ

لَوْ كانَ يَبْكي كِتابُ اللهِ مِنْ أحَدٍ ... لِطولِ إلْفِ بَكَتْكَ الآيُ وَالسُّوَرُ

أبو الأرامِلِ وَالأيْتامِ لَيْسَ لَهُ ... إلاّ مُراعاتَهُمْ هَمٌّ وَلا وَطَرُ

لِلْهارِبينَ مَصادٌ غَيرُ مُطّلَعٍ ... وَلِلْعُفاةِ جَنابٌ مُمْرِعٌ خَضِرُ

مِنْ كُلِّ أُفْقٍ إليْهِ العيسُ مُعْمَلَةٌ ... وَكُلُّ حَيٍّ عل أبْوابِهِ زُمَرُ

إذا أبْرَزَ الخَوْفُ الكَعابَ فإنّهُمْ ... مَصادٌ لِمَنْ يأوي إلَيْهِمْ وَمَعْقِلُ

وشَيِّعٌ لايَفُوتُ الذّحْلُ صَوْلَتَهُ ... وأكْرَمُ النّاسِ عَفْواً حينَ يَقْتَدِرُ

لا يَزْدَهيهِ لِغَيْرِ الحَقِّ مَنْطِقُهُ ... وَلاَ تُناجيهِ إلاّ بالتُّقَى الفِكَرُ

ثَبْتٌ عَلى زَلَلِ الأيّامِ مُضْطَلِعٌ ... بِالنّائِباتِ لِصَعْبِ الدَّهْرِ مُقْتَسِرُ

سامي الجُفُونِ يَرُوقُ الطَّرْفَ مَنْظَرُهُ ... وَأطْهَرُ النّاسِ غَيْباً حينَ يُخْتَبَرُ

الحِلْمُ يُصْمِتُهُ وَالعِلْمُ يُنْطِقُهُ ... وَفي تُقَى اللهِ ما يأتي وَما يَذَرُ

لَمْ تَسْمُ هِمَّتُهُ يَوْماً إلى شَرَفٍ ... إلاّ حَباهُ بِما يَسْمو لَهُ الظَّفَرُ

يُعْطيكَ فَوقَ المُنى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ   وَلَيْسَ يُعْطِيكَ إلاّ وَهْوَ مُعْتَذِرُ
يَزيدُ مَعْروفُهُ كِبْراً ويَرْفَعُهُ   أنّ الجَسيمَ لَدَيْهِ منهُ مُحْتَقَرُ
وَلَيْسَ يَسْعى لِغَيْرِ الحَمْدِ يَكْسِبُهُ   وَلَيْسَ إلاّ مِنَ المَعْرُوفِ يَدَّخِرُ
عَفُّ الضَّميرِ رَحيبُ الباعِ مُضْطَلِعٌ   لِحُرْمَةِ اللهِ وَالإسْلامِ مُنْتَصِرُ
ما انْفَكَّ في كُلِّ فَجٍّ مِنْ نَدى يَدِهِ   لِلنّاسِ جُودانِ : مَحْوِيٌّ وَمُنْتَظَرُ
لَوْ هابَ عَنْ عِزَّةٍ أوْ نَجْدَةٍ قَدَرٌ   مِنَ البَرِيّةِ خَلْقاً هابَكَ القَدَرُ
لِيَبْكِ فَقْدَكَ أطْرافُ البِلادِ كَما   لَمْ يَخْلُ مِنْ نِعْمَةٍ أسْدَيْتَها قُطُرُ
وَلْيَبْكِكَ المُرْمِلونَ الشُّعْثُ ضَمَّهُمُ   مِنْ كُلِّ أوْبٍ إلى أبياتِكَ السَّفَرُ
وَذاتُ هِدْمَيْنِ تُزْجي دَرْدَقاً قَزَماً   مِثْلَ الرِّئالِ حَباها البُؤْسُ والكِبَرُ
وَيَبْكِكَ الدِّينُ والدُّنْيا لِرَعْيِهِما   وَالبَرُّ وَالبَحْرُ وَالإعْسارُ وَاليُسُرُ
كَفَلْتَ عِتْرَةَ أقْوامٍ مُهاجِرَةٍ   عُثْمانُ جَدُّهُمُ أوْ جَدُّهُمْ عُمَرُ
وَقَدْ نَصَرْتَ وَقَدْ آوَيْتَ مُحْتَسِباً   «أبْناءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَروا»
يارُبَّ أرْمَلَةٍ مِنْهُمْ وَمُكْتَهِلٍ   أيْتَمْتَهُ وَهْوَ مُبْيَضٌّ لَهُ الشَّعَرُ
للهِ شَمْلُ جَميعٍ كانَ مُلْتَئِماً   أضْحى لِيَوْمِ سَعيدٍ وَهْوَ مُنْتَشِرُ
أمْسى لِفَقْدِكَ ظَهْرُ الأرْضِ مُخْتَشِعاً   بادي الكآبَةِ وَاخْتالَتْ بِكَ الحُفَرُ
أحْياكَ عَمْرٌو وَلَوْلاهُ وَإخْوَتُهُ   عَفا النَّوالُ فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ خَبَرُ
ألْهَمْتَهُمْ طَوعَهُ فَانْقادَ رُشْدُهُمُ   كُلٌّ يَراهُ بِحَيْثُ السَّمْعُ وَالبَصَرُ
كَأنّهُمْ كَنَفاهُ وَهْوَ بَيْنَهُمُ   بَدْرُ السَّماءِ حَوَتْهُ الأنْجُمُ الزُّهُرُ
بَنو قُتَيْبَةَ نُورُ الأرْضِ نُورُهُمُ   إذا خَبا قَمَرٌ مِنْهُمْ بَدا قَمَرُ
إذا تَشاكَهَتِ الأيّامُ وَاشْتَبَهَتْ   أبانَ أيّامَكَ التَّحْجيلُ وَالغُرَرُ
إمّا ثَوَيْتَ فَما أبْقَيْتَ مَكْرُمَةً   إلاّ بِكَفَّيْكَ مِنْها العَيْنُ وَالأثَرُ
إنّ اللّيالي وَالأيّامَ لَوْ نَطَقَتْ   أثْنَتْ بِآلائِكَ الآصالُ وَالبُكَرُ
كانَ النّدى في شُهورِ الحَوْلِ مُقْتَسَماً   بَيْنَ البَرِيّةِ فاغْتالَ النّدى صَفَرُ

(٢)

وقال الباحث في القطعة (٤٥) ص (١٠٢) قال يرثي سعيد بن سلم الباهلي

وذكر سبعة ابيات وقد جاء ترتيبها مخالفاً لترتيب القصيدة التي وجدتها في كتاب التعازي والمراثي للمبرد ص ١٧٤ وهي اثنان واربعون بيتاً هي :

ربَّ طِفْلٍ نَعَشْتَهُ بَعْدَ يُتْمٍ وفَقيرٍ أغْنَيْتَهُ بَعْدَ عُدْمِ
كُلَّما عَضَّتِ الحَوادِثُ نادى رَضِيَ اللهُ عَنْ سَعيدِ بن سَلْمِ

وقال عبدالصمد يرثي عمرو بن سعيد بن سلم : (الطويل)

هَريقا دَماً إنْ أنفدَتَ عبْرَةٌ تَجْري أبى الصَّبْر انّ الرُّزْءَ جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ
وَلاَ تَجْمُدا عَيْنَيَّ (قَدْ) حَسَنَ البُكا
وَفَرْطَ الأسَى فَقْدُ المُغيَّبِ في القَبْرِ
ليُغْرِكما بِالبَثِّ أنْ لَسْتُ واقِفاً
مِنَ الصَّبْرِ يوْماً بَعْدَ عَمْرٍو على عُذْرِ
سَلامٌ (وَسُقيا) مِنْ يدِ الله ثَرَّةٌ
على جَسَدٍ بالٍ بِلَمّاعَةٍ قَفْرِ
جرَتْ فَوْقَهُ الأرْواحُ أمْناً لِجرْيِهِ
وَقَدْ كُنَّ حَسْرى حينَ يَجْري كماتَجْري
تَوَلّى النّدى وَالبأسُ وَالحِلْمُ وَالتُّقى
فلَمْ يَبْقَ مِنْها بَعْدَ عَمْرٍو سِوى الذِّكْرِ
فَإنْ تَطْوِهِ الأيّامُ لاَ تَطْوِ بَعْدَهُ
صَنائِعَ مِنْهُ لا تَبيدُ على النّشْرِ
مَتى تَلْقَهُ لا تَلْقَ إلاّ مُمَنَّعاً
حِماهُ ، مَصُونَ العِرْضِ مُبْتَذَلَ الوَفْرِ
وَأيُّ مَحَلٍ لا لِكَفَيْهِ نِعْمَةٌ
على أهْلِهِ مِنْ أرْضِ بَرٍّ وَلا بَحْرِ
وَما اخْتَلَفَتْ حالانِ إلاّ رَأيْتَهُ
رَكوبَ الّتي تَسْبي هَيوبَ الّتي تُزْري
وَمَنْ تَكُنِ الأوْراقُ وَالتِّبْرُ ذُخْرَهُ
فَما كانَ غَيْرَ الحَمْدِ يَرْغَبُ في ذُخْرِ

كِلا حالَتَيْهِ الجُودُ أنّى تَصَرَّفَتْ

بِهِ دُوَلُ الأيّامِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ

وَما عُدِمَتْ يَوْماً لِكَفَيْهِ أَنْعُمٌ

تُضافُ لَهُ مِنْها عَوانٌ إلى بِكْرِ

وَما انْتَسَبَتْ إلاّ إليْهِ صَنيعَةٌ

وما نَطَقَتْ إلاّ بِهِ ألْسُنُ الفَخْرِ

يَرى غَبَناً يَوْماً يَمُرُّ وَلَيْلَةً

عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِبْ طَرِيقاً مِنَ الشُكْرِ

تُغَضُّ لَهُ الأبْصارُ عِنْدَ اجْتِلائِهِ

وَلَيْسَ بِهِ إلاّ الجَلالَةُ مِنْ كِبْرِ

تَرى جَهْرَهُ جَهْرَ التَقِيِّ وَسِرَّهُ

إذا ما اخْتَبَرْتَ السِرَّ أتْقى مِنَ الجَهْرِ

وَلَمْ يَصْحُ مِنْ يَوْمٍ وَلَمْ يُمْسِ لَيْلَةً

بِغَيْرِ اكْتِسابِ الحَمْدِ مُشْتَغِلَ الفِكْرِ

وكانَتْ تَعُمُّ النّاسَ نَعْماءُ كَفِّهِ

فَعَمُّوا عَلَيْهِ بِالمُصيبَةِ وَالأجْرِ

تَناعاهُ أقْطارُ البِلادِ تَفَجُّعاً

لِمَصْرَعِهِ تَبْكيهِ قُطْراً إلى قُطْرِ

تَباشَرَ بَطْنُ الأرْضِ أُنْساً بِقُرْبِهِ

وَأضْحَتْ عَلَيْهِ وَهْيَ خاشِعَةُ الظَّهْرِ

وَلَمْ تَكُ تُسْقى الأرْضُ إلاّ بِسَيْبِهِ

إذا ما جَفَا أقْطارَها سُبُلُ القَطْرِ

إذا نَشَأَتْ يَوْماً لِكَفَيْهِ مُزْنَةٌ

أُديلَ الغِنى في كُلِّ فَجٍّ مِنَ الفَقْرِ

هَوى جَبَلُ اللهِ الّذي كانَ مَعْقِلاً

وَعِزّاً لِدينِ اللهِ ، ذُلاًّ عَلى الكُفْرِ

عَجِبْتُ لأيْدي الحَتْفِ كَيْفَ تَغَلْغَلَتْ
إلَيْكَ وَبَيْنَ النَّسْرِ بَيْتُكَ وَالنَّسْرِ
وما كُنْتَ بالمُغْضي لِدَهْرٍ على القَذى
وَلا لَيِّنٍ لِلْحادِثاتِ عَلى القَسْرِ
وَلَوْ دَفَعَ العِزُّ الحِمامَ عَنِ امْرِئٍ
لَما نالَ عَمْراً لِلْحِمامِ شَبا ظُفْرِ
أَلَمْ تَكُ أَسْبابُ الرَّدى طَوْعَ كَفِّـــهِ
تُبينُ لِصَرْفَي ما يَرِيشُ وَمَا يَبْـــري
إذا صاحَ داعي الرَّوْعِ سارَ أَمامَـــــهُ
لِواءانِ مَعْقودانِ بِالفَتْحِ وَالنَّصْرِ
يُقَسِّمُ آجالَ العِدى عَـــزْمُ بَأْسِـــهِ
بِهِنْـــدِيَةٍ بِيضٍ وَخَطِّيَّةٍ سُمْرِ
وَمَا ذَبَّ إلاّ عَنْ حِمى الدِّينِ سَيْفُـــهُ
وَلا قـــادَ خَيْلَ اللهِ إلاَّ إلى ثَغْرِ
وَقَدْ كانَ يَقْري الحَتْفَ أَعْداءَ سِلْمِهِ
فَأَضْحى قِرى ما كانَ أَعْداءَهُ يَقْري
تَوَلّى أبو عَمْرٍو فَقُلْنا لَنَـــا عَمْرٌو
كَفانا طُلوعُ البَدْرِ غَيْبُـــوبَةَ البَدْرِ
وَكانَ أَبُـــو عَمْرٍو مُعاداً حَياتُهُ
بِعَمْرٍو ، فَلَمّا ماتَ ماتَ أبو عَمْرِو
وَكُنّا عَلَيْهِ نَحْذَرُ الدَّهْرَ وَحْدَهُ
فَلَمْ يَبْقَ ما يُخْشى عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ
وَهَوَّنَ وَجْدي أَنَّ مَنْ عاشَ بَعْدَهُ
يُلاقي الّذي لاقى وَإِنْ مُدَّ في العُمْرِ
وَهَوَّنَ وَجْدي أَنّني لا أرى امْرَءاً
مِنَ النّاسِ إلاّ وَهْوَ مُغْضٍ عَلى وَتْرِ

زَمتنا اللّيالي فيكَ يا عَمْرُو بَعْدَمَـا
(حَمِدْنا بِكَ) الدُّنْيا ، بِقاصِمةِ الظَّهْرِ
سَأَجْزِيكَ شُكْري ما حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ
أُبَقِّ ثَناءً فيكَ يَبْقَى إلى الحَشْـرِ
وأُوثِرُ حُزْني فِيكَ دُونَ تَجَلُّـــدي
وَإِسْبالَ دَمْعٍ لا بَكِيءٍ وَلا نَــزْرِ

وذكر الشمشاطي صاحب كتاب الانوار في محاسن الاشعار في ص ٣٠٤ هذه الارجوزة التي اخلّ بها الديوان

وعازبٍ باكرهُ الفُــرّ الفُرُطْ	تخايل النَبْتُ بـه الجعدُ القَطَطْ
نـوّارهُ مثـلُ الذُبال قد سلطْ	كأنمـا الوشْيُ عليـه قد بُسِطْ
قال لـه الغيثُ من الروّاد مطْ	للطـير فيـه أنَف اليوم لَغـطْ
(وطانَهُ الزطّ) إذا لاقينَ زُطْ	من كلّ عفراءَ بدفّيها رَقَطْ
وبذُناباهـا وبالجيـد نُقَطْ	وبالجناحين وبالـرأسِ خُطَطْ
كأنّ ديباجاً عليهـا لم يُخَطْ	أوفيتُ (والمَيسانُ) من نوم يغط
والليلُ بـالصبح مَلُـوثٍ مختلط	بصادق اللحظِ قُطـاميٍّ سَلِـطْ
أقى رحيب الشبرِ محبوكٍ سَبِطْ	ما يلْقَ بالمخلب من مَسْكٍ يُعِطْ
حتى إذا حُدَّ مَقاطٌ فنشـطْ	وخُرِّط الموتُ عليها إذ خُـرِطْ
ومرّ يهوي كالحسـام الممتَعط	قَذَفْنَ ذَرْقـاً كعثانين الشُمُطْ
يصكّها صَكّاً دِراكاً ويَحُطْ	أما رأيت النارَ بـالحَلْفاءِ قَـطْ

(٣)

وذكر صاحب الانوار ومحاسن الأشعار في ص ٣٠٩ هذه القطعة وقد اخلّ بها الديوان .

وضمنَّتْهـا كعُقاب الظـلام	جَوْنَةَ فُـلْكٍ بهـا ترفُـلُ
فـلاحتْ بدجـلةُ مُـرْقَدةً	كما ذُعِـرَ النِقْنِقُ المُجفـل
وكـاد يطيّرهـا بالفضـاء	شـراعٌ مَرَتْ دَرَّهُ الأحْبَـل

كـأنّ همـاهـم حيزومِهـا	هديرُ القُروم بهـا أفـْكـَلُ
إذا البـغيُ أعندهـا في المَسبر	تـلاقى بهـا قُلـّـبٌ حُـوَّلُ
يقوّمهـا جـَـوْرُ سُكّانِهـا	إذا هي عن قصـدها تعـدل
فأفضى بها متـنُ مغـروربٍ	يسامي غواربـَـه أشـْكـَلُ
كـأن تـلاطُمَ آذيـّـه	رباطٌ لهـا هُـدَبٌ مُخمَلُ

شعر علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي

ونشر السيد محمد حسين الاعرجي شعر علي بن محمد الحماني في مجلة المورد المجلد الثالث ، العدد الثاني ١٩٧٤ ، وقد كان له ديوان مجموع كما ذكر ذلك ابن عنبة المتوفى سنة ٨٣٨ هـ ، واعاد ذكر ذلك اسماعيل البغدادي [١] ويبدو ان شعر هذا الشاعر قد ضاع في تضاعيف الزمن ، وتبدد في مطويات الكتب ، فكلما ظهر كتاب نهضت مقطوعات وقصائد تعيد لهذا الشاعر ولغيره من الشعراء الذين ضاع شعرهم بعض ما يمكن ان يضاف الى شعرهم المنشور .

(١)

ذكر له الشمشاطي في الانوار ومحاسن الاشعار في الباب السابع في الطرد والجوارح وما يصطاد من السوانح والبوارح ما قاله علي بن محمد العلوي الكوفي في الكلب [٢] .

صَبٌّ الى عبادة الملوكِ	باتَ على الفراش كالموعـوك
من زَمَعٍ مضطرم التحريك	حتى إذا احسَّ بالدلوك
وصفعت اواخرُ الملوك	بادَر مثلَ الـرجل المسلوك
يمسحُ وجـهَ كلبه صُعلوك	اصفَر مثل الذهب المسبوك
ذي مقلةٍ قليلـة الشكوكِ	حمّالِ اوزارِ الـدم المسفوكِ

وله ايضاً : [٣]

لطالما نمتُ على الصلاة	وقـد أمنت روعة (البيات)
(يوري) يلاقي اوجهَ العُداة	يلقاك جوّال بشاهقـاتِ
اغضف عطاف على الاصوات	يهوي هوي المُنصات [٤]

---

(١) مقدمة الديوان . المورد / ٢٠٠

(٢) الشمشاطي . الانوار ٢٦٣ تحقيق صالح مهدي العزاوي

(٣) الشمشاطي . الانوار / ٢٦٣ (٤) كذا في الانوار والبيت مختل . .

مُيمّنٌ السطوة والشدّاتِ   مُقتدرٌ منها على الاقوات
في هبواتٍ مُتـزوبعاتِ   يا لذتـي فيك الى الممـات

وله ايضاً : [1]

يا أيُّها الثعلُب وثبا وثبـا   تأبى كلابي لك إلاّ جربا
إن عروساً ملأتك رعبـا   كما رأيتَ الكوكب المنصبّا
أو عاصفاً من الرياح هبّا   ترى لها إذا الطرادُ غبّـا
طَرْفاً شرافيّاً وخدّا شطبـا   وبُرثناً شثنـاً ومتنـاً رحبا
يقطع اسراسَ القياد جدبا   إذا اشرأبّتْ مَرحـاً وشغبا
طبياها التـرابَ قـربا   يا لك كلباً ما ابتغيت كلبـاً [2]
يأبى فؤادي لك إلاّ حبّا

(٢)

وذكر له الشمشاطي في الانوار ومحاسن الاشعار في البُزاة[3] وقد اخلّ بها الديوان

قـد اغتدي والليل وردٌ منسرُه   كأنما ألقت عليـه آزرُه
موكبُ دُهـمٍ لائحاتٌ غُرَرُه   أو اسودُ اللّمة شـابت طرُرُه
والفـجر مولـود يبينُ صغَرُه   يطوي الظـلام والظـلام ينشره
بأشوس الغدوة سـامٍ نَظَرُهُ   يبادُر الناظـرَ وهـو يبـدُره
كـأنّ من يُبصرُه لا يبصرُه   يزهـاه بعد ابنـه تجبُّـرُه
فصحَ مـرآه لنـا ومَخْبَـرُه   أطولُ عُمرٍ مـا رآه اقـصرُه

(٣)

وذكر صاحب نهاية الارب ٦٦/١ فقال : وقال العلوي :

هـا إنهـا الجوزاء في أُفقهـا   واهيـةٌ نـائمـة تسـحبُ
نطاقُـهـا واهٍ لـدى أُفقها   ينسـلُّ منهـا كوكبٌ كوكبُ

(٤)

وذكر جامع الديوان في القطعة (٥٧) اربعة ابيات نقلاً عن انوار الربيع ٣ / ٢٢١

---

(١) الشمشاطي : الأنوار / ٢٦٣.   (٢) الشطر الأول كذا في الكتاب وهو غير مستقيم.
(٣) الشمشاطي : الأنوار / ٢٨٦ .

وقد عثرت على بيتين جديدين في مخطوط هما :

وبماء لؤلؤة جـــرى　　　في ماء ياقوت مـــدوف

وبحيرة الاجفان عند تضايق الـــدمع الذروف

ويكون تسلسلهما بعد البيت الثاني

(٥)

وذكر جامع الديوان القطعة (٥٣) وهي اربعة وعشرون بيتاً وقد عثرت في المخطوط نفسه على بيت جديد يأتي بعد البيت العشرين وهو

الـــلابسات البـــدر مـــا　　　بيـــن الحواجب والمراشـــف

(٦)

وعثرت في المخطوط نفسه على بيتين جديدين اخل بهما المجموع وهما :

وعهدي بالعقارب حين تشتـــو　　　تخفف لـــدغها وتقلُّ خيـــرا

فما بال الشتاء اتى وهـــذي　　　عقاربُ صدغـــه تزداد شـــرا

ملاحظات تحقيقية على ديوان

زهير بن أبي سلمى

(طبعة دار الكتب)

الدكتور محمود عبدالله الجادر

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ثمة طريقان مشهوران لرواية ديوان زهير بن أبي سلمى ، أولهما طريق رواية الأصمعي البصرية التي تضمنها شرح الشنتمري لدواوين الستة الجاهليين ، وثانيهما طريق رواية ثعلب الكوفية .

وقد حُققت رواية الأصمعي التي تضم ست عشرة قصيدة لزهير ضمن ما حقق من دواوين الشعراء الستة ، وحققت منفردة ، وطبعت أكثر من مرة ، بيد أن رواية ثعلب حققت مرة واحدة في نشرة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ م (١) .

ولعل الموازنة بين الروايتين البصرية والكوفية كفيلة أن تقرر لدى الباحث حقيقة واضحة وهي أن الرواية البصرية تظل الأكثر تشدداً لتميزها بندرة المروي بالقياس إلى الرواية الكوفية التي ضمت خمساً وخمسين قصيدة ومقطوعة (٢) ، ولعل ذلك هو السر في كثرة تداول نشرة دار الكتب للرواية الكوفية بأيدي الدارسين ، وهي نشرة علمية موثقة تكفلت مقدمتها بدراسة عدة أمور تتعلق بالديوان وصاحبه وشارحه ، ثم عنيت

---

(١) انظر حول طبعات ديوان زهير ورواياته : مصادر الشعر الجاهلي – د.ناصر الدين الأسد ، مصر ١٩٥٦م ص ٥٢٦ ، ٥٤٢ ، العصر الجاهلي – د. شوقي ضيف ، مصر (د. ت) – ص ٣٠٤ – ٣٠٦ .

(٢) ذلك هو مجموع القصائد والمقطوعات، بيد أن الشارح نص على نسبة المقطوعة المثبتة في الصفحة ٣٦٦ إلى خنساء بنت أبي سلمى أخت زهير ، والمقطوعة الواردة في الصفحة ٣٦٧ إلى أبي سلمى والد زهير ، ونص على اشتراك زهير وابنه كعب في قول القطعتين الواردتين في الصفحتين ٢٤٥ ، ٢٥٧، وتردد في نسبة القصيدة الواردة في الصفحة ٢٥٣ بين زهير وأخيه أوس بن أبي سلمى، والقصيدة الواردة في الصفحة ٢٨٤ بين زهير وصرمة بن أبي أنس الأنصاري، والقصيدة الواردة في الصفحة ٣٥٨ بين زهير وابنه كعب، ومجموع ذلك سبع قصائد ومقطوعات ، وعلى هذا يسلم لزهير عند ثعلب ثمان وأربعون قصيدة ومقطوعة.

بتقديم النصوص وشروحها معتمدة على خمس نسخ خطية وصفتها في المقدمة ، واستعانت بعد ذلك بالهوامش على استكمال النواقص وتوضيح الغوامض والإحالة على المصادر في حل بعض المشكلات التي قد تعترض قارئ الديوان أو تستغلق على الدارس المتخصص .

وبالرغم من استيفاء النشرة شروط التحقيق العلمي فانها لا تسلم من أن يرد عليها بعض الملاحظات مما كان بوسع المحقق أن يتجاوزه لو أنه بذل جهداً أوفى في متابعة بعض المصادر التي عنيت بشعر زهير ، ولعله فعل ذلك ولكنه لم يشأ أن يثقل هوامشه بأمور قد لا تغني القراءة العابرة بالرغم من أنها مما لا يستغني عنه باحث علمي متخصص [١].

ولقد أتيح لي أن أعتمد على هذه النشرة في دراسة أكاديمية متخصصة [٢] فكان أن وضعت يدي على ملاحظات مما يمكن أن يغني الديوان ويمنح الدارسين وجوه انتفاع أخرى منه ، ولتيسير متابعة هذه الملاحظات سأجملها في الحقلين التاليين :

أ ـ القصائد والمقطوعات والأبيات التي يقوم حول نسبتها الى زهير شك مما هو مثبت في الديوان .

مما يدخل في هذا الباب نماذج تتوفر إشارات قديمة ـ بعضها مثبت في طبعة الديوان نفسه ـ إلى اعتلال نسبتها ، على أن بعضها مما لم يشر أحد من القدامى أو المحدثين إلى نسبته بشيء ووجدته منسوباً إلى شعراء آخرين في دواوينهم أو في بعض المصادر ، على أن مما ينبغي أن يلاحظ أن ما تنازع عليه زهير وابنه كعب من هذه النماذج يشكل العدد الأوفى ، وتلك ظاهرة قد يكون مبعثها اشتراك الاسمين وسهولة سقوط اسم كعب أو إضافته إلى اسم زهير على ألسنة الرواة أو أقلام النساخ ، أما سائر النصوص فينازع زهيراً على نسبتها شعراء جاهليون أو مخضرمون أو اسلاميون ، وسأعمد إلى الحديث عن كل نص حسب تسلسل وروده في طبعة الديوان تيسيراً للمتابعة وتجنباً للخلط [٣] .

---

(١) لعل من أهم المصادر التي لم يطلع عليها المحقق مخطوطة من شرح ثعلب لديوان زهير موجودةبمكتبة (نور عثمانية) بتركيا، وهي التي أشار إليها الدكتور ناصر الدين الأسد في مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٣ ، وذكر أن فيها خمس قصائد مما لم يتضمنه المطبوع، وانها تضم نصوصاً لأبي عمرو الشيباني تثير الشك في صحة نسبة عدد من القصائد والمقطوعات إلىزهير مما تضمنه المطبوع، وقداعتمدت على هذه الإشارات في بعض ملاحظاتي على طبعة الديوان .

(٢) وذلك في دراستي الموسومة بـ « شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، بغداد ١٩٧٩ » .

(٣) لن يتضمن المسرد ما ورد من قصائد نص الشارح في النسخة المطبوعة من الديوان على اعتلال نسبتها ما لم يتوفر دليل تأريخي أو فني على خلاف المنصوص عليه بشأنه .

١ – القصيدة التي مطلعها

لمن الديارُ بقنّـةِ الحجرِ أقوينَ من حججٍ ومن دهرِ (١)

وهي ثلاثة وعشرون بيتاً .

رواها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق شرح ثعلب . ذكر أبو الفرج الأصفهاني في قصة طويلة أن الخليفة المهدي استنشد المفضل الضبي هذه القصيدة فأنشده إياها مبتدئاً بالبيت الرابع منها وهو قوله

دع ذا وعدِّ القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر

فلما استنشدها حماداً زاد فيها الأبيات الثلاثة الأولى ، ثم أقر فيما بعد أنه نحلها زهيراً (٢) ونحن لو تأملنا الأبيات الثلاثة موضع الشك لوجدناها لوحة طلل تقليدية لا تتجاوز تفاصيلها تحديد عوامل فناء الطلل (الزمن ، الريح ، المطر) وموضعه ، ثم ينتهي الأمر بشكل مفاجئ لينفتح على مديح هرم متجاوزاً بقية حديث الطلل الذي عودنا زهير على استكماله بسياقة الإشارات إلى عوامل تخليده (الوشم المرجع ، الحيوان الذي يعمره ، النبات الذي تكسوه خضرته . . . الخ) فضلاً عن حديث النسيب والرحلة وما إلى ذلك مما لا تكاد قصيدة مديح لزهير – لا سيما إذا كان الممدوح هرماً – تتجاوزه فيما بين أيدينا من قصائده

إن هذا النقص والانقطاع قد يقدم مسوغاً مقبولاً للشك في أمر أبيات الطلل الثلاثة ، ولكننا نميل إلى تقرير الوجه الآخر للحقيقة بشأنها حيث نذهب إلى الزعم بانتمائها إلى القصيدة في الأصل ، ثم نقرر أن بينها وبين مقطع المديح الذي يليها مباشرة أبياتاً ساقطة لا نستطيع أن نقرر شيئاً بشأنها في حدود ما يتيسر من المصادر ، وذلك ما يدعمه في نظرنا أن زهيراً لم يمدح قط دون أن يمهد لمديحه بتمهيد يطول أو يقصر – وذلك ما يشهد عليه ديوانه – فضلاً عن أن الأبيات الثلاثة مما ورد في رواية الأصمعي ، ومما ورد خلاف بين العلماء على شرحه وتفسيره (٣) ، وأغلب الظن أن هؤلاء العلماء ما كانوا ليفرغوا لرواية الأبيات وشرحها دون أن يمسوا نسبتها بشيءٍ لو أنهم جرّبوا عليها وضعاً من حماد أو من غير حماد .

(١) الديوان ٨٦ .

(٢) أنظر الأغاني (دار الكتب) ٦ : ٩٠ – ٩١

(٣) أنظر شرح ثعلب للبيت الأول منها وما ساقه من آراء العلماء في رواية عجزه وشرحه .

٢ — القصيدة التي مطلعها

رأيتُ بني آلِ امرئ القيسِ أصفقُوا ... علينا وقـالُوا إنّنا نحنُ أكثرُ[١]

وهي ثمانية أبيات .

رواها الأصمعي ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق شرح ثعلب . وقد وجدت البيتين الثالث والرابع منها وهما قوله :

خذوا حظكمْ يا آلَ عكرمَ واذكرُوا ... أواصرَنا والرحمُ بالغيبِ تُذكَرُ

وإنا وإياكمْ على ما نسومُكُمْ ... لَمِثلانِ أو أنتمْ إلى الصلحِ أفقرُ

منسوبين إلى أبي طالب في بعض المصادر برواية البيت الأول منهما بهذه الصيغة

خذوا حظكمْ من وُدِّنا إنَّ مَسّنا ... إذا ضرَّسَتْنا الحربُ نارٌ تسعّر[٢]

وهي الرواية التي أثبتها ثعلب في شرحه على أنها رواية ثانية للبيت .

٣ — القصيدة التي مطلعها

أبتْ ذكرٌ من حبِّ ليلى تعودُني ... عيادَ أخي الحمّى إذا قلتُ أقصَرا[٣]

وهي خمسة عشر بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق شرح ثعلب برواية حماد . على أن الدكتور ناصر الدين الأسد نقل عن مخطوطة (نور عثمانية) من الشرح — وهي مخطوطة لم يطلع عليها المحقق — أن أبا عمرو الشيباني نسب القصيدة إلى كعب بن زهير[٤] .

والقصيدة مثبتة في ديوان كعب بشرح السكري عـدا البيت الخامس منها[٥] وهي ترد فيه بهذا التسلسل قياساً إلى تسلسل ورودها في ديوان زهير : ١، ٢، ٣، ٨، (البيت الخامس ساقط) ، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ٤، ٥، ٧، ٦.

---

(١) الديوان ٢١٣ .

(٢) الوحشيات — أبو تمام (٢٣١ هـ) تحقيق عبدالعزيز الميمني ومحمود محمد شاكر ، مصر ١٩٦٨— ص١٢١ والحماسة الشجرية — ابن الشجري (٤٥٢ هـ) تحقيق عبدالمعين الملوحي، دمشق ١٩٧٠م— ص ٦٠ .

(٣) الديوان ٢٦٠ .

(٤) أنظر مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٣ .

(٥) شرح ديوان كعب بن زهير — (طبعة دار الكتب) مصر ١٩٥٠م — ص ١٢٢ .

والذي يرجح لديّ أن القصيدة لكعب لما هو واضح من توجهه في عامة تمهيدات قصائده إلى روح التصعلك لا سيما في وصف رحلاته الفردية ، وذلك ما يشيع في تمهيد هذه القصيدة بشكل واضح وصريح ، أما ديوان زهير فلا يشهد على مثل هذا التوجه بصورة عامة إذا أسقطنا هذه القصيدة منه ، وإنما تطالعنا تمهيدات قصائده بأداء هادئ رصين ينمّ عن روح اجتماعية لا تكاد تمت بسبب إلى هذا المناخ الفردي العنيف الشائع في الأبيات [(١)]

٤ ــ القصيدة التي مطلعها

هل في تذكُّرِ أيامِ الصِّبا فَنَدُ ... أم هَلْ لما فاتَ من أيامِهِ رَدَدُ[(٢)]

وهي اثنان وثلاثون بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، وورد في شرح ثعلب بإسناده عن حبيب بن راذان عن أبيه قصة طويلة مختصرها أن عبدالله بن عباس (رض) دخل على عمر بن الخطاب (رض) وعنده نفر من أصحاب رسول الله (ص) كانوا قد اختلفوا في أشعر الناس، فحكّموا ابن عباس (رض) ففضل زهيراً ، فاستنشده عمر من شعر زهير فأنشده القصيدة في مدح آل أبي حارثة .

إن دراسة الحقائق المتعلقة بهذه القصيدة الطويلة قد تحمل على التوقف عند جملة أمور بشأن صحة نسبتها إلى زهير ، من هذه الأمور :

أ ــ أشار المحقق في دراسته لنسبته القصيدة إلى أن قصة إنشادها في مجلس عمر (رض) وردت مع الأبيات الخمسة الأخيرة منها فقط في نسخة واحدة من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها ، وان القصيدة وردت كاملة مع قصة إنشادها في نسختين أخريين بعد تمام الديوان وقبلها النص التالي : « تم وكمل ديوان شعر زهير بن أبي سلمى . . . قال أبو أحمد عبدالسلام: مما قرأت على شيخنا أبي رياش أحمد بن أبي هاشم قال: تشاجروا في الشعر بين يدي عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ... القصة»[(٣)].

---

(١) للمستزيد أن يرجع إلى الفصلين الأول والثاني من الباب الثاني من كتابي (شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين) ليقف على محاولة تحليل صور الافتتاح والرحلة فيديواني زهير وابنه كعب بشكل تفصيلي .

(٢) الديوان ٢٧٨ .

(٣) أنظر الهامش المرقم (٤) من الصفحة المرقمة ٢٧٨ من الديوان .

وهذا كلام يخرج منه بالقول بأن القصيدة لم ترد كاملة في متن ديوان زهير برواية ثعلب في أي من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها المحقق ، وأن ما ورد منها خمسة أبيات فقط في نسخة واحدة من هذه النسخ .

ب – وردت الأبيات الخمسة الأخيرة في مخطوطة (نور عثمانية) التي لم يطلع عليها المحقق مقدمة بقوله : « ولم يملها أبو نصر ، ويقال هي لأبي الجويرية العبدي ، وهي في شعره طويلة» [1].

جـ – كثر استشهاد القدامى بهذه القصيدة في حديثهم عن قدرة زهير على التصرف في فنون البيان أو في حديثهم عن بعد نظر عمر بن الخطاب (رض) وعبدالله بن عباس (رض) في الشعر ، ولكن عامة من استشهد بها لم يتجاوز الأبيات الخمسة الأخيرة منها فقط [2] .

د – ورد البيتان الأول والرابع من الأبيات الخمسة الاخيرة منسوبين إلى أبي الجويرية العبدي في بعض المصادر القديمة سوى مخطوطة (نور عثمانية) [3] .

هـ – تشير الدراسة الفنية للأبيات السبعة والعشرين الأولى من القصيدة إلى أن نمطها بعيد عن نمط زهير تمام البعد ، وذلك لاضطراب معانيها ، وغرابة لغتها عن لغة زهير الشعرية ، واحتشاد فنون البديع من طباق وجناس احتشاداً ليس غريباً عن نمط زهير فحسب وإنما عن النمط الجاهلي كله ، فضلاً عما يمكن وضع اليد عليه من اتجاه إلى التهالك في المسألة وتهافت على الكرم المادي وذلك ما يشهد سائر ديوان زهير على غرابة وروده فيه .

وعلى أساس من هذا كله نذهب إلى أن الأبيات الخمسة الأخيرة فقط لزهير ، وأن سائرها ليس له ، أما اشتراك أبي الجويرية العبدي معه في نسبة الابيات الخمسة الأخيرة كما ورد في مصدرين من المصادر التي روتها فقد يكون مبعثه أن الأبيات السبعة والعشرين

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٤ .

(٢) أنظر مثلا : العقد الفريد – ابن عبد ربه (٣٢٨ هـ) تحقيق محمد سعيد العريان، مصر (د. ت) ج ٦ ص ١٢٣ ، الموشح – المرزباني (٣٨٤ هـ) ، مصر ١٣٤٣هـ – ص ٢٤٤، العمدة – ابن رشيق (٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مصر ١٩٥٦م ج ٢ ص ٦٤ جمهرة أشعار العرب – أبو زيد القرشي (القرن الخامس الهجري) تحقيق علي محمد البجاوي، مصر ١٩٦٧م – ج ١ ص ٦٩ .

(٣) أنظر الوحشيات ٢٦١ .

الأولى من القصيدة له ، وأن روايتها اختلطت برواية أبيات زهير الخمسة وروي المجموع في ديوان أبي الجويرية الذي أشير إليه في مخطوطة (نور عثمانية) ، ثم روي المجموع لزهير مرة أخرى وألحقه بعض النساخ بإحدى مخطوطات شرح ثعلب ، وذلك هو التفسير المنطقي الذي يمكن أن نركن إليه في هذه المسألة ضمن حدود ما يتيسر لنا من المصادر .

٥ — القصيدة التي مطلعها :

ألا ليتَ شِعري هل يرى الناسُ ما أرى   من الأمرِ أو يبدولهم مابدا ليـا [١]

وهي سبعة وعشرون بيتاً .

نص الأصمعي على أنها ليست لزهير [٢] ، وقد وردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب ولكن نسبتها فيها تأرجحت بين زهير وصرمة بن ابي أنس الأنصاري .

والقصيدة في التأمل والاعتبار بحادثة مطاردة كسرى للنعمان ، وذل الأخير بعد المنعة والعز ، وبالرغم من أن معلقة زهير تشير إلى قدرة خارقة على التأمل والخروج منه بوجهات نظر ناضجة فإن نمط هذه القصيدة يبدو غريباً على ديوانه ، ذلك أنها أقرب إلى التوجه الاسلامي في تعليل بعض صور الحياة والموت وذلك ما ينبغي أن يحملنا على قبول رأي الاصمعي في نسبتها إلى صرمة بن أبي أنس الأنصاري ، فلعل من عدل بها إلى زهير نظر إلى ما اشتهر عنه من ميل إلى التأمل واخضاع الحقائق لمنطق التنظير الفكري .

٦ — القصيدة التي مطلعها

لسلمى بشرقيِّ القنانِ منازلُ   ورسمٌ بصحراء اللبيَّيْنِ حائلُ [٣]

وهي أربعة وعشرون بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب ، والقصيدة في رثاء سنان بن أبي حارثة ومديح ابنه هرم ، يرد في آخرها بيتان يبدوان غريبين على أبيات الرثاء والمديح التي تسبقهما وهما قوله :

---

(١) الديوان ٢٨٤ .

(٢) أنظر الهامش المرقم (٢) من الصفحة المرقمة ٢٨٤ من الديوان ، ونص قول الاصمعي هو : « ليست لزهير ، ويقال هي لصرمة الأنصاري ، ولا تشبه كلام زهير » ، وانظر : المعمرون والوصايا — السجستاني (٢٥٠ هـ) تحقيق عبدالمنعم عامر ، مصر ١٩٦١ م — ص ٨٤ .

(٣) الديوان ٢٩٢ .

وليس لمن لم يركب الهول بغيــة وليس لرحل حطّه الله حامــل
إذا أنتَ لم تُقصرْ عن الجهل والخنا أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ

وذلك ما قد يشجعنا على قبول ما ورد في بعض المصادر من نسبة البيتين إلى كعب ابن زهير[1] بيد أننا نبقى مترددين عن البتّ في الأمر لأن ثاني البيتين يرد منسوباً إلى أوس ابن حجر في عدة مصادر [2] ، ولأن موضعه ضمن الأبيات التي ورد فيها من ديوان أوس يبدو أليق منه ضمن قصيدة زهير ، فضلاً عن أن نمط التوجه النفسي فيه يبدو أقرب إلى نمط أوس منه إلى نمط زهير ولهذا فالغالب على الظن أن البيتين لأوس .

٧ — القصيدة التي مطلعها

هل تبلغنّي إلى الأخيارِ ناجيةٌ تخدي كوخدِ ظليمٍ خاضبٍ زعرِ [3]

وهي ثلاثة عشر بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ولم ترد إلا في نسختين من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب وقد ورد في مخطوطة (نور عثمانية) التي لم يطلع عليها المحقق أن أبا عمرو الشيباني قرر أنها منحولة على زهير [4] ، ولعل مبعث ذلك ما لمسه من ابتعاد نمط القصيدة عما هو مألوف في عامة شعر زهير من سمات المتابعة والتأمــل الفني ، بيد أننا نفضل ألا نتسرع في الحكم ، ذلك أن إشارة ثعلب صريحة إلى أن القصيدة مما قاله زهير في مديح سنان بن أبي حارثة والد ممدوحه هرم ، ومعنى ذلك أنها من قصائده المبكرة ، ولعلها أولى قصائده في مديح آل أبي حارثة ، فإن صدق الظن صح لنا أن نعزو سذاجة المعالجة الفنية فيها إلى ارتباطها بمرحلة التكوين الأول لشخصية زهير الفنية .

٨ — القصيدة التي مطلعها

لقد أورثَ العبسيُّ مجداً مؤثــلاً ومحمدةً من باقياتِ المحامدِ [5]

---

(١) أنظر ديوان كعب ٢٥٧ حيث أدرج المحقق البيتين نقلا عن (عيون الأخبار) لابن قتيبة كما أشار في هامشه ، وقد وجدت ثاني البيتين منسوباً إلى كعب بن زهير أيضاً في العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) أنظر ديوان أوس بن حجر — تحقيق د . محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٧ م — ص ٩٩ ، وانظر ص ١٦٨ حيث ذكر المحقق في التخريج أن المصادر التي نسبته إلى أوس هي الوساطة والعمدة وأمالي ابن الشجري وخزانة الأدب .

(٣) الديوان ٣١٦ .

(٤) أنظر مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٤ .

(٥) الديوان ٣١٧ .

وهي ثمانية أبيات .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

أشار المحقق في تقديمها إلى أن إحدى النسخ الخطية تضمنت تعليقاً بشأن نسبتها هو : « ويقال : القصيدة للنابغة الذبياني لا شك فيه ، وهذا غلط من الرواة » .

وقد وجدت بعض أبيات القصيدة في ديوان النابغة الذبياني برواية ابن السكيت[1] ، فاذا وضعنا في الحسبان أن القصيدة في الاعتبار بموت عبسي عند النعمان وإرسال النعمان فديته إلى أهله ، وأن النابغة كان على صلة وثيقة ببلاط النعمان ، وأن زهيراً قضى حياته في أرض غطفان لم يزر بلاطاً ولم يمدح ملكاً ، رجح لدينا الظن أن تكون القصيدة في الأصل للنابغة الذبياني .

٩ — المقطوعة التي مطلعها

أثويتَ أم أجمعتَ أنكَ غادِ   وعداكَ عن لطفِ السؤالِ عوادِ [2]

وهي ستة أبيات .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

جاء في مخطوطة (نور عثمانية) التي لم يطلع عليها المحقق أن أبا عمرو الشيباني لم يرو هذه الأبيات لزهير ، وقال إنها لكعب ابنه [3]

والذي يبدو من توجه الشاعر إلى الإغراق في وصف الصحراء التي قطعها بالوحشة والوعورة أن رأي أبي عمرو أدنى إلى الصواب ، ذلك أن ديوان كعب بن زهير يشهد على شدة الميل إلى هذا النمط من الوصف ، أما ديوان زهير فيكاد يخلو منه إذا استثنينا هذه الأبيات ، ولهذا فإننا نفضل الأخذ برأي أبي عمرو بشأن نسبتها إلى كعب .

١٠ — المقطوعة التي مطلعها

إن الرزيةَ لا رزيةَ مثلَها   ما تبتغي غطفانُ يومَ أضلّتِ [4]

---

(١) انظر ديوان النابغة — تحقيق د. شكري فيصل ، دمشق ١٩٦٨م — ص ٢١٢.

(٢) الديوان ٣٣٠.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٣ .

(٤) الديوان ٣٣٤ .

وهي خمسة أبيات

روى الأصمعي الأبيات الثلاثة الأولى منها ، ووردت كاملة في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

وقد أشار المحقق في هامشه إلى أن ابن سلام قرر أن الأبيات لقراد بن حنش أغار عليها زهير ، والحقيقة أن ابن سلام لم يقرر ذلك وإنما رواه عن أبي عبيدة ، وأورد أربعة أبيات منها [1] .

وقد درس الدكتور ناصر الدين الأسد مسألة نسبتها فأشار إلى أن الأصمعي روى الأبيات الثلاثة الأولى منها لزهير ، وأن ثعلباً نسب الأبيات الخمسة كلها إلى زهير ، وأن الرواة أجمعوا على عزوها إلى زهير سوى ما ورد من إشارة ابن سلام ، وخرج من ذلك بقوله « إننا نرجح أن الأبيات الثلاثة التي رواها الأصمعي صحيحة النسبة إلى زهير أما البيتان الأخيران فلعلهما من شعر قراد بن حنش الذي أدخل في شعر زهير » [2].

وذلك استنتاج مقبول في حدود ما تشير إليه الحقائق التي استند إليها .

١١ ــ المقطوعة التي مطلعها

ألا أبلغْ لديكَ بني سُبَيْعٍ وأيامُ النوائبِ قــد تدورُ [3]

وهي ستة أبيات .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في ثلاث نسخ من مجموع النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

وقد نقلت مخطوطة (نور عثمانية) التي لم يطلع عليها المحقق نصاً لأبي عمرو الشيباني يقرر فيه أنها ليست لزهير وإنما لرجل من بني عبدالله بن غطفان [4] .

والذي نكاد نقطع به أن رأي أبي عمرو الشيباني بشأنها هو الصواب ، فالقصيدة في تهديد بني سبيع الذين انتهبوا صرمة من إبل غطفان ، وفي ديوان زهير قصيدتان من هذا النمط أولاهما في تهديد بني عليم وثانيتهما في تهديد بني الصيداء [5] ، وموازنة

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ــ ابن سلام (٢٣١ هـ) تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٥٣م ، ص ٥٦٨ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ٥٤٢ .

(٣) الديوان ٣٣٧ .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٣ .

(٥) أنظر الصفحتين المرقمتين ٥٦ ، ١٦٤ .

هذه المقطوعة بهما تقرر أنها بعيدة كل البعد عن النمط العقلي الهادئ الذي يسم توجه زهير في مناقشته وتهديده ، أما هذا الهجوم العنيف الذي يشيع في أبيات المقطوعة فإنه لا يشجع على قبول نسبتها إليه .

١٢ — المقطوعة التي مطلعها

رأتْ رجلاً لاقى من العيشِ غبطةً وأخطأهُ فيها الأمورُ العظائمُ [١]

وهي خمسة أبيات

لم يروها الأصمعي ، ووردت في أربع من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

ذكر الشارح في تقديمها أن زهيراً قالها في مخاطبة امرأة حسدت ابنه سالماً عندما رأته يرتدي بردين جديدين ويعتلي فرساً خياراً فعثر به الفرس فاندقت عنقه ، وانشق البردان ، واندقت عنق الفرس .

على أن الأصفهاني يروي قصة موت سالم نفسها ولكنه يذكر أن قائل الأبيات هو كعب بن زهير [٢] ، فاذا صح رأيه فإننا نذهب إلى القول بأن المرأة المقصودة بالخطاب قد تكون (أم أوفى) زوجة زهير الأولى التي طلقها لموت أبنائه منها ، وبهذا التفسير تبدو معاني الأبيات أقرب إلى التعبير عن واقع العلاقة بين الشاعر والمرثي وزوجة الأب المطلقة . على أننا سنبقى رغم ذلك مقتنعين بأن البيت الخامس يشير إلى انقطاع عنيف عن الأبيات الأربعة التي تسبقه وذلك ما يشجعنا على القول بسقوط بعض أبيات الأصل من المقطوعة .

١٣ — المقطوعة التي مطلعها

من يتجرمْ لي المناطقَ ظالماً فيجرِ إلى شأوٍ بعيدٍ ويسبحِ [٣]

وهي ثلاثة أبيات

لم يروها الأصمعي ، ووردت في أربع من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

---

(١) الديوان ٣٤١ .

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٣١٣ .

(٣) الديوان ٣٤٤ .

على أن البيتين الأول والثاني مثبتان في مجموع شعر قيس بن زهير اعتماداً على رواية الجاحظ في الحيوان [1] .

والذي نكاد نرجحه أن الأبيات لقيس مستندين إلى قرب نمطها من أسلوبه القائم على القسوة في الهجوم على خصمه .

١٤ ــ المقطوعة التي مطلعها :

أرادتْ جوازاً بالرسيسِ فصدَّها رجالٌ قعودٌ في الدجى بالمعابلِ [2]

وهي ثلاثة ابيات

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

وذكر في مخطوطة (نور عثمانية) التي لم يطلع عليها المحقق أن أبا عمرو الشيباني قال إنها لكعب بن زهير « وهي في شعره طويلة » [3]

والأبيات الثلاثة المثبتة في ديوان زهير هي الأبيات السابع والعشرون والتاسع والعشرون والحادي والثلاثون من قصيدة طويلة مثبتة في ديوان كعب مطلعها قوله :

أمِنْ أم شداد رسوم المنازل توهمتها من بعد سافٍ ووابلِ [4]

والذي نرجحه أن تكون الأبيات لكعب لورودها في قصيدة متسلسلة المعنى في ديوانه ولاقتراب نمط القصيدة من نمط كعب الفني قرباً شديداً .

١٥ ــ القصيدة التي مطلعها :

تبينْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ بمنعرَجِ الوادي فُويقَ أبانِ [5]

وهي ستة وعشرون بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في ثلاث من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

---

(١) شعر قيس بن زهير – جمع د. عادل جاسم البياتي ، النجف ١٩٧٢م – ص ٥٤ .
(٢) الديوان ٣٤٥ .
(٣) مصادر الشعر الجاهلي٥٣٤
(٤) ديوان كعب ٨٩ .
(٥) الديوان ٣٥٨ .

قال الشارح في تقديمها : « قال زهير يمدح هرماً ، ويقال إنها لكعب بن زهير » وقد ورد البيت السادس منها وهو قوله :

لـــه عنقٌ تلوي بما وُصِلَتْ به   ودفّان ِ يشتفان ِ كل ظعـــان ِ

منسوباً إلى كعب بن زهير في بعض المصادر فضمه محقق ديوانه إلى ملحقه [١]

ويبدو من استقراء افتتاح القصيدة أنها أقرب إلى نمط كعب لا سيما وصف الصحراء ورفيق السفر حيث يبدو الأداء أقرب إلى روح التصعلك الشائعة في وصف كعب لهما ، وذلك ما قد يغري بعزوها إليه ، بيد أننا نعلم أن كعباً لم يكن على صلة بهرم ، ذلك أنه ترك غطفان وناصبها العداء بعد وفاة أبيه زهير [٢] ونعلم فوق ذلك أنه لم يكن ميالاً إلى المديح الذي لا يضم ديوانه منه سوى قصيدته في الاعتذار إلى الرسول (ص) ومديحه ومديح المهاجرين ثم قصيدته في مديح الأنصار .

بيد أن ذلك كله لا يغرينا بالعودة بالقصيدة إلى زهير لما ذكرناه من بعد نمطها في الافتتاح عن نمطه ولإغراق معاني مديحها في التركيز على الكرم المادي والتهالك في المسألة ، وذلك مما يبرأ منه مديح زهير ، على أننا قد نجد مخرجاً من ذلك كله إذا تأملنا في تعليق للبكري على البيت السادس عشر من القصيدة وهو قوله :

ثنتْ أربعاً منها على ثِني أربع ِ   فهـــنَّ بمثنياتِهِن ًّ ثمـــان ِ

حيث قال إن القالي أنشده لكعب وأخطأ ، وإنما هو لوداك بن ثميل من قصيدته التي يقول فيها

مقاديم وصّالون في الروع خطوهم   بكل رقيق الشفرتين يمـــان [٣]

فإن صح ذلك فقد تكون القصيدة كلها لوداك ، ولكننا سنضطر إلى التوقف عن قبول ذلك لما نلمسه من تباين واضح بين طابع نونية وداك الحماسي وبين مجرى المديح الهادئ للقصيدة التي ندرسها .

١٦ ــ القصيدة التي مطلعها

هاجَ الفؤادَ معارفُ الرَّسم ِ   قفرٌ بذي الهضباتِ كالوشم ِ [٤]

---

(١) أنظر ديوان كعب ٢٦٠ .

(٢) أنظر سيرته وأخبار علاقته بغطفان في كتابي (شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين) ص٥١-٦٢.

(٣) أنظر التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه المطبوع مع الامالي والذيل والنوادر في مصر (د. ت) ص ٥٥ ، وقد نسب القالي البيت إلى كعب في الأمالي ج ١ ص ٦٠ و ج ٣ ص ٢٠٢

(٤) الديوان ٣٨٢ .

وهي عشرون بيتاً

لم يروها الأصمعي ، ولم ترد إلا في نسخة واحدة من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها مقحق رواية ثعلب [1] .

وقد ورد في مخطوطة (نور عثمانية) التي لم يطلع عليها المحقق أنها لأوس بن أبي سلمى أخي زهير [2] ، ولكن الذي يكاد يغلب على الظن أن القصيدة لزهير لما يشيع في تمهيدها من أناة وجهد فني وفي مقطع الرثاء منها من استسلام وتأمل ، على اننا سنبقى بعد ذلك مترددين في قبول نسبة الأبيات الستة الأخيرة منها إلى زهير لما يغلب عليها من تصنع وتأنق لفظي وتهافت في المعنى وتفكك في المجرى الفني الذي يبدو أشد تماسكاً في سائر القصيدة .

ب ـ القصائد والمقطوعات التي لم ترد في متن الديوان، ولم يدرجها المحقق في ملحق بالرغم من ورودها منسوبة الى زهير في بعض المصادر .

وهي نماذج نعمد إلى إثباتها استكمالاً لما بدأنا به من محاولة الإحاطة بكل ما يتعلق بشعر زهير مما لم ترد إشارة إليه في الديوان ، على أن الشك لا يخالجنا في أن أكثر هذا الذي سنثبته منها مما لا يكاد يمت إلى نمط زهير الشعري بأدنى سبب لما يلوح عليه من أثر التوليد الذي نستطيع معه أن نقرر أنه من منحولات المتأخرين

(المستدرك)

١ ــ من أحسن ما قيل في المصارمة قول زهير بن أبي سلمى حيث يقول : (من الطويل)

ألا يا لَقَومي للصِّبا إذ يقودُني ... وللوصلِ من أمسٍ إذا أنا طالبُه

فليتَكَ قاليني فلا وصلَ بيننا ... كذلك من يستغنِ يستغنِ صاحبُه [3]

٢ ــ ومن محاسنه (زهير بن ابي سلمى) قوله : (من البسيط)

كم زرتُهُ وظلامُ الليلِ منسدلٌ ... مُسهَّمٌ راقَ إعجاباً بحُمرتِهِ

وأبْتُ والصبحُ منحورٌ بكوكبِه ... ورائقُ الشفقِ المحمرّ من دمِهِ [4]

---

(١) أنظر إشارته إلى ذلك في الهامش الأول من الصفحة ٣٦٨ من الديوان .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٤ .

(٣) الموشى – الوشاء (٣٢٥ هـ) تحقيق رودلف برونو ، ليدن ١٣٠٣ هـ – ص ١١٢ .

(٤) معاهد التنصيص – العباسي (٩٦٣ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مصر ١٩٤٧ م ، ج ١ ص ٢٣٠ .

٣ – وقال زهير بن أبي سلمى (من المديد)

ليتني خُلِقتُ للأبَد صخرةً صمّاءَ في كَبَد
لا تشكّى شرَّ جارتِها خُلِقَتْ غليظةَ الكبد[١]

٤ – ذكرت جميلة أنها غنت موالياتها قول زهير بن أبي سلمى (من البسيط)

وما ذكرتُكِ إلا هجتِ لي طرباً إنّ المُحبَّ ببعضِ الأمرِ معذورُ
ليس المحبُّ بمن إن شطَّ غيّرهُ هجرُ الحبيبِ وفي الهجرانِ تغييرُ[٢]

٥ – وقال زهير في هرم بن سنان وأهل بيته (من البسيط)

إليكَ أعملتها فُتْلاً مرافقُها شهرين يجهضُ من أرحامِها العلقُ
حتى دُفِعنَ إلى حُلْوٍ شمائلُه كالغيثِ ينبتُ في آثارِهِ الورقُ
من أهلِ بيتٍ يرى ذو العرشِ فضلَهم يُبنى لهم في جنانِ الخلدِ مُرتفَقُ
المطعمونَ إذا ما أزمةٌ أزمَتْ والطيبونَ ثياباً كلّما عرِقوا
كأن آخرَهمْ في الجودِ أوّلُهم إنّ الشمائلَ والأخلاقَ تتّفقُ
إن قامرُوا قمرُوا أو فاخرُوا فخروا أو فاضلُوا فضلُوا أو سابقُوا سبقُوا
تنافِسُ الأرضُ موتاهم إذا دُفِنوا كما تُنوفِسَ عند الباعةِ الورِقُ[٣]

٦ – وهو القائل : (زهير بن أبي سلمى) (من البسيط)

وإن أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُه بيتٌ يقالُ إذا أنشدْتَهُ صدَقا[٤]

٧ – وقال زهير (بن أبي سلمى) (من الوافر)

يدُ الملكِ الجليلِ تناولَتْهُمْ بإحسانٍ فليسَ له مزيلُ
لأنَّ الخيرَ أجمعَ في يديهِ وربّي بالجزاءِ له كفيلُ[٥]

---

(١) الحيوان – الجاحظ (٢٥٥ هـ) تحقيق عبدالسلام هرون ، مصر ١٩٤٥ م – ج ٤ ص ٣٩١ .
(٢) الأغاني ج ٨ ص ١٨٧
(٣) العقد الفريد ج ١ ص ٢٠١
(٤) العقد الفريد ج ٦ ص ١٠٤ و ١٥١ ، والبيت في ديوان حسان بن ثابت تحقيق د . سيد حنفي حسنين مصر ١٩٧٤ م ، ص ٢٧٧ .
(٥) زهر الآداب – الحصري القيرواني (٤٥٣ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٥٣م – ج ١ ص ٣٢١ .

٨ – قول زهير　　　　　　　　　　　　　　　　(من الطويل)

كأني وقد جاوزتُ سبعينَ حجةً　　　خلعتُ بها عنّي عـذارَ لِجامي
رمتْني بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى　　　فكيفَ بمن يرمي وليس بـرامي
فلو أنّني أرمى بنَبْلٍ رأيتُهـا　　　ولكنّني أرمـى بغيـرِ سـهام
على الراحتينِ تارةً وعلى العصا　　　أنوءُ ثـلاثاً بعـدهنَّ قـيامي [١]

٩ – قول زهير

وكائنْ ترى من معجِبٍ لك صامتٍ　　　زيادتُهُ أو نقصُـهُ في التكلم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ　　　فلم يبقَ إلا صورةُ اللحمَ والدم [٢]

١٠ – قول زهير

نـؤم سـنانـاً وكـم دونه　　　مـن الأرض محدودبا غـارها [٣]

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٤ و ج٢ ص ٣٣٠ . وترد الأبيات منسوبة إلى عمرو بن قميئة وهي الأبيات التاسع والحادي عشر والثاني عشر والعاشر من قصيدته المثبتة في ديوانه تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي مصر ١٩٦٥م ، ص ٣٩ .

(٢) الحماسة – البحتري (٢٨٤ هـ) ، تحقيق الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩١٠ م ، ص٣٦٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٠ ، جمهرة أشعار العرب ص ٢١١ ، شرح المعلقات للزوزني تحقيق محمد علي حمدالله ، دمشق ١٩٦٣ م – ص ١٩٧ ، وورد البيتان في حماسة البحتري نفسها ص ٢٠٥ منسوبين إلى عبدالله بن معاوية ، وقد أثبتهما الدكتور عبدالجبار المطلبي ضمن ديوان عبدالله في كتابه الأديب المغامر عبدالله بن معاوية ، بغداد ١٩٧٦ م ص ٢٨٨ وأشار في هامشه إلى نسبتهما إلى زهير وإلى شعراء آخرين .

(٣) شرح عمدة الحافظ – ابن مالك (٦٧٢ هـ) تحقيق عدنان الدوري بغداد ١٩٧٧م ص ٥٣٥ ، شرح الاشموني القاهرة (د. ت) ج ٤ ص ٨٣ ، شرح المفصل ابن يعيش (٦٤٣ هـ) القاهرة (د. ت) ج ٤ ص ١٢٩ ، شرح ابن الناظم – محمد بن مالك (٦٨٦ هـ) بيروت ١٣١٢ هـ ، ص ٢٩١ المقاصد النحوية النحوية العيني (٨٥٥) بهامش خزانة الأدب ، ج ٤ ص ٤٩١ .

تعليق على مقال للدكتور سعيدان

(حول ابجدية عربية صالحة)

الدكتور حكمة علي الأوسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

من المعلوم أن الافكار العلمية المختلفة التي تعالج بها قضية ما إنما يتوخى من عرضها التوصل الى بلورة لفكرة محدودة تأخذ من كل فكرة عُرضت ما فيها من جوانب الصحة الثابتة ومناحي التطبيق العملي المثمر ، ليتكون من ذلك كله حلٌ علمي للقضية المطروحة للمعالجة .

وليس لاية فكرة جديدة تُعرض لمعالجة موضوع ما احتمال في الإصابة ما لم تكن محيطة بما في الافكار السابقة عنه من نواحي النقص والقصور ومواطن التشخيص الصحيح والعلاج الناجح .

ولقد امتلأت المقترحات التي عالجت قضية الابجدية العربية بالكثير مما يمكن أن يساهم مساهمة علمية بنّاءة في دعم ابجديتنا وتطويعها لمتطلبات التقنيات الطباعية الحديثة المتطورة ، ولكن الكثير ايضاً من هذه المقترحات قد جانب النظر العلمي الموضوعي الذي يأخذ في اعتباره العمق التاريخي والحضاري الموغل في العراقة بلغتنا القومية وأبجديتها على الشكل الذي وصلت الينا فيه .

وآخر ما عرض من مقترحات حول الابجدية العربية هو مقال للدكتور احمد سعيدان عضو مجمع اللغة العربية الاردني ، نشره في العدد المزدوج ٣ ـ ٤ السنة الثانية ، نيسان ١٩٧٩ من مجلة المجمع بعنوان : « حول ابجدية عربية صالحة » وقد وجدت في هذه المقترحات ما ينبغي أن يناقش فيه الدكتور سعيدان لغرابة ما جاء فيها وبعده عن أن يكون حلاً علمياً عملياً لحاجات الابجدية العربية ، ولمتطلبات التراث العربي الزاهر ، وللواقع القومي الراهن المتطلع الى ما يعزز عناصر القوة والوحدة فيه ، ويدفع عوامل الخور والفرقة عنه .

واذ انني لا أريد أن استعرض ، هنا ، الآراء الكثيرة التي تناولت هذا الموضوع ، بنية صادقة أو غير صادقة ، فانني سأكتفي بمناقشة موجزة لآراء الدكتور سعيدان ، أُلخّصها في النقاط الآتية :

١ - يعترف الدكتور سعيدان بفضل الخط العربي لما في ماضيه الغابر من ابداع وجمالية ، وما في حاضره القائم من الاختزال الذي « لا يخلو من فائدة ومزايا » . ولكن القصور الذي تعاني منه الابجدية العربية ، في نظره ، ان هذا الخط لا يواكب الطباعة الحديثة والكتابة الآلية اللتين تقتضيان « اقل عدد ممكن من اشكال الحروف » و« أن تكون هذه الاشكال واضحة متميزة بعضها عن بعض » . هذا في حين ان الابجدية العربية تصل الاشكال المختلفة لحروفها الى « اربعمائة وخمسين شكلاً » ، بحسب سوقع الحرف في اول الكلمة او في وسطها او في آخرها .

هذا هو جوهر اعتراضه على الخط العربي . وقد فاته ان يدرس خطوط الكثير من اللغات الاخرى الغنية بتراثها القديم وبما حققته من نهضة علمية حديثة ، وفي خطوط لغتها وابجديتها في الاشكال والمشكلات ما يفوق اشكال الحروف العربية بآلاف المرات. لقد فاته هذا كما فات ، من قبله ، ادباء مفكرين أمثال عبدالعزيز فهمي وسلامة موسى حين دعوا الى الخط اللاتيني ، ونبذ الخط العربي ، لأن في ذلك ، كما توهم سلامة موسى ، « وثبة الى المستقبل » ، ولأننا ، كما توهم ايضاً ، لا نستطيع أن ندرس العلوم بلغتنا وهي تكتب بالحروف العربية الحاضرة .

والغريب العجيب أن من يقول بهذا ينسى او يتناسى أنّ ما كُلّ امة كتبت لغتها بالحروف اللاتينية متقدمة ، ولا كل أمة كتبت بحروفها القومية البعيدة كل البعد عن الخط اللاتيني متأخرة .

هذه تركيا وقد نبذت الخط العربي واستعارت الخط اللاتيني ، فماذا أفادها ؟ أو أخرجها من صفوف الأمم النامية ؟ وهذه امريكا اللاتينية ، هل دولها في مصاف الامم المتقدمة او هي من الدول النامية ؟

وهذه اليابان ، أهي من الدول المتقدمة أم النامية ؟ وخطها يتألف من آلاف عديدة من الرموز الكتابية ، لم تستطع كل الجهود الحكومية والفنون التقنية الحديثة اكثر من أن تختزل هذا العدد الهائل الى (١٨٥٠) الف وثمانمائة وخمسين رمزاً فقط لاغراض الاستعمالات الرسمية واليومية . ولم تتم هذه الجهود إلا بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يمنع

الخط الياباني اليابانيين ، لا برموزه الكتابية البالغة الآلاف ، ولا برموزه المختزلة المقاربة للألفين ، من أن يكونوا في مقدمة الدول المتقدمة في العلم والصناعة وفي جميع مجالات التقنية الحديثة . وقل مثل ذلك عن الخطوط الصينية والكورية وغيرها .

٢ ـ يعزو الدكتور سعيدان ما يقع في الكتب العربية من اخطاء طباعية الى وجود اسنان لبعض الحروف العربية فوقها أو تحتها نقطة او اكثر .

وفي نظري أن حصول اخطاء طباعية في مطبوعاتنا العربية لا يمكن أن يعزى الى شكل الحروف بقدر ما يعود ذلك الى عدم ضبط التصحيح الطباعي ، او اسناد مهمته الى من لم يصب من الثقافة ، العامة او المتخصصة بموضوع المطبوع ، ما يؤهله لاداء هذه المهمة كما ينبغي .

٣ ـ يخلص الدكتور سعيدان ، بعد هذا ، الى ما يراه « صفوة القول » في مسألة اصلاح الحروف العربية ، فيرى « أن نكتب ، كما يكتب معظم الامم ، بحروف منفصلة » . وهنا تظهر له مشكلة جديدة يعبر عنها بقوله : « فاذا كتبنا بحروف منفصلة ، . . . ، صارت كلماتنا آخذة في الطول ، عديمة التناسق الى حد منفّر يجعل العين تقرأ كلمة كلمة ، في حين انها ، في اللغات الاوربية ، قد تستوعب بضع كلمات بنظرة واحدة » . ولكي يبعد هذا الاشكال عن اقتراحه يرى « أن تمتد الحروف رأسياً لا افقياً » ثم يعرض علينا ما يراه صورة لهذه الحروف الابجدية المنفصلة التي يقترحها فاذا هي الحروف العربية المعروفة مع اختلاف يسير في كتابة بعضها اذ تمتد رأسياً لا أفقياً . ولكن ترتيبه لهذه الحروف على هذا الشكل الذي تصورها فيه لا يحالفه فيه التوفيق ، ذلك أنه وضعها في نفس التسلسل المعروف الا انه يرسم الباء والتاء والثاء ورأسها الى الاسفل ، في حين أنه رسم السين والشين والصاد والضاد ورأسها الى الأعلى ، ثم عاد فرسم الفاء ورأسها الى أسفل ، وكان قد ذكر الالف والواو والياء منفصلات على انها حروف مد ، ورسم الياء ورأسها الى الاعلى . ثم ذكر ما دعاه بالاصوات المستحدثة ، ويعني بها بعض الاصوات الاعجمية التي تتردد في العربية الحديثة ، ووضعها بشكلها اللاتيني الى جانب الحروف العربية المنفصلة ، وهي V.P.G. ثم اعتبر الحركات الاعرابية المعروفة اشكالاً اخرى تكتب او تطبع بعد الحرف مباشرة دون ان يشير الى حركة السكون ، فتحصل لديه من هذا (٤١) واحد واربعون شكلاً ، وظن أن لو عرض رأيه هذا « على ذوي الاختصاص فقد يجدون فيه ما يمكن

أن يخرج منه ابجدية عربية أصلح » .

ولكن ألا يرى الدكتور سعيدان أن في هذا التقطيع لأوصال الكلمات ما يضر بالابداع الذي « جعل الكتابة العربية في قمة الفنون الجمالية الرقيقة » كما ينص هو على ذلك ؟ أو لا يرى أن هذا التعديل المقترح لاشكال الحروف يبعد بالكلمات العربية عن حاضرها وماضيها معاً ، وهو الحريص على أن لا يكون لاي تطوير في الاشكال ما يبعد بها عن حاضرها ؟

ثم لماذا هذه الرطانة في الابجدية العربية بأن نحشر بينها اشكالاً من الحروف الاعجمية غريبة عنها ؟ ألم يطلع الكاتب على الرموز العربية المعبرة عن تلك « الاصوات المستجدة » ، وهي كثيرة الاستعمال ، ولا سيما عندنا في العراق ، حينما نكتب لفظة اعجمية ؟ إنها رموز عربية صميمة وتؤدي نفس الغرض الذي يريد الدكتور الكاتب أن يؤديه ، وهي : گ ، پ ، ڤ . وهناك حروف غيرها تدل على اصوات اخرى، مثل: چ ، ژ . ويمكننا ، هكذا، ان نعتمد رموزاً اخرى من حروفنا للتعبير عن اصوات اعجمية غير هذه إن دعت الى ذلك حاجة، مثل الضاد بثلاث نقط ، والظاء والغين كذلك.

وقد اشـــار الكاتب الى اهميـــة اثبات الحركات في الكتابـــة ، وبين أن ذلك « سيكون حافزاً على اتقان اللغة واستقرار الالفاظ على صيغ موحدة » ، ونحن معه في هذا ، ولكن ليس على الطريقة التي اقترحها وهي « أن تطبع حركة كل حرف بعده مباشرة » ، لأن في ذلك اضاعة للوقت والجهد واطالة لكل كلمة ولكل جملة بما يجعل المساحة الورقية التي تتطلبها الكتابة او الطباعة مضاعفة أو اكثر من مضاعفة . ويمكن ان يكون في ضبط ما لا بد من ضبطه بالشكل من حروف الكلمة ، لكي يُزال الابهام والالتباس ، غنى عن الضبط المتكامل الذي لا ضرورة له .

٤ ـــ يقول الكاتب بعد اقتراحه « أن نكتب بحروف منفصلة » : « وبهذا الصدد اشير فيما يلي الى حقيقة اسوقها على سبيل الترجيح ، لا اليقين . . . » .

وهذا تعبير متناقض مع نفسه لأن « الحقيقة » لا يمكن أن تُساق « على سبيل الترجيح لا اليقين » ، فهي اما حقيقة فعلاً او ظن وترجيح . ولا يصح أن يلتقي الاثنان في شيءٍ واحد . وهذه ملاحظة على التعبير اللغوي الذي جانبه التوفيق .

اما هذا الظن الذي اراد أن يسوقه على سبيل الترجيح ، فهو اعتقاده بان الاوروبيين حينما تشكلت قومياتهم وانفصلت عن الامبراطورية الرومانية حاولت لغاتهم القومية أن

تثبت وجودها وتنافس اللاتينية ، فكان لا بد لها من ان تصوغ أول ابجدية اوربية . فكان أن استعاروا بعض الحروف العربية ، مع بعض التعديل في شكلها .

والواقع أن الكاتب كان في غنى عن أن يقدم على نشر الحدس او الظن ، دون مراجعة ، مع انه توجد هناك دراسات في اللغات الاوربية ، عديدة تتناول نشأة الابجديات الاوربية المختلفة وعلاقاتها بالابجدية اليونانية والرومانية وعلاقة هذه بالابجدية العربية سواء كانت فينيقية أو آرامية أو يمنية من الجنوب .

ومن هذه الدراسات كتاب خيرشوف Kirchoff عن الابجدية اليونانية التي حروف الجيم واللام والسين ، فيها ، كما يرى ، أقرب الى الحروف اليمنية المعروفة بالمسند في الجنوب منها الى الحروف الفينيقية .

وقد تناول الاستاذ عباس محمود العقاد جانباً مهماً من هذا الموضوع في كتيب له بعنوان « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » .

اما اشكال الحروف فيمعظم اللغات الاوربية الحية ، فهي نفس الحروف اللاتينية المعروفة ،ولاعلاقة لها من حيث الشكل بالحروف العربية ، كما ذهب ظن الدكتورسعيدان.

وفي ختام هذا التعليق المختصر أُحب أن أبين أن أي اقتراح علمي يؤمل منه خير في دراسة اي موضوع ولا سيما الموضوعات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بقضايانا القومية الحيوية ، لا بد له من أن يعرض أولاً بالنقد العلمي البناء ولكل المقترحات والآراء السابقة ثم يعرض ما لديه من رأي جديد يحاول فيه ان يتجنّب نواقص الاقتراحات الماضية ، ويضيف الى ايجابياتها ونتائجها العلمية ما يغني ويطور . وهذا هو ما بنا حاجة ملحة اليه ، في هذه المرحلة الدقيقة من تطورنا القومي الحديث .

الا ان هذا النهج لم يتوفر في مقالة الدكتور سعيدان ، بل حتى ليبدو أنه لم يطلع على الآراء والمقترحات التفصيلية المنشورة في « مجلة اللسان العربي » المجلد (١١)، والمذيلة بعضها بالمصادر العديدة ، عن « تطور الحرف العربي » ، و « الحروف العربية والمطابع » و « تطوير الكتابة العربية » و « متاعب اللغة العربية في العصر الراهن » ، وفيها دعوات مماثلة تماماً لدعوته .

إن بنا لحاجة ملحة لتطويع الحرف العربي لمتطلبات التقنية الطباعية الحديثة ، ولكن ينبغي أن يكون نصب اعيننا دائماً ، ونحن نعالج هذا الموضوع ، أنه لا ينبغي ان يكون ذلك بعيداً عن اعتبارين اساسيين : المحافظة على جمالية الخط ، والحرص على أن لا يبعد به الشكل المطوّع عن جذوره التاريخية التي فيها أصالته وحياته .

الفهرس

المقالات

الكتب

آراء وأنباء

مجلــة المجمع العلمــي العراقي

أنشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

العنوان : بغداد / الوزيرية / ص . ب . (٤٠٢٣)

(تصدر أربعة أجزاء في السنة)

قيمة الجزء : ٦٥٠ فلساً ، وتضاف اليها أجرة البريد

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

تطلب المجلــة من المجمع ومن الدار الوطنية للتوزيع - بغداد

البحوث التي تنشر في المجلــة تعبر عن آراء كتابها الشخصية

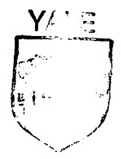
تصحيح أغلاط مطبعية في الجزء الاول

ص	س	خ	ص
١٩٢	٦	عبد دهمان	عبد بن دهمان
٢٠١	٥	يسليمان	بسليمان
٢٣٦	٢٢	خمسة	خمساً
٢٥٣	١٥	زينور	زنبور
٢٥٥	١٧	الخمسة	الخمس
٣٦٠	١	أراء	آراء

★ ★ ★

وفي عنوان الجزء الثاني

جمادي جمادى



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٦ لسنة ١٩٨٠

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٣٠٠٠ / ٤ / ١٩٨٠